وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الجاليات الأوربية في الجزائر (1830-1954)

التطوّر والخصوصيات

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب
العربي بلعزوز

إشراف الأستاذة
الدكتورة/ مسعودة يحياوي

أعضاء لجنة المناقشة

أ/د. بوعزة بوضرساية	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ/د. مسعودة مرابط يحياوي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	مقررا
د. عبد القادر كرليل	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	مناقشا
د. أحمد بن جابو	المدرسة العليا للآداب بوزريعة	مناقشا
د. عبد القادر نايلي	جامعة الجلفة	مناقشا

السنة الجامعية 2014 –2015

كلمة شكر

أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذة المشرفة الدكتورة يحياوي مرابط مسعودة التي لها الفضل بعد اللّه عز وجل في اخراج هذا العمل الى النّور بتوجيهاتها السّديدة ونصائحها القيّمة.

والشكر موصول أيضا الى كل الأصدقاء والزملاء الذين ساهموا في انجاز هذا العمل، والى اللجنة الموقّرة التي قبلت مناقشة هذه الأطروحة.

إهداء

إلى والداي، وولداي إسحاق وسارة حوّاء

قائمة المختصرات

SHAT مركز الأرشيف العسكري للجيش البري بفان سان، باريس.

ANOM أرشيف ما وراء البحار بآكس اون بروفانس، فرنسا.

CCM الغرفة التجارية بمرسيليا، فرنسا.

S.d بدون تاريخ.

S.a بدون كاتب.

مقدمة

تهافت على الجزائر بعد الاعتداء الفرنسي عليها سنة 1830م، عشرات الألاف من الأوربيين من كل حدب وصوب تدفعهم مآرب شتّى، فمنهم من رأى فيها مجالا خصبا لتحقيق منفعة مادية سريعة، ومنهم من رأى فيها الخلاص بعد معاناة طويلة من الفقر والحرمان، وشجعت السلطات الاستعمارية منذ البداية الهجرة الأوربية إليها لكي تكون لها سندا وعونا في تحقيق مشروعها الاستعماري الرامي إلى إلحاق الجزائر بفرنسا إلى الأبد.

نجم عن ذلك السيل البشري الجارف متغيرات عنيفة وعميقة داخل المجتمع الجزائري؛ لأن الإدارة الاستعمارية أرادت أن توجد مناخا اقتصاديا مناسبا لهؤلاء الوافدين الجدد، وذلك بالدوس على كل ما هو جزائري، وعلى رأس ذلك البنى الأساسية التي كانت تنظم وتحكم المجتمع الجزائري العريق، حتى بات مهددا بالفناء المادي والمعنوي معا؛ لأنه شعب تحكمه ضوابط اجتماعية وثقافية وقانونية تختلف من دون شك عن تلك التي جاء بها المستعمر والتي اعتبرها قمة التحضر والمدنية.

إن التّعايش المحتوم الذي فرض على الجزائريين أصحاب الأرض مع العنصر الأوربي الجديد، وان كانوا قد تفاعلوا وتعاملوا معه في السابق، ولكن بشكل مختلف وبحجم آخر، حيث كانت تركيبة المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي تتشكل من الأتراك الذين كانوا يمثلون قمة الهرم الاجتماعي لأن سلطة البلاد كانت بأيديهم، وان كان عددهم لم يكن يزيد عن 12000 نسمة خلال الربع الأول من القرن 19م، بالإضافة إلى الكراغلة الذين كانوا أكثر عددا من الأتراك، وكذا السكان الأهالي الذين كان منهم الحضر والبدو، ثم الأندلسيون، علاوة على اليهود الذين كانوا رعايا جزائريين، أما المسيحيون فكانوا فئتين: فئة تتشكل من القناصل، التجار ورجال البعثات الدينية، أما الفئة الثانية فكانت

تتكون من الأسرى الذين كان مصدرهم الحملات الأوربية الاستعمارية على الجزائر، ومن الجهاد البحري أيضا، وتراوح عددهم بين 1800 و 2000 شخص خلال القرن 18م، اشتغلوا في رعاية البساتين وفي قصور الدايات.

اتخذ ذلك التعايش مع الوافدين الأوربيين الجدد، بعد الاحتلال الفرنسي، شكلا اخر مغاير للسابق لأن عدد الوافدين على الجزائر كان أكبر، ثقافاتهم ولغاتهم كانت مختلفة، بالإضافة أن مصير البلاد بات بأيدي المحتل الذي شرع في التحكّم في المجتمع وتحويل مساره خدمة لمخطّطاته المختلفة.

إن هذا الموضوع لا يبحث في تلك العلاقة، ولا في حجم التأثير والتأثر بين الأوربيين والأهالي، بقدر ما يهتم بمعرفة هذا الأوربي الوافد على الجزائر، من خلال البحث في البيئة التي كان يعيش فيها، والأسباب التي دفعته إلى الهجرة، وكيف تعامل كل عنصر مع الواقع الجديد، وكيف تعاملوا مع الإدارة الاستعمارية، وهل كان لهم الخيار.

ويعتبر هذا البحث استمرارية لموضوع الماجستير الذي كنت قد تناولت فيه هجرة الجمهوريين الاسبان إلى الجزائر بين 1939-1962م، وبحكم تشعب موضوع الدراسة وامتداده في الزمن لا يمكنه أن يجيب على كل التساؤلات، ولكنه جاء ليظهر بعض المعطيات والحقائق التاريخية التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من تاريخنا؛ بحكم أن الوقائع جرت على أرض الجزائر.

إن اختيار مصطلح الجاليات الأوربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية لم يكن بالمرة من أجل الاعتراف بشرعية الوجود الفرنسي بالجزائر، وإنما جاء في سياق حقيقة تاريخية أليمة تمثلت في السيطرة الاستعمارية العسكرية على الجزائر.

ومن هذا المنطلق فإن موضوع البحث لا يركز أساسا على العنصر الفرنسي في الجزائر خلال ذات الفترة بل على الجاليات الأوربية، وعلى تطور السياسات الفرنسية المختلفة في التعامل معها سعيا منها لتذويبهم في العنصر الفرنسي، وإن ورد ذكر الفرنسيين في البحث فذلك للضرورة العلمية التي تقتضي المقارنة بين المجموعتين الأوربيتين الفرنسية وغير الفرنسية تبعا لتلك السياسات الاستعمارية، للوقوف على مدى نجاعتها في بلوغ الهدف الذي سطرت من أجله، ومن دون تلك المقارنة تكون هذه الدراسة ناقصة. وكنت قد استعملت في هذا البحث مصطلح الجاليات من منطلق أن التعريف اللّغوي والاصطلاحي للمصطلح حسب المعجم العربي الاساسي يعني جماعة من الناس تعيش في غير وطنها الأصلي أو غرباء يقيمون في بلاد غير بلدهم حسب الرائد: معجم الف بائي في اللغة والاعلام، وهذا ينطبق على كل العناصر الأوربية التي اتخذت من الجزائر موطنا لها خلال فترة زمنية من التاريخ، وقد ينطبق أيضا حتى على الفرنسيين، لأن الجزائر من الناحية القانونية والأخلاقية لم تكن يوما وطنا للفرنسيين قبل الاحتلال، وهو ما يحاول بعض المؤرخين الفرنسيين المعاصرين إخفاءه بأعذار كثيرة، وفي مقدمتها أن فرنسا جرفها تيار الحركة الاستعمارية إلى التواجد في الجزائر، في محاولة لتحميل التاريخ والظروف الدولية كل التبعات، في حين هم من ساق التاريخ في غير الاتجاه الصحيح بدوسهم على كل القيم الحضارية والإنسانية.

أن الفترة التي سلط فيها الاستعمار الفرنسي على الجزائر هي فترة طويلة، شهد خلالها المجتمع الجزائري تحولات كثيرة، كما أن التواجد الأوربي أيضا مر عبر ذات الفترة بتحولات كانت في الكثير من الأحيان قصرية.

كما أنني لم أقصد بكلمة تطور التي جاءت في عنوان الرسالة، البعد الحضاري والسياسي للكلمة، لأن الحضارة لا تقام إلا على أسس سليمة وراقية؛ وإنما قصدت بها التطور العددي للجاليات الأوربية والآليات التي تحكمت فيه؛ لأن الكم شكّل بالنسبة للإدارة الاستعمارية هاجسا كبيرا لم يفارقها حتّى قيام الثورة التّحريرية، خاصة بالنسبة للإسبان، حيث كان كلما كثر عددهم كلّما وجدت الإدارة الاستعمارية صعوبة في اختراق مجموعتهم والعكس صحيح، ولذلك فلم أقصد من خلال هذا البحث إصدار أحكام حضارية قد تفهم بأنها تمجيد للاستعمار، لأن من عايش الفترتين العثمانية والفرنسية قال بصريح العبارة " اللهم ظلم الأتراك ولا عدل الفرنسيين". وان كنت قد استعملت مصطلح الأهالي فذلك؛ لأن الوثائق التاريخية حتّمت علي ذلك بحكم المادة التاريخية التي تحتوي عليها، كما أن استعمال ذات المصطلح جاء للتمييز بين سكان الجزائر الأصليين وهؤلاء المستعمرين من الجيل الثالث الذين باتوا يسمون أنفسهم جزائريين أيضا، ليتميزوا عن فرنسيي الميتروبول، كما أن الوثائق التاريخية أشارت إليهم بذات الاسم أيضا.

لقد اهتم بموضوع الأوربيين بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية عدد كبير من الباحثين لأهداف استعمارية صرفة؛ لأن دراساتهم كانت بهدف معرفة الاتجاه الذي تسير فيه المستعمرة عبر تتبع مسار تطور السكان الأوربيين والأهالي على السواء لدق ناقوس الخطر إن أدرك احدهم أمرا يهدد الوجود الفرنسي في المستعمرة، وكانت الإدارة الاستعمارية تنسج سياساتها تبعا لاستنتاجاتهم وتوجيهاتهم، وكان منهم (الدكتور روني ريكو، وفيكتور ديمانتاس، أوغيستان بارنار وموريس وول) وغيرهم، وهم من وصفهم ايمي سيزار (*Aimé Césaire*)

بكلاب حراسة الاستعمار؛ لأن هدفهم كان مساعدة الإدارة الاستعمارية على النجاح حيث فشل الرومان قبلهم.

أما الكتابات الفرنسية المعاصرة التي تناولت موضوع الجاليات الأوربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، فلم تكن شاملة وجامعة لكل الجاليات وإنما جاءت فردية درست تطور كل جالية على حدى؛ والسبب في ذلك هو أن كل باحث كتب عن الجنس أو العرق الذي ينحدر منه لرد الاعتبار له في ظل ذلك السلّم العرقي الذي كان زمن الاستعمار داخل المجتمع الأوربي، حيث كتب (جون جاك جوردي) عن الأسبان، و(مارك دوناتو) عن المالطيين، و(جيرار كريسبو) عن الإيطاليين و(جون موريس دي كوستانزو) عن الألمان والسويسريين، وتجمع كل هؤلاء قواسم مشتركة كثيرة، منها دار نشر واحدة هي*(Jacques Gandini)* التي مقرها مدينة نيس جنوب شرق فرنسا، وكلهم أعضاء في مركز التوثيق التاريخي حول الجزائر *(CDHA) Centre de documentations historique sur l'Algérie* المتواجد بمدينة آكس أو بروفانس الفرنسية، والذي تسيره عناصر من الأقدام السوداء في الغالب، كما يجب عدم إغفال الدراسة التي قام بها الباحث (كمال كاتب) في فرنسا حول الأوربيين والأهالي، ولكن بحكم كونه ينتمي إلى الجامعة الفرنسية فإنه لم يتطرق الى بعض المواضيع الحساسة، التي قد تثير بعض المشاعر هناك.

أما الباحثون الجزائريون الذين اهتموا بموضوع الأوربيين بالجزائر فهم قلّة، ولعل أهم وأبرز تلك الدراسات؛ تلك التي قامت بها الباحثة والأستاذة يحياوي مرابط مسعودة حول (المجتمع المسلم والجماعات الأوربية في جزائر القرن العشرين، حقائق، ايديولوجيات، أساطير ونمطيات)، والذي يعتبر مرجعا مهما في الموضوع.

ان الاستنتاجات والملاحظات التي أوردتها عن تلك الكتابات الأجنبية حول الموضوع، لا أقصد بها التقليل من قيمتها كبحوث ودراسات وإنما أردت الوقوف على الحوافز والخلفيات التي دفعت هؤلاء إلى البحث في الموضوع ليس إلاّ، ومن ثم أردت أن تكون هذه الدراسة بقلم جزائري.

اعتمدت في هذه الدّراسة بالإضافة إلى أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفانس(*ANOM*)، رغم تشتّت وتبعثر المادة التاريخية في الموضوع، على ما كتبه هؤلاء الباحثون وغيرهم في هذا الموضوع المعاصرين منهم والقدامى، لأن موضوع البحث لا يمثّل تاريخ الأوربيين في الجزائر بقدر ما يمثل حلقة هامة من تاريخ الجزائر يجب الوقوف عندها والتأمل فيها.

كما أن هذه الدراسة ليست هي إعادة لما كتبه هؤلاء الباحثون الفرنسيون وغيرهم كخوان باتيستا فيلار من اسبانيا وأندريا سميث من الولايات المتحدة الأمريكية التي كتبت عن المالطيين بالمستعمرة خلال فترة الاحتلال ومن الجزائر أيضا، وإنما استعنت بهم في بعض المعطيات لأضيف بين الفينة والأخرى حقائق جديدة في كل مراحل هذا البحث لم يشر إليها هؤلاء وهي من الأهمية بمكان.

اشكالية البحث: عندما باشرت البحث في هذا الموضوع شغلتني تساؤلات كثيرة ومتعددة، وهو ما يعكس الفضول الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع بالذات، لأن هجرة الأوربيين إلى الجزائر خاصة من الحوض المتوسطي أخلط الأوراق على الإدارة الاستعمارية وعرقل سيرها في الكثير من الحالات، واضطرت بذلك الى التأقلم مع الأوضاع من خلال إصدار تشريعات وقوانين في كل مرة لاحتواء الوضع، وهو ما أنشأ تناقضات داخل ذلك المجتمع الأوربي، الأمر الذي

أثر من دون شك على المجتمع المحلي أيضا، كما كلّف تعامل السلطات الاستعمارية معها جهدا ووقتا، وطاقات مادية وبشرية.

وبحكم ذلك فإن إشكالية البحث هي كيف تطورت الهجرة الأوربية إلى الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وماهي تأثيراتها؟، وتفرعت عن هذه الاشكالية تساؤلات أخرى هي: من هم أوربيو الجزائر؟ من أين جاءوا ولماذا؟ كيف تعاملت معهم الإدارة الاستعمارية؟ وهل ساهموا فعلا في تقوية النفوذ الفرنسي في الجزائر أم خلقوا لها على العكس من ذلك مشاكل وعراقيل؟ والى أي مدى أثر تواجد العناصر الأوروبية الأجنبية على القرارات الإدارية والنصوص التشريعية الاستعمارية؟ وكيف أثّر ذلك على البلاد بشكل عام؟ وهل أن تواجد الفرنسيين الأصليين في الجزائر فحسب، كان سيؤدي بالمستعمرة إلى مسار آخر غير الذي عرفناه؟

إن هذا البحث إذا، يهتم بدراسة عنصر هام من العناصر التي صقلت وساهمت في تقوية العنصر البشري الجزائري سياسيا وثقافيا في هذا الإقليم الجغرافي، رغم كون المستعمر كان فرنسيا الاّ أن التأثير الثقافي في الجهة الغربية من الوطن كان إسبانيا.

إن الأوربيين بالجزائر كانوا حالة عرضية فرضت على الجزائر في سياق تاريخي معين وانتهت في بشكلها القديم، ولكن يتوجب علينا دراستهم لأنهم استوطنوا بلادنا لأكثر من قرن من الزمن، ونظرا لما عاناه الأهالي خلال تلك الحقبة الزمنية الطويلة من هذا وذاك بإيعاز من الإدارة الاستعمارية في أغلب الأحيان.

إن المعطيات التي وردت في هذا البحث ذات الصلة بالقرارات التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية بخصوص تلك الجاليات الأجنبية غيرت تركيبة المجتمع

الجزائري إلى الأبد، ومعرفة الظروف التي جاءت فيها بالاعتماد على الحقائق التاريخية أمر من وجهة نظري جد مهم.

منهجية البحث:

للإجابة على الإشكاليات المطروحة في البحث اتبعت المنهج التاريخي الوصفي لسرد المادة العلمية (التاريخية) وتدوين الأحداث التاريخية، والمنهج التحليلي لشرح وتحليل وتفسير المعطيات والإحصائيات والرسومات البيانية، ويأتي المنهج المقارن ليساعد على بروز بعض الحقائق من خلال إجراء مقارنة بين مختلف الجاليات الأوربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية لإدراك أبعاد السياسة الفرنسية في استيعاب تلك العناصر الأوربية غير الفرنسية.

المصادر:

حاولت في حدود الإمكانات المتاحة الاستعانة في البحث بأرشيف ما وراء البحار بفرنسا (*ANOM*) في كل فصول هذا البحث من خلال جزء من المجموعات: *8CAB 1H 10H–F/80* ، والمجموعة *1M*، و*L*، وكذا بالأرشيف العسكري المحفوظ بقصر فان سان بباريس(*SHAT*)، تحت السلسلة الفرعية (*GR/1H*) فيما يتعلق ببداية الاحتلال، وكذا أرشيف الغرفة التجارية بمدينة مرسيليا الفرنسية *(C.C.M)* في بداية البحث؛ (المدخل).

كما اعتمدت في إنجاز هذا البحث–بالإضافة إلى الأرشيف–على مجموعة من المصادر باللّغة الأجنبية تمثل أهمها في والجرائد والمجلات والمنشورات منها:

Courrier de Tlemcen

Dépêche Tunisienne

Journal des Débats

L’Afrique du Nord illustrée

L’Akhbar

Revue Africaine

Revue d’Alliance

Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée

Revue des deux mondes.

C.de Feullide, **l’Algérie française,** Henri-Plon, imprimeur-éditeur. Paris.1856.

- Démontes Victor, **le peuple Algérien، Essais de démographie Algérienne,** imprimerie Algérienne، Alger 1906.

−Harmand Jules, **Domination et colonisation**. Ernest Flammarion Editeur, Paris. 1910.

- I.T.Merle, **Anecdotes pour servir à l’Histoire de la conquête d’Alger en 1830**, Edition G-A.Dentu, Imprimeur-Libraire. Paris. (s.d).

ومراجع باللغة الأجنبية من أهمها:

- Duval Jules, **Histoire de l’émigration européenne, asiatique et africaine au XIX ème siècle,** Librairie Guillaumin et Cie, Paris. 1862.

- De Baudicour Louis, Histoire de la colonisation de l’Algérie : ses éléments, Jacques Lecoffre et Cie, Libraires Editeurs, Paris.1856.

- de Tocqueville Alexis, **De la colonie en Algérie**, présentation de Tzvetan Todorov, Editions Complexe, Bruxelles, 1988.

- Fischer Fabienne, **Alsaciens et Lorrains en Algérie : Histoire d’une migration,** Editions Jacques Gandini, Nice.1998.

- Paul Dumas, les Français d’Afrique et le traitement des indigènes, Challamel et Cie Editeurs. Paris. 1889.

- Donato Marc, **Elisa la Maltaise, Histoire des Maltais d’Algérie 1830-1962**, Editions Serre, Nice.2002,

- De Costanzo Jean-Maurice, **Allemands et Suisses en Algérie : 1830-1918**, Editions Jacques Gandini, Nice.2001.

- Yacono Xavier, **Histoire de l’Algérie, de la fin de la Régence turque à l’insurrection de 1954**, Edition l’Atlanthrope, Paris.2003.

- Kateb Kamel, Européens, **« Indigènes » et Juifs en Algérie (1830-1962), Représentations et réalités des populations**, Editions INED,Paris,2001.
- Yahiaoui- Merabet Messaouda, **Societé musulmane et Communautés Européennes dans l'Algérie du XXè siècle : Réalités, Idéologies, Mythes et Stéréotypes**), (2 Tomes), Editions Houma, Alger, 2005.

خطة العمل:

لقد تم اعتماد خطّة بحث تتمثّل في مدخل وخمسة فصول توجت بخاتمة؛ وجاء تقسيم هذه الفصول تقسيما زمنيا حسب الأحداث التي ميزت كل مرحلة وطبيعة النظام السياسي والأحداث التاريخية التي شهدتها كل مرحلة.

تناولت في المدخل الحملة الفرنسية على الجزائر من الأسباب إلى سقوط مدينة الجزائر، مع طرح بعض التساؤلات بخصوص سهولة سقوط المحروسة، بالإضافة إلى التطرق للظروف العامة لبعض الدول الأوربية خلال النصف الأول من القرن 19م التي ضغطت باتجاه الهجرة نحو الجزائر.

جاء الفصل الأول تحت عنوان: **ظهور أوربيي الجزائر، 1830-1848م**؛ وتناولت فيه بداية الهجرات الأوربية الأولى إلى الجزائر وتأثيراتها على الأهالي، وكذا موقف الإدارة الاستعمارية من تلك الهجرة خلال مرحلة التردد وبعدها، كما تعرضت فيه إلى الجهود الإعلامية الاستعمارية للترغيب في الهجرة الأوربية إلى المستعمرة، واتخذت من مرحلة بيجو أنموذجا للاستيطان الرسمي، وتطور الهجرة خلال تلك الفترة، مع تقييم للمرحلة، كما تناولت به أسباب الهجرات الأوربية الإسبانية، الإيطالية والمالطية، الألمانية وكذا الفرنسية، وختمت الفصل بالتطرق الى نتائج الاحتلال الأولى على الجزائر.

الفصل الثاني اخترت له عنوان: **من الاستيطان الرأسمالي إلى المملكة العربية**، وشمل الفترة الممتدة بين **(1849– 1870م)**، وتضمن مجموعة من العناصر، في مقدمتها التحولات السياسية في فرنسا سنة 1848م وتأثيراتها على الجزائر، كما تحدثت فيه على الأمير عبد القادر الذي منع من دخول الجزائر سنة 1852م، لإبراز تلك المفارقة بين تشجيع هجرة الأوربيين الى المستعمرة وفي الوقت ذاته حرمان أبطالها وزعمائها منها، كما تناولت فيه أيضا سياسة نابليون الثالث الاستيطانية، وموقفه من عزوف الفرنسيين من المجيء الى الجزائر، عبر تكثيفه للجهود من أجل التأقلم مع الوضع من خلال تشجيع الهجرات الأوربية وخاصة الألمانية والسويسرية للتعمير والاسبانية والايطالية للعمل، كما شمل الفصل تتبع التطور العددي لمختلف الجاليات الأوربية، وكذا الظروف الصعبة التي كان يعيش فيها الاسبان في الجزائر نظرا لكثرة عددهم مقارنة بالعناصر الأخرى، وخصص جزء من الفصل للحديث عن التعمير بالشركات الكبرى، وبداية مخاوف الإدارة الاستعمارية من التركّز الاسباني بالغرب الجزائري، وختمته بقانون سيناتوس كونسيلت لسنة 1865م حول الجنسية وموقف كل العناصر البشرية المعنية به منه.

أما بالنسبة للفصل الثالث فقد تناولت فيه الحديث عن الصراع بين **الفرنسين والأوربيين**، خلال الفترة الممتدة من **(1870 إلى 1900م)**، وشمل مجموعة من العناصر، في مقدمتها مرسوم كريميو سنة 1870م وموقف مختلف العناصر البشرية منه، كما تطرقت فيه إلى تهجير سكان الألزاس واللورين إلى الجزائر، عبر تتبع عددهم وظروف قدومهم وتوزيعهم على الأرض، كما تحدثت عن هؤلاء السكان من الألزاس واللورين الذين كانوا بالجزائر وفضلوا مغادرتها بالمئات بسبب حرب 1870م، وتناولت فيه تأسيس البنوك والداء الذي أصاب

الكروم ودورهما في دفع الهجرة الأوربية إلى الجزائر، وواقع الجاليات الأوربية خلال هذه الفترة –خاصة بالنسبة للإسبان– بعد ثورة الشيخ بوعمامة، كما شمل الفصل مشكل المجموعات الأوربية غير الفرنسية والذي انتهى بإصدار قانون 1889م المتعلق بالتجنيس الآلي للأجانب، وتأثيره على مختلف المعطيات البشرية في الجزائر، وختمت الفصل بالأزمة اليهودية التي ظهرت في نهاية القرن 19م بالمستعمرة.

الفصل الرابع جاء تحت عنوان **الاحتواء السطحي للأجانب**، وشمل الفترة الممتدة بين **(1900–1939م)**، بحثت فيه عن قلق الادارة الاستعمارية من تراجع الهجرة الأوربية الى الجزائر، وكذا الحرب الأهلية الاسبانية وتداعياتها على المجموعات الأوربية المختلفة المتجنسة وغير المتجنسة (1936–1939م)، وكذا هجرة الآلاف من الجمهوريين الاسبان الى الجزائر مع مطلع سنة 1939م، كما بينت فيه تأثير الخطاب السياسي الفاشي في ايطاليا على الجالية الايطالية بالجزائر، وخصصت فيه حيزا للحديث عن وضعية اليهود العامة خلال هذه الفترة، وقصدت بها التمهيد لما أحل باليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وختمت العنصر بالحديث عن ذلك التكامل والانسجام الشكلي الذي حدث داخل المجموعة الفرنسية المتشكلة من الفرنسيين الأصليين والفرنسيين المتجنسين.

الفصل الخامس واخترت له عنوان **فشل سياسة الاحتواء الاستعمارية**، وامتد زمنيا بين **(1939–1954م)**، وتناولت فيه بالدراسة وضعية الجمهوريين الاسبان بالجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم المطالب الاسبانية بضم وهران خاصة بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في جوان 1940م، والصراع الفرنسي الاسباني الذي نتج عن تلك الأحداث، كما تناولت فيه وزن وثقل المجموعة اليهودية في الجزائر اقتصاديا واجتماعيا خلال الحرب العالمية الثانية، وتأثير قرار نزع

الجنسية الفرنسية منهم والمواقف المختلفة حيال ذلك، ثم تطرقت فيه إلى وضعية العناصر الأوربية بصفة عامة بين (1945-1954م) الذي ميزه استمرار السلم العرقي بين الأجناس، والتأثير والتأثر في المجتمع المحلي، وختمته بالحديث عن فشل الادارة الاستعمارية في خلق مجتمع اوربي منسجم بالجزائر، وعن الاسباب المختلفة لذلك.

وختمت الدراسة بخاتمة ضمنتها الاستنتاجات التي توصلت إليها في نهاية البحث.

وأخيرا أشير إلى أن موضوع الدّراسة لأنه يتعلّق بكل العناصر الأوربية التي تواجدت بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية، ولذلك نعتقد بأن الكثير من المحاور التي وردت في هذا البحث تصلح لأن تكون مواضيع دراسة مستقلة، وهذا ما نتمنّاه في الحاضر والمستقبل.

كما أود أن أشير أيضا إلى أن موضوع البحث حساس للغاية، ولذلك توخّيت الحذر، ولم أرد أن أطرق بعض التفاصيل والعلائق، وتركتها لبحوث لاحقة، كما أود أن أشير أيضا إلى أن الموضوع وإن توفّرت فيه المعطيات العددية، الخاصة بالعناصر الأوربية كاملة، إلاّ أنها جاءت في الغالب في قالب عام، لم تشر إلى المجموعات الأوربية متفرقة، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، كما أنها جاءت في الغالب غير دقيقة، ومتضاربة حتى عندما تعلّق الأمر بفترة خمسينيات القرن العشرين، وكانت مراكز الإحصاء الرسمية تعترف بذلك وترجعه إلى تارة إلى حركة الأشخاص، وتارة إلى نقص الإمكانيات، وتارة أخرى إلى الشخص المكلّف بالإحصاء أو إلى الطريقة المعتمدة في الإحصاء السكاني الفردي أو الجماعي ونحو ذلك.

وأود في الأخير أن أثني على الأستاذة المشرفة الدكتورة يحياوي مسعودة على صبرها وعلى ارشاداتها ونصائحها العلمية القيمة، التي بفضلها برز هذا العمل إلى النور.

المدخل

- الأطماع الفرنسية في الجزائر.
- التحضيرات الجزائرية لصد العدوان.
- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأوروبا بداية القرن

تمهيد: اشتدت الحركة الاستعمارية في إفريقيا بحلول القرن 19م، وأبانت الدولالامبريالية عن أنيابها للظفر بأكبر عدد ممكن من المستعمرات بها، لتحقيق مآرب مختلفة، ولإظهار قوتها وابراز وزنها لأن حجم المستعمرات كان معيارا كافيا في تلك المرحلة من التاريخ لتأكيد ذلك، وإنشاء إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس كان هاجس الكثير من الدول الاستعمارية.

الأطماع الفرنسية في الجزائر:

اتبعت فرنسا في النصف الأول من القرن 19م سياسة استعمارية جديدة، بغرض تعويض ما فقدته من مستعمرات خلال القرن السابع عشر والثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر[1]، وشكّل هذا التراجع الاستعماري بالنسبة لفرنسا عاملا أساسيا في تجدّد حركتها الاستعمارية خلال تلك الفترة. وقد شكّلت الجزائر بدايتها الأولى؛ خاصة إذا علمنا بأن بريطانيا غريمتها التقليدية أخذت في التوسع في المتوسط (مالطة، جبل طارق)، ولذلك فموقع الجزائر كان يمكّن فرنسا من مزاحمة جارتها في المنطقة. وقد ذهب نوفيكو في هذا السياق، إلى التأكيد على أن احتلال فرنسا للجزائر جاء للتوسع"[2] وليس لأمر آخر.

وبما أن الجزائر باتت تقلق القوى الأوربية الكبرى منذ القرن السادس عشر، فقد حاولت بعض تلك الدول النيل منها وكسر شوكتها منذ وقت مبكر، إلا أنها

---

[1] فقدت فرنسا ولاية التكساس (Texas) بشمال أمريكا سنة 1690م بعد أن طردها الاسبان منها، وفقدت كندا لمصلحة بريطانيا سنة 1763م، بالإضافة الى بيعها ل (لويزيانا) للولايات المتحدة الامريكية سنة 1803م، علاوة على حصول (سان دومانغ) على استقلالها سنة 1825م. ينظر:

Capo de Feullide, **l'Algérie française,** Henri-Plon, imprimeur-éditeur, Paris.1856, p.19.

[2] H. Novicow, **la Fédération de l'Europe**, Editions Félix Alcan, Paris, 1901, p.194.

استعصت على الكثيرين ممن حاولوا النيل من سيادتها منذ المحاولة الفاشلة لشارل الخامس سنة 1541م، ولذلك أضحى التمكّن منها في حد ذاته دليل على القوة والعظمة.

سعت فرنسا إلى استغلال المعطيات والظروف المحلية والدولية خلال بداية العقد الثالث من القرن 19م للعودة من جديد إلى المجال الاستعماري من الباب الواسع[1] وإعادة رسم صورة جديدة لها[2] بعد هزائم نابليون بونابارت Napoléon (Bonaparte)[3]، والتمكّن من الجزائر يكسب فرنسا لا محالة هيبة وسط الأمم الأوربية وأمام الكنيسة الكاثوليكية أيضا، ويساعدها على التخلّص من مشاكلها السياسية الداخلية، ويمكنها أيضا من الخزينة الجزائرية التي كانت تسيل لعاب الكثيرين[4].

---

[1] تجب الإشارة إلى أن الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية (الجديدة) بدأت في الجزائر وزالت وتلاشت في الجزائر أيضا بعد انتصار ثورة نوفمبر الخالدة.

[2] إن تلك الانكسارات والهزائم المتكررة التي تكبدتها فرنسا هي التي دفعت بالملك الفرنسي (شارل العاشر) إلى القول: "يجب محو هذا المسلسل المظلم بانتصار". ينظر:

Camille Rousset, **la Conquête d'Alger**, Edition Plon et Cie, Imprimeurs Editeurs, Paris.1879.p.165.

[3] نابليون بونابارت (نابليون الأول)، 1769–1821م: امبراطور فرنسي، التحق بالخدمة العسكرية مبكرا، ونال رتبة جنرال سنة 1794م اثر الحملة العسكرية على ايطاليا، ثم تلاها بحملة على مصر (1798–1803م)، إلاّ أنها فشلت بعد هزيمة معركة أبي قير، أعلن نفسه قنصلا ثم امبراطورا على فرنسا سنة 1804م، فكّر في احتلال الجزائر وأرسل الضابط بوتان لوضع مخطط لذلك سنة 1808م، دخل في حرب مع مجموعة من الدول الأوربية سنة 1805 وصلت الى غاية روسيا حيث إنهزمت قواته بها سنة 1815م. تعرض للنفي الى جزيرة سانت هيلان إلى أن توفي سنة 1821م. ينظر:

Le Petit Larousse illustrée (Grand format), Paris, (1965), pp. 1562- 1570. (بتصرف)

[4] ان الخزينة الجزائرية كانت تحوي مبلغا يتراوح بين 500 و750 مليون فرنك سنة 1830م، أي ما يعادل مبلغ 7,5 إلى 25 مليار فرنك فرنسي سنة 2001م، (ما يعادل 4 مليار أورو)، وهذا حسب تقديرات (St-Jhon) القنصل البريطاني في الجزائر الذي كان أحد أصدقاء الخزناجي للمزيد ينظر:

Pierre Péan, **Main Basse sur Alger, enquête sur un pillage**, juillet 1830, Editions Plon, Paris, 2004, p.127.

حينما قرر ملك فرنسا شارل العاشر[1] إرسال الحملة العسكرية على الجزائر، كلّف المعنيين بالتحضير لها تحضيرا جيدا، حيث قام الجيش الفرنسي بمناورات عسكرية والتدرب على إنزال تجريبي بتاريخ 3 ماي 1830م بميناء طولون (Toulon) العسكري جنوب فرنسا، كما أعطيت تعليمات دقيقة للضباط حول كيفية الإنزال، بالإضافة إلى قيام القائد العام للحملة، ديبورمون (*De Bourmont*)[2] بشحذ همم جنوده وتقوية عزائمهم، عبر خطاب ألقاه أمامهم في العاشر من ماي 1830م، والرسالة المتداولة كانت غزو الجزائر مهمة وطنية ودينية نبيلة.

---

[1] شارل العاشر (Charles X): ملك فرنسي عاش بين (1757–1836م)، حكم فرنسا بين 1824 – 1830م، قام بالحملة على الجزائر سنة 1830م، وتسبب في ثورة جويلية من نفس السنة التي أزاحته عن الحكم. ينظر:

Le Petit Larousse illustrée (Grand format) 1965, op. cit., p. 1262.

[2] دي بورمون (Louis Victor- Auguste De Bourmont) 1773 –1846م، كان قبل الثورة الفرنسية ضابطا بالحرس الفرنسي، ثم عين جنرالا في جيش منطقة لافوندي الفرنسية (La Vendée)، ثم أرسل إلى بريطانيا لطلب النجدة التي وعدتهم بها الحكومة، إلا أن الأمور لم تسر كما كان مقدّرا لها، ولذلك عاد إلى بريطانيا، ليعود إلى فرنسا سنة 1799م، حيث جمع بعض القوات في غرب فرنسا لتنظيم المقاومة الملكية الا أنه استسلم وسجن سنة 1803م، إلى غاية سنة 1805م حيث فر من سجن مدينة بوزانسون (Besançon) ثم لجأ الى البرتغال التي شهد استسلامها أمام القوات الفرنسية. عين بعد أن لفت أنظار القادة الفرنسيين هناك عقيدا في جيش نابلي، ثم جنرال فرقة، وبعد أن برز سنتي 1813 و1814م في رد الاعتداء على مدينتي دراسد (Dresde) ونوجان (Nogent) رقي إلى رتبة جنرال سنة 1815م بجيش منطقة بوزانسون التي كان أسيرا بها في وقت سابق. شغل منصب نائب، وقائدا للجيوش الفرنسية بإسبانيا، ثم عضوا بالمجلس الأعلى للحرب، الى أن أصبح وزيرا للحرب سنة 1829م. وعلى إثر الحملة الفرنسية على الجزائر التي كان قائدها رقي الى رتبة ماريشال من قبل شارل العاشر، إلا أن الحكومة الجديدة لم تعترف بتلك الترقية، وقامت بإنهاء مهامه من الجزائر وعوضته بالجنرال كلوزال. غادر الجزائر في 3 سبتمبر 1830م، على متن سفينة تجارية نمساوية باتجاه بريطانيا ليلتحق بشارل العاشر الذي كان لاجئا بها. ينظر:

- L. E. Chennechot, **Histoire résumée de la guerre d'Alger**, J. Corréard Jeune, Editeur- Propriétaire, Paris, 1830, pp. 27-28.
- M. C. Mullié, **Biographie des célébrités militaires des armées de terre et de mer de 1789 à 1850**, tome 1, Poignavant et Cie, Editeurs, Paris, (s.d), pp. 221 - 223.

لمنح كل شروط النجاح للقوة الغازية، تم استقدام المشاركين القدامى في الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م لتقديم النصيحة للضباط والجنود معا، كما قام ديبورمون بتمرير عبر الشرق الجزائري من جهة ومدينة الجزائر من جهة ثانية، لمنشور موجه إلى الجزائريين بالتنسيق مع باي تونس فيما يتعلّق بالجهة الشرقية، دعاهم فيه إلى التعاون مع فرنسا[1]؛ وان كان لم يلق أي صدى بالنظر إلى المستوى الذي وصلت إليه المقاومة في الشرق الجزائري.

إن هذه الاستراتيجية الاستعمارية نسجتها الحكومة الفرنسية بكل جدية منذ نابليون بونابارت، الذي لم يقبل بانتقال امتياز شركة القالة إلى بريطانيا سنة 1807-1808م، حيث حاولت استعماله أكثر من مرة كمنفذ للنيل من الجزائر. وقد حمل تقرير بوتان[2] الكثير من المعطيات الدقيقة التي سهلت مهمة احتلال

[1] وزعت وزارة الحرب الفرنسية منذ شهر مارس 1830م آلاف المناشير، تضمنت الآتي: "ايها الأصدقاء، ان الجيش الفرنسي في طريقه لمحاربة وطرد الأتراك المستعمرين من بلادكم...ان الجيش الفرنسي لم يأت للسيطرة او الاستحواذ على بلادكم، نحن نؤكد لكم ذلك، وانما لإعادة البلاد إلى أصحابها الأصليين ...لنتّحد معا لتحريركم وطرد هؤلاء الغرباء...وسنحترم ممتلكاتكم ودينكم. وان أنتم لم تقتنعوا بكل ما قلنا او لديكم بعض الشكوك، فابقوا في منازلكم ولا تنضموا الى الأتراك أعدائكم. وان أنتم قررتم الانضمام الى قواتنا فسنرحب بكم، رغم ان الجيش الفرنسي قادر على طرد الأتراك بمفرده، وان أنتم مونتمونا بالمئونة والحيوانات والعلف فسندفع لكم ثمن كل ذلك، وان خفتم فحددوا مكانا للتبادل وسيأتي عدد منا بدون سلاح مع المال للتبادل. واخيرا ابقوا أصدقاءا لنا". للمزيد ينظر:

Camille Rousset, op.cit., pp.90.91.

ينظر أيضا: حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص ص. 8-9.

[2] فانسون ايف بوتان (Vincent-Yves Boutin): من مواليد 1 يناير 1772م بضواحي مدينة نانت الفرنسية ضابطا بحريا ومهندسا في السلاح البري، شارك في الحروب الايطالية، كلف من قبل الجنرال Horace Sibastiani بالذهاب الى تركيا سنة 1807م للتعاون مع القوات العثمانية لمنع القوات البريطانية من قصف الاستانة بعد أن عبروا مضيق الدردنيل، كلفه نابليون بونابارت، الذي أراد القيام بحملة على الجزائر كتلك التي قام بها على مصر سنة 1789م، بمهمة سرية في شهر ماي 1808م لرسم مخططات وخرائط عن دفاعات مدينة الجزائر وضواحيها. أبحر من ميناء طولون في التاسع من ذات الشهر والسنة باتجاه الجزائر التي وصل اليها بتاريخ 26 ماي 1808م. وادعى بأنه من أقرباء القنصل الفرنسي ديبوا تانفيل لتضليل السلطات الجزائرية. استقبله القنصل بحفاوة بالغة، ثم شرع في تنفيذ التعليمات التي زود بها من قبل وزارة البحرية من=

فرنسا للجزائر من سيدي فرج وبهجوم مزدوج بحري وبري معا، كما ان التقرير الذي قدمه النقيب ديبوتي توماس بتاريخ 2 سبتمبر 1827م إلى وزير البحرية والمستعمرات حول الجزائر جاء في السياق نفسه، فبعد ان حلّل فيه أسباب فشل الاسبان في قنبلتهم لمدينة الجزائر سنة 1783م طيلة 9 أيام ومن قبل 40 قطعة بحرية، وحملة (اكسموث) البريطانية سنة 1816م التي قصفت ميناء الجزائر خلال 10 ساعات كاملة من قبل 23 قطعة بحرية لم تحقق بدورها نجاحات باهرة[1]، ولذلك عرض فكرة ضرورة القيام بهجوم بحري وبري في آن واحد للسيطرة والقضاء على المحروسة، وجاء هذا التقرير مؤكدا لفكرة بوتان السالفة الذكر.

ومع ذلك، فإن أسباب احتلال الجزائر كانت ولا تزال تثير فضول الكثير من الباحثين الفرنسيين المعاصرين، في محاولة منهم لإيجاد مبررات للعدوان الفرنسي عليها، وفي هذا السياق حصر (مارسال ايميريت) سبب الحملة في الضائقة المالية التي كانت تتخبط فيها الحكومة الفرنسية، وهو السبب الأكثر موضوعية بنظره، لأن فرنسا رأت في الخزينة الجزائرية والمائة والخمسين مليون فرنك التي كانت تحتوي

=رصد للمعلومات الطوبوغرافية وأعماق الخلجان وطبيعة الأرض والطرق... من رأس ماتيفو شرقا إلى غاية سيدي فرج غربا وتدوينها على رسومات. غادر مدينة الجزائر في 17 جويلية 1808م. تعرض إلى الأسر من قبل البحرية البريطانية بتاريخ 28 جويلية التي اقتادته الى مالطة، التي فر منها الى القسطنطينية ومنها إلى باريس التي وصلها برا في 29 أكتوبر 1808م. توفي مقتولا في جبال الأنصاري بلبنان بتاريخ 1 أوت 1815م حيث كان في مهمة أخرى. للمزيد ينظر:

- Narcisse Faucon, **Le livre d'or de l'Algérie : Histoire politique, Militaire, Administrative, Evénements et faits principaux de 1830 à 1889**, tome 1, Challamel et Cie, Editeurs, Paris, 1889, pp. 113-115.
- بنور فريد، **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر: 1782-1830م**، دار الواحة للكتاب، الجزائر (د.س.ن) ص ص 315-335.

[1] Jules Harmand, **Domination et colonisation**. Ernest Flammarion Editeur, Paris, 1910, p. 90.

عليها، حسب تقارير تلك الفترة، وسيلة تمكّنها من التخلّص من مشاكلها الداخلية الكثيرة[1].

وهو بذلك أبعد أسبابا أخرى، لأنها في نظره غير مبرَّرة، كالإهانة التي تعرض لها القنصل الفرنسي ديفال (*Duval*)، والقضاء على القرصنة التي لم تعد موجودة منذ 1818م[2]، وكذا تحرير الأسرى المسيحيين الذي لم يكن السبب الحقيقي للحملة أيضا، لأنه لم يكن بالجزائر في صيف 1830م سوى مائة مسيحي كانوا أسرى حرب، كما أن قصف السفينة البرلمانية (*la Provence*) في الثالث من أوت من سنة 1829م لم تكن هي الأخرى سببا للقيام بالحملة على الجزائر؛ لأن الداي حسين قام بإقالة المتسببين في القصف[3]، وحتى الدوافع الاقتصادية ليست كافية أيضا لتبرير الحملة[4]، لأن مقومات الجزائر الطبيعية لم تكن تحفّز المستثمرين الفرنسيين كثيرا[5]، الى غاية تلك الفترة، كما أن اللجنة العلمية المخول لها حصر تلك المقومات لم تتشكّل إلا سنة 1839م.

ان قضية استعمال الحملة العسكرية على الجزائر لتحويل الرأي العام الفرنسي عما كان يجري داخل البلاد، هذا أيضا غير كاف لتبرير الحملة العسكرية على المحروسة؛ لأن الرأي العام الفرنسي لم يكن يهتم بما يجري بالجزائر، كما أن

---

[1] Marcel Emerit, **« Une cause de l'expédition d'Alger, le trésor de la Casbah »**, in : Comités des travaux historiques et scientifiques, Actes du soixante-dix-neuvième congrès national des sociétés savantes, Alger. 1954.

Algeroisementvotre.free.fr/sittteee0301/tresor00/tresor02.html.

اطلع على الموقع بتاريخ: 16 ماي 2012م، على الساعة: 15.24.

[1] Le Moniteur universel, n : 58 du 27 février 1830.

[2] حيث أن سجلات المدينة لم تشر سوى ل 14 سفينة، 12 منها لإسبانيا وسفينتين للبابا وهما دولتان كانتا في حرب مع الجزائر. ينظر: Marcel Emerit, ibid

.

[3] Le Moniteur universel, n : 58 du 27 février 1830.

[4] للمزيد عن أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر، ينظر: (le Moniteur universel) عدد 110 بتاريخ 20 أفريل 1830م.

[5] Charles André Julien, « **Marseille et la question d'Alger à la veille de la conquête** », in : Revue africaine, t. 60, 1919 pp.16-61.

صحف المعارضة كانت تنتقد كل الأعمال التي كان يقبل عليها وزراء حكومة بولينياك[1](*Polignac*) ، وهذه محاولة من (مارسال ايميريت) للتأكيد على أن الحملة لم تلق دعما شعبيا من قبل الفرنسيين بقدر ما كانت مناورة سياسية ذات صلة بأحداث داخلية وخارجية.

وفي ذات السياق ذهبت الباحثة (هيلان بلاي) إلى القول بأن كل الأسباب المعروفة: حادثة المروحة والأزمة الديبلوماسية والديون، هي غير كافية لتبرير الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر، لأن الحملة جاءت عسكريا لتحسن من صورة الجيش الفرنسي بعد الحروب النابليونية، وكانت صدفة، نظرا لغياب مشروع فرنسي استعماري ضد الجزائر[2]، وهو رأي يحمل في طياته الكثير من التناقضات.

بينما ذهب (جيل هارماند) الى القول بأن الحملة على الجزائر في البداية كان محركها الشرف الوطني، ولكن تحولت إلى خطة استراتيجية غايتها مزاحمة بريطانيا وعدم تركها كقوة وحيدة مسيطرة على المتوسط، مع كل ما يعنيه ذلك من إهانة وخطورة بالنسبة لفرنسا[3]. مما يعني أن التحرك الفرنسي على الجزائر كان لحسابات مع بريطانيا أكثر من أي شيء آخر.

إن هذه الآراء كلها تحدثت عن الحملة وعلاقة شارل العاشر بها، والأسباب والظروف التي دفعت به إلى غزو الجزائر، في محاولة لتبرير الحملة عبر تحييد بعض الأسباب، أو التقليل من تأثيرها على الحملة، في محاولة منهم لإلقاء كل التبعات على الظروف، إلا أنهم تناسوا بأن الاعتداء على الجزائر هو مشروع فرنسي قديم وآخر لمساته كانت في عهد نابليون بونابارت، والإدارة الفرنسية التي

---

[1] بولينياك (Jules –Armand Polignac) 1780 – 1847م: كان وزيرا للشؤون الخارجية في نهاية حكم شارل العاشر، هو من باشر وتولى تنظيم الحملة العسكرية على الجزائر، حكت عليه حكومة ثورة جويلية بالسجن مدى الحياة، ثم افرج عنه سنة 1836م. ينظر:

Le Petit Larousse illustrée (Grand Format) 1965, p. 1618.

[2] Hélène Blais**, « Pourquoi la France a-t-elle conquis l’Algérie »,** in : Histoire de l’Algérie à l’époque coloniale, sous la direction d’Abderrahmane Bouchene et autres, Editions la Découverte (Paris) et Barzakh (Alger), 2012, p.p.52-58.

[3] Jules Harmand, op.cit., p. 91.

قررت الحصار البحري على الموانئ الجزائرية في جوان 1827م، هي من استقدمت بولينياك، الذي وضع مشروع غزو الجزائر منذ جوان 1828م حينما كان سفيرا لبلاده في لندن، وسلّمته منصب الوزارة الأولى بتاريخ 8 أوت 1829م[1]، ووفرت له بذلك كل الشروط السياسية وغيرها لتجسيد مشروعه بمباركة ملك الفرنسيين شارل العاشر. ومنذ التاسع من فبراير 1830م أرسلت الأوامر إلى حكام كل من مدينة براست، روشفور، لوريون، شاربور، بايون وطولون من أجل التسليح الفوري ل 104 قطعة بحرية للإبحار بها باتجاه الجزائر[2].

والحديث عمن قام بالحملة وما هي الظروف التي جاءت فيها، ما هي الاّ تفاصيل فحسب. ويبقى البحث في أسباب الحملة الحقيقية على الجزائر يخص فرنسا، لأن الجزائر وقع عليها الاعتداء ومهما كانت أسبابه داخلية أم خارجية فلن يغير ذلك من الواقع شيئا، ولن يكسب فرنسا شرعية، ولن يمنحها عذرا، لأن الاعتداء يبقى تعديا مهما كانت أسبابه، والمتتبع للسياسات الفرنسية المطبقة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية يدرك ذلك بجلاء.

رغم أن الباحثين الفرنسيين المشار إليهم لم يشيروا قطّ إلى الدوافع الدينية للحملة، إلا أن اجتماع الاميرالية سنة 1828م الذي انعقد بغرض دراسة خطة إنزال محتمل للقوات الفرنسية على السواحل الجزائرية، وقد كان ذلك بإيعاز من بولينياك، والذي ترأسه الكونت دو شابرول (*Comte de Chabrol*) وزير البحرية، فإن دي فريسينوس (*de Frayssinous*) وزير الأديان الذي كان ضمن المجتمعين، قد أبدى إعجابه، تأييده وتحمسه للمشروع[3]، بالإضافة الى أن شارل العاشر طلب من كل الكنائس في المملكة وخارجها أن تصلّي وتطلب دعم

---

[1] Pierre Gourinard, **Les Royalistes en Algérie de 1830 à 1962 : de la colonisation au drame,** Collection Xénophon, Atelier Fol'Fer, Anet (France), 2012, p. 23.

[2] **Atlas colonial illustré, géographie, voyages et conquêtes, production, administration**, Librairie Larousse, Paris, (s.d), p. 17.

[3] للمزيد عن الموضوع، ينظر: Pierre Gourinard, op. cit., p. 23.

السماء لإنجاح الحملة[1]. وبعد تحقيق ما رسم من أهداف، قررت الكنيسة أن يؤدَّى النشيد المسيحي القديم الخاص بالمناسبات والأعياد والانتصارات (*Te Deum*)، في كل الكنائس التابعة للأسقفية بعد أن بات الصليب يرتفع على شواطئ الجزائر[2].

1- التحضيرات الجزائرية لصد العدوان:

رغم المعطيات التاريخية الكثيرة التي تحدّثت عن علم الداي حسين بأمر الحملة الفرنسية على الجزائر قبل إقلاعها، مصدرها جواسيسه وأعينه في كل من فرنسا، مالطة وجبل طارق وغيرها، والذين كانوا يتتبّعون أخبارها ويبعثون إليه بكتابات عن كل التفاصيل، ومن آخرين كان يرسلهم إلى كل من ايطاليا، اسبانيا وطولون ومرسيليا، إلا أن تلك المعلومات لم تفد في شيء، وحتى انعقاد المجلس العسكري قرب اسطاوالي (بعد الإنزال الفرنسي) الذي حضره قائد الجيش إبراهيم آغا، ومصطفى بومزراق باي التيطري، وخليفة عن باي وهران، وخوجة الخيل، وأحمد باي قسنطينة بالإضافة إلى حمدان بن عثمان خوجة[3]، بهدف مناقشة وسائل الدفاع لم يمنع الهزيمة، لأن التقارير العسكرية الفرنسية جميعها جاءت مؤكّدة لسهولة سقوط الجزائر بيد المحتل، ونكتفي بعرض نموذجين منها: الأول للأميرال دوبيري[4](*Duperré*)، والثاني لديبورمون قائد الحملة العسكرية على الجزائر.

---

[1] Mandement de monseigneur l'évêque de Dijon, relatif à la prise d'Alger : 17 Juillet 1830. (C.C.M-MQ52/03).

[2] Mandement de monseigneur l'évêque de Dijon, relatif à la prise d'Alger op. cit.

[3] ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال**، ط 4، دار الغرب الاسلامي، الجزائر 2005. ص.63.

[4] الاميرال دوبيري (Victor Guy Duperré) 1775-1846م، برز خلال مقاومة البحرية البريطانية، خاصة في جزر الانتيل، حيث عين بعدها بارون ثم الحاكم البحري لمدينة طولون الفرنسية، ثم عين قائد القاعدة البحرية الفرنسية في الانتيل سنة 1818م، ثم قائدا للأسطول البحري خلال الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م والمشرف على الانزال في سيدي فرج، وعين بعدها وزيرا للبحرية 1834-1843م.

ينظر:

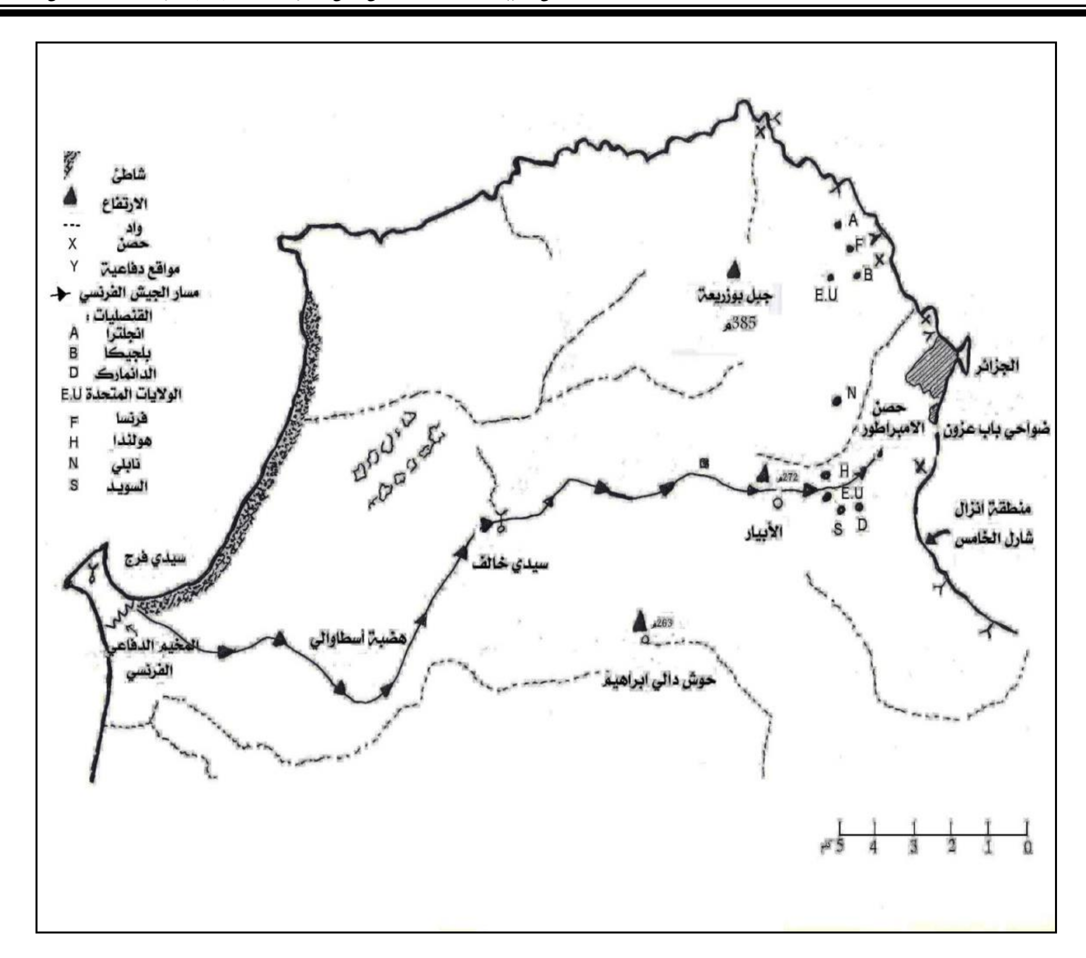
Alain Rey et Giles Baud Berthier, **Le Robert Encyclopédique des noms propres, Dictionnaire illustrée**, Editions, Le Robert, Paris, 2007, p.691.

يشير تقرير الأميرال دوبيري، بأن الجزائريين لم يستعملوا في رد الإنزال سوى خمسة عشر مدفعا، أطلقت بعض القذائف باتجاه الأسطول الفرنسي من دون فعالية، وأن الإنزال الفعلي بدأ قبل الخامسة صباحا من يوم الرابع عشر من جوان، بدون أن تعترضه أية مقاومة، وعند التقدم تفرق المقاومون، وانتهت المواجهة على الساعة 11 صباحا، ولم تتعد خسائر الجيش الفرنسي 20 جنديا فقط[1].

أما تقرير ديبورمون بخصوص معركة أسطاوالي، فقد أشار الى تجمع القوات الجزائرية منذ الخامس عشر من جوان، والمشكّلة من جيش قسنطينة، وهران والتيطري وقسم كبير من الميليشيات التركية بالجزائر، والتي قدرها بنحو 40.000 مقاتل، كما أشار إلى بقاء تلك القوات لمدة أربعة أيام في مكانها دون حركة،[2] مما يعني أن القوات الجزائرية تركت الوقت الكافي للغزاة لإنزال عتادهم وعدتهم.

[1] L'Amiral Duperré, au ministre de la marine et des colonies, le 14 juin 1830. SHAT, Série GR1H, Carton GR1H235.

[2] Le Comte de Bourmont, au président du conseil des ministres, Sidi Férruch le 14 juin 1830. SHAT, op. cit.



(خريطة رقم: 1). مسار الحملة الفرنسية نحو مدينة الجزائر من 14 جوان الى 5 جويلية 1830م[1].

لقد اتخذ الغزاة إذا مسألة احتلال الجزائر محمل الجدّ، لأنها كانت أكبر قوة افريقية[2]، ووضعوا كل شروط النجاح في صفّهم من تحضيرات، وتشاورات، وتدريبات؛ وفي المقابل فإن التقارير العسكرية السابقة لا تعكس مستوى جيد من التحضير والجاهزية لدى القوات الجزائرية. فمن المسؤول عن ذلك التهاون؟

[1] Carte établie à partir du Prince Sixte De Bourbon, La Dernière conquête du Roi-Alger 1830-, in : Xavier Yacono, **Histoire de L'Algérie, de la fin de la Régence turque à l'insurrection de 1954**, Editions de L'Atlanthrope, Paris, 1993, p. 60.

[2] Jean-Maurice De Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie : 1830-1918**, Editions Jacques Gandini, Nice.2001.p.27.

صرح الداي حسين من باريس في صحيفة *(la revue de Paris)* ليوم 4 سبتمبر 1831 م بأن المسؤول الرئيس عن الهزيمة هو صهره إبراهيم آغا، حيث قال:

"مائة أسد يقودهم ضبع، أجبن الحيوانات، كان مصيرهم الانهزام، في حين أن مائة ضبع يقودهم أسد كان بإمكانهم تحقيق النصر"[1]، ولكن لا ذلك ولا الدموع التي ذرفها الداي وهو يغادر الجزائر[2] ترفع عنه المسؤولية، وهو من عين شخصا عديم الدراية بأمور الحرب والخطط العسكرية في منصب قائد الجيش كخليفة ليحي آغا المعزول؛ لأنه كان في الأصل طباخا وارتقى في المناصب حسب سامح التر[3].

وتضمن حوار آخر أجراه أحد الصحفيين مع الداي حسين في إقامته بباريس حول السهولة التي سقطت بها الجزائر حملت معطيات أخرى بشأن الموضوع:

جاء سؤال الصحفي كالآتي: "كنا نعتقد أنكم حضرتم دفاعات قوية من بطّاريات للمدافع مموهة على طول ساحل سيدي فرج، وأنها ستقوم خلال ليلة من 13 إلى 14 من شهر جوان بقصف كثيف لمنع الإنزال الفرنسي أو على الأقل لتأخيره، كيف تركتم شاطئا بتلك الأهمية بدون حراسة، لأن الاستيلاء عليه كان يعني الاستيلاء على المدينة أيضا؟"[4].

وكان رد الداي حسين: "طيلة فترة المواجهات العسكرية لم تكن تصلني أية معلومات عما كان يجري خارج القصر، كانت الأمور تسير دون علمي، وكانوا

---

[1] I.T. Merle, **Anecdotes pour servir à l'Histoire de la conquête d'Alger en 1830**, Edition G-A.Dentu, Imprimeur-Libraire. Paris. (s.d).p.303.

[2] Op.cit.,p.319.

[3] عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا**، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989.ص.620.

[4] A. Ajal, « **Une visite au Dey d'Alger** », Revue de Paris, Tome troisième, Imprimerie d'Everat, Paris. 1831, p. 48.

يخفون عني كل القرارات المتخذة"[1]، ثم أضاف: "كنت محاطا بخيانة، إلى درجة انه قيل لي ذات يوم نحن لن ندافع عن الجزائر، لأن الملك الفرنسي لا يستهدف الجزائريين وإنما الداي، ولقد بلغت تلك الخيانة درجة عرض تسليم رأسي لديبورمون"[2].

ويشير الصحفي الى ان (الداي) وصف صهره بالجبان، وكان غاضبا عليه أشدّ الغضب إلى درجة أنه كان يجلس بعيدا عنه طوال المسافة بين الجزائر ومدينة نابلي الايطالية. ولم يكلّمه إلا مرة واحدة حينما لامه عن عدم تنفيذه لأوامره، وتوصياته[3].

ولعل تلك الدموع التي ذرفها الداي حسين وهو يغادر الجزائر الى منفاه الاختياري، كانت بسبب شعوره بالتفريط في مهمته الأساسية وهي الدفاع عن الجزائر، وربما لذلك كان يرغب حسب التقارير العسكرية الفرنسية في استعادة ملكه، وتلافيا لذلك وضعته السلطات الفرنسية تحت حراسة مشددة[4]، خاصة بعد أن ألقت السلطات الاستعمارية القبض على واحد من الشخصين اللذين أرسلهما الداي في مهمة الى الجزائر[5].

[1] رغم ان الداي حسين أصدر عفوا عاما من أجل احتواء الثورات الداخلية التي ظهرت في أماكن عدة من الجزائر في أواخر عهد علي باشا، وألغى جميع القرارات التي صدرت في عهد الداي= =السابق ومن ذلك إرجاع الانكشاريين الذين تم تسريحهم ... إلا أن عودة ظهور الانكشاريين على الساحة عرض الداي إلى محاولة= =اغتيال، وعادت تلك الفئة للتآمر ضده كما فعلت مع سابقه، فاضطر الداي حسين إلى إغلاق أبواب القلعة الداخلية عليه بعد ذلك، وعاش في حماية الأفراد، وكان يصدر الأوامر دون أن يخرج إلى الخارج ، فعمت الفوضى في البلاد واندلعت الثورة في كل مكان (عين ماضي، بجاية وتلمسان...). للمزيد ينظر: عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.618 وما يليها.

[2] A. Ajal, op. cit ., p.49.

[3] Ibid.

[4] SHAT, Série GR1H, Carton, GR1H225.

[5] تؤكد هذا الرأي رسالة من الماريشال دو روفيقو بتاريخ 21 جوان 1832م، وكانت بخصوص أحمد بوضربة، كما سيأتي، الا أنها تضمنت ايضا معطيات عن هؤلاء الشخصين، (وقال دو روفيقو بشأن أحدهما أنه ألقي عليه القبض وبحوزته أدلة كثيرة). ينظر:

ANOM, GGA. Série 1H, Carton : 1H/1.

فمن الناحية اللوجستية كانت الجزائر تتوفر على قوة دفاعية مهمة، حيث أشار جرد العتاد العسكري الذي كان بمدينة الجزائر والذي قام به الجنرال لاهيت (*Lahitte*) الى وجود 1800 قطعة مدفعية نصفها من النحاس، والمخازن كانت تحتوي على 11000 برميل من البارود سعة كل منها 50 كلغ، بالإضافة الى عدد هائل من القذائف[1]. فأين كان يكمن الخلل إذا؟ هذا بنظري هو السؤال الذي يسترعي البحث والدراسة لكشف الحقائق من قبل باحثين جزائريين.

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي أسال ولا يزال الكثير من الحبر، وإن كان قد أنهى مرحلة مقلقة بالنسبة للأوربيين كان مصدرها قوة البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للمتوسط، فإنه بالنسبة للجزائريين شكّل بداية مأساة شعب وأمة ووطن، لأن الاستعمار الفرنسي شرع منذ البداية في تغيير المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والدينية القائمة، التي كانت تحفظ للفرد الجزائري حريته وكرامته وقوت يومه، واستبدلها بأخرى غريبة ودخيلة سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا، استهلّت بقدوم العنصر الأوربي إلى الجزائر من عسكريين ومدنيين، وما ترتّب عنه من تغيير في السلوكيات العامة جراء الاعتداءات الاستعمارية المتكررة على الممتلكات، وفقدان حرية العمل والاستهلاك لعلاقتهما الوطيدة بالعقار المعتدى عليه، وما نتج عنه من قلّة الغذاء الذي زاد ثمنه وتراجع عرضه بسبب المستهلكين الجدد، بالإضافة الى الاعتداءات التي طالت الأعراض، الأمر الذي نتج عنه هجرة الكثير من الجزائريين للمدن نحو الداخل ونحو البلدان المجاورة.

وإذا كانت الجهات الرسمية المكلفة بالدفاع عن الجزائر تقاعست وفشلت في رد المعتدي، فإن الجزائريين رفضوا الاعتراف بالإدارة الاستعمارية، كما رفضوا السلوكيات الجديدة التي كانوا يريدون فرضها عليهم، وباشروا عملية الدفاع بالسلاح عن أرض خصبوها بعرقهم[2].

---

[1] J.T. Merle, op. cit., p.XXV.

[2] Michel Levallois, **Ismayl Urbain (1812-1884) : Une autre conquête de l’Algérie**, Editions Maisonneuve et Larose. Paris, 2001.p.70.

إن الحملة الفرنسية على الجزائر بغض النظر عن أسبابها، وهل كانت مجرد عملية تأديبية[1]، أو جاءت نتيجة طفرة غير متوقعة من الإدارة الفرنسية وأنها لم تكن نتاج تخمين من رجال السياسة[2]، فإنها انتهت بالاعتداء على سيادة شعب، وعلى ممتلكاته ومقوماته وشخصه طيلة 132 سنة، ومهما كانت أسباب الحملة فهي حجج باطلة، ضعيفة وواهية، لأنها لا تعطي ولن تعطي تفسيرات مقنعة لحجم الجرائم المرتكبة والاعتداءات المقترفة في حق الشعب الجزائري طيلة كل تلك الفترة.

كما أن مشاركة العديد من الدول الأوربية في إنجاح الحملة وبدرجات متفاوتة، لا ينقص من مسؤوليتها التاريخية فيما حدث، خاصة اسبانيا التي كانت بينها وبين الجزائر معاهدة عدم اعتداء[3]، والتي أبدت رغبتها في مساهمة عسكرية إلا أن إمكانياتها لم تسمح لها بذلك واكتفت بارسال عقيدين وقائد كتيبة ونقيب، إلى جانب روسيا التي أرسلت عقيدا وملازما باقتراح من السفير الروسي بباريس للمشاركة في الحملة، والانجليز الذين أرسلوا ضابطا كان حفيدا للجنرال مانسال (*Mancel*) الذي شارك في حملة (اكسموث) على الجزائر سنة 1816م[4].

---

[1] Jules Harmand, op. cit., p.148.

[2] Pierre Guiral**, « La presse Française et la conquête de l'Algérie (1830-1848) »,** in : Bulletin de la Société d'Histoire Moderne : n 19- 20 : 1962, pp.7- 13.

[3] لقد وقعت الجزائر واسبانيا بتاريخ 15 يناير 1827م على اتفاقية، وهي عبارة عن تعديل لاتفاقية 1791م، وأهم تعديل يتمثل في المادة الثامنة: "في حالة حرب الجزائر مع دول أخرى، تتعهد اسبانيا بعدم تقديم لا مساعدة ولا نجدة ولا مؤونة للمعتدي". وهي مادة نقضتها اسبانيا بالسماح للسفن الفرنسية بالرسو في جزر البليار وهي في طريقها للاعتداء على الجزائر، كما كانت القوات الفرنسية في وهران في بداية الاحتلال تتمون من اسبانيا. كما أن الصحافة الاسبانية كانت تتمنى نجاح الحملة. وان كانت البليار قدمت موانئها للحملة فان مدنا اخرى أرسلت المؤونة والخيول ورجال لدعم الحملة. للمزيد ينظر:

Alfred Salinas, **Quand Franco réclamait Oran (l'Opération Cisneros)**, l'Harmattan, Paris 2008.p.p.89.90.

[4] للمزيد عن المشاركة الأجنبية ينظر:

J.T. Merle, **op.cit.,** p. XXVI.

حتى وان لم تكن تلك المشاركة كثيفة من حيث العدد، إلا أنها كانت رسمية تعكس مواقف تلك الدول من الحملة الاستعمارية على الجزائر، أما النمسا والسويد فساهمتا بسماحهما للمدفعية الفرنسية باستعمال قنصليتيهما القريبتين لقصف دفاعات مدينة الجزائر[1]، بالإضافة إلى أطراف أوربية أخرى كسويسرا التي تحمست مقاطعة بارن (*Berne*) كثيرا للحملة وقررت المشاركة بقوات عسكرية في إنجاحها، وأعربت الحكومة الفيدرالية لبولينياك بأنها لا تضمن مشاركة بقية المقاطعات[2]، مما يضفي على الحملة طابع المؤامرة الأوربية، بعد أن طلب شارل العاشر من الدول الأوربية الدّعم بدل النصيحة.

وإذا كانت مظاهر المؤامرة الخارجية على الجزائر بادية وواضحة، حتى من أنظمة مجاورة، حيث وصلت أخبار إلى القادة الفرنسيين بتاريخ 6 ماي 1830م مفادها أن باي تونس قدم رغبته واستعداده لتموين الجيوش الفرنسية، ولكن بشكل سري لعدم إثارة الرعايا التونسيين[3]، فإن تلك المؤامرة الداخلية التي تحدث عنها الداي[4]، تسترعي البحث والدراسة واستنطاق المادة الأرشيفية للوقوف على الحقيقة التاريخية ليس الاّ.

2-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأوروبا خلال النصف الأول من القرن 19م:

اعتبرت الإدارة الاستعمارية منذ البداية مجيء الفرنسيين للاستيطان في الجزائر واجبا وطنيا، وعلّقت صحيفة السيمافور بمدينة مرسيليا الفرنسية: "إن

[1] Alfred Nettement, op.cit.p.308.

[2] Pierre Gourinard, op. cit., p26.

[3] Onésime Reclus, **L'Atlantide, pays de l'atlas : Algérie, Maroc, Tunisie**, Edition La renaissance du livre, Paris, 1919. p.92.

[4] أشار العربي الزبيري في تقديمه للمرآة الى الموقف السلبي لكبار التجار بمدينة الجزائر من مقاومة المحتل. ينظر:

حمدان بن عثمان خوجة، المرجع السابق، ص. 9.

الجزائر احتلت بقوة السلاح، وفرنسا سوف تحتفظ بها، ... فأين يوجد العلم الفرنسي فتلكم هي فرنسا، التي أصبحت تضم ثلاث مقاطعات جديدة"[1]. أما بقية الهجرات الأوربية فكانت بدوافع اقتصادية واجتماعية في الغالب، وقليلها بدوافع سياسية.

كانت تلك الدوافع الاقتصادية والاجتماعية ناتجة عن الوضع العام غير المستقر في أوروبا نتيجة حركة التصنيع غير المسبوقة التي كانت تشهدها القارة، مما أثّر على الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية بها: فالسياسيون كانوا يبحثون عن مجال لتسويق فائض السلع وتزويد المصانع بما تحتاجه من مواد أولية، وأصحاب رؤوس الأموال أمسوا يبحثون عن فضاءات جغرافية أخرى خارج أوروبا للاستثمار فيها، أما المجتمع الذي كان يشهد زيادة سكانية كبيرة بات يئن من افرازات تلك الموجة من التصنيع التي تسببت في تفشي البطالة والفقر، وما نتج عنهما من تراجع للقيم الإنسانية والحضارية من خلال سعي الحاكم والمحكوم معا إلى الاعتداء على أملاك الغير لتحقيق الخلاص.

تحول الفقر منذ منتصف القرن 18م الى ظاهرة مقلقة في أوروبا لأنه صاحب الثورة الصناعية منذ بدايتها، ففرنسا التي دخلت مجال التصنيع متخلّفة عن بريطانيا لم تبلغ ظاهرة الفقر بها مستويات قياسية خلال بداية ق 19م، ومع ذلك بدأ يظهر بقوة في بعض المدن مثل ليون (*Lyon*) شرق فرنسا وروان (*Rouen*) وليل (*Lille*) بالشمال بسبب تطور الصناعة التحويلية بهما[2]، أما المقاطعات الفرنسية الجنوبية وان كانت تشكو أكثر من غيرها من ظاهرة الفقر، فذلك ليس بسبب التفوق الصناعي، وإنما بسبب الكثافة السكانية المرتفعة.

---

[1] Le Sémaphore de Marseille, n : 770, du Samedi 10 juillet 1830.

[2] L'abbé Pont, **Considérations sur le Paupérisme et l'Emeute**, chez Roret, Paris 1840, p.149.

المقاطعات الفرنسية	عدد السكان العام	عدد المعوزين	عدد المتسولين
المنطقة الشمالية: 6 عمالات	3288207	384000	34731
المنطقة الشرقية: 14 عمالة	5333971	177768	18373
المنطقة الجنوبية: 32 عمالة	9784074	412575	52374
المنطقة الغربية: 15 عمالة	6737289	345635	65027
منطقة الوسط: 19 عمالة	6734133	301631	27631
المجموع	31877674	**1621652**	**198136**

(جدول رقم: 1)، الوضعية الاجتماعية لسكان فرنسا سنة 1827م[1].

يتضح من الجدول أن المنطقتين الفرنسيتين الجنوبية والغربية كانتا تشهدان كثافة سكانية عالية وارتفاعا كبيرا لعدد الفقراء مقارنة ببقية المناطق، وهذا الواقع سيؤهل عدة مقاطعات من تلك المناطق لأن تكون من أهم مصادر الهجرة الفرنسية باتجاه الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية كما سيأتي.

أما بقية الدول الأوربية فكان يتواجد بها نحو 15.4 مليون فقير، من مجموع 226445200 نسمة (أي بنسبة 14/1 من مجموع السكان)، حيث توزعت تلك النسبة على الدول تبعا لطبيعة الاقتصاد بها وعلاقته بالقطاع الصناعي؛ حيث بلغت نسبة الفقر في بريطانيا سنة 1827م سدس السكان بسبب مستوى التصنيع الكبير بها، وما نتج عنه من تسريح للعمال وبطالة نتيجة استعمال الآلة والتخلي عن اليد العاملة، وبلغ 20/1 في ألمانيا، ونحو 25/1 في كل من ايطاليا واسبانيا التي كان اقتصادها لا يزال يعتمد على القطاع الزراعي[2].

ظلت ظاهرة الفقر والتسول تقلق فرنسا حتى نهاية ق19م، حيث وصل عدد المتسولين بها إلى 400 ألف نسمة، وكان هؤلاء المتسولون يشكّلون خطورة على

[1] Le Vicomte Aban De Villeneuve- Bargemont, **Economie politique chrétienne, ou recherches sur la nature et les causes du paupérisme en France et en Europe et sur le moyen de le soulager et de le prévenir**. Tome 2, Paulin, libraire Editeur. 1834. p.27.

[2] Le Vicomte Aban De Villeneuve- Bargemont, op. cit., pp.7.9.

الممتلكات العمومية والخاصة، ونتيجة لذلك كانت تتعالى صيحات كثيرة منادية بضرورة إبعادهم إلى الجزائر في إطار الاستيطان الرسمي[1]. وشبه القسيس بون (*Pon*) ظاهرة الفقر سنة 1840م بالقنبلة التي ستنتهي بتفجير الهيكل الاجتماعي الأوربي كله[2]، إلا في حالة تمكن الحكومات والأغنياء من توفير الأموال الكافية لضمان العمل والخبز للمعوزين الذين يموتون جوعا، وإيجاد علاج جذري لذلك الوضع الخطير الذي ما انفكت تأثيراته الفتاكة تتزايد.

لم يكن هذا الخطاب مزامنا للحملة فحسب، بل استمر إلى غاية نهاية القرن 19م، إن لم يكن أبعد من ذلك، حيث أشار (بوارييه) إلى وجوب تصحيح الأفكار التي كانت سائدة حول الهجرة التي كان ينظر إليها على أنها مؤشّر على المعاناة، وضرورة شاقة مفروضة على السكان؛ لأن ذلك بنظره كان أمر مغلوط وخاطئ، حيث أن البلد الذي يتمتّع بزيادة سكانية يجب أن يستحسن فوائد الهجرة لأنها تجنبه تضخم السكان، وفي ذات الوقت تمنع عنه ظاهرة الفقر، كما أن ذهاب البعض يضمن للمتبقين ربحا أحسن وأدوم، وبذلك ينخفض الفقر وتتحسن الوضعية البيولوجية والحالة الصحية للسكان في الوطن الأم[3].

لم يكن الفقر الظاهرة الاجتماعية الوحيدة المسجلة بفرنسا خلال ثلاثينات القرن 19م بل رافقتها ظاهرة الانتحار أيضا وبشكل واسع، حيث أشار (قارنيي) إلى أن عدد المنتحرين بها بلغ 33032 حالة بين سنوات 1835-1836م في صفوف الذكور بالخصوص بنسبة 5/4 لأسباب مختلفة[4]، وساهمت الهجرة مساهمة فعالة في التقليل من تلك الظاهرة لأنها منحت لمثبطي العزيمة من الفرنسيين، وللمتعبين من الحياة فرصا لتغيير مصيرهم، وهي بذلك ساهمت

[1] Marc Langlais, Fernand Dubief, **Comment il faut prévenir et réprimer le vagabondage et la mendicité**, Editions l'Écho littéraire et artistique, 1908, p. 2.

[2] L’abbée Pont, op.cit., p.142.

[3] Eugène Poiré, **l’Emigration française aux colonies,** Librairie Plon, Paris, 1897, pp.207- 208.

[4] M. Joseph Garnier et Guillaumin, **Annuaire de l’économie politique : La statistique de 1851**, Guillaumin et Cie Libraire, Paris, 1851, p.198.

بفعالية في تراجع عدد المنتحرين بفرنسا مع نهاية القرن 19م، حيث بلغ عددهم 5472 منتحرا سنة 1875م، و 6741 منتحرا سنة 1881م، و9043 منتحرا سنة 1893م[1]، وهي أرقام قليلة بالقياس إلى الأرقام المسجلة في منتصف الثلاثينات ومنتصف الأربعينات من القرن 19م، وبالنظر إلى تزايد عدد السكان أيضا.

بالإضافة إلى انتشار ظاهرة الفقر في أوروبا بشكل عام قبل، أثناء وبعد احتلال الجزائر، تدخل ظروف أخرى خاصة بكل دولة (سياسية، اقتصادية واجتماعية) ساهمت بشكل كبير في تطور ظاهرة الهجرة الأوربية إلى الجزائر، مصدرها اسبانيا، إيطاليا ومالطة وألمانيا وسويسرا بشكل متفاوت، والتي سنعرضها بنوع من التفصيل في الفصل الأول من الدراسة.

[1] Eugène Poiré, op. cit., p.208.

الفصل الأول

- ضرورة تعمير الجزائر.
- المهاجرون الأوربيون الأوائل إلى الجزائر وتأثيرهم على الأهالي.
- موقف الإدارة الاستعمارية من الهجرات الأوربية المتوسطية.
- من التردد إلى الإلحاق.
- الاستيطان الرسمي.
- سياسة بيجو في تعمير الجزائر.
- الإعلام والترغيب في الاستيطان.
- تطور الهجرة الأوربية إلى الجزائر.
- تقييم فترة بيجو.

تمهيد: بنجاح الحملة العسكرية على الجزائر، أوجدت فرنسا لنفسها فضاء جغرافيا جديدا يمكّنها من تحقيق منفعة مادية من دون شك، إلا أن ذلك لم يكن كافيا بالنسبة لها لأنها كانت تسعى إلى تحقيق أهداف أخرى سياسية واجتماعية وثقافية بالمستعمرة، لم تفرضها ظروفها الداخلية المختلفة، بقدر ما أملتها عليها نزعتها الاستعمارية، الرامية إلى توسيع رقعتها الجغرافية إلى الأبد، وإيجاد حلول سهلة لمشاكلها، وجزء من مشاكل بعض الدول المجاورة لها، مادام أن الجزائر اعتبرت كمستعمرة استيطانية منذ البداية، دعامتها الأساسية العنصر الأوربي.

1-ضرورة تعمير الجزائر:

ارتفعت أصوات فرنسية كثيرة رسمية وغير رسمية منادية بضرورة تعمير الجزائر بالأوربيين خوفا من ضياعها، لأن فقدان فرنسا لمستعمراتها السابقة كان جرح لم يشف بعد على حد تعبير **(جول ديفال)**[1]، بعد التردّد الرسمي الذي أظهرته الإدارة الاستعمارية في هذا المجال في البداية، ومن هؤلاء دو طوكفيل الذي طالب "بعدم انتظار نهاية الحرب لمباشرة الاستيطان، لأن لا أحد يعرف المدة التي ستستغرقها"، كما طالب، "بضرورة تقوية فرنسا لنفسها لأن الظروف الدولية ليست في صالحها[2]". وقال أيضا: "إن مستقبل هيمنتنا على إفريقيا يتوقّف على حدث واحد ووحيد يتمثّل في قدوم سكان أوربيين إلى الأراضي الإفريقية[3]"، كما دعا الجنرال لامورسيير(*Lamorcière*) [4] بدوره إلى ضرورة ترسيخ التواجد

---

[1] Jules Duval, **Histoire de l'émigration européenne, asiatique et africaine au XIX ème siècle,** Librairie Guillaumin et Cie, Paris. 1862. p. 114.

[2] Abbe G. Dervin, **l'Algérie**, Ipernay, Imprimerie .du courrier du Nord-Est, Paris, 1902.p.70.

[3] Alexis de Tocqueville, **Œuvres complètes**, T.3, Edition Hachette.Paris.2012, p.294.

[4] لامورسيار(Christophe Louis léon Juchault Lamorcière) 1806. 1865م: جنرال ورجل سياسي فرنسي، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر، وبرز خلال الحملة التي استهدفت الاستيلاء على قسنطينة سنة 1837م، وفي معركة ايسلي بالمغرب الأقصى سنة 1844م،=

الفرنسي بالجزائر نهائيا عبر الاستعانة بالمعمرين الأوربيين، دون الإشارة إلى طبيعتهم ومصدرهم، حيث قال: "إن الشيء الوحيد الذي يجعلنا نأمل في التمكّن ذات يوم من تثبيت أقدامنا في الجزائر، هو تعمير هذه البلاد بمعمرين مسيحيين يتعاطون الزراعة ... ولهذا ينبغي أن نبذل جميع المساعي لترغيب أكبر عدد ممكن من الأوربيين في المجيء الى الجزائر فورا[1]". في حين ذهب آخرون إلى اتخاذ الجزائر كمكان لتجربة الكثير من المسائل الاجتماعية التي كانت تحرك فرنسا في تلك الفترة، وفي مقدمتها مسألة البطالة وتنظيم العمل لأن الثورة، حسب رأيهم، كانت مستبعدة في الجزائر، وإجراء التجارب فيها يجنب إقامة مدارس لذلك الغرض في فرنسا، والتي قد تكون جد خطيرة عليها، بينما ليست ذات تأثير سلبي على الجزائر[2]. وكان لهذا الإشعار بخطر ضياع المستعمرة وإمكانيات استغلالها في شتى المجالات أثر على القرار السياسي الفرنسي الذي كان يتعامل بحذر في البداية مع الوضع، لعدم إثارة الرأي العام الدولي والبريطاني بالخصوص حسبما تناقلته الكتابات الفرنسية الكثيرة.

2-المهاجرون الأوربيون الأوائل إلى الجزائر:

شهدت مدينة الجزائر بعد الاحتلال ثورة حقيقية، من خلال وصول عنصر أجنبي بأعداد كبيرة وان كان من الجند أساسا في البداية، لتلتحق به عناصر أوربية من كل حدب وصوب بسبب الفقر والفاقة، وبسبب الطمع في تحقيق

=أصبح وزير للحرب بعد ثورة 1848م، وبسبب معاداته لسياسة نابليون الثالث بعد انقلاب 2 ديسمبر 1851م، ألقي في سجن هام (Ham) بفرنسا. ينظر:

Alain Rey, **Le Petit Robert des noms propres, Dictionnaire illustré**, Editions le Robert, Paris, 1999, p. 1167.

[1] عدة بن داهة، **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر**، ج1، المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، 2013، ص 52.

وعمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ: من ما قبل التاريخ الى 1962**، ج 2، مراجعة تاريخية عبد العزيز بوشفيرات، دار المعرفة.الجزائر .2006م.ص.300.

[2] Enfantin, **Colonisation de l'Algérie**, Bertrand libraire, Paris, 1843, p.488.

مكاسب مادية سهلة. وكان للإنجازات التي شرع في إقامتها الجيش الفرنسي بالجزائر صدى كبير في أوروبا لدى فئة اجتماعية من الأغنياء المغامرين والمضاربين وآخرين من مستويات اجتماعية معدومة، سعيا منهم للبحث عن الثراء والخلاص معا بالجزائر. وإذا كان الأغنياء، على قلّتهم، شرعوا في عمليات المضاربة عبر شراء وبيع الممتلكات العقارية، من خلال تشكّيلهم لشبكة حقيقية من العصابات السرية المتخصصة في عمليات السلب والنهب، حيث كان البعض منهم عند ترجمة نصوص العقود بالمحاكم يغيرون عبارة إيجار بعبارة بيع[1]. أما عناصر الطبقة المعدومة والفقيرة فقد اكتظّت في أكواخ حول الموانئ والمدن ريثما تجهز المستوطنات، أو تجد عملا في ضواحي القصبة السفلى التي هدّمها المستعمر، لإنشاء بنايات أوربية، أو في إنتاج بعض المزروعات التي كانت عناصر الجيش بحاجة اليها.

وصف شارل أندري جوليان هؤلاء المضاربين بقوله: " بعد دخول الجيش الفرنسي أكبت السفن الآتية من مرسيليا، اسبانيا وإيطاليا جماهير غفيرة من الأوروبيين لا ذمة لهم ولا ضمير، مجبولين على المغامرة، ومولعين بحب الدراهم والدنانير، فانتشروا كالبلاء، متكالبين على بيع العقارات وشرائها... لا دين لهم إلا الأرباح الباهظة، لا يهم كيف أتت ومن أين أتت[2]." ويضيف لارشي بأن الجميع كان يضارب، "ليس الأفراد فحسب بل الموظفين أيضا"[3].

وان كان هؤلاء المضاربون والفقراء نزلوا بالجزائر من دون أي دعوة، فإن الإدارة الاستعمارية لم تقم في البداية بأي إجراء ضدهم بدليل استمرار عددهم في

---

[1] سانت آرنو، **الشرف الضائع**، ترجمة مسعود حاج مسعود، مراجعة احمد بكلي، دار القصبة، الجزائر 2007. ص 87.

[2] شارل اندري جوليان، نقلا عن أحمد الخطيب، **حزب الشعب الجزائري**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 22.

[3] Emile Larcher et Georges Rectenwald, **Traité élémentaire de législation Algérienne**, **L'Algérie : organisation politique et administrative**, tome 1, Arthur Rousseau et Cie Editeurs, Paris, 1923.p.32.

الارتفاع المستمر، لأن سكان الدول الأوربية للحوض الغربي للمتوسط "لم ينتظروا الدعوة من أحد للمجيء إليها بل قدموا بعفوية"[1]، بعد أن انتقل إلى أسماعهم خبر نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر.

كان الماهونيون[2] سكان الجزر الاسبانية غرب المتوسط هم أول من وفد إلى المستعمرة، إلى درجة أن الباحث كمال كاتب ذهب إلى القول بأنهم جاءوا في حقائب الجيش الفرنسي[3]، ومن دون شك كان للإقامة التي أمضاها الأسطول الفرنسي وهو في طريقه إلى الجزائر بذات الجزر دور كبير في ذلك، وكانوا بذلك أول من استوطن الجزائر من الأوربيين، ثم تلتهم مجموعات بشرية أوربية أخرى من ايطاليا ومالطا وخاصة اسبانيا وبأعداد معتبرة منذ 1831م.

رغم أن السلطات الاستعمارية أرادت من الجزائر مستوطنة فرنسية بالدرجة الأولى، ثم فرنسية وأوربية شمالية بعد ذلك، إلا أنها وصلت في الأخير إلى التسليم بالأمر الواقع والقبول بالفرنسيين وأوربيو الساحل المتوسطي غير المرغوب فيهم في البداية، إدراكا منها بأنه لا يمكن الجري وراء النوعية في وقت كانت فيه بحاجة إلى الكمية.

ولقد لعب الأغنياء، التي سمتهم بعض المصادر التاريخية بأصحاب القفّازات الصفراء[4]، الذين أحلّوا بالجزائر منذ البداية لأسباب في الغالب سياسية، والذين امتلكوا بضواحي العاصمة ممتلكات كبيرة، دورا معتبرا في الترويج للجزائر

[1] Natalie Bernardie, **Malte parfum d'Europe souffle d'Afrique**, Collection « Iles et Archipels » N : 27, Paris 1999, pp.42 à 45.

[2] أطلقت هذه التسمية على سكان الجزر الاسبانية بالبحر المتوسط، وفي مقدمتها جزيرة ماهون. (الباحث).

[3] Kamel Kateb : « **Les Emigrés Espagnols dans Les camps en Algérie (1939-1941) »,** Annales de Démographie Historique, 2007 n : 1, p.156.

[4] أصحاب القفازات الصفراء: كانوا شبابا من عائلات ارستقراطية في الغالب، رفضوا العيش تحت سلطة الملك لويس فيليب، ولذلك قصدوا الجزائر للاستثمار بها لتوفرهم على رؤوس أموال، وكان من بينهم:

البارون (de Vialar) و(Tonnac)، (Saint Guilhem)، (Montaigu)، (le prince de Mir)

وغيرهم، وهم من أقاموا أولى المستوطنات في الجزائر و بينوا الطريق بذلك للاستيطان. ينظر:

Marc Baroli, **L'Algérie terre d'espérances : colons et immigrants (1830-1914),** L'Harmattan, Paris, 1992, p.33.

بسبب نجاحاتهم الزراعية[1]، الأمر الذي ساعد في دفع الإدارة الاستعمارية إلى توسيع الاستيطان باتجاه السهول الداخلية جنوب العاصمة؛ وان وصفتهم تلك المصادر التاريخية بالشرفاء، إلا أنهم هلّلوا للاعتداء على أملاك لم يكن لهم أي حق في الاستيلاء عليها.

3-تأثير الهجرة الأوربية الأولى على الجزائريين:

نتج عن التحولات التي حصلت في الجزائر نتيجة الاحتلال، حدوث هجرة أخرى، ولكنها عكسية هذه المرة، مثّلها الجزائريون الذين فضلوا الالتحاق بالمناطق الداخلية التي لم يكن قد وصلها المحتل بعد، وهناك من الميسوري الحال منهم من اختار الهجرة إلى خارج الجزائر عبر الحدود الشرقية والغربية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ولتوضيح حجم التراجع السكاني الخطير للجزائريين بمدينة الجزائر يكفي أن نشير إلى أن المدينة لم تسترجع الثلاثين ألف ساكن من الذين كانوا بها سنة 1830 إلا في سنة 1901م.

شمل ذلك الاختلال الذي مس التركيبة السكانية مدينة وهران أيضا، فحسب إحصاء أجري في الرابع من فبراير سنة 1832م، والذي أشار إلى أن عدد الأوربيين بالمدينة بلغ 730 نسمة، واليهود 2876 نسمة، في حين لم يتعد عدد المسلمين 250 نسمة فقط بسبب مغادرتهم الجماعية للمدينة[2]، وحتى مدينة تنس بلغ بها عدد الأوربيين 2458 نسمة مقابل 64 جزائري فقط بتاريخ 31 سبتمبر 1846م[3].

ساهمت الممارسات الاستعمارية الهمجية على سكان الجزائر من مصادرة وتقتيل وإبادة جماعية وتجويع ونحو ذلك، في تراجع هؤلاء السكان بشكل كبير

---

[1] Emile Larcher et Georges Rectenwald, op. cit., p.52.

[2] Commandant J. Derrien, **Histoire d'Oran de 1830 à 1848**, Imprimerie J. Nicot, Aix 1886. p.38.

[3] SHAT, Série GR1H, Carton 1H 231, Journal de Ténès.

من دون شك كان لمحرقة الظهرة التي حدثت قبل شهور من ذلك التاريخ (من 9 الى 12 جويلية 1845م) بالجبال المجاورة تأثير على ذلك، لأن الأهالي أدركوا همجية المستعمر الفرنسي. (الباحث).

إلى درجة أن النقيب لاباسي(*Lapasset*) تحدث عن شعب في طريق الزوال مع نهاية السبعينات من ق19م[1]، وأشار اونفونتان أيضا إلى أن "الأهالي" كانوا يزدادون فقرا كل يوم بسبب ارتفاع أسعار المواد التي يستهلكونها، كما أن معنوياتهم كانت في تراجع لأن احتكاكهم بالأوربيين فرض عليهم تقبل أشياء لم يعهدوها لضمان العيش[2]. وجميع هذه الممارسات فرضت على الشعب الجزائري فرضا، رغم ان استعمال القوة، حسب دو طوكفيل، مناف لسياسة القانون وهو بذلك مناهض للحضارة[3]، التي كانت فرنسا تتشدق بأنها جاءت لنشرها في الجزائر.

ومما سبق يبدو التناقض جليا بين ادعاءات فرنسا الحضارية وبين ممارساتها المختلفة على أرض الواقع، وان استعملت سلطة القانون والتشريع فذلك كان لأجل استخدامها كأسلحة للنهب، الاعتداء والسطو على أملاك الجزائريين ولم يكن بهدف الارتقاء بهم حضاريا إطلاقا.

4- الإدارة الاستعمارية والهجرة الأوربية إلى الجزائر:

شرعت السلطات الفرنسية منذ البداية في البحث عن وسيلة تمكنها من ترسيخ وجودها في الجزائر، وتساعدها على تأسيس قاعدة عسكرية وإدارية بها تسهل عليها السيطرة على مستعمرات أخرى بإفريقيا شمال الصحراء وجنوبها، لأن احتلال الجزائر فتح شهيتها الاستعمارية، ولتحقيق ذلك اعتمدت الإدارة الاستعمارية على الاستيطان عبر تشجيع الهجرة الأوروبية إلى الجزائر لإرساء قاعدة ديمغرافية تكون سندا للجيش الفرنسي، ووسيلة لربط الجزائر المستعمرة بالميتروبول، ويمكن تقسيم الفترة الأولى من الاحتلال (1830–1848م) إلى مرحلتين متباينتين.

---

[1] Le capitaine Lapasset, in : Jacques Frémeaux, **les Bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête**, Edition Denoël, Paris, 1993, p.303.

[2] Enfantin, op. cit.,p .476.

[3] Alexis de Tocqueville, **De la colonie en Algérie**, présentation de Tzvetan Todorov, Editions Complexe, Bruxelles, 1988.p 26.

1.4 مرحلة الهجرة غير المنظمة (1830–1840م):

اتسمت هذه المرحلة بافتقارها لمبادئ، آليات وسياسة تعميريه واضحة، بسبب عدم استقرار الوضع السياسي في فرنسا من جهة، وتردد المملكة بشأن مصير الجزائر من جهة ثانية، على الأقل أمام الرأي العام المحلي والدولي، وبسبب المنافسة الشديدة التي كان مصدرها وجهات أخرى للهجرة، وفي مقدمتها قارتي أمريكا وأستراليا، كما أن المراكز الاستيطانية الأولى التي أنشأت في ظل الإدارة العسكرية كانت تقام في مواقع مؤمنة، ولذلك اقتصرت على مناطق ضيقة مخصصة فقط لتلبية الحاجيات الضرورية والآنية للجيش[1]، بالإضافة إلى أن فترة الاحتلال المحدود اقتصرت فيها القوات العسكرية الفرنسية على إرسال بعثات استطلاع إلى داخل البلاد متبوعة بانسحاب مباشر وسريع نحو مدينة الجزائر، بسبب جهل المستعمر للمستعمرة باستثناء بعض المدن الساحلية، الأمر الذي زرع الشك لديهم حول كيفية التعامل مع المستعمرة الواسعة.

فبرتزان (*Berthezène*) [2] كان شديد الحذر في التعامل مع المهاجرين، خاصة من غير الفرنسيين الذين كان يسميهم بالحثالة، ثم امتد حذره ليشمل الفرنسيين الفقراء، حيث دعا حكومة بلاده إلى عدم إرسالهم إلى الجزائر لأنهم سيموتون شر ميتة[3]، وعبر عن ذلك في رسالة إلى وزير الحرب بعد أن صادق البرلمان على قرار الملك سنة 1831م بإرسال نحو 20.000 من العاطلين والمعوزين

---

[1] (Colonisation, principes, décisions), instruction n : 2325 du Gouverneur Général aux Préfets, date du 7 mars 1897, au sujet de la marche à suivre pour tout projet concernant la création d'un centre. ANOM, GGA, Série 32L, Carton 32L30.

[2] بيار بارتزان (Pierre Berthezène)، 1775–1847م، أجبرته الثورة الفرنسية على التجند للدفاع عن بلاده من الخطر الاسباني، ارتقى في صفوف الجيش نظير خدماته، شارك في الحرب على روسيا، واصبح منذ اوت 1813 جنرالا. بعد أن عادت أسرة البوربون الى الحكم فر الى بلجيكا الى أن عفا عنه الماريشال سان سير (Gouvion Saint Cyr)، تقلّد بعدها عدة مناصب وعضو بعدة لجان ومفتش عام. شارك في الحملة على الجزائر كقائد للشعبة الاولى للمدفعية، عوض الجنرال كلوزال في قيادة الجزائر في فبراير 1831م، عوضة الدوق دو روفيقو في يناير 1840م. ينظر:

M. C. Mullié, op. cit., p. 64. (بتصرف).

[3] سانت آرنو، مرجع سابق. ص 90.

الباريسيين الساخطين إلى الجزائر حيث قال: " انه لخطأ كبير أن يعتقد بأن مجرد إرسال عائلات معوزة إلى الجزائر كافي ليضمن لهم الخبز، يجب أن تزول هذه الأحلام"[1]. وقال أيضا معلّقا على المهاجرين الفرنسيين الذي صادق البرلمان على إرسالهم إلى الجزائر: "لم أر وسط ذلك الجمع إلا عائلة واحدة من المزارعين، توفيا فردان منها ونقل ثلاثة آخرون إلى المستشفى، أما الآخرون الذين كانوا يسمون أنفسهم مالكين فليسوا سوى مضاربين، استولوا على الكثير من الأراضي، وهم يحاولون بيعها بأثمان مرتفعة لتحقيق الثروة، أما المزارعون فرغم قلّتهم فهم جبناء لأنهم يحتاجون إلى كتيبة كاملة لحماية ممتلكاتهم"[2]، وهي رسالة تحمل في طياتها نية فرنسا المبكّرة في الاستيطان بالجزائر بفرنسيين يتعاطون الزراعة، ولكن الواقع كان يعكس معطيات أخرى مغايرة لأن معظم هؤلاء المهاجرين وغيرهم من الأوربيين كانوا فقراء، ولولا المساعدات العسكرية التي كانت تقدم لهم لماتوا جوعا، كما أن الكثير منهم كانوا مضطربين وسيئين.

وبسبب ما سبق، ذهب برتزان الى حد القول بأن الجزائر لا تتوفّر على أية ثروات[3]، من أجل الحد من ذلك السيل الجارف من المهاجرين الأوربيين إلى الجزائر، وهو موقف أيدته الإدارة الاستعمارية بشكل عام لأنها لم تبد استعدادا لاستقبالهم، لأنها كانت تأمل توافد عناصر أوربية من الشمال (ألمانيا، بلجيكا وسويسرا)، في حين وجدت نفسها أمام هجرة مزدراة مصدرها المناطق الأوربية لحوض البحر المتوسط: (اسبانيا، إيطاليا ومالطة) بالخصوص.

لم يكن ذلك موقف برتزان فحسب، بل موقف الكثيرين ممن عاصروا الفترة، حيث أجمعوا على أن السواد الأعظم من السكان الأوربيين الوافدين إلى الجزائر كانوا يتشكّلون من المهمشين والمغامرين في الغالب، جاءوا من دول جنوب

[1] Lettre de Barthezène au ministre de la guerre : 21 mars 1831. SHAT, Série GR1H, Carton 1H7.
[2] Lettre de Barthezène au ministre de la guerre, SHAT, Série GR1H, Carton 1H7. op.cit.

[3] Dépèche du général Barthazène au ministre de la Guerre, 24 mai 1831, in : Victor Demontès**, Les Préventions du général Barthazène contre la colonisation de l’Algérie**, Larose et Alger, Imprimerie nationale, 1918, p. 183.

أوروبا، لاستغلال بعضهم البعض واستغلال الجيش أيضا، فهم لم يأتوا لمشاهدة المعارك الدائرة، بل للبحث عن العيش وربح المال، بسبب ظاهرة البؤس والفقر المنتشرتين في بلدانهم، ولذلك فقد رأوا منذ وقت مبكر "أن مستقبلهم صار مضمونا بعد احتلال الجزائر"[1]، كما أن الفرنسيين "لم يأتوا إلى الجزائر أيضا من اجل المتعة وإنما لربح المال كذلك"[2].

وفي ظل غياب استراتيجية استيطانية واضحة خلال السنوات الأولى من الاحتلال، أصبحت الجزائر المستعمرة تستقطب غير المرغوب فيهم في الميتروبول؛ فالإدارة كانت ترسل إليها موظفيها الذين كانوا في نهاية الخدمة، والسياسة كانت ترسل إليها الأطفال الضائعين، أما البورجوازية فكانت ترسل أبناءها الضالين"، وبذلك يبدو أن "مهمة الجزائر الأولى كانت تنقية فرنسا من غير المرغوب فيهم من كل الأصناف"[3]، وحتى الموظفين الذين كانت تعينهم الإدارة للعمل بالجزائر لم يكونوا دائما من الأكثر كفاءة، ويذهب بارولي إلى أبعد من ذلك حيث يرى بأن ذلك التعيين كان يمس الفئة المغضوب عليها منهم، وكان عقابهم يتمثل في إرسالهم للعمل بالجزائر[4]، ولذلك فلا غرو إن نحن سجلنا عند هؤلاء الموظفين الكثير من التجاوزات وفي مقدمتها المضاربة، خاصة إذا علمنا أن الأمرية الصادرة في 19 أفريل 1836م خولت للإدارة المالية مهمة توزيع القطع الأرضية على بعض المستوطنين[5].

إن هذه المعطيات ليست مزايدة وإنما حقيقة تاريخية بدليل أن الفرنسيين بالميتروبول كانوا يصفون المستوطنين بالمتسكّعين الذين لا يصلحون لشيء، وبالفارين من فرنسا لإخفاء أعمال مخلّة اقترفوها. ورغم أن الكل أجمع على أن

[1] Daniel Leconte, **Les pieds noirs, histoire et portrait d’une Communauté**, Editions Seuil, Paris 1980, p.42.

[2] Enfantin, op.cit., p.473.

[3] Daniel Leconte, op.cit., p.40.

[4] Marc Baroli, op. cit., p.81.

[5] Fabienne Fischer, **Alsaciens et Lorrains en Algérie : Histoire d’une migration,** Editions Jacques Gandini, Nice, 1998, p.19.

أولئك الوافدين الأوائل على الجزائر كانوا من "حثالة" المجتمع الفرنسي، إلا أن الحكومة وزعت عليهم قطعا كبيرة من الأرض، وبتلك الطريقة تخلّصت من كليهما: الأرض والحثالة[1]. وبما أن هؤلاء المهاجرين الفرنسيين بالخصوص كانوا سيئي السمعة، فإن التشريعات والممارسات الإدارية، التي رمت بهم في الجزائر لم تكن أحسن منهم، على حد تعبير بول ديماس[2].

لقد أوكلت إلى كتابات الذكرى المئوية للاحتلال مهمة تلميع صورة فرنسا بالجزائر السياسية، الاقتصادية وحتى الاجتماعية، حيث وصفت هجرات الفرنسيين من "الحثالة" والمتسولين والبطالين إلى الجزائر بالهجرة الاجتماعية، ضنا منها بأن ذلك كافي لإخفاء الحقائق التاريخية.

لقد ترددت الحكومة الفرنسية في السماح بالهجرة إلى الجزائر في البداية، لأنها رأت بأنها سابقة لأوانها خوفا على صيدها الثمين، ولذلك فما كان يشكّل أمنية الشعب الأوربي كان يشكّل مخاوف الحكومة، ولذلك أصدرت قرارا نهاية سنة 1832م، يقضي بوقف هجرة متسرعة وكثيرة نحو الجزائر. وتمثلت تلك السياسة في عدم تسليم الإدارة لجوازات سفر للراغبين في الهجرة، كما فرضت على العمال الأجانب امتلاك مبلغ يتراوح بين 400 إلى 1500 وحتى 3000 فرنك حسب الفترات للسماح لهم بالعبور إلى الجزائر[3]، ولم يكن ذلك القرار يعني توقيف نهائي للهجرة باتجاه الجزائر، لأن الإدارة كانت تسمح بطريقة غير مباشرة للمهاجرين الفرنسيين بالخصوص على متن السفن الصغيرة التي تقل حمولتها عن 40 مسافر بالإبحار لأنها لم تكن تخضع لا للرقابة ولا للإحصاء، كما أن

[1] Paul Dumas, **les Français d'Afrique et le traitement des indigènes**, Challamel et Cie Editeurs, Paris, 1889, p .6.

[2] Paul Dumas, op. cit., p.7.

[3] Jules Duval. op.cit. p.327.

هجرات الأوربيين الأخرى كانت تتم في الغالب بطريقة غير شرعية، وخارج كل رقابة أيضا عند الإبحار وعند الوصول[1].

إن تلك الإجراءات الإدارية كانت تخفي وراءها تخوف فرنسا الاستعمارية من فقدان الجزائر، لأن هجرة الفرنسيين في البداية والى فترات طويلة لم تكن بأعداد كبيرة، حتى بعد أن باتت دواعي جلبها إلى الجزائر قوية جدا، بعد أن أدركت الإدارة ذاتها أن بقاء المستعمرة فرنسية مرهون بعدد الوافدين إليها من الفرنسيين والأوربيين، ورغم تكفل السلطات الفرنسية بمصاريف النقل، الإيواء، ومنح المهاجرين من الفرنسيين قطعة أرض مجانية في إطار ما عرف بالاستيطان الرسمي، إلا أن عددهم ظل يراوح مكانه ولم يصل إلى مستوى طموحات الساسة، ولذلك نجد أن فرنسا كانت دائما تستغل مشاكلها السياسية والاقتصادية لتحويل بعض الفرنسيين إلى الجزائر.

وفي المقابل استمر توافد أعداد كبيرة من الأجانب من غير المرغوب فيهم رغم السلّم الخاص بالمهاجرين الذي وضع[2]، والذي كان الفرنسيون في قمته ثم الاسبان بسبب الماهونيين الذين عملوا كمساعدين ومعاونين للجيش الفرنسي بين 1830 –1840 م، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ثم يليهم الإيطاليون وفي الأخير يأتي المالطي راعي الماعز في أسفل ذلك السلم[3]. وكان ذلك الترتيب ضروريا بنظر (جونتي دو بيسي)، لأنه كان يضمن للعنصر الفرنسي السيادة[1].

---

[1] " الهجرة غير الشرعية منتوج أوربي، والجزائر كانت أولى ضحاياه"، هو عنوان المداخلة التي كنت قد شاركت بها في ملتقى وطني نظمته كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، يومي 25–26 ماي 2011م تحت عنوان: (ظاهرة الهجرة غير الشرعية وآثارها الدولية " حالة الجزائر").

[2] لم أعثر على وثيقة صريحة تقر بأن ذلك السلّم العرقي كان بإيعاز من الإدارة الاستعمارية، وان كان يخدم مصالحها، ولكن جيلبار مينيي يثبت ذلك السلّم الذي وصفه بالعنصرية وسماها ب (racialisme) لأنها عنصرية صادرة عن تفكير، وتصهر على تنفيذها مؤسسات رسمية. ينظر:

Gilbert Meynier, « **L'historiographie française de l'Algérie et les Algériens en système colonial** », Intervention à Alger le 22 octobre 2010 à l'invitation *d'El Watan.*

[3] Gérard Crespo, « **Etude comparative des immigrations italienne en Algérie et en Tunisie** », In : Actes du colloque « les peuplements de l'Afrique du Nord : une

وأشارت المعطيات الأولى بخصوص العناصر الأوربية بالجزائر إلى الأرقام التالية:

الجنسية	العدد	الجنسية	العدد
الفرنسيين	340	تسكانيا (الإيطالية)	33
الاسبان	307	نابلي (الإيطالية)	24
المالطيين	225	الانجليز، ويهود الاندلس وجبل طارق	95
سردينيا (الإيطالية)	106		

(جدول رقم: 2)، الحصيلة الأولى للمهاجرين الأوربيين في مطلع سنة 1831م[2].

إن قراءتنا للجدول، وتحليل معطياته جعلتنا نقف على حقيقة مؤداها، أن المعطيات المثبتة في الجدول غير دقيقة، لأنها تتضارب مع إحصاءات أخرى أشارت إلى أن مجموع عدد الأوربيين بالجزائر بلغ 3121 نسمة في ديسمبر 1831م منهم 1371 فرنسي[3]، مما يعني أن إحصاء عدد المهاجرين الأوربيين بالجزائر في البداية كان أمرا صعبا للغاية، لأن أعدادا كبيرة من الوافدين إليها كانوا خارج كل رقابة وبالتالي غير مسجلون، وفي بعض الحالات جاءت الإحصائيات شاملة لرعايا أجانب من تونس والمغرب من غير الأوربيين.

2.4 مرحلة التردد الفرنسي:

رغم أن فرنسا كانت متأكدة من الاحتفاظ بالجزائر، إلا أنها قامت بالعديد من المناورات السياسية قصد تضليل الرأي العام المحلي والدولي معا، ربحا للوقت

histoire de migration plurielles », organisé par la Fondation Algérie, Maroc Tunisie, au Maison de la Chimie, Paris le lundi 12 décembre 2011.

www.fm-gacmt.org/.../Actes%20du%colloque%20du%2012%20dece

اطلع على الموقع بتاريخ: 25 فبراير 2013، على الساعة: 22.53.

[1] Pierre Genty de Bussy, **De l'Etablissement des Français dans la régence d'Alger et les moyens d'en assurer la prospérité**, Tome 1, Éditions Firmin Didot, Paris, 1839.p.126.

[2] Onesime Reclus, op. cit., p.221.

[3] Les Préventions du général Berthezène contre la colonisation, op. cit., p.232.

خوفا من ضياع المستعمرة، إلى درجة أن البعثات الديبلوماسية البريطانية صدّقت ذلك؛ وقد بعث سان جون (*St John)* القنصل البريطاني بالجزائر مجموعة من الرسائل إلى حكومة بلاده، أشارت جميعها إلى اقتراب انسحاب فرنسا من المستعمرة؛ حيث كتب في رسالة مؤرخة في 12 نوفمبر 1832م: "هنا الاستيطان في تراجع ... الفرنسيون لا يشترون الأراضي بل يستأجرونها ... وهذا لكي يتمكنوا من التخلي عنها بسهولة عند العودة إلى فرنسا"، ورسالة أخرى مؤرخة في 17 فبراير 1832م والتي جاءت في نفس السياق: " أظن أن فرنسا تريد الاحتفاظ فقط بالجزائر العاصمة كقاعدة بحرية وعسكرية"، أما الرسالة الثالثة التي كانت بتاريخ 7 أفريل 1832م فتضمنت الآتي: "الجميع مقتنع بأن الجزائر ستباع، أو تمنح لنا". بل وصل القنصل إلى حد اليقين حسب مضمون الرسالة التي بعث بها إلى حكومة بلاده بتاريخ 16 نوفمبر 1832م: "إن الفرنسيين سيضعون الجزائر بيد الانجليز، ماذا أفعل ؟[1] "؛ وهي رسائل تثبت جميعها فعالية المناورة الفرنسية، خاصة وأن بريطانيا كانت تخشى من حصول فرنسا على مستعمرة جديدة في المتوسط قد تكون مصدر حروب جديدة بينهما[2]، إن هي بقيت في الجزائر لأن اللورد ويلينقتون[3] حينما أخبروه بنبأ خطر احتلال فرنسا

---

[1] Marc Donato, **Elisa la Maltaise, Histoire des Maltais d'Algérie 1830-1962**, Editions Serre, Nice.2002, p.40.

[2] M. Miège, **Histoire de Malte**, tome 3, Edition Paulin, Paris, 1840, p.516.

[3] آرثر ويلزلي (Arthur Wellesley) : غلب عليه لقب دوق ولنغتون (Duke of Wellington) 1769– 1852، قائد عسكري وسياسي بريطاني من أصل أيرلندي، اشتهر بتحقيقه النصر على نابوليون بونابارت في معركة واترلو عام 1815م، تولّى رئاسة الوزارة في بريطانيا مرتين: من 22 يناير 1828 إلى 16 نوفمبر 1830م./ومن 17نوفمبر إلى 9ديسمبر 1834م. ينظر :
http://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Arthur_Wellesley_1_er_%EF%BF%BD_duc_de_Wellington/149609.

أطلع على الموقع بتاريخ 2010/03/22م، على الساعة: 15.25.

للجزائر قال: "دعوهم يستقرون، انأ اعرفهم سيصرفون الكثير من المال ثم يزهقون وينصرفون"[1].

على العكس من ذلك فإن المراسلات الفرنسية الرسمية بين باريس والجزائر كانت تؤكد رغبة فرنسا في البقاء بالمستعمرة، وان كان هناك تريث فرنسي فذلك كان لجس نبض الجزائريين لمعرفة درجة تقبلهم للاحتلال، ومدى تقديم المدن والقرى للولاء والطاعة لفرنسا، والمراهنة على بعض الخلافات الداخلية التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى بين بعض الزعامات خاصة في التيطري وقسنطينة نتيجة الفراغ السياسي الذي نجم عن الاحتلال، وفي انتظار ذلك أعطت السلطات الاستعمارية تعليمات بعدم المساس بالعرب الذين يقومون بتموين الأسواق، ثم قررت إقامة الأسواق بالقبائل التي قبلت التعاون معها ، في محاولة لجلب القبائل الأخرى إليها من جبال الأطلس شرقا إلى الحدود المغربية غربا، وبقيت السلطات الاستعمارية على اتصال مستمر بها لكيلا تلتف تلك القبائل حول باي قسنطينة[2]. هذه التفرقة والمنازعات شجعت إلى حد ما الاستعمار على التشبث والبقاء في الجزائر.

وتشير الوثائق بأن فرنسا حسمت قضية البقاء في الجزائر منذ بداية 1832م، ويؤكد هذا الموقف أيضا (ياكونو) حيث يقول "إن التردد الفرنسي خلال السنوات الأربعة الأولى من الاحتلال لا أساس له من الصحة، ومن يقول بأن القرار اتّخذ بعد زيارة اللجنة الإفريقية للجزائر في 22 جويلية 1834م فهذا غير دقيق، لأن حكومة لويس فيليب قررت الاحتفاظ بالجزائر منذ سبتمبر 1832م، حيث أرسل الماريشال جيرار وزير الحربية إلى الجنرال بارتزان رسالة 1831م، أعلمه فيها بأنه تقرر الاحتلال الكامل للجزائر"[3].

---

[1] Thiers M. Aubel, **De l’importance de la question d’Afrique et du choix d’un système de colonisation**, Delaunay libraire, Paris. 1837. p.17.

[2] SHAT, Série GR1H, Carton GR1H210.

[3] Xavier Yacono, op. cit., p.79.

وتؤكد صحة هذا الرأي وثائق كثيرة تعود الى فترة بداية الاحتلال، من بينها المراسلة التي أرسلها وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 12 سبتمبر 1830م إلى كل من وزير الشؤون الخارجية ووزير الداخلية ووزير البحرية، والى رئيس البرلمان والى أعضاء المجلس المالي، والتي تشير إلى أن فرنسا قررت الاحتفاظ بالجزائر لما تمثله من استقرار لفرنسا ولكل أوروبا؛ لأنها تفتح المجال واسعا للتخلص من الفائض السكاني بفرنسا وكذا تصريف فائضها من الإنتاج الصناعي، كما تمكّنها من زراعة منتوجات لا يسمح المناخ بنموها في فرنسا[1]. وحول الفكرة ذاتها، أرسل النقيب هيبوليت (*Hypolite*) الى قيادة الأركان شهر سبتمبر 1832م رسالة أشار فيها إلى أن احتلال الجزائر كان أسهل من تعميرها[2]، مما يعني أن كلمة تعمير الجزائر كانت متداولة على الأقل منذ سنة 1832م.

هذه أدلّة واضحة على أن فرنسا كانت متيقّنة من البقاء في الجزائر منذ البداية، وما التردد الذي تحدثت عنه الكتابات الفرنسية المختلفة والذي تناقلته عنها كتابات أخرى ما هي إلا رواية مصطنعة لتضليل الرأي العام المحلي والدولي المتوتّرين، كما أن أولئك الذين كانوا ضد مشروع الحملة على الجزائر، وهم في المعارضة، هم من قرر الاحتفاظ بالجزائر كغنيمة ثمينة بعدما استلموا السلطة، رغم قيام الثورة في بلجيكا التي كانت تابعة لفرنسا وقتئذ والتي كان يتطلب القضاء عليها عودة القوات الفرنسية من الجزائر أو جزء منها، إلى أنه تقرر في منتصف سبتمبر 1832م احتفاظ فرنسا بالجزائر وتخليها عن إلحاق بلجيكا.

ان الصراع بين البقاء في الجزائر والانسحاب منها لا أساس له من الصحة، لأن العسكريين تحمسوا كثيرا للاحتفاظ بالجزائر لأنها تمكنهم من إظهار كفاءاتهم في القتال للحصول على ترقيات وتشريفات، كما أن رجال الاقتصاد

---

[1] Correspondance du ministre de la guerre aux ministres : des affaires étrangères, de l’intérieur et de la marine, et au président du conseil et membres des finances, Paris le 12 septembre 1830. SHAT. op.cit.

[2] Le capitaine Hypolite, Note sur la colonie d’Alger. SHAT. Série 1H, Carton : GR 1H225.

اعتبروا الانسحاب من الجزائر عملية مهينة وخسارة كبيرة لما تتوفر عليه من إمكانيات مختلفة، وان كانت غير محصاة بصفة جيدة في تلك الفترة، باستثناء كون الجزائر سوقا هاما لتصريف السلع الفرنسية والذي كان كافيا لإقناع ذلك التيار إلى غاية تلك الفترة، وحتى التيارات الفلسفية مثل السانسيمونيون [1] وجدوا في الجزائر مجالا رحبا لتطبيق نظرياتهم وأفكارهم، أما الساسة فقد نادوا باستعمال الجزائر في إبعاد العناصر غير المرغوب فيها والمثيرة للفوضى، كما نادوا باستعمالها لمراقبة تحركات بريطانيا في المتوسط من الشرق والغرب: (مالطة وجبل طارق)، لأن كل الحركة البحرية به كانت تمر تحت رقابة المدفعية البريطانية، كما نظر إلى الجزائر، بعد تعميرها، بأنها ستكون خزانا من الرجال لإنقاذ الوطن[2].

ومادامت أن كل الأطراف كانت ترى في الجزائر حاجتها، فمن عساه يطالب بانسحاب فرنسا من الجزائر باستثناء المعارضة السياسية؟ لأن ذلك هو جزء من العملية السياسية في حد ذاتها. وقد استعمل هؤلاء حجة ارتفاع التكاليف وعامل المجازفة ووفيات الأوربيين لتبرير موقفهم، كما أن معظم الصحف الفرنسية، باستثناء صحف المعارضة، كانت مؤيدة أيضا للاحتفاظ بالجزائر وتعميرها[3].

---

[1] السان سيمونية (Saint-Simonianism) كانت حركة سياسية واجتماعية فرنسية في النصف الأول من القرن 19، هي مستلهمة من أفكار كلود هنري دي روفروا، كونت سان سيمون (Claude Henri de Rouvroy, comte de Saint-Simon) (1760–1825)، والسان سيمونيون هم أتباع (سان سيمون) الفيلسوف والاقتصادي الفرنسي الذي كان يدعو إلى أن السلطة يجب أن تسلّم إلى الصناعيين لا للعلماء، لأنهم هم رؤساء الشعب الحقيقيون، وهم من يقوده في أعماله اليومية. فالأمة هي ورشة صناعية واسعة، تزول فيها فروق المولد والنسب، وتبقى اختلافات القدرات. وقد كانت آراؤه وراء بدايات "العلم الوضعي" والاشتراكية. للمزيد ينظر:

http://www.marefa.org/index.php/%D8%B3%D8%A7%D9%86_%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%A9.

اطلع على الموقع بتاريخ: 6 أكتوبر 2011م، على الساعة: 15.25.

[2] Xavier Yacono, op. cit., p.76.

[3] كتبت جريدة (Le Constitutionnel) عدد 11 جويلية 1830م، "بأن احتلال الجزائر يعتبر بداية عهد جديد لتطور العالم كما حدث في أمريكا"، وكتبت صحيفة (Le Globe) يوم 17 جويلية 1830م: "على فرنسا الاحتفاظ بالجزائر، فالشعور العام قرر ذلك، كما يقره العقل والقانون". كما=

ومادام قرار الاحتفاظ بالجزائر كانت تسانده جل الأطراف، فلم يبق سوى اختيار الوسيلة، والتي جاءت على لسان أحد الجنود الفرنسيين في رسالة بعثها من وهران ونشرتها جريدة (*L'Estafette*) ليوم 24 جوان 1833م، جاء فيها: " إننا لا نقوم بإلقاء القبض على الأسرى لأنهم علّمونا حرب الإبادة".

على العكس من ذلك، فقد كان الصراع بين أنصار الاستيطان وبين المعارضين له واقع بالفعل، إلا أن ذلك كان أيضا في إطار الممارسة السياسية التي تقتضيها المعارضة، وتجلّى هذا التضارب إثر الحملة العسكرية على الجزائر، حيث فرح وهلّل أنصار شارل العاشر بنجاحها، في حين استاء للأمر كثيرا أنصار الليبيرالية الذين كانوا يعملون على قلب الملك، بينما كانت فرحتهم كبيرة بعد تنحيته، مما لا يترك مجالا للشك بأن الأحداث في فرنسا كانت دائما تصطبغ بصبغة سياسية.

كان أنصار الاستيطان إذاً، يرون أن الجزائر فرصة فريدة بالنسبة لفرنسا حيث تمكّنها من تعويض خسائر إمبراطوريتها القديمة، ولذلك نادوا بضرورة الاحتلال الكلي للجزائر التي اعتبروها هندا جديدة بالنسبة لهم، وأرادوا من خلال ذلك العمل على استرجاع مكانة فرنسا على الساحة الدولية وإيجاد بنفس المناسبة متنفّسا اقتصاديا لها[1]. ومن المتحمسين لهذا التوجه الماريشال كلوزال (*Clauzel*[2]) الذي كان يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر ما هو إلا بديل عن

= كتبت جريدة (Le Monde) بتاريخ 20 أفريل 1837م: "ان احتلال الجزائر هو خطوة نحو ارض الشرق التي وعد بها الغرب"، بعدما كانت تطالب بالاحتلال المحدود للجزائر على الأقل الى غاية سنة 1836م. أما جريدة (Le Temps) في عدد 25 أكتوبر 1837 فلا مت الحكومة على التردد قائلة : "ان افريقيا (الجزائر) هي أرضكم أنتم، معقل افكاركم، وميدان خصب لجدالكم" .كما اعتبرت جريدة (Le Figaro) في عدد 8 فبراير 1832، بأن احتلال الجزائر هو من أكبر انتصارات فرنسا.

[1] Comite Bugeaud, **Le peuplement français par Bugeaud (d'après les écrits et les discours du Maréchal)**, Edition du comité, Tunis, (s.d). p.115.

[2] كلوزال Bertrand Clauzel (1772–1843م)، تولى عدة وظائف في الجيش والسفارة الفرنسية في اسبانيا، وقيادة الجيش في سان دومينيك، وأرسل الى هولندا وايطاليا، حكم عليه بالموت عسكريا سنة 1916م ثم عفي عنه بعد اربع سنزات. (فر بعد الحكم عليه الى أمريكا وعاد منها بعد العفو عيه سنة 1820م)، ثم أصبع نائبا في البرلمان، وتولى القيادة في الجزائر بدل دي بورمون في 7 اوت 1830م،=

التواجد التركي[1]، وتحمس له أيضا آلكسي دو طوكفيل الذي رأى بأن الانسحاب من الجزائر يعني بالنسبة لفرنسا بداية الانحطاط، كما انه يقضي على جهود وطموح آلاف الفرنسيين الذين هاجروا فعلا إلى الجزائر، لأن الأمور تقدمت رغم (التردد) بدافع المأساة الاجتماعية التي كانت تعيشها أوروبا، كما رأى بأنه ليس من مصلحة فرنسا التخلي عن الجزائر، فإن أقدمت على ذلك فسوف يكون تخلّيها، في نظر العالم، إعلانا صريحا عن أفول نجمها[2]، وكان التيار الاستيطاني يستمد حججه من التاريخ من خلال النبش في فترة التواجد الروماني بشمال إفريقيا وتوظيف ذلك لتبرير الاستيطان الأوربي " الجزائر مستودع روما ".

وان كانت حكومة لويس فيليب فضلت باقتراح من بارتزان وكلوزال منح وهران لإدارة باي تونس[3]، رغم تحمسهما الكبير للاستيطان والخلود الفرنسي في الجزائر، فذلك ليس من باب التراجع، لأن السلطات الفرنسية خاصة بعد احتلالها الكلي للمدينة منذ جانفي 1831م كانت لا تزال متخوفة من الانجليز خاصة بعد ما نشرته جريدة (*le Moniteur algérien*) بتاريخ 12 سبتمبر 1832م من أن فرقاطتين انجليزيتين شوهدتا وهما تجوبان السواحل الوهرانية تمهيدا لإنزال محتمل، وان كان ذلك مجرد دعاية إعلامية من قبل الإدارة الاستعمارية بباريس ضد بريطانيا لتأليب الرأي العام الفرنسي ضدها، بسبب تحفظها حتى ذلك الوقت من الاحتلال الفرنسي للجزائر[4]. في حين قال بوليو بأن

=أصبح ماريشال فرنسا سنة 1831م، ثم عين حاكما عاما على الجزائر سنة 1835م، وعزل منها بعد فشله في حملة قسنطينة، 12 فبراير 1836م, ينظر:

أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، دار البصلئر، الجزائر، 2009، ص. 36.

[1] سانت آرنو، المرجع السابق، ص.10.

[2] المرجع السابق ، ص.87.

[3] عن الخيارات التي كانت لدى فرنسا بعد احتلال الجزائر، ينظر:

Camille Rousset, **La conquête d'Alger**, Edition Plon et Cie, Paris. 1879. pp. 97.98.

[4] Alfred Salinas, op. cit.,p.17.

سبب بقائنا في إفريقيا ليس مرده إلى الحاجة إلى البقاء، وإنما سببه صعوبات المغادرة والابتعاد[1]، وهي جميعها آراء تتفق على البقاء ولكن بحجج مختلفة.

ان التيار المناهض للاستيطان الفرنسي للجزائر استعمل أرقام وفيات الأوربيين في الجزائر نتيجة المرض، ونتيجة المجازفة في أرض شعبها مقاوم وعنيد وعارف بأمور القتال للدفاع عن أرضه، كما استعمل كذلك التكاليف الكبيرة التي قد يستهلكها الاستيطان، كما نظروا للاستيطان من منظور سياسي حيث رأوا فيه مجالا خصبا لانتشار الرأسمالية واستمرارها بالجزائر مما كان يعني بالنسبة لهؤلاء تقوية العنصر الليبيرالي في الميتروبول، وهو ما سيعمل برأيهم على تقليص أكبر للحريات بفرنسا، لأن الجزائر ستتخذ حينها لإبعاد المعارضين السياسيين الأكثر نشاطا والمحكوم عليهم. وتناقلت الصحف الفرنسية هذا الصراع، مما انعكس من دون شك على حجم الهجرة الفرنسية إلى الجزائر، حيث ظلت قليلة إذا ما قيست بمجموع المهاجرين الأوربيين إلى الجزائر. كما استمر نشاط التيار الاستيطاني في عهد بيجو (*Bugeaud*) [2] وان كان قد انقسم إلى تيارين: تيار الاستيطان الليبيرالي المبني على المدنيين، من تجار وكبار الملاك والمضاربين، الذين كانوا يمثلون العناصر التي كان لها حنين استرجاع مجد الإمبراطورية الفرنسية الماضية التي كانت في الامريكيتين والهند، وتيار إلى النقيض تماما من الأول الذي كانت تمثله المؤسسة العسكرية التي وان كانت تؤيّد فكرة تعمير الجزائر، إلا أنها لم تكن ترغب في الاستيطان المدني ولا في

---

[1] Paul Leroy- Beaulieu, in : Abbe G. Dervin, **l'Algérie**, Imprimerie du courrier du Nord-Est, Paris, 1902.p.70.

[2] (Thomas Robert Bugeaud): 1784–1849م، شارك في حروب الإمبراطورية خاصة في اسبانيا من 1909م الى 1911م، وخرج منها برتبة عقيد، انضم الى عائلة البوربون سنة 1814م، ساهم في رد النمساويين عن منطقة سافوا (Savoie) الفرنسية، عين ماريشال معسكر سنة 1830م. كلّف بقمع انتفاضة أفريل 1834م بباريس التي اكسبته سمعة سيئة. أرسل الى الجزائر لأول مرة في السادس من جوان 1836م حيث أمضى مع الأمير عبد القادر معاهدة التافنة سنة 1837م، ثم عين حاكما عاما عليها سنة 1840م= =بمهمة القضاء على المقاومة واستكمال احتلال الجزائر، أصبح ماريشال منذ سنة 1843م. حاول انشاء مستوطنات عسكرية بالمستعمرة، ولأنه لم يلق دعما كافيا من الحكومة استقال سنة 1847م. ينظر:

Alain Rey et Giles Baud Berthier, op. cit., pp. 365. 366.

التعمير الكثيف للجزائر، لأن الجيش في هذه الحالة لا يصبح سوى مراقب فحسب.

وهذا الصراع والجدال هو ما أضفى صبغة الارتجال على السياسة الفرنسية الخاصة بتعمير الجزائر من البداية والى غاية مطلع القرن العشرين[1].

ان حكومة لويس فيليب التي قررت الاحتفاظ بالجزائر بعد توصيات اللجنة الإفريقية الشكلية، ومواصلة الاحتلال وعدم التخلي عن الفريسة لأنها تقدم لفرنسا منافع اقتصادية، اجتماعية وسياسية وعسكرية، ولذلك شرعت في الإعلان الرسمي لتعمير الجزائر، وكان ذلك في حدود احتياجات القوات العسكرية المتواجدة بالجزائر في البداية، ثم كتب وزير الداخلية الفرنسي إلى كل الولاة بالمقاطعات الفرنسية يطالبهم بتجنيد نوعين من المهاجرين إلى الجزائر: عدد من العمال والحرفيين والبنائين لتغطية احتياجات الجيش، وعدد من الفلاحين لاستغلال الأرض الجزائرية التي استولت عليها السلطات الاستعمارية حتى ذلك الوقت[2].

وبما أن الهجرة إلى الجزائر لم تستقطب الفرنسيين فحسب، بل جلبت سيلا كبيرا من المهاجرين من جنوب أوربا، فقد عملت السلطات الاستعمارية على تشجيع الهجرة الفرنسية إلى الجزائر عبر حملات لهذا الغرض كلّف بها حكام المقاطعات الفرنسية أيضا، بهدف ايجاد نوع من التوازن العرقي بالجزائر، ولكن دونما نتائج كبيرة، في وقت استمر فيه توافد فقراء وبؤساء مناطق أوروبا المتوسطية إلى الجزائر.

كانت الجزائر المستعمرة تستقطب خلال السنوات الأولى من الاحتلال بين 2000 إلى 2500 مهاجر أوربي كل سنة[3]، ولولا ضراوة المقاومة المسلّحة

---

[1] Marc Donato, op. cit.,p.124.

[2] Louis De Baudicour, **la Colonisation de l'Algérie : ses éléments**, Jacques Lecoffre et Cie libraires- Editeurs. Paris. 1856. p.147.

[3] Mandeville et Victor Démontés, **Études de démographie Algérienne : Les populations européennes, leurs accroissements, leurs densité et leurs origines**, Bureau de la revue, Paris, 1900, p.8.

لكان العدد أكثر من ذلك بكثير؛ فمقاومة قبائل حجوط بضواحي منطقة البليدة كانت ترعب المعمرين، كيف لا وقد قتلوا منهم في ظرف أربع سنوات 36 فردا، واختطفوا 38 آخر[1]، كما أن مقاومة الأمير عبد القادر أخرت الاستيطان بالإقليم الغربي، الذي لم يستقر به المستوطنون إلا بداية من سنة 1840م، كما أرغم الكثير منهم في سهل متيجة إلى البداية من الصفر سنة 1839م، لأن المقاومة أجبرت المعمرين الجدد في الكثير من الأحيان على ترك مزارعهم والاحتماء بمدينة الجزائر[2]، وكان صدى ذلك يصل إلى ما وراء البحر. كما أن عامل الأمراض كالكوليرا والحمى التي حصدت الكثير من الأوربيين وخاصة ببوفاريك التي سميت في وقت ما بمقبرة الأوربيين، كان له درجة من التأثير أيضا في تراجع عدد الأجانب بالجزائر.

ووصلت حصيلة الأوربيين بالجزائر إلى غاية سنة 1836م، إلى ما يلي:

الجنسية	العدد	الجنسية	العدد
الفرنسيين	5485	الالمان	802
الاسبان	4592	البرتغاليين	20
الايطاليين	1845	اليونانيين	6
المالطيين	1802	مجموع الأوربيين	**14561**

(جدول رقم:3)، إحصاء سكاني لعدد الأوربيين بالجزائر بتاريخ

31 ديسمبر 1836 م[3].

---

[1] Marc Baroli, **L’Algérie terre d’espérances : colons et immigrants (1830-1914)**, L’Harmattan, Paris.1992.p.48.

[2] Paul Raphael, **Algérie : histoire, conquête et colonisation**, Editions Firmin-Didot et Cie, Paris. 1883. p.568.

[3] Onesime Reclus, op. cit., p.221.

أشار أول إحصاء سكاني خص به الأوربيون سنة 1833م إلى وجود 8172 أوربي بالجزائر، كانوا يتوزعون كالآتي: 3843 فرنسي و4329 أجنبي؛ (1291 اسباني، 1122 إيطالي و1916 من جنسيات أخرى)، مما يعني أن عدد الأجانب كان يفوق عدد الفرنسيين ب 426 نسمة، واستمر الوضع كذلك حيث يتضح من الجدول أن عدد الأوربيين غير الفرنسيين جانب وصل الى 9067 نسمة، مما يعني أن عددهم كان يفوق عدد الفرنسيين ب 3591 نسمة سنة 1836م[1].

شكّلت سنة 1836م البداية الدورية لعمليات إحصاء السكان بالجزائر، حيث أصبحت تَجرى كل خمس سنوات على غرار فرنسا. رغم أن الفترة التي تلت الاحتلال كانت صعبة، إلا أنها انتهت بارتفاع ملحوظ لعدد المعمرين الفرنسيين ولاسيما في الأرياف خاصة بعد تبني الإدارة الاستعمارية للاستيطان الرسمي بعد 1834م، حيث ارتفع عدد الأوربيين بالجزائر من 7812 نسمة سنة 1833م، 44.52% منهم فرنسيين، إلى 14561 نسمة سنة 1836م (5485 نسمة منهم فرنسيين)، ثم إلى 25000 نسمة سنة 1839م[2]، مما يعني أن عدد الفرنسيين تراجع إلى نسبة 44 % من مجموع الأوربيين خلال هذه السنة. ولقد استمر تفوق العنصر الأجنبي على العنصر الفرنسي بالجزائر إلى غاية سنة 1851م وبصفة غير دائمة، في حين بقي تفوق العنصر الاسباني في الإقليم الغربي إلى أبعد من ذلك التاريخ، الأمر الذي خلق الكثير من المشاكل والمخاوف للإدارة الاستعمارية.

[1] لم تهتم الإدارة الاستعمارية بإحصاء عدد الجزائريين إلاّ في منتصف الخمسينات من ق19، وكان ذلك بشكل جزئي فقط. (الباحث).

[2] Kamel Kateb, Européens, **« Indigènes » et Juifs en Algérie (1830-1962), Représentations et réalités des populations**, Editions INED, Paris, 2001, p.29.

3.4 الاستيطان الرسمي: تعمير الجزائر بمخطط الدولة:

نتيجة لتباطؤ وتيرة الهجرة بنظر الإدارة الاستعمارية، جاء تدخل الدولة في قضية تعمير الجزائر كبديل للاستيطان غير الرسمي والفوضوي الذي تلا مباشرة سقوط مدينة الجزائر بيد الاحتلال الفرنسي، وبشكل أكبر بعد صدور قرار الاحتفاظ بالجزائر كمستعمرة فرنسية سنة 1834م.

ولقد عملت الإدارة الفرنسية على اقران عملية الاستيطان في الجزائر بتعميرها بشريا وضمان الحماية لهؤلاء المهاجرين الذين لا يملكون الإمكانيات الكافية لحماية أنفسهم ومحاصيلهم، بالإضافة إلى إنشاء الهياكل القاعدية الضرورية للعملية الاستيطانية من طرق المواصلات، شبكات نقل المياه واستصلاح الأراضي وتجفيف المستنقعات ونحو ذلك[1]. وبما أن الاستيطان الرسمي هذا لم يكن يعني سوى الفرنسيين والألمان والسويسريين فيما بعد، باستثناء بعض الماهونيين الذين منحوا أراض لا يحتاجها الفرنسيون، فإنه لم يؤثّر في الهجرة الايطالية والاسبانية والمالطية، لأن هؤلاء استمروا في التوافد على الجزائر رغم ذلك بوسائلهم الخاصة وفي الغالب بطرق غير شرعية من أجل العمل بعد أن تبدَّد حلمهم بامتلاك أراض بالجزائر، لأن الإدارة الاستعمارية أقصتهم من تلك العملية منذ البداية.

4. 3. 1 كلوزال وهجرة الأوربيين إلى الجزائر:

لقد أصبح كلوزال حاكما عاما للجزائر منذ 8 جويلية 1835م، واختير لذلك المنصب لأنه كان يملك تجربة استيطانية اكتسبها من منفاه بالولايات المتحدة الأمريكية التي أقام بها طيلة خمس سنوات بعد استسلام نابليون بونابارت، وخاصة في ولاية لويزيانا الكثيرة المستنقعات والتي كانت تشبه إلى حد ما منطقة متيجة، وكانت مهمته تتمثل في إيجاد صيغة مناسبة لاستغلال المنطقة، لما لها من أهمية استراتيجية وعسكرية، ولأنه كان من أكبر المتحمسين للاستيطان

[1] Publication du Gouvernement General de l’Algérie (G.G.A), **La colonisation en Algérie,** 1830-1921, Pfister, Alger, 1922. p.13.

حيث شرع منذ البداية في استكمال مركز القبة الاستيطاني الذي باشره دو روفيقو[1] على مساحة 138 هكتار من أراضي الحبوس وزعت بالتساوي تقريبا على ثلاثة وعشرين عائلة فرنسية ليكون نموذجا للمراكز الاستيطانية اللاّحقة[2]. ثم شرع في بناء مركز استيطاني خاص به فوقع اختياره على منطقة بوفاريك إلى الغرب من مدينة الجزائر، التي تشبه إلى حد ما المنطقة الأمريكية التي عاش بها، والتي أسس بها مركزا استيطانيا بقرار منه بتاريخ 27 سبتمبر 1836م، ومنح من 4 إلى 12 هكتارا لكل مستوطن مقابل تحويل الملكية النهائية للمستفيدين بعد ثلاث سنوات ان استوفوا الشروط المطلوبة[3]، ولم يأبه بانتشار وباء الملاريا في المنطقة، ولذلك السبب هناك من وصف تجربة بوفاريك بالإجرامية، خاصة وأن آثار المرض كانت بادية للعيان على الجند المعسكرين في المخيم المجاور للمركز، وأراد كلوزال بتلك العملية رفع التحدي واثبات كفاءته وتجربته، إلا أنه بنى في حقيقة الأمر مصيدة للأوربيين، ومع ذلك استمر المركز بعد أن قامت السلطات العسكرية بتجفيف المستنقعات في المنطقة.

كما استفادت الإدارة الاستعمارية خلال هذه الفترة أيضا من تجربة آليكسي دو طوكفيل الاستيطانية، ولو نظريا، لأنه أقام في أمريكا في وقت سابق أيضا، وهو من سعى إلى إقامة منطقة آمنة حول محيط مدينة الجزائر. ولقد كتب فرانك جوليان عن الفترة الأولى من الاحتلال (1830–1840م) "بأنها مرحلة لا

---

[1] الدوق دو روفيقو: (Anne-Jean-Marie-René Savary, duc de Rovigo) ولد بمنطقة الآردين في 26- 04-1774 وتوفي بباريس في 6 جوان1833م صاحب فكرة انشاء المكاتب العربية التي شرع العمل بها في 1841م ، كان قائدا للقوات الفرنسية في الجزائر من 1830م إلى غاية 1833م ، فرض التعسف والاضطهاد على الاهالي اقترن اسمه بمذبحة قبيلة العوفية المرتكبة في صبيحة يوم 07-04-1832م .

محمد الأمين بلغيث: تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق، دار ابن كثير ، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص. 36.

[2] M.E.F Gautier, **L'évolution de l'Algérie de 1830 à 1930**, Livret 3 des cahiers du centenaire de l'Algérie, Publications du Comité National Métropolitain du centenaire de l'Algérie. p. 69

[3] M.E.F Gautier, op.cit., p.315.

استقرار مثّلها العشرات من القادة والحكام العامون، وكانت أفكارهم بخصوص الاستيطان لا تمثل أي استمرارية "[1]. ولقد لقيت فكرة دو طو كفيل القائمة على بناء القرى الاستيطانية الدفاعية استهجان الحاكم العام بيجو كثيرا.

كان الماريشال فالي (*Valée*)[2] أول من ثار على الاستيطان العشوائي، ووصل به الحد إلى منع بيع الأراضي بالإقليم الشرقي، ثم طبق ذلك القرار على اقليم الجزائر بعد أن وصلت إليه المقاومة، وأعلم المستوطنين المستقرين في السهول بأنه لن يتدخل للدفاع عن ممتلكاتهم، ثم عين المناطق التي يرغب في تعميرها بعدد من العائلات "وأعلن أن مرحلة الاستيطان الفوضوي قد انتهت"[3].

ومع ذلك فإن تعمير الجزائر بالأوربيين إلى غاية بداية الأربعينات من القرن 19م لم يرق إلى مستوى التوقّعات الرسمية ، بسبب سياسات مقصودة، أو أحكام متسرعة أو مشاريع زراعية لم تنجح حسب ما كان متوقّعا لها، ولذلك تشكلت في

---

[1] Franc Julien, **La colonisation dans la Mitidja**, collection du centenaire de l'Algérie, librairie ancienne Honoré Champion, Paris, 1928. p.80.

[2] شارل فالي (Sylvain Charles Valée) : 1773– 1846م، التحق منذ صغره بالمدرسة العسكرية، وتحصل على أول ترقية سنة 1793م، شارك في الحروب النابليونية وأصبح جنرالا سنة 1909م، ثم منحه الامبراطور لقب "كونت الإمبراطورية" بمرسوم صدر في 12 مارس 1814م بعد أن تمكن من سحب القوات الفرنسية والعتاد الحربي من اسبانيا بأقل الأضرار. عين سنة 1818م عضوا في لجنة الدفاع بالمملكة، ثم أصبح مفتشا بالمصلحة المركزية للمدفعية سنة 1822م، الأمر الذي مكّنه من اجراء عدة تعديلات على هذا السلاح. عينه شارل العاشر نائبا للمملكة سنة 1830م، شارك في التحضير للحملة على الجزائر. بعد أن ألغت الحكومة الجديدة منصب المفتش العام للمدفعية حول للتقاعد.

استدعي من جديد سنة 1834م كمستشار للدولة، ثم عضوا باللجنة المكلفة بصناعة الذخيرة. أثناء حصار قسنطينة الثاني سنة 1837م أشير على الملك بأن يكلّفه بالإشراف على المدفعية، ولكن بعد مقتل الجنرال دامريمون في الحصار، عوضه فالي في قيادة الحملة على المدينة. عينه الملك حاكما عاما على الجزائر في 11 نوفمبر 1837م الى غاية ديسمبر 1840م، من نقض اتفاقية التافنة التي كانت بين فرنسا والأمير عبد القادر بهجومه على الأبواب الحديدية بالشرق الجزائري في أكتوبر 1839م، ارتفع عدد الجيش الفرنسي في عهده الى 57000 جندي. غادر الجزائر في 18 يناير 1841م بعد أن عوضه بيجو. ينظر:

M. C. Mullié, **Biographie des célébrités militaires des armées de terre et de mer de 1789 à 1850**, tome 2, Poignavant et Cie, Editeurs, Paris, (s.d), pp. 559 à 563.

[3] Enfantin, op. cit., p.187.

17 ديسمبر 1841م لجنة خاصة مكونة من قويو (*Guyot*) وزير الحرب، والماريشال دوق دو دالماسي (*Duc de Dalmatie*) لدراسة مسألة تعمير الجزائر، وخلصت إلى إصدار إعلان موجه إلى العمال والصناع وأصحاب رؤوس الأموال لحثهم على الهجرة إلى الجزائر، وتكفّلت الإدارة الاستعمارية بدفع كل المصاريف بداية بالنقل وانتهاءا باستقرارهم بالجزائر، إلا أن هذه العملية لم تلق الصدى المرجو. وقد علّقت الإدارة المركزية في باريس آمالا كبيرة على بيجو الحاكم العام الجديد الذي انتهج أسلوبا جديدا في تعمير الجزائر معتمدا على الجنود المسرحين كأداة للاستيطان، مستلهما فكرته من الإمبراطورية الرومانية.

4. 3. 2 مرحلة بيجو 1841-1847م:

عين بيجو حاكما عاما على الجزائر بتاريخ 21 ديسمبر 1840م، وكان تعداد الأوربيين إذ ذاك 35727 نسمة؛ 15497 منهم فرنسيين و20230 أوربيين غير فرنسيين[1]، وأوكلت إليه مهمتي: الاحتلال العام للجزائر، وتشجيع الاستيطان والهجرة الأوربية إليها، رغم افتقارها في نظر فرنسا إلى مقومات اقتصادية عكس المستعمرات المدارية، وهو من أثبت لهم بأن الجزائر ليست عقيمة وليست مقبرة للأوربيين كما كان يقول مناهضي الاستيطان، بشرط مباشرة أشغال كبرى لتهيئة الأرض وتجفيف المستنقعات[2]، كما غير من الاستراتيجية السابقة، حيث كان يرى ضرورة تأمين كل البلاد عبر القضاء على المقاومة بدل بناء مراكز بطريقة دفاعية في كل مرة، وهي طريقة تبعث على الخجل والحياء في نظره، كما أنها لم تحقق نتائج كبيرة في مجال الاستيطان حتى ذلك الوقت، وربما لهذا السبب كان

---

[1] Annuaire statistique de l’Algérie.1932.

[2] Gérard-François Dumont, **« Les Flux migratoires vers le Maghreb»**, In : Actes du colloque « les peuplements de l’Afrique du Nord : une histoire de migration plurielles », organisé par la Fondation : Algérie-Maroc-Tunisie, au Maison de la Chimie, Paris le lundi 12 décembre 2011.

www.fm-gacmt.org/.../Actes%20du%colloque%20du%2012%20dece.

اطلع على الموقع بتاريخ: 26 فبراير 2013، على الساعة: 18.25.

بيجو يفضل الاستيطان العسكري بدل الاستيطان المدني[1]، لأن الهجرة إلى الجزائر بنظره يجب أن تتماشى واحتياجات المستوطنة وليس العكس، كما نادى بالهجرة الانتقائية من قبل عسكريين أكثر قدرة وكفاءة لتطبيق سياسته ومشروعه، عوض سيل عشوائي من المهاجرين، حيث قال: "الأولوية للاستيطان العسكري وكل الأنواع الأخرى تأتي فيما بعد، مع الاستعانة بالإطارات المدنية بهدف السيطرة على العرب"[2].

كما كان بيجو ينظر إلى هجرة المدنيين الفرنسيين بعين الحذر، والى الهجرة غير الفرنسية بعين الخطر والى هجرة الطبقة الفقيرة[3] والمحرومة منها بعين الاشمئزاز، وكان يعتبر هجرة الأجن إذا استمرت على نفس النسق قد تؤول إلى ما آلت إليه ولايتي (لويزيانا) و(ايلينوا) الأمريكيتين اللتان ضاعتا من فرنسا[4]، كما انه لم يكن راض على موت الشباب الفرنسي من أجل أن يستوطن الاسبان والايطاليون[5].

---

[1] لم يكن بيجو أول من نادى بالاستيطان العسكري، بل كان ذلك منذ البداية من خلال اقتراح السياسي الفرنسي (Laisné de Villevêque) ((1767-1851) سنة 1831، بمنح جنود مسرحين مساحة 5 هكتار مجانا للاستيطان بالجزائر. ينظر:

Colonisation d'Alger, par Laisné de Villevêque, 1er septembre 1831. SHAT. GR 1H 225, op. cit.

[2] Un officier de l'armée d'Afrique, op. cit., p. 10.

[3] كتب بيجو سنة 1843م : " ان الجزائر هي ذلك الوكر الذي ينتهي إليه مطاف كل الحالمين، والذين يموتون في فرنسا جوعا، ...، انهم أسوأ نوع من المستوطنين ،فهم أشخاص من مختلف المهن والحرف ممن فشلوا في مشاريعهم بالميتروبول، جاءوا للجزائر لتحقيق الثروة، فهم لا يحسنون عمل أي شيء بأصابعهم العشر، لا أموال لديهم ، فكيف يمكنهم استغلال ملكية ؟ ." ينظر:

Bugeaud à Genty de Bussy, Alger, le 30 mars 1847, Lettres inédites, in : Jean-Pierre Bois, **Bugeaud**, Editions Fayard, Paris, 1997 p.265.

[4] Louis De Baudicour, **Histoire de la colonisation de l'Algérie : ses éléments**, Jacques Lecoffre libraire éditeurs, Paris 1856. pp. 422.423.

[5] منذ الاحتلال الى غاية نهاية مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847م فقد الجيش الفرنسي ما يقارب مائة ألف من عناصره، دون حساب هؤلاء الجرحى الذين حولوا للميتروبول للعلاج وماتوا هناك. ينظر: =

لتحقيق مشروعه الاستيطاني طالب بيجو بالاستيلاء على المزيد من أراضي الجزائريين: "إن العملية الاستيطانية تتطلب الاستحواذ ومصادرة أراضي الجزائريين المعروفين بشجاعتهم وبغيرتهم على أرضهم ... ولهذا ينبغي منا ألاّ نقيم في خطوط المواجهة معهم عناصر غبية مثل التي تم استقدامها إلى حد الآن بل عناصر مدربة وقوية[1]". وجاء هذا القول بعدما أجهضت مقاومة الأمير عبد القادر جل المحاولات الاستيطانية بمتيجة سنة 1839م والتي أخرت العملية الاستيطانية بسنتين، وأراد الحاكم العام الجديد أن يعيد إليهم الأمل، خاصة بعد تبني الإدارة الاستعمارية لسياسة الممتلكات المجانية بمقتضى القرار المؤرخ في 18 افريل 1841م بشرط استغلالها والإقامة عليها.

ويبدو أن الملك كان معتمدا على الحاكم العام الجديد بشكل كبير، ونستشف ذلك من الخطاب الذي ألقاه أمام غرفة النواب بتاريخ 27 ديسمبر 1841م، حيث قال: "لقد اتخذت مجموعة من الإجراءات بخصوص ممتلكاتنا في إفريقيا لمنع تسرب أية عراقيل خارجية إليها، إن جنودنا يواصلون في هذه الأرض الفرنسية إلى الأبد مجهوداتهم التحضيرية بعد انتصاراتهم العسكرية"[2]. وفي هذا إشارة إلى أن مهمة الحاكم العام الجديد الاستيطانية كانت بدعم كامل من الملك الذي اختار للجزائر من ضباطه لتلك (المهمة التحضيرية) شخصية دموية وعنيفة لم ترحم حتى الفرنسيين خلال ثورة باريس يومي 13 و14 افريل 1834م حيث ارتكب مجزرة طالت النساء والأطفال والشيوخ بشارع تراسنونان (*Transnonain*) وجعلت منه شخصية مذمومة من قبل الفرنسيين وخاصة الاشتراكيين منهم[3].

= Kamel Kateb, **Européens, « Indigènes » et juifs en Algérie (1830-1962), Représentations et réalités des populations,** Editions de l'Institut National d'Etudes Démographiques, Paris, 2001.,p .38.

[1] Comité Bugeaud, « **Le peuplement français de l'Algérie par Bugeaud, d'après les écrits et discours du Maréchal** » in : Le Moniteur algérien, n° du 24 août 1845, pp. 34.35.

[2] Le Moniteur Universel, 28 décembre 1841.

[3] www.histoire-fr.com/monarchie_juillet_difficile_maintien_ordre_3.htm.

اطلع على الموقع بتاريخ: 27 نوفمبر 2013م، على الساعة: 23.15.

أما موقف الجزائريين من هذا التعيين، فتضمنته رسالة قبيلة الحشم[1] (*les Hachem*) إلى بيجو بتاريخ 20 جوان 1841م، ومن بين ما جاء فيها: " ... هذه الأرض هي وطن العرب، ولستم إلا ضيوفا عابرين، حتى وان بقيتم ثلاثمائة سنة كالأتراك، فيجب أن ترحلوا..."[2].

لقي بيجو دعما من دو طوكفيل، الذي كان يقول بأن السيطرة تمكّن من الاستيطان، والاستيطان يضمن استدامة الهيمنة، وكان لا يؤمن بقوة السيف فحسب بل بقوة القانون أيضا التي تمكّن الإدارة الاستعمارية من مصادرة مشروعة للأراضي في نظره، وطالب بتكثيف العمليات العسكرية، لتحقيق الأهداف التالية:

- إشعار العرب والجنود الفرنسيين، أنه لا يوجد في هذا البلد من عقبات يمكن أن توقف فرنسا.
- تدمير كل ما يشكل تجمع دائم للسكان المحليين، أو كل ما يشبه المدينة[3].

وهكذا كان صاحب كتاب " الديمقراطية في أمريكا"، يؤيد سياسة بيجو القائمة على الأرض المحروقة وتدمير كل ما من شأنه أن يفيد الأهالي، ليس في الحرب فحسب بل في المعيشة أيضا، وهو ما يؤكده الباحث ايف لاكوست أيضا حيث قال: أن بيجو قاد حرب إبادة ضد الأهالي، عبر القضاء على المنتوجات،

---

[1] الحشم مأخوذة من الحشمة بالكسرة وهي من الحياء، أو من الحشم محركا وهو الغضب، كما في القاموس والمعنيان معا صالحان هنا، كانوا يسمون ببني راشد لحلولهم قبل ببني راشد والذين هم من بطون زناتة، ويعرف هذا الجبل اليوم بجبل عمور، ثم انتقلوا الى غريس حيث دخلوا في اتباع بني غريس وأطلق عليهم اسم الاشراف. للمزيد ينظر:

الشيخ الطيب ابن المختار ابن الطاهر بن البشير، **القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم**، ط1، المطبعة الخلدونية التلمسانية، 1961م، ص330.

[2] Camille Rousset, « **La conquête de l'Algérie, Le Gouvernement du général Bugeaud** », in : Revue du Deux Mondes, tome 84. 1874.

http://fr.wikisource.org/wiki/La_Conqu%C3%AAte_de_l%E2%80%99Alg%C3%A9rie_-_Le_Gouvernement_du_g%C3%A9n%C3%A9ral_Bugeaud/01.

أطلع على الموقع بتاريخ: 16 أكتوبر 2013، على الساعة: 23.27.

[3] Olivier Le Cour Grandmaison, « **Quand Tocqueville légitimait les boucheries** », in : le Monde diplomatique, juin 2001.p.12

والمباني، وتسميم منابع المياه، وشبهه في ذلك بنابليون بونابارت الذي شن حرب إبادة حقيقية في اسبانيا[1].

شرع بيجو منذ مارس 1842م في تنفيذ المخطط الاستيطاني المحضر من قبل وزير الحرب، الذي كان يتتبع كل خطوات الحاكم العام الجديد، وان لم يوافق على كل مشروع بيجو الاستيطاني الذي قدمه إليه، والذي سأشير إليه في نهاية الفصل بإطراء.

أسس بيجو سنة 1842م سبعة مراكز استيطانية، و14 أخرى في سنة 1843م، لتصل إلى 17 مركزا أخرى سنة 1844م[2] في كل من متيجة ومنخفض وهران وسهل سكيكدة. وبلغ مجموع المراكز الاستيطانية التي أسسها 61 مركزا بين 1841–1847م توزعت كالآتي: 32 مركزا في إقليم الجزائر و16 في إقليم قسنطينة و13 في إقليم وهران[3].

صاحب إنشاء تلك المراكز زيادة غير مسبوقة لعدد المهاجرين الأوربيين بالجزائر، ولا يعزى ذلك إلى مشروع بيجو العسكري، لأنه اضطر في الأخير إلى التكيف مع الإمكانيات البشرية المتاحة نوعا وعددا، ما دامت تصب في اتجاه مشروعه الاستعماري القاضي بضمان تبعية المستعمرة لفرنسا إلى الأبد، بعد أن كان من أكثر المتحمسين للاستيطان العسكري، ومن أشد المعارضين للاستيطان المدني الحر، الذي اعتبره عقبة وعائقا في طريق بقاء فرنسا في الجزائر، لأن تلك الهجرة المدنية كانت بنظره تتكون من عناصر غبية تصعب حمايتها، كما

[1] Yves Lacoste, André Noushi & André Prenant, **L'Algérie, Passé et présent : Le cadre et les étapes de la colonisation de l'Algérie actuelle**, Préface de Jean Dresch, Editions Sociales, Paris, 1960, pp. 301. 302.

[2] M. Pasquier-Bronde, « **Historique de la Colonisation Paysanne en Algérie** », In : Centenaire de l'Algérie, comité de l'Afrique français, congrès de la colonisation rurale, Alger 26-29 mai 1930, 2ème partie : Les problèmes économiques et sociaux posé par la colonisation, Ancienne Imprimerie Heintz. Alger. 1930, pp. 15-30.

[3] M. Pasquier-Bronde, Ibid.

أن توافدها على الجزائر كان يتم بشكل بطيء وفردي في الغالب[1]، وهذا لا يمكنه إن يحقق نتائج، عكس المشروع الاستيطاني العسكري المبرمج القائم على عناصر الجيش، لأنه اقتنع في الأخير بأن فرنسا بحاجة إلى الكم أكثر مما هي بحاجة إلى النوعية.

وصل عدد الأوربيين بالجزائر إلى 95000 نسمة سنة 1845م بعدما كان عددهم لا يتجاوز 28000 نسمة سنة 1840م[2]، إلا أن ذلك الإنجاز لا يعزى أيضا إلى عبقرية بيجو العسكرية وإنما إلى العدد الكبير من قوات الجيش التي وضعت تحت تصرفه، والتي أوكلت إليها مهمة القضاء على المقاومة المسلحة وتهيئة وإنشاء المراكز الاستيطانية[3]، حيث وصل تعداد تلك القوات إلى 99700 عسكري[4] سنة 1846 م، وهو رقم كان يمثل نصف الجيوش الفرنسية كلّها خلال

[1] Comite Bugeaud, **Le peuplement français par Bugeaud (d'après les écrits et les discours du Maréchal)**, Edition du comité, Tunis, (s.d). p.117.

[2] Victor Démontes, **le peuple Algérien, Essais de démographie Algérienne,** imprimerie Algérienne, Alger 1906.p.35.

[3] أنشأ بيجو في ديسمبر 1841م قرية استيطانية عسكرية في (فوكة)، الا انها فشلت، لذلك كتب الى وزير الحربية بأنه: لا يصلح للاستيطان جنود أنهوا الخدمة، لأنه بمجرد ان يعترض سبيلهم أدني مشكل يتراجعون ويطلبون العودة الى فرنسا، لذلك تبنى نظام مستوطنات بجنود تحت الخدمة في بني مراد ومعالمه، الا ان وزير الحرب رفض منحه الموافقة لأن مشروعه يتعارض والتشريعات العسكرية في تلك= =الفترة. وهكذا تم التخلّي عن الاستيطان العسكري وتغييره بالاستيطان المدني باستعمال العسكر للاستصلاح وبناء القرى الاستيطانية فقط. الاّ ان هذا التزاوج لم يحقّق تقدما بالنسبة للعملية الاستيطانية لأن القوات العسكرية اشتكت من اجهاد جسدي اثّر على صحتهم، لذلك عارضه الجنرال دوفيفيي (Duvivier) بشدة، واستمر الوضع كذلك الى غاية سنة 1844م حينما عارضت لجنة برلمانية نهائيا فكرة تشغيل الجيش في اعمال الاستيطان وانتهت: بأنه من واجب الجيش ان يساهم في الاستيطان من خلال بناء التحصينات، وانجاز الطرق والمستشفيات والثكنات، ولكن لا يمكنه المساهمة في بناء منازل للمعمرين، ولا استصلاح اراض او تجفيف مستنقعات لهم. للمزيد ينظر:

Achille Fillias, **Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860),** Arnauld De Vresse libraire-Editeur, Paris, 1860

, p. 294.

[4] Annuaire de l'économie politique, in : kamel Kateb, Européens, « **Indigènes » et Juifs en Algérie,** op.cit., p.106.

تلك الفترة، وهذا ما أشعر هؤلاء المهاجرين بنوع من الأمان، لأن أحداث 1839م بمتيجة كانت لا تزال حاضرة في الأذهان داخل فرنسا وخارجها، وفي هذا الشأن قال ايف لاكوست بأن الجزائر كانت أكبر الممتلكات الاستعمارية الفرنسية التي قاومت الاحتلال الفرنسي، إلى درجة أن فرنسا خصصت لها نصف قواتها العسكرية بطلب من بيجو[1]، وهي سابقة في التاريخ العسكري الفرنسي.

كما يعزى ذلك أيضا إلى الحملات الإعلامية والدعائية التي شاركت فيها الإدارة والصحافة، التي بدأت الجزائر تخص بحيز كبير في أعدادها منذ 1840م، تدعمها مجهودات خاصة، وكل هذا الاهتمام كان يهدف إلى جلب أكبر عدد ممكن من الفرنسيين، والأوربيين إلى الجزائر.

5 الإعلام والترغيب في الاستيطان:

شجعت الإدارة الاستعمارية حركة الهجرة الفرنسية والأوربية إلى الجزائر، لأنها أدركت بأن تواجد المستوطنين الأوربيين يشكل دعما وسندا قويا للاحتلال، ولذلك بذلت الحكومات الفرنسية كل ما استطاعت لتشجيع الأوربيين بصورة عامة والفرنسيين بصورة خاصة، على الاستيطان بالجزائر بأضخم عدد ممكن، ولتحقيق هذه الغاية عملت هذه الحكومات على إضفاء صفة الرسالة الوطنية لدفع الفرنسيين على الهجرة إلى الجزائر، بتدعيم من الكنيسة التي اعتبرت تلك العملية واجبا مقدسا، كما أغرت الإدارة الاستعمارية الأوربيين بالعمل والأرض والحياة الأفضل في المستعمرة، بهدف تمكين الفرنسيين من التحكّم في مصير البلاد والعباد بيسر[2]؛ لأن فرنسا كانت تدرك منذ البداية، باعتراف أحد ضباطها،

[1] Yves Lacoste et autres, ibid.

[2] حسينة حماميد، **المستوطنون الأوربيون والثورة الجزائرية 1954–1962**، ط1، منشورات الحبر، الجزائر.2007.ص.1.

بأن الاستيطان ما هو إلا وسيلة[1] لتحقيق غايتها الكبرى والمتمثلة في البقاء في الجزائر إلى الأبد.

ولما كانت تعترض مشروع إنشاء فرنسا ثانية، أو كندا جديدة في الجزائر، مجموعة من الصعوبات، فقد لجأ رجال السياسة إلى استعمال الخيال لتقديم الجزائر في صورة جميلة لترغيب هجرة الفرنسيين إليها.

وتنفيذا لهذا التوجه، طلبت الحكومة من حكام المقاطعات الفرنسية استعمال الخيال في الملصقات الإشهارية التي كانت توضع في مقرات البلديات، وفي الساحات العمومية المخصصة للأسواق، لشد انتباه أكبر عدد ممكن من الفرنسيين، عبر إظهار الإمكانيات التي تتوفر عليها المستعمرة بنوع من الخيال: أراضي خصبة بمحاذاة مجرى مائي، وعلى مقربة منها مشروع بناء سكة حديدية ... ونحو ذلك، "كان يكفي للمرء أن يغمض عينيه ليشعر وكأنه في جنة[2] ".

إلى جانب ذلك أنشأ لاكروتز (*Lacroutz*)[3] مؤسسة مزارعي الجزائر (*société des agriculteurs d'Algérie*) سنة 1840م من قبل بهدف تشجيع الهجرة إلى الجزائر أيضا، وهي أول من اقترحت تحويل سكان الألزاس واللورين إليها مباشرة بعد الإعلان عن ضمهما من قبل ألمانيا. كما صدرت مجموعة هامة من الأدلّة (*Guides*) مهمتها تعريف الفرنسيين بموقع الجزائر وبإمكانياتها المختلفة، وتضمن (دليل المستوطنين الجدد) الذي صدر في الجزائر سنة 1848م مراسيم برلمانية بخصوص الاستيطان، والملف الإداري الواجب تحضيره، وكل المعطيات المهمة عن الجزائر من مناخ، وسكان، حيوانات ومنتوجات زراعية، والسلع المتوفرة وأثمانها والعمل وقيمة الأجور[4]، بهدف تذليل العقبات أمام العناصر المترددة

[1] Un officier de l'armée d'Afrique, **Colonisation de l'Algérie**, la Librairie sociétaire, Paris, 1847, p.8.

[2] Raphaël Delpard**, L'histoire des pieds noirs d'Algérie : 1830-1962**, Edition Michel Lafon, Paris, 2002, p. 20

[3] Marc Baroli, op. cit., p.115.

[4] Guide des nouveaux colons en Algérie, Typographie Bernard et Cie, Paris, 1848.

ومساعدتها في اتخاذ القرار بقطع البحر، خاصة وأن الفرنسيين كان معروف عنهم رفضهم الابتعاد عن جرس كنيسة قريتهم، ليس الى الجزائر فحسب بل كانت هجراتهم قليلة إلى كل الاتجاهات الجديدة مقارنة بالعناصر الأوربية الأخرى، بالإضافة إلى ذلك تأسست بفرنسا عدة جمعيات استيطانية كان تسعى إلى تجسيد نفس الهدف.

كما استغلّت السلطات الاستعمارية التظاهرات المختلفة كالمعارض للتشهير بالجزائر أيضا، كالمعرض الاستيطاني الأول الذي أقيم بباريس في 15 ماي 1855م، وأصر وزير الحرب على أن يكون موقع الجناح المخصص للجزائر محاذيا لنهر السان، لاستقطاب الزوار، وتم عرض إمكانيات المستعمرة السطحية والباطنية بهدف إقناع المستثمرين بالخصوص بالمجيء إلى الجزائر[1].

لم تستهدف الحملة الإشهارية الاستعمارية الفرنسيين فحسب، بل استهدفت أيضا العناصر الألمانية والسويسرية والأيرلندية بسبب تقاليدهم في الهجرة، ولأن سمعتهم طيبة مقارنة بسكان جنوب أوروبا، واستعملت في البداية الإعلانات في الصحافة المحلية لهذه الدول لاستقطاب المهاجرين إلى الجزائر، ثم شرعت الإدارة الاستعمارية في توظيف عملاء كانت مهمتهم تقديم عدة آلاف من المطبوعات في الدويلات الألمانية وبلغة البلاد إلى السكان مباشرة من اليد إلى اليد، بالإضافة إلى تعليق ملصقات كبيرة على جدران بلديات الألزاس واللّورين حيث كان سكان الحدود من الألمان يأتون للتسوق[2]، كما كتب (*Gomot*) أحد الموظفين السابقين في وزارة الحرب: (دليل المسافر إلى الجزائر)، و(حوليات الجزائر لسنة 1844م)، وأنصب اهتمامه فيهما على وسائل وظروف التنقّل إلى الجزائر، من باريس وصولا إلى مرسيليا[3].

---

[1]Jean-Philippe Séchaud, **Mémoires d'Algérie,** Année de l'Algérie, sous la direction de Lela Bencharif, Université Lumière Lyon 2, (2002-2003), p.9.

[2] Jean Maurice Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie**, op. cit., p. 48.

[3] كانت السفن البحرية التابعة للدولة تبحر من (طولون)، في حين كانت السفن التجارية تقلع من (مرسيليا)، والملفت للانتباه هو ان هناك امكانية للسفر في ظروف أريح من طولون الى الجزائر وفق=

لقد جندت الإدارة الاستعمارية كل طاقاتها داخل وخارج فرنسا لتسريع عملية تعمير الجزائر بالأوربيين، وأشركت أعضاء بعثاتها الديبلوماسية في كل من سويسرا وألمانيا في توزيع مطويات للتعريف بشروط وكيفية التنقل إلى الجزائر.

كما دفعت المصلحة، جهات ألمانية كثيرة إلى التعريف بالجزائر لدى الألمان، حيث أصدر مدير السكة الحديدية بمملكة (ساكس) الألمانية البارون ماري دو فيبار (*Marie de Weber*) كتيبين، الأول بعنوان: (الجزائر والهجرة) (*l'Algérie et l'immigration*)، والثاني جاء تحت عنوان: (نزهة إلى الجزائر) (*une excursion en Algérie*)[1]، وذلك بعد رحلة قادته إلى المستعمرة، وكان يصبوا من خلالهما إلى تحويل قسم من تيار الهجرة الألمانية من الولايات المتحدة الأمريكية باتجاه الجزائر، لرفع مردودية الخطوط الغربية والجنوبية للرفع من عائدات شركته، وكان لهما تأثير كبير في ألمانيا خاصة في سنوات الخمسينات من ق19م.

كما ساهمت مشاريع استيطانية فاشلة في التعريف بالجزائر أيضا، فلقد تقدم السياسي ورجل الأعمال السويسري كزافيي ستوكمار (*Xavier Stockmar*) 1797- 1864م بمشروع كبير إلى السلطات الفرنسية بشأن توطين نحو مائة ألف مواطن سويسري بعنابة والقل وايدوغ في ظرف 25 سنة، بمشاركة فرنسا التي طلب منها منحه قرضا بثلاثة ملايين فرنك؛ إلا أن المشروع لم يتم نتيجة تغير الوزارات بفرنسا وبسبب معارضة بعض الأوساط المعادية لتوطين الأجانب

=الأمرية الملكية المؤرخة في 14 جويلية 1842م لمن يصطحب معه عائلته. تماشيا مع سياسة الاستيطان العسكري لبيجو. ينظر:

L'Afrique du nord illustrée, n : 789 du samedi 13 juin 1936.

[1] Jean Maurice Di Costanzo, **l'Emigration Allemande en Algérie aux XIXeme siècles : 1830-1890,** Thèse de mémoire, sous la direction d'Emile Temime, Université de sciences humaines d'Aix Marseille 1, année 1984-1985, p. 67.

بالجزائر[1]، ومع ذلك فقد ساهم التشهير لهذا المشروع وللجزائر عبر الصحف، في قدوم أعدادا من السويسريين إلى المستعمرة.

تطور الأمر بالنسبة للسويسريين خاصة في مقاطعة باني (*Bagnes*) أين قام لويس قار (*Louis Gard*) بإعداد أغنية سماها: "أغنية المهاجرين"، والتي أُنجزها في بداية سنوات 1850م بمناسبة هجرة سكان المقاطعة إلى الجزائر[2]، صور فيها صاحبها حالة القلق وعدم الراحة التي كان يعيش فيها جزء من السكان السويسريين، وفي ذات الوقت وصف الجزائر على أنها أرض الميعاد وفي متناول اليد، وحيث كل شيء سهل وممكن[3].

وإذا كان دعم باريس العسكري لبيجو من أهم أسباب ارتفاع عدد الأوربيين بالجزائر إلى 95000 نسمة، فقد كان للإغراءات التي كانت تقدمها الإدارة الاستعمارية بالمستعمرة للوافدين إليها من الفرنسيين بالخصوص دور فعال أيضا في تشجيع بعض المفلسين للهجرة إلى الجزائر، كتوزيع الأراضي عليهم مجانا، وتسهيلات أخرى لمن يملك إمكانيات مادية منهم.

نتج عن ارتفاع عدد الأوربيين بالجزائر، رسم سياسة جديدة بهدف الاستيعاب الإداري للمستعمرة استهلت بأمرية 18 أفريل 1845م، التي نصت على تقسيم الجزائر إلى ثلاث عمالات تضم مناطق مدنية تخضع لنفس النظام المطبق في فرنسا.

صاحب ذلك اشتداد المعارضة في باريس والجزائر معا لمشروع بيجو العسكري، الذي لقي استهجانا لدى الطبقة السياسية بفرنسا ولدى المستوطنين بالجزائر أيضا، بسبب عدم اقتناعهم بحجته القائمة على أن الاستيطان العسكري المبني على جنود أنهوا الخدمة واحتياطيين سوف يسهل فيما بعد عملية

---

[1] Jean Maurice Di Costanzo, **l'Emigration Allemande en Algérie aux XIXeme siècles : 1830-1890,** op. cit., p.32.

[2] Eric Mayé, « **L'émigration valaisanne en Algérie au XIXe siècle** », in : Annales Valaisannes, bulletin trimestriel de la socité d'histoire de Valais Romand, 1997, pp. 131- 232.

[3] Ibid.

الاستيطان المدني، وبات ذلك المشروع يحتضر. ولم تشفع لبيجو تلك الهجرات الأخرى غير العسكرية كتلك التي شملت رجال الدين المسيحيين، الذين منح لهم بتاريخ 11 جويلية 1843م المخيم العسكري المهجور بسطاوالي ومساحة 1020 هكتار من الأراضي[1]، والذي وصفته الصحافة الفرنسية في تلك الفترة بالاستيطان الطفيلي، إلا أن بوديكور كتب سنة 1856م عن المغزى الحقيقي من تلك العملية حيث قال: "وطّن بيجو هؤلاء للقيام بأعمال خيرية مختلفة لمصلحة الأهالي خدمة للكولون، لأنه بذلك، حسب رأيه، يضمن لهم أمن وسلم العرب[2]"، الا أن تلك الهجرة كانت سلبية لأنها لم تحقق نجاحات كبيرة[3]، ورغم محاولته إقامة قرى ساحلية مثل (عين البنيان) التي أنشأت بموجب مرسوم وزاري بتاريخ 18 أفريل 1843م[4]، و(سيدي فرج) بقرار وزاري أيضا سنة 1844م و(فوكة) بضواحي تيبازة سنة 1846م بغرض تعميرها بعائلات فرنسية تعيش من البحر، وذلك من أجل خلق نوع من التوازن العددي لصالح الفرنسيين على حساب الايطاليين والاسبان في إقليم الجزائر وقسنطينة، أما في الجهة الغربية فقد حاول لامورسيار (*Lamorcière*) [5] تشجيع هجرة الخواص الميسوري الحال من الفرنسيين بهدف

---

[1] رغم ذلك الاجراء، الا أن (ايميريت) أشار الى وجود صراع كبير بين العسكريين ورجال الكنيسة في تلك الفترة. للمزيد ينظر:

Marcel Emerit, **La lutte entre les généraux et les prêtres au début de l’Algérie française,** in : Revue Africaine, volume 97, année 1953.p.66-97.

[2] Louis De Baudicour, op. cit., pp.422.423.

[3] Emile Violard, **Les Villages algériens. 1830-1870**, Tome 1, imprimerie spéciale de l'Algérie, Alger, 1925, p.19.

[4] صدر المرسوم سنة 1843م، الاّ أن بناء قرية عين البنيان تأخّر إلى سنة 1848م.

[5] لامورسيار(Christophe- Louis- Léon de Lamorcière): 1806–1865م، جنرال ورجل سياسي فرنسي، درس في صغره بالمدرسة المتعددة التقنيات، التحق بالجيش سنة 1829م ، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر بطلب منه، ، كان ضابطا بسيطا سنة 1830م، ثم رقي الى رتبة نقيب في فرقة الزواوة، جرح خلال حصار قسنطينة سنة 1837م، رقي الى رتبة عقيد في ذات الفرقة في نفس السنة، عين ماريشال مخيم سنة 1840م، ثم جنرالا سنة 1843م، وفي السنة الموالية قلد وسام الشرف، كما عين حاكما عاما على الجزائر بالنيابة سنة 1845م. عين عضوا بلجنة الدفاع الوطني سنة 1848م، ثم وزيرا للحرب بين 28 جوان و 22 ديسمبر 1848م، وهو من كان وراء تصويت البرلمان الفرنسي بتاريخ 19 سبتمبر=

خلق فئة رأسمالية في العمالة لكي تتحكم في العناصر الاسبانية بالمنطقة، والتي كانت تبلغ أعدادا كبيرة مقارنة بالفرنسيين.

وان كان بيجو قد فشل في مشروعه فإن لامورسيار حقّق بعض النجاح، لأن الطبقة المالكة من الاسبان في المنطقة الغربية لم تظهر إلا في وقت متأخر، بعد أن تمكّن بعضهم من شراء ممتلكات وضيعات بعد سنوات طويلة من العمل والتقشّف، وربما كان هذا هو سبب عدم وجود صداقة بين الرجلين[1]، خاصة إذا علمنا أن مشروع لامورسيار الرأسمالي لقي دعما رسميا من خلال الأمر الملكي الصادر في 3 ديسمبر1846م الذي نص على تجربة العملية الخاصة على ثمانية بلديات تقع في وهران، مستغانم ومعسكر لفائدة خمسة آلاف عائلة فرنسية، وان كان لم يطبق إلا في بلدية تليلات (*Sainte-Barbe du Tlélat*) جنوب شرق مدينة وهران، في حين كان مشروع بيجو العسكري قد فصلت فيه السلطة السياسية في باريس منذ فترة، وهي مؤشرات تظهر مستوى التشنج الذي وصلت إليه إدارة المستعمرة في منتصف أربعينات القرن 19م، بين الإدارة المركزية في باريس وبين الإدارة في الجزائر، وحتى داخل عمالات الجزائر الثلاث.

انتهى توجه بيجو العسكري في الأخير إلى حدوث تعارض بينه وبين الحكومة في باريس، وظهر ذلك جليا منذ أن قامت السلطات الفرنسية بتحويل الإدارة في الجزائر الى مدنية منذ 1845م، مما دفعه إلى الاستقالة من منصبه في شهر فبراير1847م.

= 1848م على مبلغ الخمسين مليون فرنك لفائدة الاستيطان الفلاحي بالجزائر، وخاصة بمنطقة وهران التي كان يحكمها في فترة بيجو. عين سنة 1849 سفيرا لبلاده بروسيا. ادخل السجن سنة 1851م بسبب معارضته لانقلاب لويس نابليون (نابليون الثالث). ينظر:

- Robert encyclopédique des noms propres, op. cit., p. 1269.
- M. C. Muullié, **Biographie des célébrités militaires des armées de terre et de mer**, tome 2, op. cit., pp. 163 à 165.

[1] René Passeron, **« Les grandes Sociétés de la colonisation dans l'Afrique du Nord »,** in : Centenaire de l'Algérie, Congrès de La Colonisation Rurale, Alger 26-29 Mai 1930,2ème partie, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, Alger, pp.16.31.

حين مغادرة بيجو للجزائر في جوان 1847م، كان عدد الفرنسيين يبلغ 47274 نسمة مقابل 62126 أجنبي، وبسبب ذلك التفوق العددي لفائدة غير الفرنسيين ب 14852 نسمة، قال: " لقد أشرفت على إدارة المتسولين من اسبانيا، إيطاليا ومالطة[1]"، وفي ذلك اعتراف صريح بفشله في ترجيح الكفّة العددية لصالح الفرنسيين بالجزائر بالاستيطان العسكري ثم المدني.

ولكن رغم استقالته استمر بيجو يناضل من أجل تعمير الجزائر من خلال خطاباته في البرلمان الفرنسي سنة 1848م، حيث طالب بإلحاح الى ضرورة تخليص فرنسا من العناصر المثيرة للفوضى بها بعد ثورة البطّالين بباريس خلال تلك السنة[2]. ويبدو جليا من خلال ذلك التغير الجذري الذي طرأ على نظرة بيجو

الاستيطانية في الجزائر بين بداية الأربعينات ونهايتها، قد يفسر ذلك بكونه كان يهدف إلى إقناع كل من عاد من المستعمرة الى فرنسا خلال فترة إدارته للجزائر، بالرجوع إلى المستعمرة من جديد، لأن عشرات الآلاف من الفرنسيين عادوا إلى فرنسا خلال فترة حكم بيجو، حسبما يوضحه الجدول التالي:

السنة	الوافدون	العائدون	الباقون
1842	25000	**15300**	9700
1843	37548	**17104**	20444
1844	41951	**23917**	18034
1846	47316	**31673**	15643

(جدول رقم: 4)، عدد الوافدين إلى الجزائر والمغادرين لها من الفرنسيين بين 1842م إلى 1846م[3].

[1] **Bugeaud à Genty de Bussy**, Alger, le 30 mars 1847, Lettres inédites, in : Jean Pierre Bois, **Bugeaud**, Paris, Fayard, 1997 p.304.

[2] Le maréchal Bugeaud au général Charon, 4 septembre 1848, Lettre inédites, ibid. , p.325

[3] Alain Lardillier, **le Peuplement Français en Algérie de 1830 à 1900 : Les raisons de son échec,** Editions l'Atlanthrope, Paris, 1992, p.51.

ويتضح من الجدول أن بيجو لم يتمكّن من إقناع جميع من تنقّل إلى الجزائر من الفرنسيين بالبقاء، لأنه لم يستطع تلبية كل مطالبهم وهو يواجه خصما عنيدا في الغرب الجزائري، ولذلك لم يعلّق لارديليي ساخطا كما عودنا في كتابه على كل الجهات المسؤولة عن ضياع الجزائر، بل اكتفى بالقول بأنه لولا العائدين والموتى من جراء الأمراض وغيرها لبلغ عدد الأوربيين خلال فترة بيجو 150 ألفا[1]، وهو رأي فيه الكثير من المنطق، لأنه يؤكد فعالية مقاومة الأمير عبد القادر.

6 أوضاع الدول الأوربية مصدر الهجرة نحو الجزائر بداية القرن 19م:

لقد تزامن الاحتلال الفرنسي للجزائر بانتشار البؤس والفقر على نطاق واسع في الدول المتوسطية المجاورة لها، وكان من البديهي أن يهلّل السكان في تلك الدول بذلك الاحتلال الذي شكّل بالنسبة لهم صمام أمان، حيث اعتبروه فرصة ثمينة لتحسين أوضاعهم، وقد تناقل سكان تلك الدول ذلك الخبر شفاهة، قبل انطلاق الحملات الاشهارية الكبيرة التي باشرت في الإعلان عنها الإدارة الاستعمارية لتجنيد أكبر عدد من المستوطنين الأوربيين بها، ولذلك لم ينتظروا الضوء الأخضر من أحد للشروع في السفر إلى الجزائر.

كانت أهم المناطق الأوربية التي شكّلت أهم الهجرات الأوربية الى الجزائر تتمثل في اسبانيا، إيطاليا، مالطا بالخصوص، ثم ألمانيا وسويسرا.

1.6 أوضاع اسبانيا:

تعرضت اسبانيا في بداية القرن 19م إلى اعتداء عسكري فرنسي، حيث احتلّت جيوش نابليون مدريد سنة 1808م، وكان رد فعل الاسبان سريعا حيث انتشرت الثورة ضد الغزاة، وتألّفت لجان محلية في الولايات بهدف رد الاعتداء بدعم من انجلترا، التي أرسلت قوة عسكرية لمساعدة الإسبان مما انتهى بانسحاب الجيوش الفرنسية إلى حين في 30 أوت 1808م.

[1] Alain Lardillier, op. cit., p.60.

بعد انسحاب الإنجليز عاد نابليون إلى مدريد للمرة الثانية، ولكن ما إن رجع إلى فرنسا حتى عادت المقاومة الإسبانية من جديد، مما اضطره إلى سحب قسم من قواته من اسبانيا لمهاجمة روسيا سنة 1811م، الأمر الذي مكّن المقاومة الاسبانية من الانتصار على القوات الفرنسية عام 1812م، رغم المجاعة الكبيرة التي تعرضت لها البلاد والتي تسببت في هلاك 20 ألف شخص في مدريد فقط [1]، وصادف ذلك حاجة نابليون بونابارت إلى المزيد من القوات في حملته على روسيا، مما دفعه إلى سحب قواته من اسبانيا حسب الكتابات الفرنسية، إلاّ أن الهزيمة التي تلقّاها في جوان 1813م أمام الاسبان والإنجليز معا هي التي دفعت به إلى الفرار[2]، بعد أن اعترف (بفرناندو السابع) ملكاً على اسبانيا وفق (معاهدة فالنسي) 1813م[3].

بخروج فرنسا استعادت اسبانيا الهدوء والاستقرار في البلاد إلى حين، لأنها كادت أن تقع ضحية حرب أهلية نتيجة الصراعات السياسية العنيفة التي أعقبت خروج الفرنسيين[4].

انعكست الأوضاع السياسية لإسبانيا التي اعتراها الضعف، على مستعمراتها في أمريكا الجنوبية، التي تألّفت فيها مجالس محلية قصد التخلّص من التبعية الاسبانية. وقد أعلن مجلس (بيونس آيرس) (بالأرجنتين) نفسه حكومة ثورية في وقت مبكّر سنة 1810م وحذت حذوه مجالس (كولومبيا) و(الشيلي) و(المكسيك) و(باراغواي). وكان لقيادة الزعماء الثوريين المحليين أمثال (بوليفار) و(سان مارتان) أثر كبير في استقلال هذه المستعمرات الإسبانية، وشجعها على ذلك اعتلاء (جوزيف الأول) العرش سنة 1808م، وكانت الولايات المتحدة تساند وترافق هذه المستعمرات من أجل تحقيق استقلالها. ولقد شكّلت سنة 1824م

---

[1] Bertolomé Bennaser, **Histoire des Espagnols** : **XVIIIè- XXè** siècle, Editions Armand Colin, Paris, 1995, pp. 128. 129.

[2] Ibid ,

[3] Yves Tissier, **Dictionnaire de l'Europe, états d'hier et d'aujourd'hui**, Editions Vuibert, Paris, 2002, p.211.

[4] Ibid, p. 213.

خاتمة للحكم الاسباني في معظم مستعمراتها بأمريكا الجنوبية، باستثناء (كوبا) و(بورتوريكو) اللتان استقلّتا عن اسبانيا سنة 1898م.

انعكست هذه الظروف السياسية الداخلية والخارجية على الوضع الاقتصادي والاجتماعي بالبلاد، فإسبانيا كانت متخلّفة صناعيا مقارنة ببقية دول أوربا الغربية، فاقتصادها كان لا يزال يرتكز على الزراعة فحسب، وذلك لم يكن كافيا لتحسين الأوضاع الاجتماعية بالبلاد، ونتيجة لكل ذلك تلقّ الاسبان نبأ احتلال فرنسا للجزائر بابتهاج وارتياح كبير[1]؛ وربما أن تلك الأوضاع هي من ساهمت في دفع الحكومة الاسبانية إلى المساهمة في إنجاح الحملة على الجزائر كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولكن في ذات الوقت تأسف الكثير من ساستها على المواقع الدفاعية التي اتخذتها اسبانيا على السواحل الجزائرية[2] في كل من وهران، مستغانم، مدينة الجزائر وبجاية في السابق، ولم تحاول التوسع داخل البلاد مما تسبب في فقدانها، حسب اعتقادهم[3]، وآخرون تأسفوا على ذهاب المغامرون الاسبان (الكونتيستادور) إلى بلدان أمريكا الجنوبية في حين كان عليهم التوجه الى بلدان شمال افريقيا الأقرب[4]، مما يعني أن احتلال فرنسا للجزائر أثار غيرة الاسبان.

6. 1. 1 أسباب هجرة الاسبان إلى الجزائر:

ليس الفضول هو الذي دفع بالإسبان إلى الهجرة إلى الجزائر، بل الحاجة والفاقة والبؤس، نتيجة الأوضاع العامة التي كانت تمر بها اسبانيا، وساهمت

1- Claude Liauzu, op. cit., p.66.

2- ibid..,p.149.

3 يرجع البعض عدم توسع الاسبان في الجزائر الى كرههم الشديد للعرب، حيث ان الكاردينال (Ximenès) عندما استولى على وهران ذبح أكثر من 4000 جزائري منهم اطفال ونساء وشيوخ، وهي معطيات كانت لا تزال مدونة في كنيسة طليطلة الى غاية سنة 1919م. (سنة صدور الكتاب). ينظر:

Onesime Reclus, op. cit.

4 Ibid.

أيضا مجموعة من العوامل والظروف في تسهيل تلك الهجرة نذكر أهمها في الآتي؛

- العامل التاريخي من خلال التواجد الاسباني بوهران من 1509 الى 1708م ثم من 1732 الى 1791م، وان كان ذلك التواجد عسكريا بالدرجة الأولى (5000 عسكري) وبعض المهربين والصيادين[1]؛
- العلاقات الجيدة بين فرنسا واسبانيا بسبب غياب الأطماع الاسبانية في البحر المتوسط لانشغالها بحروب الاستقلال في أمريكا؛
- منع الحكومة الاسبانية للهجرة إلى أمريكا الجنوبية بعد بداية الحروب بها وعدم اكتراثها بالهجرة إلى الجزائر؛
- انعدام الرقابة على الهجرة الاسبانية باتجاه الجزائر قبل 1850م، حين فرضت الحكومة الاسبانية الرقابة على تلك الهجرة التي اقلقت سلطات مدريد واصحاب الملكيات الكبرى في اسبانيا بسبب هروب اليد العاملة؛
- النمو الديمغرافي المتزايد؛
- اضطرابات الجمهوريين سنة 1873م، وانهزامهم في الحرب الأهلية الاسبانية سنة 1939م؛
- الأزمات الفلاحية التي شهدتها المناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية لإسبانيا نتيجة الجفاف؛
- ارتفاع حجم طبقة الفلاحين[2]؛
- القرب الجغرافي وتوفر المواصلات، مما يعني سفر سريع وغير مكلّف، وسهولة العودة في حالة الإخفاق؛
- تشابه المناخ والتضاريس؛
- ضمان وجود محيط اجتماعي من الأصدقاء والمواطنين ممن هاجروا في السنوات الأولى من الاحتلال؛

1- Jean-Jacques Jordi, **Espagnols en Oranie (Histoire d'une migration : 1830-1914)**, op. cit., p.67.

2 Jeannine Verdès- Leroux, op. cit., p.207.

- سهولة الحصول على عمل بأجر جيد مقارنة بإسبانيا: أجر شهرين يساوي أجر ستّة أشهر بإسبانيا[1].

نتيجة لما سبق، وبعد طلاق اسبانيا السياسي مع معظم بلدان أمريكا الجنوبية والوسطى، وبعد انغلاق الاسبان بعض الشيء على أنفسهم نتيجة لذلك، ها هي الجزائر تمنحهم مجالا آخر يلبي حاجتهم الملحة للتنقل والعمل، ولذلك قرر الآلاف منهم الهجرة إلى المستعمرة الجديدة، بداية بالماهونيين[2] الذين فضلوا الاستقرار بمدينة الجزائر وضواحيها، حيث أنشأوا مزارع صغيرة الى الشرق منها، كما قدّموا خدمات معتبرة للجيش الفرنسي من خلال تموينه ولسنوات بما يحتاج من خضر وفواكه بعد أن منحتهم الإدارة الاستعمارية ممتلكات صغيرة في (برج الكيفان) و(عين طاية) شرق مدينة الجزائر، الأمر الذي أثار سخط وغضب المعمرين الفرنسيين، إلا أن والي الجزائر أكد "بأن الماهونيين لم تمنح لهم سوى الأراضي التي لا يمكن للفرنسيين استغلالها أو العيش فيها ... كما أن فرنسا لا يمكنها أن تخشى من عناصر لهم علاقة وطيدة بالأرض"[3].

في حين فضل سكان اسبانيا الآخرون الاستقرار في الإقليم الغربي من البلاد بسبب القرب الجغرافي وخاصة بمدينة وهران منذ نهاية أربعينات القرن 19م، لأن المنطقة الغربية لم تجلب إليها عددا معتبرا من الاسبان قبل سنة 1847م، لأنها كانت لا تزال ساحة لصراع عنيف بين الفرنسيين والأمير عبد القادر، ولذلك فإن معظم الاسبان في البداية توجهوا إلى المنطقة الوسطى من الجزائر، ولكن بعد انتهاء مقاومة الأمير تغيرت المعطيات وشرع الاسبان في التوجه الى الغرب

---

[1] Juan-Bautista Vilar, « **quelques conséquences en Espagne du soulèvement Algérien de 1881 (dans les courants migratoires hispano-algérien et dans relations hispano-française)** », In : Mélanges de la Casa de Velazquez. Tome 19,1983.pp.275-291.

[2] نسبة الى جزيرة (ماهون) الاسبانية الواقعة في البحر المتوسط بين الجزائر واسبانيا وهي أقرب الى الجزائر من وهران، ونفس التسمية أطلقت على الاسبان المهاجرين من جزر البليار الاسبانية القريبة من (ماهون). (الباحث).

[3] Préfet d'Alger au Maréchal Vaillant, ministre de la Guerre ,25 janvier 1856. SHAT, GR 1H 249.

الجزائري لممارسة أعمال التهريب والمتاجرة مع الجيش الفرنسي، والاشتغال بالدعارة بالنسبة للنساء منهم، إلاّ أن سنة 1850م شهدت حملة من الطرد استهدفتهم بسبب الأزمة المالية وداء الكوليرا الذي ظهر منذ 1849م، وهذه عوامل أتت على أوهام هؤلاء المغامرين من الاسبان.

كما قامت السلطات الفرنسية سنة 1849م بمنع رسو عدد من المراكب الاسبانية الحاملة لعدد من البؤساء الاسبان، كما وضعت تعرفة جمركية جديدة سنة 1851م، وذلك لقطع الطريق أمام النشاطات المشبوهة التي كان يقوم بها الاسبان بالإقليم[1]، وكانت فترة خمسينات القرن 19م هي التي مثّلت توافد أعدادا كبيرة من الاسبان الهاربين من الفقر والبؤس في البلاد.

بلغ مجموع الاسبان في الجزائر 1291 نسمة سنة 1833م، ثم ارتفع عددهم ليبلغ 4592 سنة 1836م، ليصل إلى 9748 نسمة سنة 1841م، لينتهي إلى 25350 نسمة سنة 1845م[2].

2.6 أوضاع إيطاليا:

كان للإمارات الايطالية وخاصة (تسكانيا ونابلي) ومملكة (سردينيا اتفاقيات تجارية أو صداقة مع الجزائر منذ القرن السادس عشر[3]، ويؤكد ذلك عدد الايطاليين الذين غادروا الجزائر باتجاه ايطاليا بين 1822–1827م حيث بلغ 483 شخصا، استقطبت مدينة عنابة لوحدها 422 شخصا منهم، في حين استقطبت مدينة الجزائر 51 فردا، والعشرة الباقين سافروا من ميناء وهران[4]، مما يدل على وجود علاقة تجارية بين الجزائر وبعض الإمارات الإيطالية قبل الاحتلال.

[1] Jean GARRY, **Les Espagnols d'oranie**. ANOM. G.G.A.10H/89.

[2] Jean- Jacques Jordi, **Espagnol en Oranie**, op.cit., p.15.16.

[3] Romani H. Rainero, op. cit., p.11.

[4] Ibid. p.227.

كانت إيطاليا عشية الحملة الفرنسية على الجزائر مشتّتة سياسيا: (مملكة لمبارديا)، (بارما) و(ماديرا) تحت الحكم النمساوي، في الوسط كانت الولايات البابوية، أما في الجنوب فكانت مملكة الصقليتين التي تضم نابلي (*Naples*) وبالارم (*Palerme*) بجنوب غرب إيطاليا، وكانت الظروف السياسية، الاقتصادية والاجتماعية في الجنوب بالخصوص صعبة جدا نتيجة الفقر والبؤس والحرمان، بالإضافة إلى حكم سياسي شبيه بالقرون الوسطى بسبب كبحه لكل الحريات، الأمر الذي نتج عنه نوعين من الهجرة: هجرة سياسية وأخرى اقتصادية.

ازدادت الأمور سوءا منذ بداية ظهور الدولة الايطالية القومية، بسبب الفوضى السياسية والعسكرية التي كانت بين أسرة البوربون والجمهوريات الايطالية الجنوبية بالخصوص والتي ذهب ضحيتها آلاف المدنيين[1]، حيث بات المجتمع الإيطالي يئن من الفقر والبؤس والحرمان وخاصة في مقاطعات (كالابر) و(سيسيليا)، وأيضا في تلك المحاذية لجبال الالب مثل: بيمون، لمبارديا، فريول وفينيسي (*Vénétie), (Frioul), (Lombardie), (Piémont*) *(Calabre) (Cécile),*، التي كان الشعب الإيطالي بها يقاوم من أجل الحياة. وبما أن السكان باتوا لا يملكون الغذاء الكافي لجأوا إلى الفرار والى الهجرة العشوائية الفوضوية باتجاه الجزائر.

بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية السالفة الذكر، ساهمت بعض التحفيزات أيضا في جلب العمالة الإيطالية إلى الجزائر، ففي وقت كان فيه الايطالي في الجنوب يتقاضى مبلغ 0.75 فرنك يوميا ويشتغل 250 يوما في السنة، كان العامل الايطالي في إقليم قسنطينة يتقاضى 2.5 فرنك عن كل يوم عمل، خلال 200 يوم من العمل سنويا فقط[2].

---

[1] Eric Vial, **Guerre, société et mentalités, L'Italie au premier XXe siècle**, Editions Seli Arslan, Paris.2003.p.21.

[2] Gerard Crespo et Jean- Jacques Jordi, **Les Espagnols dans l'Algérois (1830-1914) : Histoire d'une migration**, Edition de l'Atlanthrope, Paris 1991.p.40.

وشهدت الجزائر بين أوت وسبتمبر 1844 قدوم 24 لاجئ سياسي إيطالي إلى مدينة الجزائر، وطلبت الإدارة الاستعمارية الحذر منهم على غرار اللاجئين السياسيين الاسبان في نفس الفترة تقريبا. كانوا يمرون عبر فرنسا حيث يقضون من سنة إلى سنتين بها ثم يطلبون المرور المجاني إلى الجزائر للبحث عن عمل في إطار تخصصاتهم، وعادة ما كان يسمح لهم بالمرور المجاني بعد تحقيق بسيط، وكانت السلطات الاستعمارية تقدم لهؤلاء دون سواهم مساعدات مادية[1].

كان توافد الايطاليين من مختلف الإمارات للعمل في قطاع البناء بمختلف تخصصاته، وللتجارة وللصيد أيضا، وان كانت الإدارة الفرنسية قد نظرت إلى الصيادين الموسمين من الايطاليين بمنظار خاص، فذلك لأنهم لم يكونوا يقدمون أي مردود اقتصادي لفرنسا، حيث كانوا يستقرون بالساحل ويستعملون عتاد مستقدم من إيطاليا، ويقومون باستغلال السواحل الجزائرية ثم يأخذون ثمرة عملهم إلى ايطاليا[2]. وتعكس الأرقام حجم الاحتكار الذي مارسه الايطاليون على حرفتي صيد الأسماك والمرجان بالجزائر، حيث امتلكوا 196 سفينة صيد للمرجان من أصل ال 201 سفينة لنفس التخصص خلال سنتي 1844م –1845م، أما سفن الصيد فكانوا يملكون منها خلال ذات الفترة 148 سفينة من أصل 306 سفينة، وكان نشاطهم يمارس في الموانئ الشرقية والوسطى للبلاد،[3] وكانت لهم بميناء القل وحده 83 سفينة من نوع أرجوحة (*Balancelle*) لصيد المرجان سنة 1840م[4].

---

[1] بلغ حجم تلك المساعدات سنة 1844م؛ 30 فرنك شهريا للاجئ، 15 فرنكا شهريا للزوجة، 10 فرنك لطفل واحد شهريا و7 فرنك للطفل الثاني. ينظر:

Gerard Crespo et Jean –Jacques Jordi. op. cit., p.35.

[2] Gérard Crespo, « **Etude comparative des immigrations italiennes en Algérie et en Tunisie** », In : Actes du colloque « les peuplements de l'Afrique du Nord : une histoire de migration plurielles », organisé par la Fondation Algérie-Maroc-Tunisie, au Maison de la Chimie, Paris le lundi 12 décembre 2011. pp.64.71.

[3] Marc Baroli, op. cit.,p.28.

[4] ibid.p.98.

شهد عدد تلك السفن تراجعا ملحوظا بعد أن فرضت السلطات الاستعمارية ضريبة على كل السفن الأجنبية سنة 1839م بهدف كسر احتكار الايطاليين لحرفة الصيد، ولتعويضهم عن ذلك بنت لهم ملكة الصقلّيتين ماري اميلي[1] مستشفى بالمدينة. ولكن لتأكيد إيطليتهم تم تدشين بناية بعنابة، التي كانت الوجهة المفضلة للإيطاليين، لفائدة العمال بتاريخ 12 فبراير 1832م، تكفّل الإيطاليون بشراء الأرض وبالبناء، وحضر حفل الافتتاح كل من بيترو باريني (*Pietro Parini*) الوزير الايطالي وماجيستراتي (*Magistrati*) القنصل الايطالي العام بالجزائر وكذا كابومازا (*Cappomazza*) نائب القنصل الايطالي بعنابة[2].

كان الهدف من هذه المنشآت هو جمع الفئات العمالية الايطالية المعزولة في الجزائر بعيدا عن عائلاتهم، بهدف تسهيل الالتقاء فيما بينهم لتذوق طعم الوطن المفقود سويا، مما يعني اهتمام الإمارات الإيطالية برعاياها في الجزائر، ولم يقتصر ذلك الاهتمام على السنوات الأولى التي تلت احتلال الجزائر فقط، بل استمر طيلة القرن التاسع عشر، قبل أن تتحول تلك الجالية إلى استثمار سياسي بعد وصول الحزب الفاشي إلى الحكم في إيطاليا سنة 1922م.

بلغ عدد الايطاليين بالجزائر 1122 نسمة سنة 1833م، ليرتفع عددهم إلى 1845 نسمة سنة 1836م، ثم إلى 3258 نسمة سنة 1841م، وكان من بين هؤلاء المهاجرين، عناصر فارة من الخدمة العسكرية من مختلف الولايات الايطالية، وعناصر أخرى هاربة من أحكام قضائية.

---

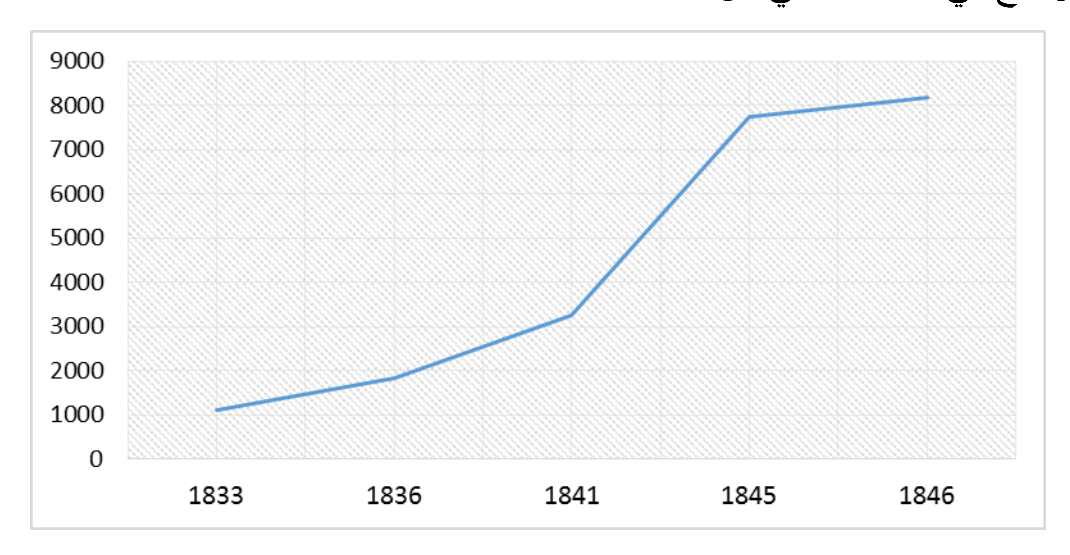
[1] أميلي ماري تيريز دي بوربون،(Marie Amélie Thérèse de Bourbon) أميرة نابولي وصقلية، ولدت بكاسيرتا بمملكة صقلية في 26 أبريل 1782م وتوفيت في كليرمونت بالمملكة المتحدة في24 مارس 1866م، زوجة الملك الفرنسي لويس فيليب الأول منذ 1809م، عرفت بالسخاء، ولذلك سميت بالسخية. ينظر:

Le chevalier Carme Lancellotti, **Mémoires historique de Ferdinand 1er**, traduit par l'Abbé. P. de L'Aquita, Imprimerie Joseph Galletti, Florence. (s.d), p.9

[2] L'Afrique du Nord illustrée, N : 617 (28ème année) du samedi 25 février 1832.

استمر عدد الايطاليين في الارتفاع بالجزائر حيث بلغ 7738 نسمة سنة 1845م، ليرتفع إلى 8175 نسمة سنة 1846م، ثم بدأت في التراجع منذ سنة 1847م نتيجة حادثين ساهما جزئيا في عودة جزء هام من الايطاليين إلى بلدهم هما: وباء الكوليرا، ومنافسة الفرنسيين الأثرياء للعناصر الايطالية من مهندسين وغيرهم ممن كان يتاجر في البنايات، وأصبح الايطاليون نتيجة لذلك غير قادرين ماديا على منافسة الفرنسيين، وبالتالي اضطروا إلى العودة[1]، ووصل عددهم إلى 8115 نسمة بتاريخ 30 جوان 1847م[2]. وستعرف الجزائر موجات من الهجرات الإيطالية خلال الخمسة عقود المتبقية من القرن التاسع عشر.

كان تطور عدد المهاجرين الإيطاليين بالجزائر خلال هذه الفترة حسب ما هو موضح في الشكل التالي من اعداد الباحث[3]؛



(الرسم البياني رقم 1)، تطور عدد الايطاليين بالجزائر بين 1833-1846.

---

[1] Gérard Crespo, « **Etude comparative des immigrations italiennes en Algérie et en Tunisie** op. cit.

[2] Gaston Loth, **Le Peuplement Italiens en Tunisie et en Algérie**, Librairie Armand Colin, Paris. 1905. P.108.

[3] Ibid. .p.110.

يظهر المنحنى البياني ارتفاعا كبيرا لعدد الايطاليين بالجزائر خاصة منذ سنة 1841م التي صادفت تعيين بيجو كحاكم عام على الجزائر، وهو ما يعني أيضا أن الظروف الصعبة التي كانت تمس شريحة كبيرة من المجتمع الايطالي خلال القرن 19م في بسبب نمو اقتصادي غير متكافئ بين شمال البلاد وجنوبها، وانتشار ظاهرة الفقر نتيجة لذلك، هي التي خيرت الايطاليين بين البقاء في تلك الوضعية الصعبة، أو الهجرة إلى الجزائر التي كانت تمثل مجالا أفضل بالنسبة لهم، حسب الصورة التي رسمتها لهم الدعاية الإعلامية الاستعمارية، وهو ما يفسر الارتفاع المستمر لعدد الايطاليين بالجزائر من 1122 نسمة سنة 1833م الى 8175 نسمة سنة 1846م.

ان هذه الزيادة العددية لا تنطبق على الايطاليين فحسب بل على كل الأوربيين الذين وفدوا على الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي، "بحثا عن الخبز، المادة التي لم يكن من السهل الحصول عليها في أوربا"[1].

ولقد لعبت عائلة شيفانو (*Schiffano*) دورا كبيرا في استقدام الصيادين الايطاليين إلى الجزائر، حيث استقر جاك شيفانو (*Jacques Schiffano*) أحد أفرادها بالجزائر بعد الاحتلال، حيث أدخل بعض التعديلات على بعض السفن المخصصة لصيد المرجان لتصلح إلى نقل المسافرين من إيطاليا إلى المدن الجزائرية[2]، كما اهتم بحرفة الصيد أيضا وقام بحملات دعائية في ايطاليا لتجنيد وتوظيف اليد العاملة، وكان هؤلاء يأتون في البداية لوحدهم وعندما يحقّقون أرباحا يعودون إلى ايطاليا لاصطحاب عوائلهم للاستقرار بمدينة الجزائر العاصمة عنابة و بجاية بالخصوص.

[1] Dr A. Bordier**, La Colonisation scientifique et les colonies françaises**, C.Reinwald, Libraire- Editeur, Paris.1884. p .4.

[2] Marc Baroli, op. cit., p.101.

6. 3 أوضاع مالطة:

تتكون مالطة من خمسة جزر تقع شرق المتوسط أكبرها جزيرة مالطة بمساحة 246 كلم مربع، ثم قوزو (*Gozo*) الثانية من حيث الحجم ب 68 كلم مربع، ثم تأتي جزيرة الفلفل الأسود (*Filfola*) ثم جزيرة الكمون (*Comino*)، وكومينوتو (*Cominotto*)؛ وهي جزر طباشيرية مستوية وجرداء وجافة، ولا تنمو بها الا اشجار الخروب والصبار لقلة التساقط والأنهار، وتفتقر إلى الثروات الباطنية ولا تكمن أهميتها الاّ في موقعها الاستراتيجي الذي لفت إليها أنظار بريطانيا للاحتماء والمراقبة والاستشعار ولذلك استعملوها في حركتهم الاستعمارية رسميا منذ سنة 1803 [1].

لقد أوجدت هذه الثنائية؛ الظروف الطبيعية القاسية والتواجد الإنجليزي بالإضافة إلى الزيادة السكانية المرتفعة مناخا اقتصاديا واجتماعيا صعبا حيث انتشر الفقر على نطاق واسع، بالإضافة إلى ارتفاع في الأسعار وتفشّي الأمية بين السكان، وكثرة البطالة لأن الجيش البريطاني لم يكن يسمح بتوظيف سوى 5% فقط من المالطيين، وكانوا يتقاضون أجرا اقل من اجر الانجليز[2]، ودفعت هذه الوضعية المزرية بالمالطيين الى الانتفاض سنة 1830م ضد الحكم القائم.

نتيجة البؤس الناتج عن صعوبة الحياة، ونتيجة التهميش المسلّط عليهم من قبل الاحتلال البريطاني فقد هلّل المالطيين بالاحتلال الفرنسي للجزائر[3]، لأن الهجرة كانت هي الملاذ الوحيد بالنسبة لهم، خاصة إلى الجزائر التي لا تبعد كثيرا عن جزرهم، سعيا منهم لتحسين وضعيتهم، وربما الحصول على قطعة أرض التي كانت تنقص المالطيين[4]، وشجعهم على التوافد على الجزائر كون اليد العاملة المالطية كانت جد مطلوبة لأنها رخيصة.

[1] Marc Baroli, op.cit., p.15.

[2] Ibid. p.32.

[3] M. Miège, op.cit., p. 515.

[4] Onesime Reclus, op.cit., p.158.

أول من هاجر من المالطيين إلى الجزائر هم العبيد المالطيين الذين حررهم الباي حمودة باشا بن علي[1] سنة 1800م بأمر من نابليون بونابارت، والذين استقروا رغما عنهم في تونس، وبعد احتلال الجزائر فضلوا الهجرة إليها[2]، ثم تبعهم المئات من فقراء الجزر المالطية ممن تمكّنوا من إيجاد وسيلة تنقلهم إلى الجزائر، وذلك رغم أن الإدارة الاستعمارية لم تكن ترغب في قدومهم، بسبب سمعتهم غير اللائقة[3] وارتفاع نسبة الانحرافات بينهم، حيث طردت الإدارة بعضهم لإخلالهم بالأمن العام، وان تمكّنوا من العودة إلى الجزائر بكل يسر، ولذلك لم يتم تقبلهم إلا بعد وقت طويل في إطار السلّم العرقي الذي وضعته الإدارة الاستعمارية منذ البداية.

كان المالطيين يقطعون البحر إلى تونس ومنها يتوجهون برا باتجاه عنابة أوإلى مدينة الجزائر، وقد بلغ عددهم 5000 نسمة سنة 1842م حسب دوناتو، في حين تذكر ناتالي بارنادي عدد 4610 نسمة سنة 1846م، ويعود ذلك الاختلاف إلى حالات النفي، أو إلى رجوع البعض إلى البلاد، لأن كلاهما يتفقان على أن عددهم تجاوز 15000 نسمة سنة 1903م، كما أن برايس ذهب إلى القول بأن الهجرة خارج مالطة لم تشكل صمام أمان بالنسبة للإنجليز لأن 85 % من المهاجرين عادوا إلى البلاد بين 1840–1890[4]، نتيجة عدم الاستقرار

---

[1] حمودة باشا بن علي، هو خامس بايات تونس، حكم من 26 ماي 1782م إلى 15 سبتمبر 1814م، كان خبيراً بالحكم والإدارة، عرفت البلاد خلال فترة حكمه استقرار داخليا بفضل اعتدال وحكمة وسياسة التحالف مع الأعيان المحليين و شيوخ العروش، كما اكتسبت البلاد التونسية مظهراً دولياً في عهده. ومن أحداث تلك الأيام البارزة، الخلاف مع البندقية بسبب المنافسة التجارية، وتجديد المعاهدة التجارية مع إسبانيا والولايات المتحدة، وقد دامت ولاية حمودة باشا نيفاً وثلاثة وثلاثين عاماً، ثبت فيها دعائم الأسرة الحسينية. للمزيد ينظر:

http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=13492

اطلع على الموقع بتاريخ 17 مارس 2013م، على الساعة: 21.53.

[2] Nathalie Bernadie, op.cit.p.106.

[3] Marc Donato.op.cit.p.45.

[4] Price, op. cit.

السياسي والاقتصادي في دول شمال إفريقيا في تلك الفترة؛ علما بأن عدد المالطيين بالمناطق العربية المتوسطية بلغ 92000 نسمة بين 1826–1880م.

6. 4 أوضاع ألمانيا:

كانت ألمانيا في بداية القرن 19 مجزئة إلى 39 دويلة أكبرها امارة بروسيا، وكانت النمسا تتمتّع بنفوذ قوي فيها وتعارض أيِ محاولة لتوحيد البلاد، كما كانت تعارض هيمنة بروسيا التي بدأت تبرز منذ تبنيها نظام الزولفرين الجمركي عام 1833م، الذي أراده بسمارك كتمهيد للوحدة السياسية للبلاد، حيث دعا الولايات الألمانية المختلفة إلى الانضمام إليه لتوسيع حركة التجارة بها لتفعيل النمو الاقتصادي. وفي ظل انعدام الحرية السياسية تحت السيطرة النمساوية كان الألمان يهاجرون قبل الوحدة للبحث عن الحرية، وعن فضاء أوسع[1]، وعن المساواة في الغالب، ولكن كان الكثير منهم يهاجر فرارا من الفقر، وان كانوا أقلّ فقرا من الاسبان، المالطيين والايطاليين.

6. 4. 1 أسباب الهجرة الألمانية:

ساهمت مجموعة من العوامل في دفع بعض الألمان الى الهجرة نحو وجهات مختلفة منها الجزائر، ومن أهمها ما يلي:

- الصراعات السياسية بين الإمارات والدويلات الألمانية قبل الوحدة؛
- النمو الديمغرافي السريع؛
- المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي كان تعاني منها الأسرة الألمانية في الريف؛
- تأثر الألمان بالحملات الإعلامية التي كانت تخصهم بها السلطات الفرنسية عبر الملصقات في البلديات الحدودية مع ألمانيا بأمر من حكام المقاطعات، وبإعلانات كانت تنشرها صحف ألمانية، وكذا دور البعثات الديبلوماسية الفرنسية التي كلّفت بمهمة تجنيد أكبر عدد ممكن من الألمان، خاصة بعد

[1] Dr A. Bordier, op. cit. p.189.

ما شاع عن الجزائر وظروفها المناخية القاسية من قبل عناصر عاشت في الجزائر لفترة ثم عادت.

وساهمت مجموعة من العوامل ذات صلة بحركة التصنيع بألمانيا في تسهيل عملية هجرة الألمان إلى الجزائر أهمها:

- تطور النقل النهري عبر القنوات المائية الفرنسية ودخول الى الخدمة سفن بينيش[1] (Péniche) المجهزة بمحركات بخارية؛
- تعويض السفن الشراعية تدريجيا بسفن مزدوجة الطاقة (شراعية وبخارية)؛
- انجاز شبكة من الخطوط الحديدية بين المدن الشمالية الشرقية الفرنسية المحاذية للحدود الألمانية والجنوب الفرنسي، كخط ستراسبوغ، بال، ميلوز، افينيون إلى غاية مرسيليا سنة 1848م، ثم خط (باريس، ليون، مرسيليا) 1855م ثم امتد مدينة طولون الساحلية منذ سنة 1863م؛
- تقلّص فترة العبور وتراجع تكلفة السفر[2]، وان كان دي كوستانزو يشير إلى أن السلطات الفرنسية كانت تعوض للمهاجرين الألمان كل التكاليف انطلاقا من مدن إقامتهم إلى غاية الجزائر[3]، خاصة في عهد الإمبراطورية الثانية.

أول الألمان الذين وصلوا إلى الجزائر كانوا ضمن صفوف قوات اللفيف الأجنبي التي تشكّلت في 10 مارس 1831م، وكانت الثكنة الرئيسية بحي مصطفى بمدينة الجزائر تضم 3168 جنديا في ديسمبر 1832: 69.3 % منهم ألمان، يمثلون 2196 شخص[4]، معظمهم لاجئون سياسيون وطلبة بالطب والمحاماة وموثقين، وان كان شارل أندري جوليان يقول بوجود كتيبة من البلجيكيين والألمان في

---

[1] بينيش: هي نوع من السفن ذات قاع مستو، مخصصة للنقل النهري للبضائع، وان كانت قد استعلت ايضا لنقل المسافرين عبر الانهار الأوربية خلال القرن 19م بالخصوص. ظهر هذا المصطلح أول مرة سنة 1804م ينظر: http://fr.wikipedia.org/wiki/P%C3%A9niche، بتاريخ 15 ماي 2014م.

[2] Jean Maurice Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie : 1830- 1918**, Edition Jacques Gandini, Nice. 2001. p.68.

[3] op. cit., p.69.

[4] Ibid, p. 12.

عنابة[1] أيضا، ولم يذكر عددهم، وهي أرقام لا تظهر في الإحصاءات العامة للسكان لأنها لم تكن تشمل القوات العسكرية.

قدمت إلى الجزائر 73 عائلة ألمانية مؤلّفة من نحو 500 شخص سنة 1832م كانت في طريقها إلى أمريكا، بعد أن تخلّى عنها العون المكلّف بنقلهم من ميناء لوهافر (le Havre) الفرنسي إليها، وتكفّلت بهم الحكومة الفرنسية بأن رحلتهم الى الجزائر في فبراير 1832م[2]، وأقام دو روفيقو 50 عائلة منهم في مركز دالي إبراهيم وزعت عليها 227 هكتارا من الأراضي، و23 عائلة المتبقية في مركز القبة، واستفادت من 93 هكتارا؛ ويقول سانت آرنو بأن أول المزارع الاستيطانية في الجزائر كانت في (دالي إبراهيم) والقبة[3]، مما يعني أن أولى المستوطنات في الجزائر استغلّها ألمان وليس فرنسيون، إلا أن القليل منهم بقي بسبب صعوبة التأقلم.

بالإضافة إلى الأسباب المعهودة الدافعة إلى الهجرة والتي كانت تخص كل دولة مع بعض التشابه في بعض الأسباب ذات الصلة بالظروف السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، هناك أسباب أخرى ساهمت بدرجات متفاوتة في هجرة الأوربيين إلى الجزائر، ومن ذلك الظروف الطارئة؛ كالحرائق، والجفاف، الكوارث الطبيعية، الأوبئة، والمردود الفلاحي القليل؛ وهذا يمس بالدرجة الأولى الفئة الفلاحية من المهاجرين التي كانت في تلك المرحلة تشكّل الأغلبية خاصة في اسبانيا.

---

[1] Ch. André Julien, **Histoire de l’Algérie contemporaine**, Volume1 : **la conquête et le début de la colonisation (1827-1871).** Edition Presses Universitaires de France. Paris. 1964. p.270.

[2] هذه القضية وظروفها وخلفياتها لا تزال تثير حتى اليوم الكثير من التساؤلات، خاصة وأن عملية مماثلة شملت عائلات سويسرية مشكّلة من 843 شخص تركت في ميناء دانكارك (Dunkerque) بشمال شرق فرنسا لمدة أربعة أشهر سنة 1846، وكانت في طريقها الى البرازيل. حيث تم توجيههم الى ستيدية وسانت ليوني بإقليم وهران (الباحث). للمزيد حول الحادثة، ينظر:

Jean Maurice Di Costanzo**, Allemands et Suisses en Algérie : 1830- 1918**, op. cit., p.58.

[3] سانت آرنو، المرجع السابق، ص.112.

كما كانت الظروف الخاصة سببا في الهجرة أيضا، حيث شكّل انعدام العدالة والشعور بالفشل سببا كاف لبعض الأشخاص إلى الهجرة وبداية تجربة جديدة في مكان آخر خارج الوطن، وفي بعض الحالات شكّلت وفاة أحد أفراد العائلة المحوريين دافعا كافيا لسفر البعض، بالإضافة إلى حالات أخرى كالأمهات العازبات اللواتي فضلن الهجرة أيضا لتحقيق وضعية أفضل[1].

رغم تلك الأسباب الكثيرة التي كانت تدفع بالألمان إلى الهجرة إلى الخارج، إلا أن الإدارة الاستعمارية وبعض الجهات الألمانية لم تترك وتيرة الهجرة على حالتها الطبيعة باتجاه الجزائر، حيث عملت عناصر السلك الديبلوماسي الفرنسي منذ 1840م على الاهتمام بمسألة الهجرة الأجنبية إلى الجزائر، وتدخل في هذا الإطار الهجرة الألمانية بشكل خاص، وكان هدف السلطات الفرنسية هو تغيير وجهة جزء من الهجرة الألمانية الكثيفة باتجاه أمريكا لمصلحة الجزائر، وتشكلت سنة 1841م لجنة مركزية للاستيطان للقيام بدور الوساطة بين المترشحين للهجرة والحكومات المعنية، وبالموازاة مع ذلك شكلت بعض الإمارات الألمانية جمعية لحماية المهاجرين متكونة من 27 شخصية من اكبر الهيئات الألمانية، هدفها توجيه وتوطين المهاجرين، في الوقت الذي كانت فيه البعثات الديبلوماسية الفرنسية تقوم بتوزيع كتيبات (*Brochures*) لتعريف الألمان بشروط الهجرة إلى الجزائر، وطرق تأسيس مستوطنة بها[2].

رغم هذه المجهودات إلا أن السلطات الرسمية الفرنسية لم تكن مستعدة فعلا لاستقبال عدد كبير من الألمان، لأنها رفضت طلب من الجمعية الألمانية السالفة

---

[1] لقد تطرقت إلى هذا الموضوع الباحثة الفرنسية (Claudine Robert-Guiard)، من خلال موضوع: الأوربيات في وضعية استيطانية: الجزائر 1830–1939.

Claudine Robert-Guiard, **Des Européennes en situation coloniale : Algérie 1830-1939**, Publication de l'Université de Provence, 2009.

[2] Jean-Maurice Di Costanzo, « **L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890** », Mémoire de Maitrise, sous la direction de Emile Temime, Université des Sciences Humaines D'Aix Marseille 1, U.E.R. Histoire-Année 1984-1985, p.42.

الذكر بشأن توطين ألف عائلة ألمانية بالجزائر، كما رفض وزير الحرب في ديسمبر 1843م طلب تقدم به البارون مانقدان (*Gustave Mendgen*) في شهر جويلية من ذات السنة للسماح له بالنشاط من اجل تسهيل الهجرة الألمانية إلى الجزائر في مملكتي بافاريا ووارتمبرغ، وبعد إلحاح من البارون بدعوى أن هناك نحو ألف ألماني يرغبون في الهجرة إلى الجزائر في فبراير 1844م، قبلت الإدارة الاستعمارية طلبه بشرط أن ترسل كل الطلبات إلى وزارة الحرب عبر السفارة الفرنسية في الكونفيدرالية الألمانية، وبعد دراسة طلبات المترشحين للهجرة قبلت الإدارة عشرون طلبا في أكتوبر 1844م من أصل قائمة تضم 130 عائلة تسلّمتها وزارة الحرب، لأنها لم تقبل إلا بالعشرين عائلة الأكثر غنى[1] رغم أن العائلات الأخرى كانت قد باعت كل ما تملك في ألمانيا ومتهيئة للذهاب إلى الجزائر، الأمر الذي شجع على ظهور ظاهرة تزوير أختام الإدارة ومنح عدة جوازات سفر مزورة خاصة في بافاريا في شهر مارس 1846م.

ان الإدارة الاستعمارية في السنوات الأولى لحكم بيجو رغم سعيها الحثيث لجلب الألمان إلى الجزائر، إلا أن الظروف الأمنية واستمرار المقاومة المسلّحة أجبرها على التريث، حيث لم يرتفع عدد الألمان خلال السنوات الخمس الأولى لحكم بيجو الا ب 326 عنصرا فقط.

وقد مرت الهجرة الألمانية إلى الجزائر بثلاث مراحل[2]:

المرحلة الأولى: 1833–1846م: بلغت خلالها نسبة الزيادة 24,3 %؛

المرحلة الثانية: 1846–1851م: بلغت نسبة الزيادة 20,7 %؛

المرحلة الثالثة: 1851–1854م: نسبة الزيادة بلغت خلالها 55 %.

ام تطور عدد الألمان بالجزائر إلى غاية سنة 1846م فكان على حسب ما هو موضح في الجدول التالي:

---

1 Jean-Maurice Di Costanzo, **« L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890** », op. cit., p.45.

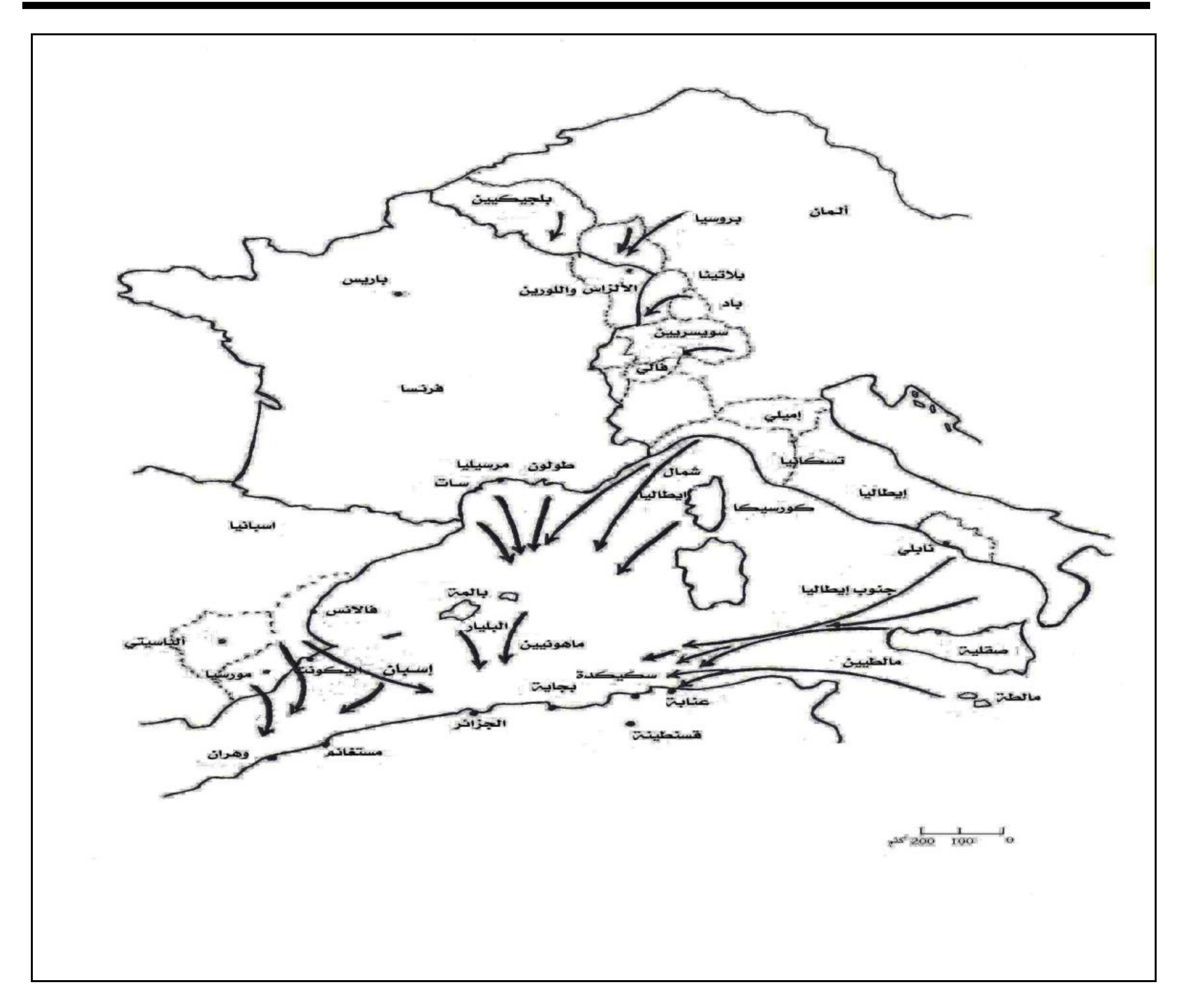
2 Ibid. p.22.

العدد	السنة
692	1833
719	1835
845	1838
1207	1841
1533	1846

(الجدول رقم 5). تطور عدد الألمان بالجزائر بين 1833–1846م[1].

يلاحظ من خلال الأرقام بأن عدد الألمان بالجزائر قد تضاعف تقريبا بين سنوات 1833–1841م ووصل إلى 1533 نسمة سنة 1846م، مع الإشارة الى أن أكبر فترة للهجرة الألمانية كانت خلال الإمبراطورية الثانية كما هو موضح في المرحلة الثالثة أعلاه، وهو ما سنتعرض له بالتفصيل في الفصل الثاني، كما يلاحظ أيضا بأن عدد المهاجرين الألمان إلى الجزائر كان بأعداد قليلة مقارنة بالمهاجرين الاسبان والايطاليين وبدرجة اقل المالطيين، بسبب كثرة من عاد منهم وبسبب الانطباعات السيئة التي حملوها معهم عن الظروف المناخية والأمنية والصحية بالجزائر.

[1] Jean-Maurice Di Costanzo, « **L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890** », op. cit.,. p.23.



(خريطة رقم: 2). الهجرات الأوربية إلى الجزائر خلال الفترة الاستعمارية[1].

7 الهجرة الفرنسية:

كانت نسبة الزيادة الطبيعية في فرنسا خلال القرن 19م منخفضة، مقارنة بالولايات الألمانية، بريطانيا، اسبانيا، والإمارات الايطالية، ولم تكن تملك القدرة على تعمير مستعمرتها بمفردها ولذلك كان لزاما عليها البحث عن معمرين في مكان آخر من أوربا.

وربما لذلك كان الفرنسيون يشكّلون أقلية بالجزائر في البداية مقارنة بمجموع الأجانب، ليتضاعف عددهم بين سنوات 1841 و1846م زمن الاستيطان الرسمي الذي باشره بيجو، ومع ذلك لم يشكّل العنصر الفرنسي الأغلبية في الجزائر إلا

[1] Géo histoire, Avril- mai 2012. (بتصرف)

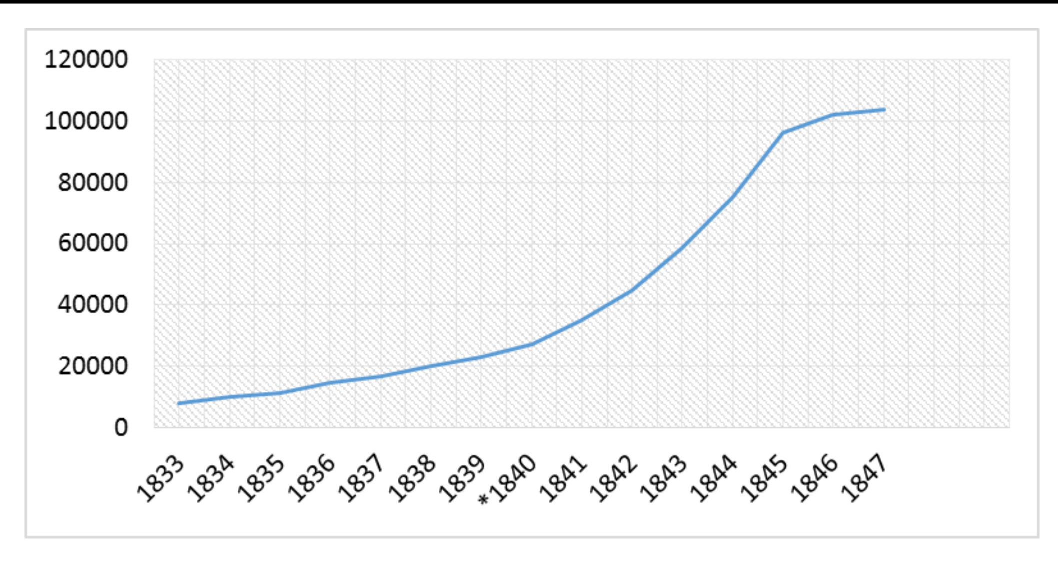
منذ سنة 1851 م[1]، رغم أن الإدارة الاستعمارية صخّرت لعملية تهجير الفرنسيين إلى الجزائر إطارات سياسية وقدرات مادية وبشرية هائلة، وأهمها أرض الجزائر مجانا بعد أن انتزعت من أصحابها الشرعيين عنوة وظلما، وفق مبدأ الحق للأقوى، ويرجع آلان لادريي أسباب قلّة عدد الفرنسيين بالجزائر إلى ضعف الإرادة السياسية منذ البداية، وقلّة التشهير للمستعمرة، إلا أن ذلك لا يبدو دقيقا بالنظر إلى الكم الإعلامي الهائل الذي خصص للاحتلال العسكري الفرنسي للجزائر في الصحافة الفرنسية والأوربية.

رغم إحجام الفرنسيين على القدوم إلى الجزائر في البداية، إلا أن الأرقام تظهر ارتفاعا مضطردا لعددهم بالمستعمرة خاصة منذ بداية عهد بيجو، الذي تمّكن من جلب من 30000 منهم خلال فترة حكمه، حيث وصل عددهم إلى 46339 نسمة سنة 1846م، بعدما كان 15497 نسمة فقط سنة 1841م[2] عبر الإغراءات الكثيرة، ومع ذلك كان عددهم قليل بالقياس إلى مجموع عدد الأوربيين، وهو ما يجعلنا نؤكّد بأن وجود فضاءات أخرى للاستيطان جنب الجزائر موجات هائلة من المهاجرين أو على الأقل جزء هام منها، وهذا ما غير الكثير من المعطيات على أرض الواقع.

وكانت حصيلة مجموع المهاجرين الأوربيين خلال هذه الفترة على الشكل التالي من اعداد الباحث:

[1] Marc Baroli, **l'Algérie terre d'espérance, colons et immigrants (1830-1914),** L'Harmattan, Paris.1992.p.29.

[2] Kamel Kateb, **Européens, « Indigènes » et juifs en Algérie (1830-1962), op. cit.,** p.29.



(رسم بياني رقم 2). تطور عدد الأوربيين بالجزائر بين 1833–1847م[1].

وتبدو جليا فترة بيجو التي ارتفع خلالها عدد المهاجرين الأوربيين الى الجزائر، حيث تضاعف عددهم بأربع مرات خلال فترة إدارته، حيث ارتفع العدد كما هو موضح في الجدول من 27075 نسمة سنة 1840م إلى 103893 سنة 1847م، ولذلك كانت فترة بيجو محورية حيث وضع أسس العملية الاستيطانية واستطاع لفت الانتباه للجزائر، حتى أن العملية الاستيطانية لم تتأثر كثيرا بعد نهاية فترته بل استمر توافد الأوربيين إلى المستعمرة، مع مراعاة بعض الظروف الخاصة التي مرت بها الدول مصدر الهجرة إلى الجزائر وظروف أخرى عامة مست معظم الدول الأوربية.

8 موقف الدول الأوربية المعنية من هجرة رعاياها إلى الجزائر:

تباينت المواقف الرسمية لدول وحكومات المناطق المعنية بالهجرة إلى الجزائر من مغادرة رعاياها إلى المستعمرة تبعا للظروف العامة لتلك الدول السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، والتي كانت تتشابه إلى حد بعيد.

---

[1] Xavier Yaccono, **Histoire d'Algérie : de la fin de la Régence turque à l'insurrection de 1954**, Editions de l'Atlanthrope. Paris. 1993. p.143.

1.8 موقف الحكومة الاسبانية من الهجرة:

لم تول الحكومة الاسبانية في البداية أية أهمية لهجرة الاسبان إلى الجزائر بسبب ظروف البلاد الداخلية، ثم بدأت تعي خطورة تلك الظاهرة على البلاد، ولذلك شرعت في الحد منها من خلال سعيها إلى بذل مجهودات في الميدان الاقتصادي بالخصوص لخلق فرص عمل، حيث أدخلت الآلات البخارية إلى ميدان النسيج والى صناعة الأحذية، وشرعت في الاهتمام بالقطاع الزراعي من أجل التقليل من النزيف السكاني[1]، إلا أن استمرار الأزمات الاقتصادية والاجتماعية صعب من تلك المهمة، خاصة إذا علمنا بأن خطوك السكك الحديدية الجديدة قربت سكان الريف من الساحل مما سهل عليهم عملية الهجرة بدورهم.

كما نتج عن عدم الاستقرار الاقتصادي وتسريح العمال وتأخر الأجور في المنطقة الجنوبية الشرقية القريبة من الساحل الغربي للجزائر بالخصوص، تضخم في العمالة وتراجع في الأجور بسبب النزوح الريفي، في وقت ارتفعت فيه أسعار المواد الاستهلاكية؛ وما دامت الحكومات الاسبانية لم تقو على منع اضطرابات العمال الناتجة عن الفقر والبؤس، كان من الصعب عليها منع الهجرة، خاصة إذا علمنا بأن المسافة قريبة وسعر التذكرة بسيط بسبب المنافسة بين الشركات الناقلة الفرنسية والاسبانية، علاوة على انعدام الحواجز في الغالب عند الوصول لأن الحملة الاشهارية الداعية إلى الهجرة إلى الجزائر كانت تقوم بها وكالات بمبادرة من الإدارة الاستعمارية منذ 1840م من أجل استقطاب اليد العاملة الاسبانية[2]، وفيما بعد أصبح ربابنة السفن المخصصة لنقل المهاجرين هم من تولّى العملية الاشهارية من خلال عمال سريين يعملون لمصلحتهم الخاصة[3] مستغلين الانتفاضات الشعبية التي كانت تقوم في المناطق الأكثر بؤسا في البلاد، كتلك التي شهدتها (ملقا) سنتي 1843م، و(فالانس)، (كطالونيا) و(أليكونت) سنة

[1] Claude Liauzu, op. cit., p.66.

[2] Ibid, p.68.

[3] Ibid. p. 74.

1844م، وكذا فترات الجفاف ورداءة المحاصيل الزراعية في تلك المناطق سنتي 1844–1848م بالخصوص. وما دامت الجزائر على بعد ساعات فقط من اسبانيا فقد استقطبت أعدادا معتبرة من الاسبان طيلة أكثر من قرن من الزمن، ويبرز دور العامل الجغرافي في هجرة الاسبان الى الجزائر بجلاء بعد دراسة المناطق التي كانت مصدر تلك الهجرة، حيث كانت غالبيتها مقابلة للسواحل الجزائرية: (مورسيا)، (أليكونت)، (فالانس)، (قرطاجنة)، (جزر البليار) و(ألميرية)[1]، ويبرز دور العامل الجغرافي جليا إن نحن علمنا بأن سكان المدن الداخلية والشمالية الغربية مثل (غاليس)، (الباسك)، (كطالونيا) و(برشلونة) فضلوا الهجرة إلى أمريكا الجنوبية مستعملين السواحل الأطلسية لإسبانيا. وتشير الدراسات إلى أن 80 % من الاسبان المهاجرين إلى الجزائر كانوا أميين، الأمر الذي ساعد الاسبان في الجزائر على المحافظة على خصوصياتهم الثقافية بالخصوص، لأنهم حسب جوردي لم يكونوا يعرفون غيرها.

8. 2 موقف الولايات الألمانية:

تباينت مواقف الولايات الألمانية من الهجرة تبعا لدرجة التصنيع، والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي بها، حيث كانت الولايات الواقعة في وسط البلاد والولايات الساحلية مثل (برام) و(همبورغ) تسعى إلى وضع إجراءات قوية وناجعة لمنع الهجرة، من منظور أحد الاقتصاديين الألمان حيث قال: "يشكل المهاجرون الألمان بممتلكاتهم إلى روسيا، أمريكا، استراليا والجزائر خسارة للوطن، لأنهم يتحولون إلى زبائن وممونين لشعوب أخرى منافسة أو عدوة"[2].

كانت بعض المجالس البلدية، على النقيض من ذلك، تمنح المبلغ اللازم لكل الراغبين في الهجرة، ولكن ذلك الإجراء اقترن بقرار آخر يمنع رجوعهم إلى البلاد. وان كانت فرنسا قبلت دفع تكاليف السفر لبعض الألمان الذين رغبوا في العودة إلى البلاد، إلا أن تلك المجالس البلدية رفضت استقبالهم، وكانت

---

[1] Claude Liauzu, op. cit., p.69.

[2] Jean-Maurice Di Costanzo, **L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890**, op., cit. p.36.

الصحافة الألمانية بشكل عام معارضة لهجرة الألمان وتهجيرهم أيضا، وكتبت جريدة (*Schabische Kronik*) في عدد 7 أفريل 1854م مقالا شجبت فيه قيام بلديتي روثويل (*Rothweil*) وتورينقان (*Thuringen*) بالتخلص من فقرائها عبر دفعهم للسفر بعد أن رجع البعض منهم في حالة مزرية[1].

كانت مقاطعة باد (*Bade*) الواقعة غرب ألمانيا الوحيدة التي تركت الحرية ووضعت الإمكانيات اللازمة لكل الراغبين في الهجرة إلى الجزائر، في وقت كانت فيه مقاطعات ألمانية أخرى تحتم على المحتاجين والبؤساء الهجرة، حيث كانت تقوم بتزويجهم في عجالة يوما واحدا قبل الذهاب لكي يستوفوا الشروط.

8. 3 موقف الإمارات الإيطالية:

بما أن السكان الايطاليين كانوا لا يملكون الغذاء الكافي لجأوا الى الفرار عبر هجرة عشوائية وفوضوية، ولم تتخذ الحكومات أي قرار بشأنها خاصة قبل الوحدة السياسية للبلاد سنة 1870م، لأن كل من (روما)، (نابلي)، (فلورنسا)، (طورينو)، (ميلانو) و(البندقية) كانت في منافسة اقتصادية وسياسية وعسكرية داخل ذلك الفضاء الإيطالي المشتّت[2]، ولم تكن الهجرة من أولوياتها.

لم يعالج الليبيراليون الذين وصلوا الى الحكم 1876م المشكل، ولا الاشتراكيون بعدهم، واقتصر نقاشهم السياسي العقيم مع نهاية ق 19م حول هل يمكن محاربة الهجرة باعتبارها خسارة في العمالة للوطن، أم بالعكس يجب تشجيعها لأنها قد تشكّل عامل ثراء لإيطاليا في المستقبل، في حين نادى طرف ثالث بضرورة السماح لغير المرغوب فيهم والمحكوم عليهم فقط بالهجرة، وفي خضم ذلك الصراع السياسي كان النزيف البشري مستمر، حيث بلغ مجموع عدد المهاجرين

---

[1] Jean-Maurice Di Costanzo, **L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890**, op., cit. p.37.

[2] Ensemble d'auteurs, **l'Italie par elle-même : lieux de mémoire Italiens de 1848 à nos jours,** sous la direction de Mario Isnenghi, 2è édition, Editions RUED'ULM, Paris 2013, p. 30.

الايطاليين 14027100 نسمة بين 1876–1915م، 49% منهم كان نحو أوروبا والأمريكيتين[1].

4.8 موقف الحكومة البريطانية من هجرة المالطيين:

في الوقت الذي كانت فيه فرنسا في صراع بين أنصار الاستيطان والمعارضين له، كانت انجلترا مترددة بين الضغط على السكان في الجزر المالطية وعدم السماح لهم بتطوير القوة الغريمة فرنسا، وبين غض النظر عنها، ولقد اختارت الخيار الثاني إدراكا منها بأن هناك أزمة في وسائل النقل، ومن يتمكّن منهم من السفر رغم ذلك فله ذلك[2]. ولقد أشار دوناتو إلى أن السلطات البريطانية بالجزيرة شجعت على الهجرة باتجاه الجزائر ثم تونس فيما بعد، أو على الأقل لم تقم بعرقلتها لأنها لم ترد هجرة منظمة تستهلك مبالغ كبيرة من ميزانية الدولة، بعد أن عجزت بكل الوسائل عن توجيهها إلى المستعمرات الانجليزية البعيدة، لأن المالطيين فضلوا البقاء في حوض البحر المتوسط: مصر للعمل، تونس للتجارة والجزائر للاستيطان[3]، بسبب القرب الجغرافي واللغة العربية القريبة من لغة المالطيين، بالإضافة إلى إمكانية العودة في حالة الفشل، علاوة على أن المالطيين رفضوا العيش في مناطق تدين في غالبيتها بالبروتستانتية والسفر إليها يكلّف غاليا، بالإضافة إلى مشكل اللغة الانجليزية التي لم يكن يحسنها المالطيين[4]، كما أن الهجرة إلى أستراليا وأمريكا كانت تشكل بالنسبة لهم موطن هلاك وأمراض غريبة وقاتلة.

9 تقييم فترة بيجو الاستيطانية:

وضع بيجو منذ 1840م مشروعا استيطانيا للجزائر شمل كل طبقات المجتمع وفئاته العاملة بغية تخفيف العبء على الجيش، وكان يسعى إلى عدم تضييع

---

[1] Romain H. Rainero, « **Un impérialisme sans base économique : le cas de l'Italie (1869-1939)** », pp. 1- 27. In : https://www.departement06.fr/documents/...les.../rr187-**imperialisme**.pdf

[2] Marc Donato, op.cit.p.42.

[3] Ibid. p. 42.

[4] Nathalie Bernadie, **Malte parfum d'Europe souffle d'Afrique**, Presses Universitaires, Bordeaux.1999.p.96.

الوقت بالتركيز على الاستيطان والقيام بالحرب لمواجهة المقاومة الباسلة التي أبداها الشعب الجزائري في ذات الوقت، وكان يصبو إلى الوصول إلى عدد كاف من المستوطنين الفرنسيين لتحرير الجيش من مناطق تواجده في المدية وسطيف ومليانة ومعسكر والبليدة، لكي تكون لديه حرية الحركة والمناورة، وطالب بالاستيطان بعدة أشكال:

- الاستيطان العسكري بجنود أنهوا الخدمة وبالاحتياطيين أيضا؛
- الاستيطان بالخواص؛
- الاستيطان بالمحبوسين للعمل؛
- الاستيطان بالشركات الرأسمالية الكبرى بهدف فتح مؤسسات لها بالجزائر، واقترح أن يتم جلبها بطعم الربح الوافر؛
- الاستيطان بالعرب، على أن يكون ذلك في قرى بمناطق غنية لتحقيق هدفين أحدهما سياسي وثانيهما اقتصادي، وذلك لجعلهم اقل نزعة للحرب، وكذا لتسهيل جمع الضرائب منهم[1].

هكذا كان تصور بيجو للاستيطان بالجزائر، على الأقل إلى غاية نوفمبر سنة 1841م تاريخ كتابة هذا التقرير، إلا أن السلطات الفرنسية العليا لم تستجب لمشروعه بالإيجاب بسبب استمرار مقاومة الشعب الجزائري، ولذلك اكتفى بتنفيذ جزء منه فقط، إلى أن ثارت ضده معارضة شديدة انتهت به إلى الاستقالة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وكان وزير الحرب منذ وقت مبكر يراسل مساعدي ولاة المقاطعات الفرنسية ويعلمهم بأن طلبات الهجرة لمن تتوفر فيهم الشروط توجه الى وزير الحرب مباشرة، في رسالة بتاريخ 5 نوفمبر 1838م، وأرسل إلى المكلّف العسكري بميناء طولون بجنوب فرنسا بعدم استقبال تحت أي سبب كان مهاجرين بتراخيص من الولاة أو رؤساء البلديات، وانتهى المطاف بوزير الحرب إلى إرسال مرسوم بتاريخ 5 جوان 1846م موجه إلى حكام الولايات بفرنسا يدعوهم فيه إلى استقبال نوعين من المهاجرين فقط حسب احتياجات

---

[1] Rapport de Bugeaud au ministre de la guerre.26/11/1941. ANOM., Série F80, Carton F/80/1791.

المستوطنة؛ فئة العمال ذووا تخصصات ذات صلة بقطاع البناء للعمل لدى الخواص آو بورشات الحكومة، وبعض النسوة للعمل بالخياطة والبيوت والمزارع، بشرط امتلاك المعنيين لشهادة من رؤساء بلدياتهم مؤشّرة من الولاّة تحتوي على جنس المعني ومهنته وأخلاقه وإمكانياته المالية، وعدد أفراد عائلته الراغب في اصطحابهم، بشرط ألا تقل أعمارهم عن 12 سنة، وكذا شهادة طبية تثبت سلامة المعنيين[1].

كان استقبال العمال يتم في مستودعات في كل من الجزائر، عنابة، سكيكدة ووهران، وكان يتم تعيين ميناء الإبحار والرسو للمعنيين سلفا، ولا يجب الإبحار من موانئ أخرى غير تلك المبينة في الوثيقة. أما فئة المستوطنين الراغبين في الحصول على ملكية ارض لاستغلالها فيجب ألا تقل إمكانياتهم المالية عن 4000 فرنك، وبالشروط السابقة، مع إضافة وثيقة رسمية أخرى من الموثق تثبت المبلغ الحقيقي الذي يتوفر عليه المعني، أما الأشخاص المتوفرين على رأس مال كبير فيقدمون طلباتهم إلى وزير الحرب شخصيا[2]، وهي وثيقة تبين الاستيطان النوعي الذي كانت تسعى الحكومة الفرنسية إلى زرعه في الجزائر، كما تبين في ذات الوقت سوء التفاهم الذي كان قائما بين السلطات المركزية في باريس وبين بيجو.

أما تقييم الفترة بصفة عامة، فان عدد الفرنسيين الذي استقر بالجزائر مقارنة بعدد الأوربيين كان قليل جدا، وبالمقارنة أيضا مع طموحات الطبقة السياسية الاستعمارية خاصة في مرحلة بيجو والتي تعاملت مع الهجرة بصرامة، خاصة الفرنسية منها، وهذا التدخل من الدولة في كل مراحل العملية الاستيطانية وفي تسيير هذا وذاك لم يشجع الفرنسيين على المجيء إلى الجزائر[3]، وهي

[1] ANOM.GGA, Série F/80, op. cit., Carton : F/80/1793.

[2] Circulaire adressé sur la demande du ministre de la guerre, aux préfets des départements. Le : 16 juin 1846. ANOM.GGA, Série F/80, ibid,

[3] G. De Feullide, l'Algérie française, Henri Plon Imprimeur Editeur, Paris, 1856, p.20.

طريقة بالية كما قال أحدهم، أما هجرة باقي الأوربيين وخاصة منهم الاسبان والمالطيين والايطاليين فكانوا يأتون للعمل بسواعدهم وليس للاستيطان إلا فئة قليلة منهم ممن تستوفي الشروط وخاصة المادية منها.

كما أن المبالغة في وصف الجزائر بالجنة وحيث كل شيء في متناول اليد بإيعاز من الإدارة الاستعمارية كان له تأثيره السلبي على الهجرة أيضا، لأن ذات الإدارة لم تستطع إن توف بوعودها لهؤلاء المهاجرين جميعا، ولذلك فمن الذين جاءوا في المرحلة الأولى مات من مات منهم، ورجع من رجع ولم تبق إلا الفئة التي استفادت من ضيعات وأراض، والفئة الفقيرة والبائسة منهم أيضا، لأن هنا أو هناك سيان بالنسبة لها. كما أن مقاومة الشعب الجزائري عن أرضه وسيادته أخلطت أوراق المحتل، ولولاها لاختلف الأمر ولسارت الأمور في منحى آخر مخالف تماما.

وفي الوقت الذي كانت فيه الأملاك والأراضي تنتقل من أصحابها الشرعيين لفائدة المحتل ومعاونيه، هناك من الفرنسيين من رأى بان ذلك ليس كافيا حيث علق فينيو على هذه الفترة قائلا "المستوطنات الوحيدة التي في تزايد هي المقابر"[1]، مما يعني أن الطبقة السياسية الفرنسية كانت تدرك أن فرنسا من دون الجزائر هي شيء آخر.

10 آثار الاحتلال الأولى:

بعد أن فرضت فرنسا الاستعمارية الاحتلال على الجزائر بقوة السلاح، لجأت الى السيطرة على أراضي الدومين بموجب مرسوم 8 سبتمبر 1830م ، ثم

امتد نظرها إلى أراضي الحبوس والأوقاف الدينية بموجب مرسوم 7 ديسمبر 1830م بالتحايل على الشريعة الإسلامية التي تحرم بيع تلك الأراضي، فقامت بوضع عقود إيجار شكلية لها طويلة الأمد (99 سنة)، و بعد هذا وذاك لجأت

[1] Louis Vignon, La France dans l’Afrique du Nord, Algérie et Tunisie, Librairie Guillaumin et Cie, Paris 1887, p.17.

إلى مصادرة أراضي القبائل الثائرة والأراضي البور، بحجة أن الأرض كلها تنتمي إلى المدنية البشرية كما كتب مول سنة 1845م، "وكل جنس غير قادر يجب أن ينقرض بالضرورة كما انقرضت بعض أنواع الحيوانات التي لا نجد لها أثرا إلا في البحوث العلمية"[1]، وبدأت السلطات الاستعمارية بقتل وطرد ونفي كل من يقاوم ويدافع عن حريته وحقّه في العيش بكرامة، ومجزرة العوفية بالضواحي الشرقية لمدينة الجزائر (الحراش) سنة 1832م، ومدخنة (غار الفراشيش) بجبال الظهرة سنة 1845م خير شاهد على ذلك، ناهيك عن النفي الذي طال الكثير من أعيان الجزائر إلى فرنسا تحت تأثير ضغط الجنرال كلوزيل والدوق دوروفيقو وكان من بينهم (حمدان خوجة)، ثم تلاهم (مصطفى الكبابطي) مفتي المالكية وابنه، ومدرس الجامع الكبير بالجزائر(سيد أحمد بن عاشور)، وكان من المزمع إرسالهم إلى جزيرة مارغريت حسب تقرير قدم إلى وزير الحرب بتاريخ 7 جوان 1843م، قبل ان يتراجع ويقبل بطلبهم بالذهاب إلى مدينة الإسكندرية بقرار من وزير الحرب في رسالة تليغرافية بتاريخ 9 جوان 1843م[2]. أما أحمد بوضربة فقد ذهب إلى فرنسا ليدخل ابنه (إسماعيل)[3] في مدرسة *(Louis le grand)* بباريس، بعد أن منحته الإدارة الاستعمارية منحة[4] بغرض ابعاده من الجزائر من دون شك[5]، كما طال النفي أيضا حمدان بن أمين السكة، بالإضافة إلى 25

---

[1] L. Moll, **Colonisation et agriculture de l'Algérie**, tome 1, Libraire agricole de la maison rustique, Paris, 1845, p.108.

[2] ANOM. Série 1H, Carton.1H/1.

[3] ولد اسماعيل بوضربة بمدينة مرسيليا الفرنسية بتاريخ 25 يناير 1823م، بعد اتمام دراسته عين كمترجم مؤقت للجيش الفرنسي، حيث شارك في الحملة على الأغواط، ميزاب وتقرت بين 1854–1855م، كلفه الماريشال راندون بتاريخ 1 اوت 1858م، بالقيام برحلة استكشافية وتفقدية الى غاية غات بالجنوب (R'at) التي تبعد عن الاغواط ب 1400 كلم. ينظر:

Narcisse Faucon, Livre d'Or de l'Algérie : Histoire politique, militaire, administrative, évenement et faits principaux de 1830 à 1889, Tome 1, Challamel et Cie, Editeurs, Paris, 1889, pp. 101-103.

[4] Clauzel au ministre de la guerre. Le 21/04/1831. ANOM.1H/1, op. cit.

[5] تؤكد هذا الرأي رسالة من الماريشال دو روفيقو بتاريخ 21 جوان 1832م، ترجى فيها وزير الدفاع بعدم السماح لبوضربة بالعودة الى الجزائر، لأنه قد يتسبب في الكثير من المتاعب لفرنسا، عبر اثارة المسلمين،=

شخصية من عنابة تم إبعادهم إلى مرسيليا بتهم مختلفة ومنها التجسس لفائدة بن زعموم حسب تقرير إلى وزير الحرب بتاريخ 21 سبتمبر 1832م، ومنهم دحمان بن اسماعيل، مصطفى بن خليفة، ناصر بن علي بن عمر، أحمد بن محمد وابنه وغيرهم، وهناك رسائل كثيرة من بعض هؤلاء من الخارج تقول بأنهم غرباء ويطلبون العودة إلى الجزائر. كما أشار بيليسييه أنه يوم 16 ماي 1843م تم الاستيلاء على زمالة الأمير عبد القادر، وتم أسر 3000 شخص، منهم عائلة محمد بن علال لمبارك، وعائلة الخروبي الكاتب الأول للأمير، وعدد آخر من الزعماء المؤثرين، وتم فصل الشخصيات المهمة وعددهم أكثر من 200 فرد حيث تم نفيهم إلى جزيرة سانت مارغريت على السواحل الشرقية لجنوب فرنسا[1].

كما هاجر آخرون من تلقاء أنفسهم فرارا من البطش والقهر والتقتيل والإفقار، إلى المغرب وتونس في البداية، ثم إلى وجهات أخرى ذات صلة بالأمير عبد القادر بعد سنة 1852م.

كان الأمير قد أُسر سنة 1847م، ولم تف السلطات الفرنسية بوعودها لقائد المقاومة الوطنية، بسبب خوفها من أن يواصل مقاومته انطلاقا من بلد أجنبي[2]، وكان الأمير قد طلب اللجوء إلى الاسكندرية أو إلى عكّا، ولم ترغب الإدارة الاستعمارية في إرسال الأمير إلى تلك الأخيرة لأنها كانت تابعة للباب العالي الذي لم يعترف بالاحتلال الفرنسي للجزائر[3]، أما الاسكندرية التي كانت تابعة لمحمد علي، فلم يرسل إليها لأن والي مصر طلب وقتا للتفكير بخصوص الشرط الفرنسي القاضي بالتعهد بحراسة الأمير.

= بل وأضاف بأنه من دون شك على اتصال بالعاملين الذين أرسلهما الداي حسين للقيام بأعمال لصالحه، ينظر:

ANOM, GGA. 1H/1.

[1] E. Péllissier de Reynaud, **Annales Algériennes**. Tome 3, J. Dumaine, Libraire-Editeur, Paris. 1854. p.72.

[2] Journal des Débats, du 18 janvier 1848.

[3] Michel Levallois, **Ismayl Urbain : (1812-1884) Une autre conquête de l'Algérie** ; Maisonneuve et Larose. Paris. 2001, p.607.

وحتى عندما اقترح الأمير مكة بعد أن سمع بأنه محتجز في فرنسا رفضت الإدارة الفرنسية تلبية طلبه خوفا من تعاظم نفوذه الديني بها، والذي قد يستعمله في كفاحه ضد الفرنسيين.

ظل الأمير بصفته أسير حرب[1] قابع في السجون الفرنسية إلى غاية إطلاق سراحه من قبل نابليون الثالث بعد أن تلقّى منه رسالة تضمنت قبول شرطه مرغما بعدم الرجوع إلى الجزائر، وكتبت الرسالة بتاريخ 30 اكتوبر 1852م بقصر سان كلو (St Cloud) بباريس، ومن بين ما احتوت عليه الوثيقة: " وهو أعطاكم عهد الله وميثاقه، وعهود جميع الأنبياء والمرسلين، انه لا يخالف أمانتكم فيه ولا يخرج عن عهدكم ولا ينسى فضلكم، ولا يرجع إلى قطر الجزاير (الجزائر) أبدا..."[2].

تظهر هذه الوثيقة ما آلت إليه الجزائر بعد اثنين وعشرين سنة من الاحتلال، حيث باتت محرمة على أبطالها وخيرة أبنائها، وفي المقابل بات بطالوا اوروبا ينعمون بخيراتها بتواطؤ من الإدارة الاستعمارية، بل ويعيثون فيها فسادا بأخلاقهم المنحطّة وعاداتهم السيئة.

وكان نتيجة لتلك الممارسات العدوانية أن أصبح المجتمع الجزائري يئن من الفقر والجوع وفريسة للتهجير والنفي، ناهيك عن ممارسات الأوربيين الجدد غير الأخلاقية في الغالب كانتشار الدعارة بين الأوربيات[3]، وفتح أكثر من 1500 منهم

[1] في ظل غياب أية وثيقة رسمية تثبت غير ذلك.

[2] Lettre de l’Emir Abelkader à Napoléon III, 30 octobre 1852, Musée de Paris, Série : Armoire de fer, Cote : AE/I/ 21/ 3.

ينظر الملحق رقم 7.

[3] كان تطور عدد النساء الاوربيات بالجزائر كالآتي: 1830: 66 امرأة . **1831**: 483 امرأة . **1832**: 823 امرأة . 1833: 180 امرأة . 1834: 1327 امرأة، للمزيد ينظر:

Claudine Guiard**, Européennes en Algérie de 1830 à 1939**, DEA de l’histoire contemporaine, sous la direction de Geneviève Dermenjian, Université de Provence, Aix Marseille, 2000. (Document 2 du chapitre 1).

لمحلاّت لبيع الخمور والتبغ[1]، وكتب في هذا الشأن رئيس محكمة مدينة سطيف سنة 1863م قائلا:" إن سكان الجزائر الأوربيين استهلكوا من الخمور والمسكرات أكثر مما استهلكته كل أجزاء العالم الأخرى مجتمعة"[2].

ولم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب، بل بدأت تظهر أيضا أمراض استقدمت من أوروبا كالكوليرا التي انتقلت من عناصر الجيش الفرنسي إلى الأهالي سكان الجزائر، فمنذ الأيام الأولى من شهر جويلية من سنة 1835م قدم إلى الجزائر عدد كبير من الأشخاص عبر السفن البخارية التجارية والعسكرية كان على متنها مصابين بالكوليرا، وأصبحت بذلك مدينة الجزائر مهددة بذلك الداء الفتّاك، مما دفع بالكثير من السكّان إلى مغادرة المدينة في اليوم ال 14 من أوت 1835م، وفي اليوم الموالي غصت الطرق الضيقة بالجثث التي صعب حملها، ثم انتقلت العدوى بعد أيام من ذلك إلى البليدة ذات ال 4000 نسمة حيث توفي العديد.

استمر ذلك الوضع في مدينة الجزائر وضواحيها ومدن أخرى كبوفاريك، الدويرة، البليدة، المدية ومليانة مما انتهى بوفاة الكثير من سكانها[3]، وفي وهران وعنابة أيضا، وكان عدد الضحايا من المدنيين هو 1220 شخص جلهم من الأهالي، بالإضافة إلى 639 في صفوف الجيش الفرنسي.

إن وباء الكوليرا الذي لم تشهده الجزائر منذ سنوات، ظهر من جديد ولكن من مصدر آخر هذه المرة، فبعد أن كان مصدره إفريقيا التي كان يصل إليها التجار الجزائريون، ومن المشرق العربي خاصة في موسم الحج، ها هو اليوم يصل الجزائر من أوربا وبالضبط من القوات الفرنسية الغازية، لأن أول ضحاياه كان الماريشال فيلز جيمس (*filz-james*) قائد مخيم بوهران، وغالياني (*Galliani*) مدير مستشفى

---

[1] Benjamin Brower, **« Les violences de la conquête »**, in : Histoire de l'Algérie a la période coloniale, op. cit., pp. 58-70.

[2] Jules Caillat, « **Le voyage d'Alphonse Daudet en Algérie (1861-1862)** », L'utilisation des souvenirs, in : Revue africaine, volume 64, 1923.p.131.

[3] Arsene Berteuil, **l'Algérie française**, Tome 2, Dentu Libraire- Editeur, Paris, 1856, p. 310.

وهران العسكري سنة 1834[1]، وأول ضحية بمدينة الجزائر كانت في أوت من سنة 1835م، وهو ما يدل على أن الوباء جاء من أوربا هذه المرة وحصد المئات من الأهالي عكس المرات السابقة.

كما أن مستوى سكان الجزائر استمر في التراجع تبعا لتطور عدد الأوربيين، لأن الإدارة الاستعمارية كانت تأخذ من هذا لتعطي لذاك، ولذلك كما يقول أونفونتان: "استمر الأهالي في الافتقار ونقص في المعنويات"[2]، وذلك منذ السنوات الأولى من الاحتلال، ومع الأسف ما فتئت الأمور تزداد سوءا بزيادة المساحة المحتلّة وارتفاع عدد الأوربيين بالجزائر.

---

[1] Arsene Berteuil , op.cit.,p.312.

[2] Enfantin, **Colonisation de l’Algérie,** Bertrand Libraire, Paris, 1843, p. 478.

الفصل الثاني

- أوضاع فرنسا العامة سنة 1848م وتأثيرها على الجزائر
- الجزائر خلال فترة حكم نابليون الثالث
- مشاريع استقدام عناصر غير أوربية الى الجزائر
- تطور الجاليات الأوربية بالجزائر
- السياسة الرأسمالية للإمبراطورية الثانية بالجزائر
- التعمير بالمؤسسات الكبرى
- مخاوف الإدارة الاستعمارية من تركز الاسبان بالجهة الغربية للجزائر
- سيناتوس كونسيلت 1863/ 1865م
- يهود الجزائر

تمهيد : ظل الوضع السياسي في فرنسا هشّاً وغير مستقر تماما بعد ثورة أيام النصر الثلاث 27، 28 و29 من شهر جويلية 1830م، التي عصفت بنظام شارل العاشر، رغم سعيه الحثيث لاستعمال احتلال الجزائر كورقة سياسية للحفاظ على عرشه، وحلّ محلّه لويس فيليب *(Louis Philippe)*[1]، الذي لم يستغل بدوره، حسب معارضيه السياسيين، المستعمرة الجديدة للتخفيف من الضغط الاجتماعي على فرنسا، رغم نداءات كثيرة طالبت بضرورة استعمال المستعمرة للهجرة الجماعية، كالاشتراكي (لويس بلان)، والأب آونفونتان (*Enfantin*) وأموري (*Amaury*) صاحب مقولة: "ينبغي على الفائض من جبح النحل أن يطير بعيدا لخلق وطن جديد"[2]، وذلك بهدف تحقيق الإستقرار الاجتماعي والسياسي في فرنسا، عبر القضاء على الفقر من جهة، وفتح مجال أرحب لتصريف فائض السلع الفرنسية من جهة ثانية، والتخفيف من نفقات الجيش في الجزائر من جهة ثالثة.

1 أوضاع فرنسا العامة سنة 1848م وآثارها على الجزائر:

كان آموري يعي حجم المعاناة التي كانت تعيشها فئة كبيرة من المجتمع في فرنسا، وحدد الجزائر كوجهة لهؤلاء؛ لأن بيجو غادر الجزائر وقد فشل في مهمة تعميرها بعناصر فرنسية، على الأقل إلى درجة تضمن تفوقهم العددي مقارنة ببقية الأوربيين.

---

[1] لويس فيليب Louis Philippe: (1773 . 1850) ملك فرنسي بين سنوات 1830 . 1848م، عين على إثر ثورة 1830م جنرال للمملكة ثم ملكا في السابع من اوت، شهدت فترة حكمه عدة ثورات كالثورة الديمقراطية بتاريخ 6 جوان 1832م، وثورتي كل من مدينتي ليون وباريس سنة 1834م، وثورة لويس بونابارت بستراسبورغ سنة 1836م بارباس وبلانكي سنة 1839م، كما أنه تعرض الى عدة محاولات اغتيال منها محاولتي 1835 و1836م، انتهت فترة حكمه بثورة الباريسيين سنة 1848م. ينظر:

Le Petit Larousse illustrée, Paris, 1965, p. 1506.

[2] A. Amaury, **de l'Algérie et du paupérisme en France** : Typographie, Bastide libraire éditeurs. Alger.1848. p. 16.

تشكّل شرخ عميق بين حكومة مملكة جويلية وآلاف العاطلين عن العمل نتيجة الضغط الاجتماعي الذي كان مصدره البطالة والفقر والبؤس، مما أدى إلى اندلاع ثورة شعبية في باريس من 23 إلى 26 فبراير 1848م انتهت بقلب نظام حكم الملك لويس فيليب وسيطرة الجمهوريين على الحكم بعد فوزهم بأغلبية مقاعد البرلمان على إثر انتخابات 23 افريل 1848م، ولكن ذلك لم يكف لتهدئة الأوضاع السياسية والاجتماعية في البلاد.

لم تتمكّن الحكومة المؤقتة من إيجاد حلول نهائية لذلك الوضع المأسوي، واكتفت بفتح ورشات وطنية لامتصاص جزء من البطالة، تحت ضغط الأقلية الاشتراكية، الاّ أن نقص التمويل دفع بذات الحكومة إلى غلق تلك الورشات وتسريح من يعمل بها، ورفضت أي حوار مع مندوبي العمال، مما تسبب في اندلاع ثورة دموية في بعض الأحياء الشعبية بباريس، رافعة لشعارات تنادي بالعدالة الاجتماعية وبالعمل والخبز، ولم ينجح الجنرال كافانياك (*Cavaignac*)[1] الذي عينه وزير الحرب، في السيطرة على الثائرين الاّ بصعوبة بعد خسارته ل 1600 عسكري منهم ستّة جنرالات[2].

---

[1] كافانيك Louis- Eugène Cvaignac: جنرال ورجل سياسة فرنسي، ولد بباريس في 15 أكتوبر 1802م، كان من قادة الحزب الجمهوري خلال فترة لوبيس فيليب، أسس سنة 1831م بمدينة متز الجمعية الوطنية التي كانت موجهة لمقاومة التوجهات الاصلاحية للمملكة الجديدة، أبعد عن الساحة السياسية حيث عين حاكما عاما على الجزائر سنة 1832م، ثم رئيا للسلطة التنفيذية بفرنسا سنة 1848م، قمع ثورة الباريسيين في جوان من ذات السنة، عين وزيرا للحرب في 17 ماي 1848م، واضطر الى التنحي تحت ضغط نابليون الثالث. توفي بباريس قي 28 اكتوبر 1857م. ينظر:

Narcisse Faucon, Le livre d'or de l'Algérie, Tome 1- Biographies, Callamel et Cie, Editeurs, Paris, pp. 140-142.

[2] كانت خسائر الثائرين (الجمهوريين) 4000 شخص بالإضافة الى توقيف 11000 من الجمهوريين، منهم 4300 تم ابعادهم. ينظر:=

في خضم هذا الغموض انتخب نابليون الثالث[1] رئيسا للجمهورية الثانية في 10 ديسمبر 1848م، لأنه عرف كيف يجلب إليه النبلاء ويرضي الشعب الثّائر في آن واحد.

وعوض أن تطمئن الحكومة المؤقتة الجديدة البؤساء وأصوات الآلاف من الفرنسيين المنادية بالعمل، راحت توجه نداءا إلى المستوطنين بالجزائر في شهر مارس 1848م اهم ما جاء فيه:

" أيها المعمرون بالجزائر: ان الحكومة المؤقتة منشغلة جدا بوضعكم الخطير الذي ألتم اليه منذ زمن طويل، وهي تعرف أن جلّ حيرتكم متأتّية من فقدان اليقين المخيم إلى الآن على مستقبل الجزائر. إن الجمهورية ستدافع على الجزائر كدفاعها على الأرض الفرنسية، وسيقع النظر في مصالحكم المادية والمعنوية وتحقيقها "[2].

في حين اقتصر دورها الداخلي، لتهدئة الوضع، على تقديم وعود خيالية بإيجاد عمل لهم جميعا؛ ولكن مادام أن الصناعة لا يمكنها توفير مناصب عمل إلا في إطار رأس المال الذي تتوفر عليه، تعالت أصوات كثيرة داعية إلى التخلّص من الفائض السكاني، الذي كان يخل بالتوازن بين رأس المال والعمل، بالاعتماد على سهول الجزائر الخصبة وثرواتها الباطنية ومنتوجاتها الفلاحية المتعدّدة. وشكّلت الجزائر بذلك، من جديد، صمام أمان اجتماعي واقتصادي ومنقذة لفرنسا عبر الاستيطان: " استوطنوا، استوطنوا وإلاّ سننتهي بالموت جوعا"[3].

= www.larousse.fr/encyclopedie/divers/révolution...de_1848/140734.

اطلع على الموقع بتاريخ: 25 فبراير 2013م، على الساعة: 22.25.

[2] أندري نوشي وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة رابح اسطمبولي ومنتصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 326.

[3] Aousset Boulbon, **La question des travailleurs résolue par la colonisation de l'Algérie**. Imprimerie T. Fischer Aine, Paris. 1948. p.12.

ظلّ بيجو، الذي كان يعرف الجزائر جيدا ويعي ظروف بلاده، يلح على الحكومة من منبر البرلمان على تعمير الجزائر، وراسل بهذا الشأن الحاكم العام الجنرال شارون[1] (Charon) سنة 1848م وطالبه ب:

- تخليص فرنسا من العناصر المثيرة للفوضى؛
- الوفاء ببعض الوعود التي تعهدت بها ثورة فبراير تجاه الطبقة العاملة؛
- تعمير الجزائر[2].

وما دام ان الحكومة الفرنسية كانت مطالبة بتوفير الخبز والعمل لآلاف البطالين، في باريس وفي المدن الكبرى الأخرى، فقد لجأت إلى دفع عدد كبير منهم إلى الاستيطان بالجزائر بموجب قانون: 10 سبتمبر 1848م، لأنها كانت متسرعة للتخلص من العناصر المثيرة للفوضى ومتشوقة لذهابهم[3].

لتسهيل تلك المهمة صوت البرلمان الفرنسي بمنح قرض بمبلغ 50 مليون فرنك لتطبيق ذلك القانون[4]، وانتهز محافظو العمالات الفرنسية المسؤولين عن الأمن العام في محافظاتهم، هذه الوسيلة التي مكّنهم منها وزير الحرب للتخلّص

---

[1] الجنرال شارون (Viala Charon) 1794-1880م : التحق بقوات الهندسة بالجيش الفرنسي منذ 1811م، ثم رقي الى رتبة نقيب في ذات السلاح ببجاية بتاريخ 15 فبراير 1835م، ثم عين قائدا للفيلق الافريقي في 31 ديسمبر من ذات السنة، ثم عقيدا فمديرا عاما للتحصينات بالجزائر بتاريخ 21 جوان 1840م. عين كقائد أعلى لقوات الهندسة العسكرية بالجزائر في 24 جوان 1845م، ثم مديرا عاما عن الجزائر بوزارة الحرب بتاريخ 3 جوان 1848م، ثم حاكما عاما عليها بتاريخ 9 سبتمبر 1848م الى غاية سنة 1850م، ثم اصبح سيناتور بتاريخ 31 ديسمبر 1852م. ينظر:

M. C. Mullié, **Biographie des Célébrités Militaires**, Tome 1, op. cit., p. 301.

[2] Feray Bugeaud d'Isly, **Le maréchal Bugeaud au général Charon, 4 septembre 1848**, « **Lettre inédites** », Edition Emile- Paul Frères, Paris, 1922, p.325.

[3] Louis de Baudicour, **Histoire de la colonisation en Algérie**, Editions Challamel Aine, Paris, 1860, p.174.

[4] نظرا لأن ذلك المبلغ كان كبيرا فقد اعتبرته الصحافة الفرنسية بأنه " عمل سياسي غير مسبوق". ينظر:

Augustin Bernard, **L'Histoire des colonies françaises et l'expansion de la France dans le monde**, tome 2, **cas de l'Algérie**, sous la direction de. G. Hanotaux et A. Martineau. Editions Plon, Paris, 1930.p.279.

من الطبقة العاملة التي لم تجد عملا، بتقديمهم كل التسهيلات لكل من يشكّل عبئا للهجرة إلى الجزائر، ولذلك علّق بوديكور على تلك العملية بقوله:

"لقد اختلطت الأعمال الخيرية بالسياسة، إلى درجة أن الناس اعتقدوا بأن هدف هذه الهجرة هو تحقيق ثراء كل المفلسين"[1].

حدّد عدد المستفيدين ب 12000 شخص، إلا أن الدفعة الأولى فقط تجاوزت 13500 شخص خلال السنة الأولى، ليصل إلى أكثر من 20000 شخص سنة 1850م، تم توزيعهم على 42 قرية في العمالات الثلاث كما يلي: 12 في عمالة الجزائر، 21 في عمالة وهران و9 مراكز في عمالة قسنطينة.

وإذا كان الدافع الاجتماعي والهاجس الأمني في فرنسا هو المحرك لهذه الهجرة، الاّ أن المجازفة في الجزائر لم يكن مرغوب فيها، ولذلك جاءت قرارات الجنرال شانغارنيي (*Changarnier*)[2]بإرسال هؤلاء المهجرين من الجمهوريين الثائرين إلى المناطق العسكرية[3]، لتحاشي حدوث اضطرابات تتسبب فيها هذه العناصر الثائرة في المناطق المأهولة بالمدنيين، وتم التعامل معهم كقوة منتجة فحسب.

إن ثورة 1848م التي كانت في الأصل ثورة اجتماعية أفرزتها الأزمة الاقتصادية، أعطت دفعا جديدا للعملية الاستيطانية، رغم أن الهدف منها كان

---

[1] Louis Baudicour, **La colonisation de l'Algérie : ses éléments**, Editions Jacques Lecoffre et Cie, Paris. 1856, p. 151.

[2] شنغارنييه (Nicolas Anne Théodule Changarnier) جنرال وسياسي فرنسي، ولد في 6 أفريل 1793م، تخرج من مدرسة سان سير العسكرية سنة 1815م، شارك في الحرب على اسبانيا، التحق بالحرس الملكي سنة 1830م، أرسل للمشاركة في الحملة العسكرية على الجزائر. شارك مع الماريشال كلوزال في الحملة الفرنسية الفاشلة على قسنطينة سنة 1836م. رقي الى رتبة جنرال في 3 أوت 1843م, عين حاكما عاما على الجزائر في 28 أفريل 1848م، الا أن انتخابه ممثلا للشعب عن مقاطعة (لاسان) الفرنسية في الرابع من جوان دفع به الى مغادرة الجزائر. عين في 10 ديسمبر 1875 سيناتور مدى الحياة، توفي بباريس في 14 فبراير 1877م. ينظر:

Narcisse Faucon, op. cit., pp. 147- 148.

[3] Louis Baudicour, **La colonisation de l'Algérie : ses éléments,** op. cit.

سياسي أكثر منه استيطاني، ولكن جاء في سياق سعي فرنسا الحثيث إلى تعمير الجزائر بعناصر فرنسية لخلق ذلك التفوق المنشود للعنصر الفرنسي في المستوطنة. وبسبب البؤس والفاقة فإن عدد طلبات العمل التي أودعت لدى الإدارة بباريس فاقت 100 ألف طلب[1]، بعدما تناقلت وسائل الإعلام خبر المبلغ الذي وضع تحت تصرف وزارة الحرب لفائدة المستعمرة.

وشكّل انقلاب نابليون الثالث سنة 1851م، فرصة أخرى لترحيل دفعة أخرى من المعارضين السياسيين مشكلة من 2593[2] شخص، وصلوا إلى ميناء الجزائر على متن ستة سفن خلال الفترة الممتدة من 1 الى 26 مارس 1852م[3]، تم توزيعهم على ستة مراكز استيطانية لم يستكمل انجازها منذ العهد السابق، حولت بالمناسبة إلى معتقلات للمحبوسين وفق مرسوم امبراطوري بتاريخ 11 يناير 1853م، وهي: لامبيزا (*Lambessa*) بعمالة قسنطينة، سيدي ناصر، عين السلطان وبورقيقة بعمالة الجزائر، وبوتليليس وسيدي بلعاتر (*Pont du Cheliff*) بعمالة وهران[4]، استعملت إلى غاية العفو العام عنهم سنة 1859م[5]، الذي مكّن الكثير منهم من العودة إلى فرنسا.

كانت السلطات الاستعمارية تعمل على توفير الهدوء السياسي والاجتماعي بفرنسا وفي الجزائر أيضا إن أمكن، ولذلك فقد استمر تخوفها من هجرة أوربية

---

[1] Jeannine Verdès-Leroux, **Les Français d'Algérie : de 1830 à aujourd'hui, Une page d'histoire déchirée**, Editions Fayard, Paris. 2001. p.196.

[2] أشارت الباحثة فارداس لو رو الى عدد 3000 شخص، ينظر:

Jeannine Verdès-Leroux, ibid.

[3] Hippolyte Magen, **Histoire du second Empire**. Editions Maurice Dreyfus. Paris. 1878. p.151.

[4] أصدر بشأنهم رئيس الجمهورية، قانونا خاصا بتاريخ 30 جويلية 1881م، يقضي بتخصيص مبلغ ستة ملايين فرنك لتعويضهم، باعتبارهم ضحايا حسب القانون. ينظر:

Loi, relative aux indemnités à accorder aux victimes du coup d'état du 2 novembre 1851. ANOM. GGA, Série L, Carton : L//53.

[5] عوضت بسجن (كايان) (Cayenne) سنة 1854م وكاليدونيا الجديدة (nouvelle Calédonie) سنة 1864م.

كثيفة نحو المستعمرة قد تخرج عن نطاق السيطرة، وكانت تراقب تركّز الجالية الاسبانية في عمالة وهران بالخصوص بقلق كبير، وجاء قرار اشتراط توفّر المهاجرين على مبلغ يفوق 3000 فرنك[1] للمرور إلى الجزائر، كإجراء فعال للحد منها، وفي الوقت نفسه يعكس توجه الإدارة الرأسمالي الساعي إلى تثمين المستعمرة لكي تصبح مصدر ثراء للميتروبول أكثر من أي وقت مضى.

كان لتغير النظام السياسي في فرنسا تأثير مباشر على الجزائر، حيث تغيرت معه النظرة العامة للمستعمرة تحت ضغط الأحداث السياسية والاجتماعية في البلاد، فعشرة أيام بعد تشكل الحكومة المؤقتة بفرنسا، صدر مرسوم 4 مارس 1848م الذي جعل من الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا[2]، وأُلحقت بحكم ذلك العدالة والتعليم العام والمالية والعبادات إلى الوزارات المؤهلة بفرنسا بموجب أمرية 16 أوت 1848م، كما نص الدستور الجديد المؤرخ في 4 نوفمبر من ذات السنة على أن الجزائر لم تعد بلدا محتلاّ، بل هي جزء من التراب الفرنسي في مادته 109، تسيرها قوانين خاصة ريثما يصدر قانون خاص يدمجها تحت نظام الدستور الفرنسي[3]، وقسمت الجزائر بذلك إلى منطقة مدنية، وأخرى عسكرية، بتاريخ 10 ديسمبر 1848م؛ حيث تحولت عمالة قسنطينة، الجزائر ووهران إلى مقاطعات فرنسية يسيرها ولاة [4]، في حين بقيت المناطق العسكرية تحت إدارة ضباط عسكريين

[1] Paul Leroy- Beaulieu, **l'Algérie et la Tunisie**, Librairie Guillaumin et Cie. Paris. 1887. p.33.

[2] Claude Collot, **Les Institutions de l'Algérie durant la période coloniale**, Editions CNRS, Paris, Office des Publications Universitaires, Alger, 1987, p.8.

[3] S.A, **l'Algérie française, indigènes et immigrants**. Chez Challamel Aine, libraire- éditeur. Paris. 1862. p.2.

[4] نصت المادة 27 من دستور 14 يناير 1852م على نفس الصيغة، مع الاشارة إلى أن الجزائر باتت تسير بقانون مشيخي، بحكم أن النظام السياسي تغير الى امبراطوري.

2 الجزائر خلال مرحلة نابليون الثالث:

بعد أن أبعدت السلطات الاستعمارية العناصر التي كانت مصدر الاضطرابات إلى الجزائر، بدأت تتحول تحولا رأسماليا، ولم تعد ترغب في يد عاملة فحسب، بل في مستوطنين يتوفّرون على إمكانيات مادية لامتلاك أرض واستغلالها. وما دام أن الفرنسيين لا يتوفّرون على ذلك، أو لا يرغبون في الهجرة إلى الجزائر، مفضلين اتجاهات أخرى، كانت الخطّة الاستيطانية الوحيدة أمام الحكومة الفرنسية[1] تتمثل في تحويل موجة المهاجرين من ألمانيا، سويسرا، وإيرلندا من الولايات المتحدة الأمريكية نحو الجزائر، عبر إنشاء وكالات للهجرة، التي تجوب تلك الدول واعدة المهتمين بالأمر بقطع أرض وامتيازات أخرى كثيرة، بداية بالنقل الى غاية جني المحصول.

كانت السلطات الاستعمارية ترغب في استقدام مستوطنين من هذه المناطق بالدرجة الأولى، وحينما تعلّق الأمر بإطارات سامية فإن ذات الإدارة كانت أبدت تحفظا من ذلك، ولا أدلّ على ذلك من المراسلة التي بعث بها القنصل الفرنسي بمدينة طورينو الإيطالية (*Turin*) إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 12 أفريل 1865م، والتي حولها الى مكماهون[2] الحاكم العام للجزائر بشأن طلب تقدمت به 86 رعية بولونية مقيمة في إيطاليا بعضهم خريجي جامعات[1].

[1] M. Pasquier-Bronde, « **Historique de la Colonisation Paysanne en Algérie** », In : Centenaire de l'Algérie, Comité de l'Afrique Français, Congrès de la polonisation rurale, Alger : 26-29 mai 1830, 2ème partie, Les Problèmes économiques et sociaux posés par la colonisation. Ancienne imprimerie Victor Heintz, Alger, 1930. pp. 18 - 37.

[2] ماكماهون Mac- Mahon دوق ماجنتا (1808 . 1893م)، ماريشال فرنسي تميز اثر معركة ماجنتا خلال الحرب الفرنسية الايطالية ، من تلامذة مدرسة سان سير العسكرية التي التحق بها سنة 1825م، شارك بعد تخرجه في الحرب الاسبانية، ووصل الى الجزائر مع الحملة العسكرية سنة 1830م، كان قائدا لفيلق خلال الحملة الأولى على قسنطينة سنة 1836م، شارك في الحملة التي استهدفت الأبواب الحديدية بالشرق الجزائري سنة 1839م والتي كانت تهدف الى فتح خط المواصلات بين الجزائر وقسنطينة لأهداف استعمارية، أصبح جنرالا منذ سنة 1843م، عين حاكما عاما على الجزائر بمرسوم 1 سبتمبر 1864م لمدة قاربت الستة سنوات، استدعي للمشاركة في لحرب البروسية الفرنسية سنة 1870م، حيث مني بهزيمة=

ورغم أن الحكومة الإيطالية وافقت بالمشاركة في مصاريف العملية بطلب من مكماهون، إلا أن الامبراطور اشترط أن تخضع تلك المستوطنة الى إدارة عسكرية يسيرها مدير تحت تصرفه قوة عسكرية مشكلة من 50 جندي، قبل أن يتراجع عن موقفه ويجمد المشروع سنة 1866م[2].

أدركت الإدارة الاستعمارية أن العناصر الفرنسية المقيمة في الجزائر، إلى غاية تلك الفترة، كانت تشهد صعوبات في التواصل والتفاهم فيما بينها نتيجة خلط سكان مختلف المقاطعات الفرنسية وظنت أن ذلك هو ما يعيق هجرة الفرنسيين إلى الجزائر بشكل كثيف، ولذلك سعت إلى القضاء على تلك الوضعية عبر انشاء مستوطنات عناصرها من نفس المنطقة، اقتداءا بالقرية السويسرية التي أقيمت في حمر العين إلى الغرب من البليدة.

توجهت الحكومة إلى إقناع الفرنسيين، بمشروع إقامة قرية استيطانية من كل مقاطعة فرنسية، وأصدر وزير الحرب بهذا الشأن مرسوما أرسله إلى حكام المقاطعات الفرنسية بتاريخ 21 جويلية 1851م دعاهم فيه إلى إقناع الفرنسيين والمجالس العامة للاثنتي عشرة مقاطعة التي وقع عليها الاختيار بمساهمة كل منها بخمسين عائلة، لتكوين مستوطنات بالجزائر تحمل نفس أسماء تلك المقاطعات الفرنسية[3]، لخلق نمط معيشة في الجزائر مشابه للذي تركوه وراءهم، لكي لا تحس العائلات بالغربة وهي بين مواطنيها وأصدقائها، رغم أن بيجو كان

= كبيرة في معركة سودان. قبل رئاسة الجمهورية سنة 1873م رغم أنه كان من الملكيين، واستقال من المنصب سنة 1879م. ينظر:

Narcisse Faucon, op. cit.,pp 369- 371.

[1] ان القائمة تضمنت مهندسون، جراحون وطلبة جامعيين الى جانب بعض العسكريين والمزارعين.

[2] ANOM, GGA, Série L, Carton L//2.

وهو ما يعني أن الإدارة الاستعمارية لم تكن ترغب في هجرة رفيعة المستوى، إلاّ إذا كانت فرنسية.

[3] ANOM .GGA. L//5.

قدر جرب العملية سنة 1847م حينما سعى إلى تعمير مناطق ساحلية بالبروطون[1](*Breton*)، لمنافسة الصيادين الإيطاليين الا أنه لم يفلح في ذلك.

كُلِّفت المجالس العامة للمقاطعات بالتصويت على ميزانية لتلك القرى، واوكلت إلى الصحافة مهمة دعم المشروع والترويج له، واستمرت العملية إلى غاية سنة 1854[2]. والنتيجة هي أن معظم المحافظات قبلت جزئيا الفكرة، وانتهت جل اجتماعات مجالسها العامة باستحسان الفكرة، إلا أنه تعذّر عليها المشاركة في المشروع لأسباب مادية في الغالب[3]، باستثناء نجاح بسيط تمثّل في توطين عائلات من مقاطعة لاهوت سون (*Haute-Saône*)، التي وقع عليها الاختيار بالقرعة لتكون أول مقاطعة تقوم بالعملية من بين 12 مقاطعة المقترحة، وذلك بقرية عين البنيان التي بنتها الإدارة سنة 1848م حسب خبر نشرته جريدة (*Journal de la Haute-Saône*) بتاريخ 9 افريل 1853م، بهدف استغلال تخصص فَلاّحي المقاطعة في زراعة التبغ بالجزائر وذلك بعد أن هاجرت العديد من العائلات من هذه المنطقة الفرنسية الى المستعمرة سنة 1852م.

وكانت ترد على الإمبراطور عدة رسائل تحمل نداءات بخصوص تعمير الجزائر، ولاسيما من الأخوين بارو (*Barraut*) عبر الرسالة التي بعثوها اليه بتاريخ 22 سبتمبر 1855م[4]، والتي دعاه فيها إلى الاهتمام أكثر بالجزائر عبر تشجيع الهجرة والاستيطان إليها، بعد غلاء سعر الحبوب في فرنسا والمتاعب

---

[1] البروطون: هم سكان شبه جزيرة تقع في اقصى الغرب الفرنسي، ضمها فرانسوا الأول الى التاج الفرنسي سنة 1532م، تضم خمس مقاطعات فرنسية (Finistère- Cotes du Nord- Morbihan- Loire Atlantique l'Ille et Vilaine)، ضلت خلال فترة زمنية طويلة منعزلة تماما عن فرنسا. ينظر:

Le Petit Larousse illustrée (grand format) (1965), Paris, pp. 1224- 1225.

[2] Auguste Bourel-Roncière**, Aperçu sur l'établissement d'une commune Bretonne en Algérie,** imprimerie de L .Prud'homme, Saint-Brieuc, 1852. ANOM .GGA. L//5.

[3] نسخ من تقارير معظم المقاطعات الفرنسية موجودة بالعلبة (L//5) بأرشيف ما وراء البحار بمدينة آكس الفرنسية.

[4] ANOM.GGA, Série L, op. cit, Carton L//3.

التي سببها ذلك للحكومة[1]، وامكانيات الجزائر الطبيعية القادرة على تعويض ذلك النقص الحاصل في الإنتاج وبالتالي تراجع الأسعار[2]، وتلافي حدوث مثل ذلك الارتفاع مستقبلا.

ورغم تأسيس جمعية استيطانية سنة 1855م مشكّلة من تسعة جنرالات واميرال، ومجموعة من البارونات ومن محامين وأساتذة وغيرهم، والتي كانت مهمتها الأولى بطلب من الامبراطور هي إيجاد عناصر فرنسية من الأرياف مزارعة ومتناسقة: تتكلّم نفس اللّغة، لها نفس العادات، ونفس الاحتياجات ونفس الأهداف والغايات[3]، إلا أن هجرة الفرنسيين الى الجزائر ظلت أقل مما هو منتظر.

وان كان عدد الأوربيين بالجزائر قد شهد ارتفاعا قدر ب 38002 نسمة سنة 1853م مقارنة بسنة رحيل بيجو عن الجزائر سنة 1847م، فان ذلك يفسر بهجرة عناصر أوربية غير فرنسية في الغالب، كما هو موضح في الجدول التالي:

---

[1] للاطلاع أكثر على أزمة ارتفاع اسعار القمح في فرنسا، ينظر: جريدة (Le Moniteur) عدد 20 سبتمبر 1855م.

[2] ANOM.L//3.

[3] Ibid.

	فرنسيين	اسبان	برتغاليين	إيطاليين	انجلو مالطيين	انجليز وايرلنديين
عمالة الجزائر	35726	18397	116	2844	2105	143
عمالة وهران	21298	17342	30	1712	119	238
عمالة قسنطينة	17934	1685	34	2984	3742	65
المجموع	**74958**	**37424**	**180**	**7540**	**5966**	**446**
	ألمان	بولونيين	سويسريين	يونانيين	بلجيك وهولنديين	عناصر أخرى
مقاطعة الجزائر	1368	147	960	35	183	416
مقاطعة وهران	1131	51	153	32	170	71
مقاطعة قسنطينة	1943	72	554	13	107	1627
المجموع	**4442**	**270**	**1667**	**80**	**460**	**155**

جدول رقم 6. عدد الأوربيين بالجزائر سنة 1853م[1].

لقد بلغ مجموع العناصر الأوربية 133588 نسمة سنة 1853م ، يضاف اليها 8307 عنصر أوربي آخر من: (داخلية الثانويات، المعلمين، المساجين، اليتامى، المبعدون السياسيون...)، أي أن مجموع العناصر المدنية بلغ 141895 نسمة، مما يعني أن الزيادة السكانية الأوربية في الجزائر بلغت 40777 نسمة مقارنة بسنة 1847م وهي زيادة لم تصل الى نسبة 50 % في حين أن ذات العدد تضاعف بثلاث مرات خلال الفترة الممتدة بين 1841-1847م، ولذلك أطلق باسكيي تسمية "الاستيطان الكسول" على فترة الإمبراطورية الثانية[2]، علما بأن المعطيات على الأرض لم تتغير كثيرا خلال السنوات المتبقية من هذا النظام.

إن المشكلة التي كانت تثير اهتمام الإدارة الفرنسية هي: لماذا كان الفرنسيون يفضلون الهجرة إلى اتجاهات أخرى غير الجزائر خلال هذه الفترة؟

[1] ANOM. L//6.

[2] Pasquier Bronde, op. cit.

حيث بلغ عدد المهاجرين الى المستعمرة منهم 8564 نسمة سنة 1856م ثم تراجع إلى 7992 نسمة سنة 1857م، في حين كان عددهم الى الخارج يتزايد[1]، خاصة من المقاطعات الفرنسية الشمالية: لو دو (*le Doux*)، لاموزال (*la Moselle*)، ومقاطعتي الراين العليا والسفلى(*le Haut et Bas-Rhin*) ، وكانت التقارير تدعو إلى بذل مجهودات بالتنسيق بين كل الجهات المعنية لتحويل ذلك التيار نحو الجزائر[2].

إلا أن المعطيات بخصوص السنوات اللاحقة تبين أن الإدارة الاستعمارية لم توفق في مهمتها، بدليل أن عدد المهاجرين الفرنسيين الى الخارج بلغ 9004 نسمة سنة 1858م، في حين لم يبلغ عددهم باتجاه الجزائر سوى 4809 نسمة، ثم تراجع ذلك العدد ليبلغ في السنة الموالية 6786 نحو الخارج و2378 مهاجر فقط نحو الجزائر[3].

إن التراجع في عدد الفرنسيين المهاجرين إلى الجزائر بنسبة 8 % بين 1846-1856م، ثم بنسبة 6 % بين 1856-1870م[4] حيرت الجهات الرسمية في البلاد، ودفعتها بهم إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات للحد من ذلك التراجع لترجيح كفة الفرنسيين، ولذلك باللجوء إلى توجيه الهجرة الفرنسية عبر الضغوطات القانونية، حيث منعت هجرتهم إلى فنزويلا سنة 1856م، والبرازيل سنة 1857م[5]، ثم إلى الباراغواي وجمهورية الدومينيك وولاية فرجينيا الأمريكية

[1] تجب الإشارة إلى أن جريدة (La Colonisation) التي كانت تصدر أيام: الأحد، الأربعاء والجمعة، وهي جريدة كانت تهتم بالهجرة والإستيطان، خصصت العدد 80 الصادر بتاريخ 6 جوان 1855م إلى مسألة أهمية الهجرة إلى الجزائر، وكان العدد يخاطب رؤساء البلديات وحكام المقاطعات بفرنسا بالخصوص للفت نظرهم للأمر.

[2] Rapports à son Excellence le ministre de l’intérieur sur l’Emigration, Années 1859 et 1860, Imprimerie Impériale, Paris .s.d. ANOM. GGA, Série L, Carton : L //3.

[3] ANOM.L//2.

[4] Ibid.

[5] Clarisse Buono, **Pieds noirs de père en fils**, Editions Ballant, Paris 2004, p.20.

سنة 1858م[1]، الاّ ان ذلك الإجراء لم يرفع من عدد الوافدين الى الجزائر من الفرنسيين، خلال هذه الفترة أيضا.

وكرس هذا الوضع اصدار ذات الإدارة لمرسوم 31 ديسمبر 1864م القاضي بوقف عملية توزيع الأراضي بالمجان على الفرنسيين في محاولة منها لجلب الميسوري الحال منهم، وهو ما يدل على أن الادارة الاستعمارية كانت قلقة من تراجع عدد المهاجرين الفرنسيين الى الجزائر، في وقت كان فيه عدد الأجانب من الحوض الغربي للمتوسط مجتمعين يتزايد.

راحت الإدارة الاستعمارية، تبحث عن تعويض إحجام الفرنسيين عن الهجرة الى الجزائر، عبر محاولتها استقطاب المستوطنين من ألمانيا وسويسرا وايرلندا بالخصوص، في حين ظلّ الطلب على اليد العاملة من المناطق المتوسطية المجاورة وفي طليعتها اسبانيا وإيطاليا، بل ووصل تفكير ذات الإدارة الى حد دراسة مشاريع تخص استقطاب عمال من مناطق آسيوية وعناصر سوداء من الولايات المتحدة وافريقيا، كما سيأتي في مكان آخر من هذا الفصل.

لقد جعلت الإدارة الاستعمارية من مسألة توطين الجزائر بفرنسيين يتعاطون الزراعة قضية وطنية واستراتيجية، لأن ذلك يحقق لها ثلاث أهداف:

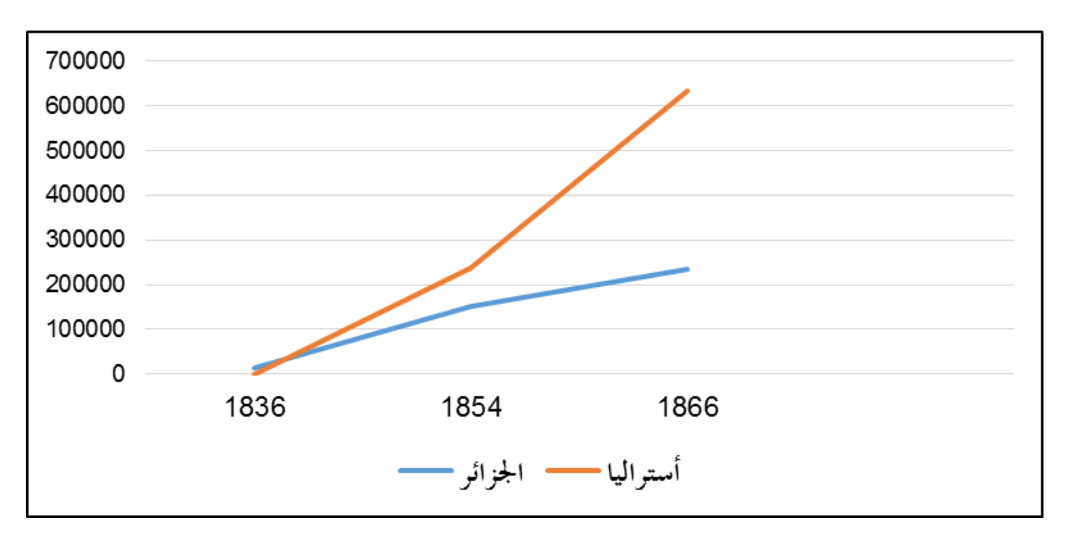
- هدف سياسي يتمثل في تقوية السيطرة الفرنسية على الجزائر، ورفع مستوى الأمن للمعمرين.
- هدف اقتصادي، من خلال استغلال الأرض وتطوير الصناعة الفرنسية.
- هدف اجتماعي، عبر التقليل من الضغوطات الاجتماعية في فرنسا[2].

أما الأوربيون الآخرون فقد خضع توافدهم على الجزائر خلال هذه الفترة لظروف سياسية، اقتصادية واجتماعية في بلدانهم أو بظروف اقتصادية وإدارية في الجزائر.

---

[1] Marc Baroli, op. cit., p.29.
[2] ANOM. GGA, Série F/80, Carton : F/80/1177.

وان نحن قارنا حجم عدد المهاجرين بشكل عام الى الجزائر وأستراليا من ثلاثينات القرن 19م الى غاية الستينات نلاحظ الفرق الشاسع في العدد، والشكل التالي من اعداد الباحث يبرز ذلك بجلاء.



(رسم بياني رقم:3). تطور الهجرة الأوربية الى كل من الجزائر وأستراليا بين 1836-1866م[1].

يتضح من الرسم البياني، أن عدد الأوربيين بالجزائر بلغ 14561 نسمة سنة 1836م، في حين لم يكن يتجاوز 17 نسمة في استراليا، وارتفع عددهم بالجزائر الى 235225 نسمة سنة 1866م، في وقت بلغ عددهم في استراليا 633000 نسمة في ذات السنة، مما يعني أن وجود فضاءات استيطانية أخرى غير الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية جنب الجزائر موجات كبيرة من المهاجرين الأوربيين.[2]

ويفسر تهافت الأوربيين على أستراليا، باكتشاف الذهب في غالا الجديدة وفيكتوريا الأستراليتين سنة 1851م، اللتان استقطبتا مهاجرين أوربيين بأعداد كبيرة، ولذلك تحولت مدينة ملبورن (Melbourne) بجنوب شرق أستراليا من قرية صغيرة، الى مدينة ذات 200 ألف نسمة في ظرف 15 سنة فقط، ولقد ساهم

---

[1] Dr A .Bordier, **la colonisation scientifique et les colonies françaises**, C. Reinwald libraire- éditeur. Paris. 1884. p.193.

[2] استقبل ميناء نيو يورك على سبيل المثال 289601 مهاجر سنة 1861م، معظمهم من المانيا وإيرلندا. ينظر: (l'Akhbar) عدد 1645، بتاريخ الخميس 29 افريل 1852. F/80/1177

الفرنسيون بالكثير في ذلك العدد، حيث استقبلت استراليا منهم 508 ألف نسمة بين 1851-1861م[1].

وفي الوقت ذاته تعكس تلك الأرقام، فشل الإدارة الاستعمارية في تكثير عدد الأوربيين بالجزائر، في وقت استمرت فيه المقاومة الشعبية الباسلة، بعد أن اقتيد الأمير عبد القادر الجزائري الى فرنسا، في كل من الزعاطشة، بلاد القبائل وأولاد سيدي الشيخ وغيرها من المناطق، وهو ما أعطى للإدارة الاستعمارية فرصة للانتقام من الأهالي عبر سياسات التفقير، التجويع والتهميش، والتقتيل التي انتهت بحدوث كارثة إنسانية بالجزائر راح ضحيتها 527021 نسمة بين سنة 1866 الى 1872، أي بمعدل 87000 وفاة في السنة[2]، رغم مشروع المملكة العربية الذي كان يفتخر به نابليون الثالث في كل المناسبات، والذي قال عنه كلود لليوزي: " إن فترة المملكة العربية كانت مرحلة بذلت فيها الإمبراطورية جهودا لحماية المسلمين وتقليص شهية الفرنسيين الاستيطانية"[3]، هذا بغض النظر عن 347928 ضحية التي توفيت خلال الستة والثلاثين سنة الأولى من الاحتلال[4].

لماذا كان هناك عزوف فرنسي للقدوم الى الجزائر؟

إن الهجرة الفرنسية حسب التقرير الذي رفع الى وزير الداخلية بخوص سنتي 1859 1860م أشار الى أن التراجع بدأ منذ عدة سنوات، وان كان التراجع نحو الجزائر بالخصوص اكثر وضوحا، رغم أن تراجع الهجرة الدولية بشكل عام كان عاما وشاملا لكل المناطق الأوربية التي كانت مصدرا مهما للهجرة، نتيجة فشل المشاريع الاستيطانية في الخارج، ونتيجة الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي دفع بعدة حكومات ألمانية إلى تشديد الرقابة على

---

[1] Louis Vignon, **la France dans l’Afrique du nord : Algérie et Tunisie**, Librairie Guillaumin et Cie, Paris, 1887. p.9.

[2] Dr A .Bordier, op., cit.p.189.

[3] Claude Liauzu, **Histoire des Migrations Méditerranée Occidentale**, volume1, Edition Complexe, Paris, 1996.p.65.

[4] Dr A .Bordier, op., cit., p. 193.

الهجرة، كما أن تلك الأحداث صاحبت تطور القطاع الصناعي بها، مما أدى الى ارتفاع في الأجور وبالتالي تراجع في حجم الهجرة الالمانية الى الخارج بشكل تلقائي.

أما بالنسبة للفرنسيين فقد يكون مرد تراجع هجرتهم الى الجزائر خلال هذه الفترة إلى المرسوم الذي أصدره نابليون الثالث بتاريخ 13 فبراير 1852م والمتكون من 26 مادة، جاءت معظمها لتنظيم الهجرة إلى المستعمرات، والذي حدد شروط العمل والإقامة، وواجبات العامل وصاحب العمل والعلاقة بينهما، والعقوبات المترتبة على إخلال احدهما بواجباته ...، ونظرا لصرامتها فقد يكون لها تأثير على تراجع الهجرة الفرنسية بالخصوص الى الجزائر، و في ذات الوقت يظهر هذا المرسوم بأن نابليون منذ البداية لم يكن يرغب في الهجرة الاجتماعية بل الهجرة الرأسمالية واليد العاملة فقط[1]، وقد يكون مردها أيضا الى طبيعة الفرنسيين أنفسهم، حيث كان من يذهب بعيدا منهم لا يرغب في الاستقرار بل في العودة سريعا بثروة، عبر الاستثمار في مؤسسات تجارية أو صناعية، في حين أن الجزائر لم يكن بإمكانها تحقيق تلك الثروة السريعة لهم، لأن ذلك يتطلب وقتا طويلا[2]، ولذلك شرعت الإدارة الاستعمارية في التفكير في خلق زراعة مربحة في الجزائر لجلبهم.

جربت الادارة الاستعمارية زراعة التبغ في البداية، ثم اهتدت بوحي من الطبيعة الى زراعة الكروم، بعد داء الفيلوكسيرا الذي أصاب تلك الزراعة بفرنسا، كما سنرى في الفصل الثالث.

وقد يعزى أيضا عدم اقبال الفرنسيين على الجزائر خلال هذه الفترة، الى التوزيع الجغرافي لوكالات الهجرة بفرنسا، فإلى غاية 1 يناير 1860م كانت بفرنسا 31 وكالة مرخص لها بتجنيد ونقل المهاجرين، والملفت للنظر هو أن غالبيتها كانت

[1] ANOM.GGA, Série 3L, Carton : 3L/10.

[2] تقرير غير موقع، وغير مؤرخ: ANOM. F/80/1177.

تتواجد بالشمال والشمال الغربي[1]، ولم تكن بالجنوب الفرنسي سوى أربع وكالات ثلاثة منها في مدينة بايون (*Bayonne*) على جبال البرانس السفلى، ورابعة بمدينة مرسيليا (*Marseille*) جنوب فرنسا سنة 1861م[2].

وقد يعزى أيضا الى ارتفاع حجم الوفيات من الأوربيين في الجزائر والذي بلغ 62768 نسمة منذ بداية الاحتلال الى غاية 31 ديسمبر 1864م[3]، وقد يرجع ذلك أيضا الى تدخل الدولة في هذه المرحلة الأمر الذي لم يترك المجال للمبادرات الخاصة، من منظور المعمرين أنفسهم، وقد تكون كل هذه العوامل مجتمعة وغيرها، من ساهم في تراجع الهجرة الفرنسية الى الجزائر خلال هذه الفترة.

ولكن الوثائق والتقارير المتوفرة، تشير الى عزوف بعض الفرنسيين ليس عن الهجرة الى الجزائر فحسب، بل منهم من غادرها الى وجهات أخرى، أو عاد الى فرنسا، حيث تشير رسالة من وزارة الداخلية بتاريخ 21 ديسمبر 1858م الى وزير الجزائر والمستعمرات الامير جيروم نابليون الى ضرورة تخصيص ميزانية خاصة للفرنسيين العائدين من الجزائر، لأن المدن الساحلية الجنوبية ولاسيما مرسيليا اشتكت من كثرة مصاريفها من الحزينة العمومية لإسعاف هؤلاء العائدين، وتوصيلهم الى مناطقهم البعيدة في الغالب[4].

كما أثارت مراسلة من قبل مائة فرنسي مقيمين في مدينة سكيكدة بالشرق الجزائري الى وزير الداخلية، قلق الإدارة الاستعمارية، لأن المراسلة كانت بشأن طلب معلومات بغرض الهجرة الى أمريكا، ولذلك راسل وزير الداخلية الحاكم

---

[1] 11 وكالة في لوهافر(le Havre)، 5 وكالات في باريس (Paris)، 8 في بوردو(Bordeaux) ، ووكالة واحدة في ويسومبورغ (Wissembourg)، وأخرى في دانكارك (Dunkerque)، ووكالة في الراين الأعلى (Haut−Rhin).

ينظر: ANOM. L//3.

[2] Rapports à son Excellence le ministre de l'intérieur sur l'Emigration. op.,cit.

[3] Ibid, p.11.

[4] ANOM. GGA, Série L, op. cit, Carton : L//5.

العام في 15 سبتمبر 1865م، يطلب منه الحذر من وكلاء محتملين للهجرة أو عملاء يعملون لحساب الإدارة الامريكية[1].

كما حملت رسالة أخرى من وزير الداخلية الى الامبراطور بتاريخ 30 سبتمبر 1868م بشأن خبر نشر بجريدة (*la gazette de France*) لذات اليوم حمل أدلّة بشأن رحيل عدد معتبر من مستوطني الجزائر الى البرازيل تحت تأثير بعض عملاء الهجرة[2]، بسبب الاغراءات والتسهيلات التي كان يقدمها وكلاء السفر وشركات النقل باتجاه الأمريكيتين، وقد طال تأثير تلك الشركات المتخصصة في تجنيد المهاجرين في بريطانيا وألمانيا بالخصوص دورا مباشرا في اظهار الجزائر بمنظور سلبي، قصد المحافظة على اتجاهها نحو الولايات المتحدة الأمريكية والمستعمرات البريطانية[3].

بعد فشل مساعي وسياسات الإدارة الفرنسية، في استدراج مستوطنين فرنسيين تتوفر فيهم الشروط وفي مقدمتها حيازة المعني لمبلغ 3000 فرنك، كثّفت الإدارة الاستعمارية مجهوداتها، واكتفت هذه المرة باستقطاب يد عاملة فرنسية الى الجزائر فحسب، وراسل الحاكم العام للجزائر في هذا الشأن وزير الداخلية الفرنسي بتاريخ 20 ماي 1857م، طلب منه فيها ارسال عمال في قطاع الفلاحة الى الجزائر، ولذلك قام الوزير بتاريخ 25 من نفس الشهر بمراسلة ولاّة المقاطعات الفرنسية التالية: القار، لارياج، بوش دي رون، فار، اللب العليا، الألب السفلى وليرو ***(Hautes-Alpes), (Var), (Bouches du Rhône), (l'Ariège), (Gard), (l'Hérault) (Basses Alpes)***، من اجل تجنيد عمال متعودين على خدمة الأرض في مقاطعاتهم للذهاب مؤقتا الى الجزائر للعمل[4].

---

[1] ANOM, Carton: L//7.

[2] ANOM. Série 1H, Carton : 1H/1.

[3] Jules Duval, **Histoire de l'émigration Européenne, Asiatique et Africaine : Ses causes, ses caractéristiques, ses effets**, librairie de Guillaumin et Cie, Paris, 1862. p.329.

[4] ANOM. L//3.

3 مشاريع استقدام عناصر غير أوربية إلى الجزائر:

أمام عزوف الفرنسيين عن المجيء إلى الجزائر بأعداد كبيرة، ونظرا لأن قدوم اليد العاملة الأوربية كانت تتحكم فيها ظروف كثيرة، خارجة عن سيطرة فرنسا، شرعت الحكومة الفرنسية في التفكير في استقدام يد عاملة من خارج المجال الجغرافي المعهود، ولذلك تم التفكير في استقدام عناصر سوداء من الولايات المتحدة الأمريكية للعمل، وجرت اتصالات حثيثة جرت بين السلطات الفرنسية وبين الرئيس الأمريكي جنسون[1]، وترجت منه التعاون الرسمي معها عبر تحرير السود والسماح لهم بالمجيء الى الجزائر، خاصة وأن ذلك لا يتعارض مع القوانين الأمريكية ولا المبادئ ولا الأعراف الدولية، ورأت الإدارة الاستعمارية ان نحو مليون زنجي من أمريكا يمكنهم إنجاح مخططها في الجزائر وبتكاليف أقل، لم يبد الرئيس الأمريكي ولا حكومته أي اعتراض على المشروع لأنه يقدم خدمة إلى الجمهورية الأمريكية الفتية[2].

أجرت السلطات الفرنسية اتصالات أيضا مع ملك الداهومي (البينين حاليا)، حول إمكانية استقدام نحو 20 ألف من الزنوج الى الجزائر، ووافق الملك على المشروع، الا أن السلطات الفرنسية تراجعت عن المشروعين معا بسبب غلاء السعر[3].

اتجهت الإدارة الاستعمارية بعد تراجعها عن المشروعين السابقين إلى الصين علّها تجد عمالة أكثر بها وبثمن أقل، وكلّفت السلطات الاستعمارية تمثيلياتها الديبلوماسية بالصين لدراسة إمكانية ذلك والصيغ التي يمكن اعتمادها لإنجاز المشروع.

---

[1] جونسون (Andrew Jhonson): رجل سياسي امريكي عاش بين 1808 . 1875م، اصبح رئيسا للولايات المتحدة سنة 1865م بعد اغتيال الرئيس لينكولن. ينظر:

Le Petit Larousse illustrée (Grand format), Paris, 1965, p. 1461.

[2] Saint Amnat, **L'Algérie et les Nègres libres des Etats**, 2 ème Ed-Unis, Chez tous les libraires de la ville, Alger, 1866, p.26.

[3] Ibid.

وقد أشارت رسالة بعث بها وزير الخارجية الفرنسي الى زميله بوزارة الداخلية، بتاريخ 15 أوت 1871م يعلمه فيها بأن القنصل الفرنسي (*Sinion*) في مقاطعة (تو شوان) الصينية، اقترح عليه امكانية ترحيل عائلات صينية بكاملها للعمل بالجزائر، وأضاف وزير الخارجية، بأن القنصل الفرنسي السابق (*Dabry*) في مقاطعة (هان كيون) اقترح على مسؤوليه نفس الفكرة سنة 1863م، ثم عقّب قائلا بأن ذلك الأمر غير ممكن في ظل وضعية الملكية وظروف العمل الراهنة[1].

كما أن الصحافة الفرنسية في فرنسا والجزائر معا أضفت صبغة العنصرية على المشروع وقالت بأنه يشبه إلى حد بعيد ترحيل السود عنوة من افريقيا للعمل في الحقول الامريكية، وأن ذلك سيحدث خللا في السوق الحرة للعمل، وهو ما من شأنه أن يقصي العامل الأوربي.

ظل موضوع الصينيين يسيل الحبر الى غاية سنة 1877م من خلال المراسلة التي بعث بها وزير الداخلية الفرنسي إلى الحاكم العام للجزائر بتاريخ 28 جوان 1877م بشأن الضابط الفرنسي شودلين (*Schoedelin*) العائد من الصين، والذي كان قد أرسل في فترة الإمبراطورية الثانية في مهمة رسمية لدراسة امكانية تهجير صينيين إلى الجزائر[2].

كان لتلك المعارضة التي أبدتها الصحافة الفرنسية للمشروع تأثير على مجريات الأحداث، لأن الوثائق التاريخية لم تتحدث عن قدوم يد عاملة أو مهاجرين من الصين الى الجزائر، كما لم تتحدث عنها الكتابات المتخصصة بموضوع الهجرة إلى الجزائر أيضا.

على العكس من ذلك فقد ترك موضوع استقدام المارونيين من الشام الى الجزائر كما كبيرا من الوثائق والمراسلات بين الجهات الرسمية بالجزائر وفرنسا ومعا وبين البعثات الديبلوماسية الفرنسية بالشام، خاصة بعد أحداث سنة 1860م الا أن

[1] ANOM. GGA, Série L, Carton : L//1.

[2] Ibid.

السلطات الاستعمارية عزفت عن الفكرة نظرا للخطر الذي كان قد يشكّله ذلك على الاستقرار والأمن العام.

وكانت آخر فكرة طرحتها السلطات الفرنسية في هذا السياق كانت سنة 1903م ، حيث أشارت رسالة من وزير الخارجية الفرنسي الى رئيس البرلمان، بتاريخ 7 جانفي 1903م، بخصوص استقبال 200 عائلة من Afrikanders (بريطانيو جنوب افريقيا) كانوا متواجدين في عدة دول أوربية، بعد تعرضهم لمتابعات قضائية من قبل بريطانيا إثر حملهم للسلاح ضدها في جنوب إفريقيا خلال حرب البوير الثانية (11 أكتوبر 1899 الى غاية 31 ماي 1902) والتي انتهت بهزيمة دولة الأورنج المستقلة، وجمهورية الترانسفال، حيث ضمتا بعد هزيمتهما الى التاج البريطاني، لأن ذات الحكومة اعتبرتهم ثائرين[1]. وان كان الملف لم يحمل رد الحكومة الفرنسية الرسمي عن هذا الطلب، الا أنه شكل أيضا مشروعا من المشاريع الفرنسية الرامية إلى تكثير العنصر الأجنبي بالجزائر كيفما كان.

4 تطور الجاليات الأوربية في الجزائر:

بالموازاة مع ذلك، كانت الإدارة الاستعمارية تعمل خلال هذه المرحلة على استقطاب مستوطنين من شمال أوربا، خاصة من ألمانيا وسويسرا، وأولى الإمبراطور الى المشروع عناية كبيرة وخصص له ميزانية وموظفين رسميين.

4. 1 الهجرة الألمانية:

على غير العادة، تعتبر فترة الخمسينات من القرن 19م بالنسبة للهجرة الألمانية إلى الجزائر بالفترة الذهبية، ويعود الفضل في ذلك إلى المجهودات الكبيرة التي بذلتها الإدارة الاستعمارية في هذا الاتجاه، حيث كثّفت من تجنيد بعثاتها الدبلوماسية في الدويلات الألمانية، كما استعانت بموظفين مختصين أرسلوا الى ألمانيا لترغيب الألمان في الهجرة الى الجزائر، ولعلّ للمراسلة التي بعثها القنصل الفرنسي دو فانتناي (*le Vicomte de Fontenay*) الى وزارته

[1] ANOM. GGA, Série 8X, Carton : 8X/30.

بتاريخ 24 نوفمبر 1843م ووصفه للألمان بالمزارعين الجيدين، وبحبهم للعمل، وبهدوئهم وخضوعهم للقوانين، تأثير على مجريات الأحداث[1]. وصل الحد بذات الإدارة الى بيع أراضي جزائرية في ألمانيا ذاتها، وأصبح الألمان تبعا لذلك لا يغادرون ألمانيا بجواز سفر، وانما بعقد ملكية لأرض في الجزائر، وربما هذا ما يفسر حجم الهجرة الألمانية الى المستعمرة خلال الخمس سنوات الأولى من خمسينات القرن 19م، دون اغفال التطّورات الناجمة عن الثورة الصناعية، وتأثيرها على وسائل النقل وخاصة النقل المائي، وفيضانات نهر الراين سنة 1852م والتي تسببت في اتلاف الكثير من المحاصيل، بالإضافة الى سنوات الجفاف التي تلت الى غاية سنة 1859م[2]، ساهمت أيضا في هجرة بعض الألمان الى الجزائر. كما أن تقرير ويبار(*Wiber*) [3] الذي أرسله الى السلطات الاستعمارية بتاريخ 22 أكتوبر 1853م، بعنوان: " الهجرة الألمانية وطرق تحويل جزء منها باتجاه العمالات الفرنسية بإفريقيا"، سهل المهمة على الإدارة الفرنسية، لأنه شخص في صفحاته الإحدى والخمسين العوامل التي كانت تبعد الألمان عن الجزائر، وكيف يمكن ترغيب تلك العناصر في الهجرة إلى المستعمرة[4].

---

[1] ANOM.L//7. 1843-1871.

[2] Fabienne Fischer, **Alsaciens Lorrains en Algérie, histoire d’une migration**, Edtions Jacques Gandini, Nice, 1998.p.10.

[3] ماري دو فيبار (Marie de Wiber) كان مدير السكة الحديدية بمملكة ساكس بألمانيا، كتب سنة 1855 كتيبين حول الجزائر: " الجزائر والهجرة" و" نزهة في الجزائر". ينظر: ANOM. L//7.

[4] العوامل التي تبعد الالمان عن الجزائر حسب التقرير هي:

- التجارب الفاشلة الأولى التي عاشها الالمان الأوائل بالجزائر.
- جهل العناصر الألمانية بطبيعة البلد، ومناخه، ومنتوجاته، حيث يعتقد الجميع ان افريقيا ما هي الا صحراء قاحلة.

واقترح حلولا لتلك المشاكل وهي:

- تعريف كثيف وجيد للألمان بالجزائر، وبالعوامل التي أدت الى فشل الالمان الأوائل الذين جاءوا الى الجزائر بدون إمكانيات.
- تعريف هؤلاء بالقوانين المطبقة بالمستعمرة، والتسهيلات المقدمة للألمان لمن يملك إمكانيات كافية.
- وضع خرائط مفصلة للطرق، ووضع كل هذه المعلومات في مطبوعات باللغة الألمانية. =

بلغ عدد الالمان بالجزائر 20.000 نسمة سنة 1851م بين مدنيين وعسكريين في صفوف اللّفيف الأجنبي، وهو ما كان يشكّل 10% من مجموع الأوربيين[1]، ونظرا للعدد الكبير من الألمان المجندين في صفوف اللفيف الأجنبي منذ سنة 1831، فان عدد الألمان من المدنيين، لم يتعد 6000 نسمة خلال سنة 1854م، ليرتفع عددهم إلى 10.000 نسمة سنة 1855[2].

في وقت كانت فيه الدويلات الألمانية الواقعة بالوسط، والأخرى الواقعة على الساحل مثل (برام) و(هومبورغ) تفرض قيودا كثيرة على الهجرة الى الخارج، وخاصة الى الجزائر بسبب فشل العناصر الألمانية الأولى المهاجرة اليها في التأقلم والنجاح، حيث يشير روبار غارسيا، الى أن أربعة أخماس الألمان في الجزائر توفوا سنة 1842م نتيجة الحمى والمعارك[3]، في حين كانت دويلات أخرى تعمل على التخلّص من فقرائها بإرسالهم إلى الجزائر لأنها أقل تكلفة من أمريكا، وكانت البلديات هي من تتكفّل بالجانب المادي حتى تستوفي تلك العائلات الشروط التي كانت تفرضها الإدارة الاستعمارية[4]. ولكيلا تصرف تلك العائلات المبلغ المقدم لها، كانت الإدارة تمنح لهم خمس المبلغ، والباقي يسلّم لهم بمرسيليا من قبل وكيل لبنك (*Sautier*) والذي مقره بمدينة فريبورغ الألمانية[5].

= - التقرب من العملاء واقناعهم بتحويل جزء من الهجرة الألمانية الى الجزائر، ومنحهم مقابل مادي عن كل رأس من المهاجرين، يقدّر حسب ثروة المهاجر. ينظر: ANOM. L//7.

[1] Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie**, op..cit., p.37.

[2] مراسلة من والي قسنطينة الى الحاكم العام بتاريخ 16 جوان 1854 بشأن 158 ألماني وصلوا الى الإقليم الشرقي، هم في حالة بؤس فضيع، ويشير والي الإقليم الى أنه تقرر بالتنسيق مع ولاة كل من سكيكدة وعنابة استغلالهم في الاعمال الفلاحية، أو استغلالهم في الاشغال العمومية بالإقليم. ينظر: F/80/1177 ANOM.

[3] Robert Garcia, **l'Arrachement**, tome1 : Genèse de l'exode des européens d'Algérie (1830-1962). S.m.e et s.d, p.64.
[4] Jules Duval, op., cit. p.55.

[5] Jean-Maurice Di Costanzo, **« L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890** », op. cit.,, p. 43.

كان ملف العائلات المترشحة للهجرة خلال بداية الخمسينات من القرن 19م يتكون من الآتي:

- الحالة العائلية لأفراد العائلة ومكان ولادتهم.
- تصريح مكتوب بالمبلغ المتوفر عليه مؤشّر من قبل رئيس بلدية المعني.
- شهادة حسن الاخلاق، وفي بعض الحالات شهادة طبية[1].

وتجب الإشارة الى أن التنظيم الإداري الخاص بالهجرة في فرنسا تغير منذ 28 سبتمبر 1853م، بحيث بات ولاّة المقاطعات المتاخمة للحدود الألمانية هم الوسيط بين المترشحين للهجرة، والوزارة المعنية وهم من يستلم الملفات، عوض السفراء والقناصل. وكان من نتائج ذلك التعديل تدفّق سيل كبير من طلبات الهجرة الى الجزائر من الالمان سنتي 1853-1854م، مما فسح المجال من جديد لبعض المزورين وخاصة في مقاطعة الراين السفلى الفرنسية، حيث زورت الأختام الإدارية مما مكّن المهتمين بالسفر من الظفر بملكية، لأن دراسة كل الملفات كان يتطلب وقتا طويلا.

استرعت عمليات التزوير تحقيقا ميدانيا وصلت نتائجه الى الوزارة بتاريخ 23 سبتمبر 1853[2]. كما كان لتعديل اداري آخر أثر على حجم الهجرة الألمانية الى الجزائر خلال هذه الفترة، حيث خول لوكلاء السفر منذ شهر ماي 1853 صلاحية تسليم رخص المرور المجاني والأراضي للمترشحين للهجرة، كما أن الشروط أصبحت أكثر سهولة:

- العامل الأعزب يلزمه مبلغ 100 فرنك للعبور الى الجزائر.
- العامل وعائلته يلزمه مبلغ 400 فرنك.
- المستوطن يلزمه التوفر على مبلغ 2000 فرنك.

رفعت السلطات الاستعمارية المبلغ المخصص للمستوطن الى 3000 فرنك منذ شهر ماي 1855م، الأمر الذي كان له تأثير مباشر على حجم المستوطنين الألمان

---

[1] ANOM. Série F/80, Carton : F80/1306.

[2] Ibid.

الى الجزائر، ونستشف ذلك من رسالة من محافظ الشرطة العامة بوزارة الداخلية، الى الماريشال بيليسييه الحاكم العام للجزائر بتاريخ 9 افريل 1862م بشأن طلب مولار (*Muller*) المحافظ الفرنسي للهجرة بمدينة ستراسبورغ (*Strasbourg*) الفرنسية الحدودية مع ألمانيا، والذي اشتكي من ارتفاع ذلك المبلغ، وطالب بتخفيضه من 3000 فرنك الى 2000 فرنك، كما طالب أيضا بضمان مرور مجاني لهم، وارشادهم إلى الضابط العسكري المكلّف بتلك العملية في مدينة مرسيليا[1].

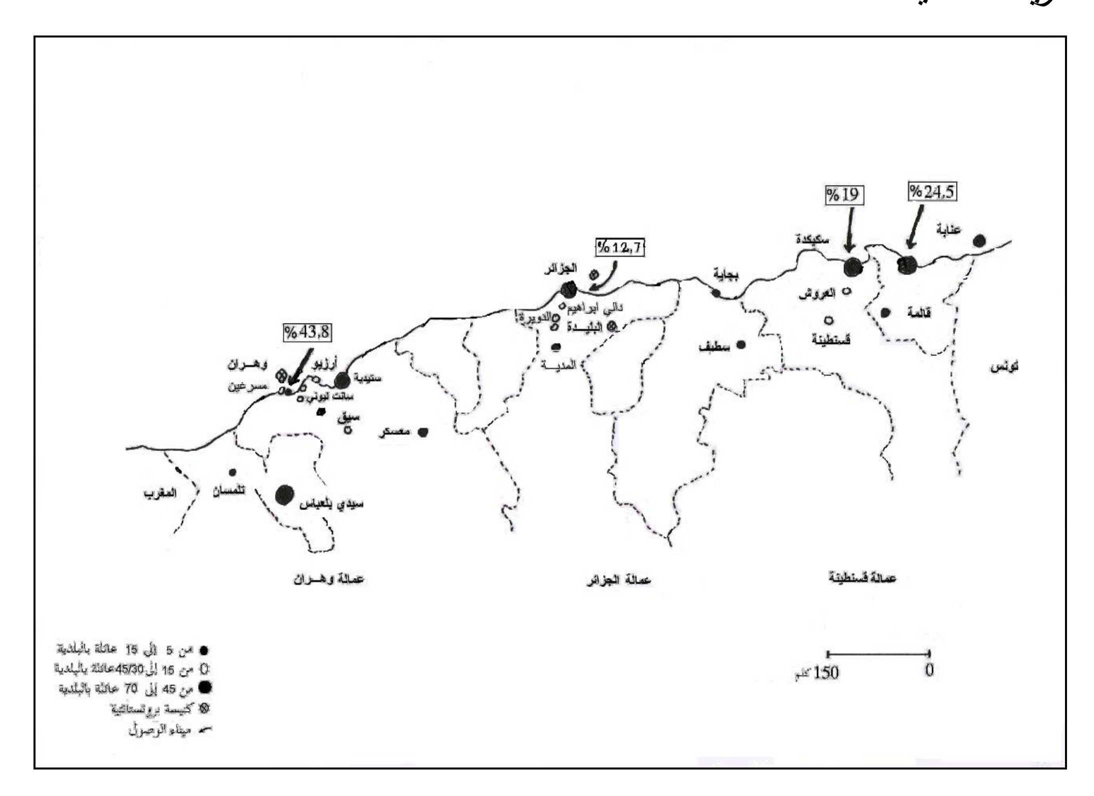
يبدو من الرسالة أن عملية انتقال المهاجرين الالمان إلى الجزائر طرأ عليها تغيير آخر مس الغاء المرور المجاني، لأن تعديل ماي 1853م كان يضمن لهم ذلك، بالإضافة الى اعفاء من دفع الضرائب للمستوطنين لمدة خمسة سنوات، ومنحهم قطعة أرض مجانية تتراوح مساحتها بين 4 و12 هكتار[2].

تجب الإشارة الى ان مولار كان يستعين بإيفان (*Yvan*) الذي يعمل من داخل الأراضي الألمانية والسويسرية، عبر حملات إعلامية بواسطة مناشير، تعرف الألمان بمناخ الجزائر والنظام الإداري بها، وتلقّى في شهر أوت 1861 نظير ذلك مبلغ 5500 فرنك من الحكومة العامة في الجزائر لتغطية مصاريف مهمته، وكان يستعين بأعوان لتجنيد المهاجرين الألمان يقبضون 10 فرنك عن كل مهاجر، و30 فرنك عن كل عائلة.

لقد وزّع أعوان الإدارة الاستعمارية بألمانيا آلاف المطبوعات من اليد الى اليد، في الأرياف الألمانية والسويسرية، لأن الإعلان على الجدران بات ممنوعا، ووضع تحت تصرف المهتمين بالهجرة 3500 هكتار من الأراضي الجزائرية للبيع في كل من سان موريس(*St Maurice*) ، جنيف (*Genève*) وبال (*Bale*) بسويسرا وفي باد (Bade) وورتمبارغ (Wurtemberg) بألمانيا، بين 15 و30 أكتوبر 1861م تتوزع تلك المساحة على العمالات الجزائرية الثلاث[3].

---
[1] ANOM.L//6.
[2] Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie**, op..cit., p.43.
[3] ANOM. GGA, Série L, Carton : L//6, Rapport Muller du 5 mai 1862.

أما توزيع الألمان على الأرض في الجزائر خلال هذه الفترة، فكان حسب الخريطة التالية:



(خريطة رقم:3). التوزيع الجغرافي للجالية الألمانية بالجزائر بين 1856-1872م[1].

ويبدو جليا أن توزيع الجالية الألمانية لم يكن جهويا كما كان الحال بالنسبة لـلإسبان والإيطاليين، لأن الإدارة الاستعمارية هي من تحكّمت في توزيعهم، عكس الجاليات الأخرى، وربما أرادت من خلال ذلك تلافي الخطأ الذي وقع في الشرق والغرب، ولا تقدر التحكّم فيه.

كانت التسهيلات المقدّمة للألمان بالجزائر، لرفع عددهم، تتمثل في دفع ثمن الأرض على دفعتين: الثلث عند الشراء، والثلثين المتبقين بعد سنتين من الاستقرار، كما كان عقد الملكية المؤقّت يحل محلّ جواز السفر، ويخول لحامله الاستفادة من تخفيضات في تذكرة السفر عبر السكك الحديدية إلى غاية مرسيليا،

[1] Maurice Di Costanzo, Jean-Maurice Di Costanzo, **« L’Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890** », op. cit., p. 76.

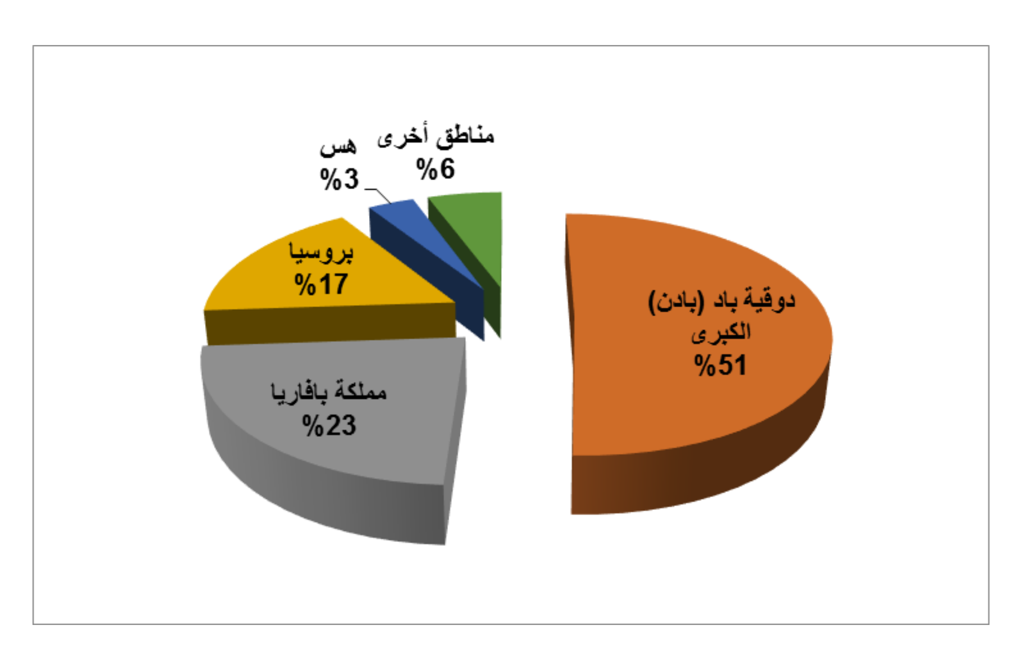
ومنها يستفيد من عبور مجاني الى أحد الموانئ الجزائرية الأربعة: الجزائر، وهران، عنابة وستورا، وكل من يصطحبه من عائلة أو عمال أو خدم.

لقد وصل إلى الجزائر 280 ألماني بين أكتوبر 1862 وفبراير 1863م في عدة قوافل، وكان "مولار" يرافقهم حتى إلى الجزائر، وكان ذلك العدد غير كاف بنظر الإدارة الاستعمارية، مما استرعى اصدار 3000 نسخة من كتيب من خمسين صفحة سنة 1863م، من قبل(*M. Debains*) بعنوان "الجزائر بمنظور المهاجرين الألمان" (*Algerien al biel fur Deutshe answanderer*) بإسم مستعار(*Friederich Hermann*) لكي لا يثير الشكوك حول سياسة الإمبراطورية الثانية تجاه هجرة الألمان[1]، لكونه موظف سابق بالسفارة الفرنسية بمدينة دارمستادت (*Darmstadt*) الألمانية، كما كتب مدير السكة الحديدية بمملكة ساكس الالمانية البارون (*Marie de Weber*) كتيبين أيضا، الأول بعنوان: "الجزائر والهجرة"، أما الثاني فجاء موسوما ب: "نزهة في الجزائر"، وكتبهما بعد رحلة قادته إلى المستعمرة، وكان يهدف إلى تحويل قسم من تيار الهجرة الألمانية المتوجه الى الولايات المتحدة الأمريكية نحو الجزائر.

وكان مصدر العائلات الألمانية 598 التي طلبت الهجرة إلى الجزائر بين 1845-1863م مصدرها المناطق التالية:

---

[1] ANOM. Rapport Muller du 5 mai 1862. op.,cit.



رسم بياني رقم: 4. المناطق الألمانية التي هوجر منها إلى الجزائر بين سنوات: 1845-1863م[1].

يتّضح من الشكل أن المناطق التي كانت تشهد هجرة كثيفة باتجاه الجزائر كانت تلك التي تقع في الجهة الغربية والوسطى لألمانيا المحاذية للحدود الفرنسية، إلاّ أن الظروف الجغرافية وحدها لا تكفي لتفسير تلك الظاهرة وانما ظروف تلك المناطق الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية.

4. 2 الهجرة الاسبانية:

بعد ثورة 1848م بفرنسا، أصبح لا يسمح للإسبان بالمرور إلى الجزائر إلا بإظهار وثيقة تثبت امتلاك المهاجر لمنصب عمل في مكان معين وعند صاحب عمل معلوم[2]، وحتى من كانوا من دون عمل في وهران تم إعادتهم إلى وطنهم. ولقد شهد ميناء وهران بسبب ذلك حركة معتبرة للإسبان كما هو موضح في الجدول التالي:

[1] Jean Maurice DI Costanzo, « **L'Emigration Allemande en Algérie aux XIX ème siècle (1830-1890)** », op. cit.,. p.88.

[2] Jules Duval, op., cit. p.327.

	الوصول 1847		الوصول 1848		الذهاب 1847		الذهاب 1848	
الشهور	جوازات سفر	اشخاص	جوازات سفر	اشخاص	جوازات سفر	اشخاص	جوازات سفر	اشخاص
مارس	172	**304**	153	**399**	122	**128**	150	**180**
افريل	275	**430**	99	**338**	176	**201**	185	**245**
ماي	188	**396**	144	**250**	151	**193**	198	**282**
جوان	280	**314**	107	**214**	165	**190**	188	**267**
جويلية	327	**398**	151	**195**	185	**273**	295	**491**
اوت	507	**544**	162	**363**	219	**343**	276	**419**
المجموع	**1749**	**2386**	**816**	**1759**	**1018**	**1338**	**1292**	**1884**

(جدول رقم 7). حركة الاسبان بميناء وهران خلال الستة شهور الأولى من سنتي 1847 و1848م[1].

يلاحظ من الجدول أن الفارق بين عدد الوافدين إلى وهران والذاهبين منها بلغ 1048 شخص سنة 1847م، في حين نسجل تراجع كبير لذلك العدد خلال السنة الموالية التي نلاحظ خلالها خسارة بلغت 125 شخص،كما نسجل أيضا افتقاد لعدد كبير من الاسبان الوافدين على وهران أو المغادرين لها لجوازات سفر؛ حيث بلغ عدد الوافدين خلال الستة أشهر الأولى من سنة 1847م من دون جواز سفر 637 شخص، وارتفع عددهم خلال ذات الفترة من سنة 1848م إلى 970 شخص، مما يعني أن القنصلية الاسبانية بوهران لم تكن تهتم بتحضير جوازات سفر للمغادرين منهم للمدينة باتجاه اسبانيا، حيث عاد منهم 320 شخص خلال نفس الفترة من سنة 1847م بدون جواز سفر، وارتفع عددهم إلى 592 شخص سنة 1848م.

[1] Etat nominatif du mouvement de la population Espagnole à Oran du 1er mars au 31 aout des années 1847et 1848. ANOM. GGA. L//7.

رغم أن حصول الاسباني على عمل خلال الفترة الممتدة بين 1850م و1860م كان يعني تجسيد حلم بالنسبة له[1]، إلا أن الإدارة الاستعمارية عمدت منذ 1849م إلى منع رسو عدد من المراكب الاسبانية الحاملة لعدد من البؤساء الاسبان، بل شرعت في طرد الاسبان العاطلين عن العمل من الجزائر منذ 1850م، بسبب الأزمة المالية وداء الكوليرا الذي ظهر منذ 1849م بالجزائر، بل لجأت ذات الإدارة الى وضع تعرفة جمركية جديدة، لقطع الطريق أمام النشاطات المشبوهة التي كان يقوم بها الاسبان بالإقليم[2]، ومنها تهريب السلع والمهاجرين.

لم تستمر تلك الوضعية طويلا، لأن القنصل الفرنسي بمدينة أليكونت الاسبانية قدم عشرة آلاف تأشيرة لإسبان متوجهين إلى الجزائر سنة 1855م، بعد الظروف الصعبة التي شهدتها البلاد، وفي مقدمتها الحروب الأهلية والجفاف، ولم يكن ذلك بدافع انساني، بل لحاجة فرنسا ليد عاملة بعد انطلاق المشاريع الاستيطانية الكبرى بالجزائر منذ 1852م، كما سبقت الإشارة الى ذلك.

وكان لتحسن ظروف السفر في المدن الساحلية الجنوبية لإسبانيا تأثير مباشر على هجرة الإسبان إلى وهران بالخصوص خلال هذه الفترة، حيث قدم الميناء الصغير (Ste Pola) بالقرب من مدينة (أليكونت)1261 مهاجر سنة 1860م و1564 مهاجر سنة 1861م، كما أن (فالانس) بعدما كان المهاجرون فيها عرضة للمهربين والمضاربين في تكاليف السفر، تحولت منذ 1862م، حسب تقارير البعثات الديبلوماسية الفرنسية، إلى ميناء كبير بسبب دخول السفن الملَكية الحاملة للبريد إلى الخدمة، وأصبح المهاجر إلى الجزائر يسافر بيسر وفي أوقات معلومة وثابتة، كما تحسنت الظروف في مدينتي مورسيا وقرطاجنة أيضا، حيث

---

[1] Jean-Jacques Jordi, « **Le peuplement Français de l'Afrique du nord, entre mythe et réalité»,** In : Actes du colloque « les peuplements de l'Afrique du Nord : une histoire de migration plurielles, organisé par la Fondation Algérie-Maroc- Tunisie, Maison de la Chimie, Paris le lundi 12 décembre 2011, pp. 57-64.

[2] Jean Garry, **Les Espagnols d'Oranie**. ANOM. GGA, Série 10H, Carton : 10H/98,

تراجعت الأسعار والمسافة[1]، كما أن العائلات الاسبانية الناجحة في الجزائر عملت على استقطاب وجلب بقية العائلة أيضا[2].

تبع ذلك بتراجع للهجرة الاسبانية إلى الجزائر الى حدود 2000 نسمة في السنة، ومرد ذلك حسب القنصل الفرنسي بمقاطعة مورسيا الاسبانية، في رسالة الى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 10 أفريل 1865م، إلى التساقط المستمر، ومشاريع السكك الحديدية وارتفاع الأجور بالبلاد، وهذا الأمر بدأ منذ عدة سنوات. وكانت السلطات الاستعمارية تراهن على اشراف تلك المشاريع على الانتهاء لاستقطاب عدد منهم، خاصة وأن وسائل النقل الجديدة قربت إلى الساحل السكان القاطنين في السهول الوسطى والجافة وفي الجبال، وهو ما سيمكنهم من معرفة الجزائر التي كانت حتى ذلك الوقت وجهة سكان السواحل فقط، حسب ذات القنصل[3].

وجاءت مراسلة وزير الحرب إلى الحاكم العام بتاريخ 24 ماي 1865م، في هذا الاتجاه أيضا، حيث أعلمه فيها بأن القنصل الفرنسي في قرطاجنة يشير إلى أن الظروف مواتية لهجرة عدد من الاسبان بعد فتح الخط الحديدي بين مدريد وقرطاجنة الذي دشّن بتاريخ 15 افريل 1865[4] ، ورسالة أخرى من وزير الحرب إلى الحاكم العام بتاريخ 13 فبراير 1869م، دعت إلى ضرورة انتهاز الظروف المساعدة في اسبانيا كالفقر وفتح الخط الحديدي الممتد من مدريد إلى المدن الجنوبية الساحلية للفت انتباه الرعايا الاسبان بالتوجه إلى الجزائر[5].

لقد أثمرت تلك المساعي بعد شهور، حيث شهدت عمالة الجزائر زيادة في عدد الاسبان بنحو 2000 نسمة، تجب الإشارة إلى وجود اختلاف بين الرقم

---

[1] حاولت الإدارة الاستعمارية استغلال ذلك التقدم الحاصل في موانئ جنوب اسبانيا، لجلب مهاجرين فرنسيين من الجنوب والجنوب الغربي لفرنسا عبر الموانئ الاسبانية، للاقتصاد في تكلفة ومدة السفر.

[2] ANOM. L//1.

[3] Op., cit.

[4] ibid.

[5] ANOM. L//6.

المقدم من قبل مدير الصحة وهو: 2216 اسباني إضافي، وبين رقم القنصل الاسباني العام وهو: 1337 نسمة، مما يعني أن ضبط العدد الصحيح بالنسبة للإدارة الاسبانية كان صعبا، واعترف القنصل الاسباني في رسالة بعث بها إلى والي الجزائر بتاريخ 29 سبتمبر 1869م بأن الرقم المقدم من قبل مدير الصحة هو الأقرب إلى الصواب[1].

لقد كان اعتماد السلطات الاستعمارية على اليد العاملة الاسبانية كبيرا، إلى درجة أن وزارة الحرب كانت تتابع خطوط المواصلات بين اسبانيا والجزائر باهتمام كبير، والمراسلة التي كانت بين محافظ الحكومة للسكك الحديدية بالجزائر ومدير مصلحة الجزائر بوزارة الحرب بباريس بتاريخ 1 نوفمبر 1869م بشأن تعطّل السفينة البخارية (*Le Péril*) التي كانت تصل مدينة قرطاجنة الاسبانية بوهران تؤكّد ذلك، حيث أقلق ذلك التعطّل السلطات في باريس، وكُلّف والي وهران بالتنسيق مع مدير المؤسسة الناقلة لإيجاد وسيلة لتعويض تلك السفينة[2].

لم تشهد الجزائر رغم ذلك هجرة كثيفة للإسبان، رغم أن جوردي أشار إلى أن الجزائر كانت الوجهة الثالثة المفضلة لدى الاسبان، بعد كوبا وفرنسا بين 1858 و1870م[3]، فإلى ماذا يعزى ذلك التراجع؟

4. 2. 1 الوضعية الصعبة للإسبان في الجزائر:

يبدو أن تراجع الهجرة الاسبانية إلى الجزائر خلال فترة نهاية الخمسينات وبداية الستينات من القرن 19، مرده الى الظروف الصعبة التي كانت تعيش فيها الجالية الاسبانية، خاصة في الإقليم الغربي من الجزائر، ولقد نشرت جريدة (*El Comercis*) الرسمية الصادرة في مدينة أليكونت الاسبانية، خبرا بهذا الشأن، والذي تسبب في نشوب جدل بين الإدارة الاستعمارية وبين البعثات الديبلوماسية الاسبانية بالجزائر، والخبر كان مصدره معطيات تضمنها تقرير من القنصل

[1] ANOM. L/1.

[2] ANOM. F/80/1805.

[3] Jean Jacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, op. cit.,p.7.

الاسباني بوهران إلى حكومة بلاده، حيث قدّم فيه صورة شاحبة لوضعية الإسبان في إقليم وهران، وأدّى ذلك إلى تدخّل الحاكم العام الماريشال بيليسييه (*Pélissier*) [1] عبر مراسلة القنصل الإسباني العام بالجزائر، والحكومة الاسبانية خلال شهر أوت وسبتمبر سنة 1861[2]، ذلك لأن التقرير المنشور من شأنه عرقلة هجرة الإسبان إلى المستعمرة التي كانت في حاجة ماسة إليها، ولذلك طلب الحاكم العام بنشر تكذيب لما نشر، في صفحات عناوين عديدة من الصحف الاسبانية[3].

حاول القنصل الاسباني العام بالجزائر تهدئة الوضع، انطلاقا من معطياته عن اسبان العاصمة، حيث قال: القنصل الاسباني العام: "إن السلطات الفرنسية قامت بمجهودات كبيرة بعد الجفاف الذي ضرب الجهات المتوسطية من اسبانيا سنة 1860م والتي أدّت إلى هجرة كثيفة نحو الجزائر، وأن السلطات الفرنسية نقلتهم على نفقتها إلى إقليم قسنطينة ....، وانتهى إلى القول: "ربما أن السلطات في وهران لا تتوفّر على نفس الإمكانيات التي في الجزائر".

---

[1] بيليسييه (Aimable-Jean- Jacques Pélissier): (دوق مالاكوف)، ماريشال فرنسي ولد في 6 نوفمبر 1794م بضواحي مدينة روان الفرنسية، خريج مدرسة سان سير العسكرية سنة 1815م، شارك في الحملة على اسبانيا سنة 1823م، وعلى الجزائر سنة 1830م. رجع ثانية الى الجزائر سنة 1839م، أصيب برصاص المقاومة بالغرب الجزائري مرتين 1840 و1842م. كان المخطط لمحرقة الظهرة التي راح ضحيتها أكثر من 500 شخص بين أطفال ونساء وشيوخ من قبيلة اولاد رياح بجبال الظهرة في 19 جوان 1845م. رقي في السنة الموالية رغم ذلك الى رتبة جنرال، وأصبح حاكما عاما للجزائر بالنيابة بين ن 23 أفريل الى غاية 10 ديسمبر 1851م, قمع عدة ثورات بالشمال والجنوب بكل وحشية ولا سيما ثورة بن سالم في الجنوب. رقي نظير تلك الخدمات الى رتبة ماريشال بتاريخ 12 سبتمبر 1855م. عين في شهر افريل 1858م سفيرا لبلاده في بريطانيا، ثم حاكما عاما للجزائر بعد أن ألغيت وزارة الجزائر والمستعمرات بتاريخ 24 ديسمبر 1860م الى غاية وفاته بالجزائر في 21 ماي 1864م. ينظر:

Narcisse Faucon, op. cit.,pp. 441- 445.

[2] ANOM. GGA, Série L, Carton : L//2.

[3] نشرت جريدة (Le Moniteur de l'Algérie) في العدد 26 بتاريخ 31 أكتوبر 1861م تقريرا عن الموضوع.

إلا أن القنصل الاسباني في رده على مراسلة من والي وهران، أصر على موقفه معتبرا أن معلوماته مستقاة من الواقع؛ فالعمل قليل نتيجة منافسة العمال المغاربة، وعدد المتسولين من الإسبان ما فتئ يتزايد، بالإضافة الى تفشّي الأمراض المختلفة وسطهم، إلى درجة ان الكثير من الاسبان بوهران تقدموا إلى القنصلية لطلب الحصول على جوازات سفر ومرور مجاني للعودة إلى البلاد، ثم عاتبه قائلا: ألم تكتب جريدة (*L'Echo d'Oran*) بأن الحكومة الاسبانية ترسل إلينا المتسولين. ؟؟؟ وأنهم يستغلون العطف الفرنسي ؟؟؟ إنني لم أقم إلاّ بواجبي فحسب، وعليكم بتصفّح دفاتر الجمعيات الخيرية بوهران لتتأكدوا من تلك الحقيقة المرة[1].

ان هذه الوضعية المزرية، نقلها أيضا الشاعر والصحفي الأمريكي برايانت ويليام كولن *(Bryant William Cullen)*، حيث وصف مساكن الاسبان بوهران اثر زيارته لها سنة 1857م بالأقبية، وهم مكتظون داخلها كالصراصير[2]، الأمر الذي تسبب في أمراض كثيرة ووفيات بالآلاف، كما أكّد أيضا أن القنصلية الاسبانية بوهران أشرفت على الكثير من الحالات التي فضلت العودة إلى البلاد.

ففي إحصاء شمل حركة الاشخاص بميناء وهران بين 1 اكتوبر 1868م إلى 30 اكتوبر 1869م، نلاحظ أن مجموع عدد الوافدين الإسبان إلى وهران بلغ 8052 شخص، في حين بلغ عدد المغادرين 5951 شخص، ولم يتعد الفارق 2101 شخص، وظلّ مصدر تلك الهجرة نفسه تقريبا، من مورسيا بأكبر عدد 4685 وافدين و4467 عائدين، ثم تليها أليكونت ب 2572 من الوافدين على وهران و868 من العائدين، ثم ألميرية، فالانس وملقا، حسب تقرير للقنصلية الاسبانية بوهران[3]، وهو ما يعني أن السلطات الإسبانية باتت تتابع عن كثب تحركات رعاياها خاصة بإقليم وهران، خاصة بعد تلك المواجهة الديبلوماسية،

[1] ANOM. GGA, Série L, Carton : L//2.

[2] Alfred Salinas, **Quand Franco réclamait Oran (l'Opération Cisneros)**, l'Harmattan, Paris 2008. P.p.36.37.

[3] ANOM. F80/1804.

والوضعية السيئة التي كان يعيش فيها رعاياها بعمالة وهران، ذات التركز الاسباني الكبير، وكانت السلطات الإسبانية قد أغفلت الهجرة الاسبانية في السابق لسببين:

- اعتقاد مدريد بأن هجرة الاسبان إلى الجزائر ظرفية.
- لأنها كانت غير شرعية في الغالب، والمهاجرون لا يملكون وثائق تثبت هويتهم[1].

4. 3 الهجرة الايطالية:

لم يجازف الإيطاليون بالهجرة إلى الجزائر زمن الثورة التي أطاحت بنظام لويس فيليب سنة 1848م، ولم يستأنفوا هجرتهم إلى الجزائر إلاّ مع بداية الخمسينات. وقد اهتمت الإدارة الاستعمارية كثيرا بالعمالة الإيطالية خلال هذه الفترة، خاصة بالإقليم الشرقي، لأن الاسبان لم يريدوا الاستقرار في الشرق، رغم مساعي حثيثة من الإدارة الاستعمارية في هذا الاتجاه، سنورد نماذج منها في مكان آخر من الفصل؛ فمنذ تعيين نابليون الثالث لراندون (*Randon*)[2] كحاكم عام على الجزائر، انتهز الإيطاليون الفرصة للمجيء إلى المستعمرة من جديد للعمل في قطاعات مختلفة، لأن الإدارة الاستعمارية شرعت في برنامج كبير للأشغال. إلاّ أن قدوم الإيطاليين لم يكن بالشكل الكافي في نظر تلك الإدارة، لأنها كانت ترغب في المزيد.

---

[1] Jean Jacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, op., cit, p.8.

[2] راندون (Jacques Louis César Alexandre de Randon): ماريشال فرنسي، سيناتور وحاكم عام للجزائر، ولد بمدينة غرونوبل الفرنسية بتاريخ 25 مارس 1793م، شارك في الحرب الفرنسية الروسية، ثم الحرب الاستعمارية في الجزائر، أصبح عقيدا سنة 1838م، ثم جنرالا سنة 1848م، ثم مديرا لشؤون الجزائر بوزارة الحرب، ثم وزيرا للوزارة ذاتها سنة 1851م، ثم حاكما عاما لى الجزائر بتاريخ 11 ديسمبر 1851م الى غاية انشاء وزارة الجزائر والمستعمرات في جوان 1858م.

بعد رجوعه الى فرنسا عين وزيرا للحرب للمرة الثانية بين 1859-1867م، توفي بمدينة جنيف السويسرية بتاريخ 16 يناير 1871م. ينظر:

Narcisse Faucon, op. cit.,pp. 460- 462.

ولتغطية ذلك النقص الحاصل في اليد العاملة بالإقليم الشرقي بالخصوص، كُلّفت البعثات الديبلوماسية الفرنسية في إيطاليا بتلك المهمة، حيث راسل المكلّف بالأعمال الفرنسية بمدينة فلورنسا الإيطالية، وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 21 أفريل 1855م، يدعوه فيها إلى التفكير في سبل تحويل العمال الإيطاليين المهاجرين من تسكانيا باتجاه جزيرة كورسيكا الفرنسية إلى الجزائر[1].

ولم تكن الإدارة الاستعمارية مع بداية ستينات القرن 19م، بحاجة إلى عملاء لجلب العمال الإيطاليين من مختلف الامارات الإيطالية، لأن الظروف الداخلية بالبلاد كانت كافية بدفعهم إلى الهجرة، وقد أحصى البرلمان الإيطالي مقتل 307 عسكري وفقدان 19 آخرين سنة 1816م بجنوب البلاد، علاوة على الفوضى السياسية والعسكرية التي كانت بين أسرة البوربون، والجمهوريات الإيطالية الجنوبية بالخصوص، نتيجة القمع الذي صاحب بداية ظهور الدولة الايطالية في نهاية الستينات[2]، والتي ذهب ضحيتها آلاف المدنيين.

وقد بلغ عدد الايطاليين بالجزائر، 7573 نسمة سنة 1853م، ثم 9000 نسمة سنة 1855، و12000 نسمة سنة 1864م[3]، كانوا موزعين كما يلي؛ 4000 في الجزائر، 2000 في إقليم وهران و6000 نسمة في إقليم قسنطينة.

استقبلت الجزائر 5000 إيطالي بين 1861-1866، ثم عرفت هجرتهم بعض الركود خلال السنوات اللاّحقة بسبب الجوائح التي أحلّت بالجزائر نهاية الستينات من القرن 19، وكان يقيم في القل 1300 إيطالي سنة 1866م، في حين كان في عنابة 2800 إيطالي سنة 1868[4].

[1] ANOM. L//2.

[2] Eric Vial, **Guerres, société et mentalités : L'Italie au premier XXe siècle**, Editions Seli Arslan, Paris.2003.pp.20.21.

[3] Gaston Loth, op. cit., p.108.

[4] Gérard Crespo, **Les Italiens en Algérie (1830-1860) : Histoire et sociologie d'une migration**, Editions Jacques Gandini, Nice.1994. p.41.

4.4 الهجرة المالطية:

بلغ عدد المالطيين بالجزائر 10627 نسمة سنة 1866م، بزيادة 3513 نسمة منذ 1856م، وهي زيادة قليلة مقارنة بالجاليات الأوربية الأخرى وخاصة الإسبانية والإيطالية، ويعود ذلك التراجع إلى مجموعة من العوامل أهمها؛ الإجراءات التي اتخذتها الإدارة البريطانية في مالطة منذ منتصف الأربعينات بتخفيض مبلغ كراء الأراضي بنسبة تراوحت بين 25 إلى 30%، وكذا خوف بعض المالطيين من الحرب الدائرة في الجزائر سنة 1845 بين المقاومة الجزائرية وقوات الاحتلال[1]، وبسبب داء الكوليرا الذي ظهر في الجزائر سنة 1849م، وأيضا بسبب الأزمة التي تسببت فيها المضاربة والتي أدت إلى ارتفاع أسعار العقار والأراضي بالجزائر، الأمر الذي عطّل بعض المشاريع وبالتالي تراجع الحاجة إلى اليد العاملة، ولكن منذ 1852م وبداية المشاريع التي باشرها الحاكم العام، بدأت تتوافد العناصر المالطية إلى الجزائر من جديد.

5 الفرنسيون للاستيطان، وأوربيو الجنوب كيد عاملة متحركة:

كانت باريس لا تزال تنظر، حتى هذه الفترة، إلى هجرة الإسبان والإيطاليين نظرة اشمئزاز، وهو تكريس للتوجه الذي كان منذ البداية، خلاف المالطيين الذين كان ينظر إليهم بمنظور خاص خلال هذه المرحلة[2]، لأن فادالا أشار إلى أن رئيس أساقفة مالطة شرع منذ سنة 1848م في ارسال قساوسة من اجل مهمة

---

[1] Marc Donato, **Elisa la Maltaise, Histoire des Maltais d'Algérie : 1830-1962**, Editions Jacques Gandini, Nice, 2002, p.88.

[2] كان القنصل الفرنسي بمالطة يشجع الهجرة المالطية الى الجزائر لسببين:

- تكثير عدد الاوربيين.

- ايجاد قوة كاثوليكية متدينة تعمل على تمسيح الاهالي نظرا لتقارب اللغة والثقافة بين الطرفين العربي والمالطي. ينظر:

Natalie Bernardie, **Malte parfum d'Europe souffle d'Afrique**, Collection « Iles et Archipels » N : 27, Paris 1999 .p.107.

تبشيرية دينية في الجزائر[1]، وهو ما لا يتعارض والسياسة الفرنسية الدينية في الجزائر، خاصة خلال هذه الفترة التي شهدت نشاطا كثيفا للكاردينال لافيجري الذي خصهم بعناية خاصة، ومع ذلك كانت تتتبع تطور عددهم والظروف التي يسافرون فيها والأوضاع العامة في بلدانهم، بحكم الضرورة والحاجة، وكانت البعثات الديبلوماسية الفرنسية في هذه المناطق من أوروبا هي من تقوم بتلك المهمة، مما يعني أن الإدارة الاستعمارية كانت ترغب في غرس الفرنسيين والعناصر الأوربية من الشمال لاستغلال الأرض، والاعتماد على الرعايا الأوربيين من الدول المتوسطية كيد عاملة متحركة، وهو ذات الأمر الذي تحدث عنه أونفونتان منذ سنة 1845م، حيث قال بأن التعمير وخدمة الأرض يتم بالفرنسيين من الألزاس واللّورين، السويسريين، الألمان والبلجيكيين، أما الإسبان، الإيطاليين والمالطيين فتترك لهم مهام الخدمة والبقالات[2].

نظرا لاختلاف العدد بين هؤلاء وأولئك يمكن القول بأن العملية الاستيطانية تمت بالعناصر المتوسطية إلى غاية هذه الفترة، ويبدو من خلال مراسلات البعثات القنصلية الفرنسية أن الإدارة الاستعمارية كانت تعي ذلك جيدا.

لم تكن الجاليات الأوربية بسبب الفقر والفاقة والبؤس، لذلك التمييز أو التصنيف، مما يفسر استمرار توافدهم على الجزائر حيث شهد عددها بالجزائر خلال الفترة الممتدة من سنة 1845 الى 1872م ارتفاعا ملحوظا، تعكسه أرقام الجدول التالي:

---

[1] R.Vadala, « **L’émigration maltaise en pays musulman** », Revue du Monde Musulman, avril 1911,pp.36-61.

[2] Correspondance du 18/02/1845. ANOM GGA, Série L, Carton :L//7.

	1845	1851	1856	1861	1866	1872
الفرنسيون	46339	66050	92750	112229	122119	129601
الاسبان	25335	41558	42218	48145	58510	71366
الايطاليون	7738	7555	9472	11815	16655	18351
المالطيون	8047	7307	7114	9378	10627	11562
جنسيات اخرى	7862	8813	9214	11179	10097	14287

جدول رقم: 8. تطور العناصر الأوربية بالجزائر بين 1845-1872م[1].

يلاحظ ان أن عدد الأوربيين ارتفع في الجزائر خلال هذه المرحلة (1848-1870م) بنسب متفاوتة، باستثناء المالطيين الذين تراجع عددهم بنحو ألف نسمة بين سنة 1845 و1856م لأسباب سبق ذكرها، خلال بداية الخمسينات من القرن 19م بنحو 1000 نسمة، ثم بدأ عددهم في الارتفاع منذ 1861م، ليستمر ذلك الوضع إلى غاية 1885م، حيث بدأ في تراجع متواصل لأسباب كثيرة وأهمها التجنس.

أما عدد الإسبان والإيطاليين فاستمر في التزايد، باستثناء تراجع طفيف لعدد الإيطاليين بالجزائر سنة 1851م، وهذا التزايد المستمر تعلله حالة البؤس وعدم الاستقرار السياسي في البلدين، أما الفرنسيون، فرغم تزايد عددهم المستمر، إلا ان ذلك كان أقل بكثير مما كانت تطمح إليه الإدارة الاستعمارية.

6 السياسة الرأسمالية للإمبراطورية الثانية في الجزائر وتأثيرها على الهجرة الأوربية:

سعت الإدارة الاستعمارية منذ بداية خمسينات القرن 19م، إلى جعل الجزائر مصدر ثراء للميتروبول، وجاء ذلك التوجه في تقرير لوزير الحرب بتاريخ 20 ماي 1854م: " لا يكفي أن تتوقّف الجزائر عن كونها عالة على فرنسا ولكن

[1] Victor Démontès, in : Marc Donato, op. cit., p.89.

عليها أن تصبح مصدر ثراء لها ... ونأمل أن نقيم في شمالها مليوني مستوطن مع نهاية القرن"[1].

وجاء هذا الاعتقاد والتوجه بعد إعلان الإمبراطور في 2 /1852/12م، بعد أن منحه الدستور الجديد كل الصلاحيات، وتجسد من خلال الإعتماد على الشركات الكبرى للاستثمار في الجزائر مع حد أدنى من الشروط ذات الصلة بالاستيطان الأوربي، قبل أن تتغير نظرته للأمور بعد الزيارتين اللتين قام بهما للجزائر سنتي 1860 و1865م.

كانت الجزائر بعد الانقلاب الذي قام به نابليون الثالث في ديسمبر 1851م، موطن العقاب والثواب معا، حيث أبعد اليها الآلاف من المعارضين للنظام الجديد، وفي ذات الوقت ظفر المقربون من الامبراطور على امتيازات عقارية كبيرة في الجزائر تحت إطار ما عرف بالاستثمار الرأسمالي، من قبل شركات أوربية كبيرة استفادت من آلاف الهكتارات من الأراضي، لإقامة مشاريع اقتصادية واستيطانية بالمستعمرة. وكان الإمبراطور يعلّل المصادرة العنيفة لأراضي الجزائريين بأنها "نوع من المصادرة للمصلحة الإنسانية"[2]، في خطاب ألقاه بالجزائر خلال زيارته الأولى بتاريخ 19 سبتمبر 1860.

بعد سنتين من ذلك أصدرت المحكمة الإمبراطورية بالمستعمرة قرارا بتاريخ 24 فبراير 1862م، بأن الشّخص الجزائري المسافر إلى الخارج له الحق في الاستفادة من الحماية الفرنسية، وهو حر إن أراد بيع ممتلكاته ومغادرة البلاد. ويبدو أنه كانت هناك إرادة قوية من قبل الإدارة الاستعمارية لتحسيس كل من يملك أرضا من الجزائريين بأن الحماية مضمونة له خارج الجزائر، أما إن فضل البقاء فقد يكون ضحية لتلك المصلحة الإنسانية التي تحدّث عنها الإمبراطور في خطابه سنة 1860م.

[1] Revue des deux mondes, 1er Juillet 1854. Imprimerie J. Claye. Paris. 1854. p.1234.

[2] S.A, **l'Algérie Française,** op., cit. p.11.

لقد كانت كل القوانين والقرارات تكيف خدمة للمصلحة الاستعمارية، إلا إذا تعلّق الأمر بالمصلحة العليا للوطن الأم؛ فرغم أن جلب الشباب الفرنسي إلى الجزائر للعمل،[1] كان حلم بيجو وغيره ممن حكم الجزائر، إلا أن السلطات الفرنسية أعطت تعليمات سنة 1862م إلى الجهات المعنية، بعدم السماح لأي شاب فرنسي بالإبحار إلى الجزائر مالم يكن مستوفي لواجب الخدمة العسكرية[2].

لقد برزت توجهات الإدارة الاستعمارية الجديدة من سنة 1851 إلى غاية سنة 1861م من خلال انشاء 85 مركزا استيطانيا على مساحة 250 ألف هكتار، بعد أن شهدت الجزائر هجرة المئات من الألمان، كما ارتفع عدد الفرنسيين ب 52 % خلال هذه الفترة، من 65497 نسمة الى 103322 نسمة.

إلا ان هذا النسق في العملية الاستيطانية تأثّر باستحداث وزارة الجزائر، وتعيين جيروم نابليون (*Jérôme Napoléon-Bonaparte*)[3] وزيرا للجزائر بين (1858-1860م) والذي قال: " أريد ان أرى توقّف المواطنين عن الاعتماد عن الدولة وامتيازاتها، فعليهم الاتصاف بعزة النفس، والاتّكال على النفس في تحقيق الاكتفاء الذاتي بالاعتماد على طاقاتهم الخاصة، وعلى دعم الرأي العام لهم لتحقيق نجاح مؤسساتهم"[4].

---

[1] كان الزواج من الشروط الأساسية التي كانت تفرضها الإدارة الاستعمارية على المستوطنين للحصول على قطعة أرض فلاحية.

[2] Jules Duval, op., cit. p.114.

[3] جيروم نابليون(Napoléon joseph Charles Paul Bonaparte) : 9 سبتمبر 1822 – 17 مارس 1891م، ابن عم نابليون الثالث، شخصية سياسية وعسكرية خلال فترة الإمبراطورية الثانية، عين وزيرا للجزائر والمستعمرات من 24 جوان 1858 الى 24 نوفمبر 1860م، وسير ادارته من القصر الملكي بباريس. حلّت تلك الوزارة رغم معارضة المستوطنين الذين أفزعهم الحكم العسكري، للاطلاع على مرسوم استحداث الوزارة كاملا ينظر:

Moniteur Universel, 25 juin 1858.

[4] **Exposé de la situation générale de l'Algérie en 1919,** présenté par J.B. Abel, gouverneur général de l'Algérie. Imprimerie administrative Victor Heintz, Alger, 1920. pp.510-519.

ولم يحقق جيروم نابليون بهذا التوجه أي نجاح خلال فترة تسييره للمستعمرة من باريس، باعتراف له نشر في جريدة لابراس (*la Presse*) بتاريخ 21 مارس لسنة 1861م تضمن ما يلي؛

" ان الطرق آمنة، والضرائب تؤدّى جيدا، في حين أن الاستيطان شبه منعدم؛ فلا يتواجد بالجزائر سوى 200 ألف أوربي أو أكثر، ومن هذا الرقم هناك نحو 100 ألف فرنسي، كما أن الزراعة ذبلت، ورؤوس الأموال قلّت، وروح انشاء المؤسسات تراجعت، ونظام الملكية في غالبيته يحتاج إلى إعادة نظر، إن هناك نقص في الإرادة لدى المستوطنين وأصحاب رؤوس الأموال، هذه هي الوضعية الحقيقية للجزائر".

كما كان لصدور القرار المشيخي بتاريخ 1863/04/22م الذي يعترف للقبائل بملكيتها للأرض التي تستغلها، ثم قرار منع توزيع الأراضي بالمجان سنة 1864م[1]، دورا كبيرا في تراجع الهجرة وخاصة الفرنسية إلى الجزائر في فترة الستينات من القرن 19م.

ولتعويض ذلك التراجع، ولتفعيل دور الجزائر في تطوير الميتروبول، لجأت الادارة الاستعمارية إلى منح ملكيات كبرى لمؤسسات رأسمالية بمهام مختلفة، الأمر الذي تسبب في تراجع وتيرة الاستيطان الرسمي، لأن تلك المؤسسات استهلكت الكثير من الأراضي، وهذا ما يفسر انشاء 21 مركزا استيطانيا فقط بين سنوات 1861-1871م، إذا ما قورنت بسابقاتها من الفترات، وذلك على مساحة 116000 هكتار[2]، كما أن عدد الفرنسيين ارتفع من 103322 نسمة الى 129898 نسمة، أي بنسبة 25 % فقط مقارنة بالعشرية السابقة التي شهدت زيادة فاقت 50%.

كان تزايد العناصر الأوربية بالجزائر بين 1835 إلى 1860م على الشكل التالي؛

[1] عوض ذلك بصيغة البيع بمبلغ ثابت وفق مرسوم 31 ديسمبر 1864م.

[2] Exposé de la situation générale de l’Algérie en 1919, op.cit.

السنوات	عدد السكان	الزيادة الخماسية	الزيادة السنوية
1835	11221	11221	2244
1840	27865	16644	3329
1845	95321	67466	13493
1850	125963	30642	6128
1855	155607	29644	5929
1860	205880	50275	10055

(جدول رقم:9). التطور العددي للأوربيين بالجزائر بين 1835-1860م[1].

يتضح من الجدول أن الزيادة السنوية والخماسية خلال الفترة الأولى من الإمبراطورية الثانية (1852-1860م) لم تصل في أحسن الظروف إلى ما وصلت إليه في عهد بيجو، حيث بلغت الزيادة الخماسية بين 1840-1845 إلى 67466 نسمة، في حين لم تصل تلك الزيادة عن 29644 نسمة بين سنوات 1850-1855م، قبل أن تتراجع إلى دون ذلك بين سنوات 1862 - 1870م، بسبب سياسة الإمبراطور القائمة على المملكة العربية، التي أثارت سخط الأوربيين واليهود بالجزائر على السواء، لأن سياسة الإمبراطور العامة كانت مستوحاة من الفكر الرأسمالي، ولذلك لم يشجع الملكيات الصغيرة والمتوسطة بشكل خاص، وأنهم لم يفهموا البعد من منح عقود ملكية للأهالي في إطار سياسته القائمة على تفتيت العروش، أما اليهود فقد أثارهم إعادة الاعتبار النظري للعنصر العربي، ولذلك كانت فرحتهم كبيرة عند انهزامه في معركة سودان أمام الألمان.

ويقول ياكونو بأن نابليون الثالث لم يعارض الهجرة الأوربية إلى الجزائر، وانما أراد تحديد مجال توسعها وانتشارها على الساحل بالخصوص، حيث الظروف تبدو أكثر ملاءمة مناخا وأكثر أمنا وتجهيزا[1].

[1] Jules Duval, op., cit.p.324.

7 التعمير بالمؤسسات الكبرى:

لقد خصص النظام النابليوني بعد انقلاب ديسمبر 1851م للمساندين له من الشركات والمؤسسات، مجموعة من الامتيازات في الجزائر بتوصية من السياسيين والعسكريين على السواء، والتي تمثل بداية الاعتماد على المؤسسات الرأسمالية الكبرى، حيث أصبح المردود الاقتصادي هو الهدف الأول وليس التعمير، وإن كانت علاقة المجالين متداخلة إلى حد بعيد.

وضع الإمبراطور مع بداية ستينات القرن 19 برنامجا لذلك التوجه الجديد، تضمنته رسالتيه الى بيليسييه بتاريخ 6 فبراير 1863م، ومكماهون بتاريخ 20 جوان 1865م، والتي أدان فيهما الملكيات الصغيرة والمبادرات الإدارية، ومن دون شك أراد تعميم اعتماده على الشركات الرأسمالية الكبرى، حينما منح الكونت دوبورقار (*Sautter de Beauregard*) مساحة 20000 هكتار من أراضي الدومين بضواحي سطيف، لإقامة الشركة السويسرية، وكلّفت بتعمير الجزائر بعناصر سويسرية وفرنسية تتعاطى الزراعة، كما استفاد ديمونشي (*M.Demonchy*) أحد الخواص من المقربين للنظام الجديد من مساحة 2672 هكتار بنواحي تيبازة حسب مرسوم 12 أوت 1854م، وكلف أيضا بإنشاء مركز استيطاني بالمنطقة[2].

منح الامبراطور أيضا مساحة 160 ألف هكتار من الغابات الساحلية في الاقليم القسنطيني لثلاثين مستفيدا قصد استغلالها لمدة 90 سنة بين سنتي 1862 و1863م، وقدم أيضا 25000 هكتار سنة 1865 لمؤسسة الهبرة والمقطع بغرض بناء سد المحمدية (Perrégaux) وأشغال أخرى، كما تسلّمت في ذات السنة المؤسسة الجزائرية العامة 100 ألف هكتار.

[1] Xavier Yaccono, **Histoire de l'Alérie, de la fin de la Régence turque à l'insurrection de 1954**, Edition de L'Alanthrope, Paris.2003.p.165.

[2] Augustin Bernard**, Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France dans le monde**. Tome 2 : l'Algérie, p.373.

7. 1 الشركة السويسرية:

منح الإمبراطور مساحة 20.000 هكتار لشركة رأسمالية من مدينة جنيف (Genève) السويسرية، حسب المرسوم الامبراطوري الصادر بتاريخ 26 أفريل 1853م، بعد أن وافق مجلس الدولة على المشروع، الذي نوقش في جلستي 14 و18 أفريل من ذات السنة، وأقرت المادة الأول من المرسوم بمنح 20 ألف هكتارإلى مجموعة من الأشخاص[1]، وكلّفت مقابل ذلك ببناء 10 قرى من 50 منزل وتعميرها في ظرف 10 سنوات. كانت الشركة تستعين بعناصر تجند العمال في سويسرا خاصة في مقاطعات فو (*Vaud*)، بارن (Berne) وفريبورغ (*Fribourg*)وكان كل شخص من هؤلاء يتحصل على علاوة قدرها 50 فرنك عن كل مهاجر، في حين عارضت مقاطعات أخرى بشدة تمركز مثل هؤلاء الموظفين على أراضيها و هي بال (Bale) وزيوريخ (Zurich) لأنهما كانتا في مرحلة تصنيع هامة وهما بحاجة إلى يد عاملة[2].

ولقد تمكّنت الشركة إلى غاية نهاية سنة 1854م من استقدام 680 عامل من أوربا، حسب رسالة من إدارة الشركة بجنيف إلى وزير الحرب بتاريخ 4 أكتوبر 1854[3]، ليرتفع ذلك العدد إلى 736 إلى غاية 8 جانفي1855م، حسب رسالة

---

[1] الأشخاص الذي ورد ذكرهم في المادة الأولى من المرسوم كمالكين هم:
(Auguste-Sautter de Beauregard) فرنسي، كان سفيرا للامبراطور في سويسرا، (Paul Elisée Lullin) سويسري، رئيس محكمة سابق ومستشار سابق للدولة، (Jacques- Marie Jean Mirabeaud) سويسري، من كبار الملاك في جنيق، (Jean-Antoine Fazy Alléon) سويسري، رئيس بلدية سابق، ومستشار سابق للدولة، (Charles-Henri de Traz) من جنيف، موظف سابق في الدولة، (Charles-Armand Louis Madelain de Loriol)، ضابط سابق في المدفعية من جنيف، و(Charles- Louis Sautter)، فرنسي كان من كبار الملاك في الجزائر.
ANOM, GGA, 3L/10

[2] Jean-Maurice Di Costanzo, **Allemands et suisses en Algérie : 1830-1918,** op., cit, p.110.

[3] ANOM, 3L/10.

أخرى من المديرية العامة للشركة إلى الحاكم العام[1]، علاوة على توظيفها ل 1343 ألماني وايطالي بين 1853 و31 ديسمبر 1857[2].

المراكز	المالكون		عدد السكان بكل مركز	موظفو الشركة	مجموع السكان	المساحة
	فرنسيين	اجانب				
عين أرنات	-	31	130	50	126	2000
مسعود	4	3	40	8	48	2800
بوطيرة	4	22	140	-	140	1300
الموان[3]	9	22	123	12	135	2100
الأوريسية	11	14	107	10	117	2000
المجموع	**28**	**92**	**546**	**80**	**626**	**10200**

(جدول رقم 10). المراكز الأولى التي أنشأتها الشركة السويسرية بضواحي سطيف[4].

في تقديري، فإن الشركة السويسرية حققت نتائج معتبرة رغم ما قيل عنها، لأن الأسباب التي حالت بينها وبين بلوغها لما اتفق عليه (500 عائلة)، كانت كثيرة، حيث أشار تقرير صحي عن الرعايا السويسريين بالجزائر إلى وفاة 81 مستوطن سويسري، 35 منهم بالكوليرا، و46 بالحمى، في حين كان 27 آخرون بالمستشفيات إلى غاية تاريخ 25 أكتوبر 1854م، وهو من دون شك أثّر على وتيرة هجرة السويسريين إلى الجزائر للعمل بالشركة[5]، وتشير الرسالة التي

[1] ANOM, op., cit.

[2] Jules Duval, op. cit.,p. 156.

[3] قرية كانت تابعة لبلدية (الأوريسية)، تقع على بعد 6 كلم الى الغرب من مقر البلدية، تبعد عن سطيف ب 13 كلم. ينظر:

Dictionnaire des Communes d'Algérie : Villes, Villages, Hameaux, Douars, Postes Militaires, Bordjs, Oasis, Caravansérails, Mines, Carrières, Sources thermales et minérales, Pierre Fontana, Imprimeur- Editeur, Algr, 1903, p. 108.

[4] ANOM, Ibid.

[5] ANOM. GGA, Série 3L, op. cit, Carton 3L/10.

أرسلها مجلس إدارة الشركة بجنيف إلى الحاكم العام بتاريخ 5 أكتوبر 1854م، إلى أنه رغم توظيف 75 عميلا كلّفوا في سويسرا من قبل الشركة بتجنيد يد عاملة؛ 14 منهم في مدينة جنيف، 44 في بارن، 3 في فريبورغ، 1 في نوشاتال، إلا أنهم لم يتمكّنوا من تحقيق نتائج، لأن صدى تلك الأمراض كان قد وصل إلى أسماع السويسريين[1]، وما يفسر استعمال الشركة ليد عاملة محلية بعد ذلك، هو أنها وظّفت عشرة عملاء في سطيف للبحث عن يد عاملة أوربية، إلا أنها لم تفلح كثيرا في ذلك أيضا[2].

ونظرا لأن الشركة لاقت صعوبة في تحقيق ما التزمت به، ونظرا لأنها كانت بحاجة إلى يد عاملة، فإن الإمبراطور تنازل لها منذ سنة 1858م عن بعض الشروط، وكان عدد الأوربيين المشتغلين بالشركة لا يتعدى 12.3 % في أحسن الظروف، في حين كان عدد العمال الجزائريين في ارتفاع. وجاءت هذه القرارات الإمبراطورية، للحيلولة دون فشل الشركة ووصول نبأ ذلك الفشل إلى الأوساط الفرنسية والأوربية، الأمر الذي قد تكون له انعكاسات سلبية على سياسة الإمبراطور في الجزائر وعلى الهجرة الأوربية إليها[3].

إلا أن ذلك، لم يمنع الأمير جيروم نابليون المكلّف بوزارة الجزائر، من تقديم نقد لاذع للشركة بعد اطّلاعه على تقرير بشأنها استلمه بتاريخ 19 سبتمبر 1858م، حيث قال: " ان الشركة السويسرية لم تبن جيدا، ولم تعمر جيدا، ولم تزرع جيدا "[4]؛ فالشركة لم تنجز سوى 450 منزلا بمواد غير التي اتفق عليها في

[1] كانت احدى الجرائد السويسرية تنشر على صفحاتها تقارير مجالس إدارة الشركة والتي كانت تشمل أيضا عدد الموتى من السويسريين، حيث أشار أحد الأعداد الى 75 ضحية. ينظر:
Supplément du Journal de Genève, du 15 février 1855. ANOM, 3L/10.

[2] Ibid.

[3] Jean- Maurice Di Costanzo, « **L'Emigration Allemande en Algérie aux XIX ème siècle (1830-1890)** », op., cit., p.111.

[4] René Passeron**, « Les Grandes Sociétés et la colonisation dans l'Afrique du Nord »,** In : In : centenaire de l'Algérie, comité de l'Afrique français, congrès de la colonisation rurale, Alger 26-29 mai 1930, 2ème partie : les problèmes économiques et sociaux posés par la colonisation. Ancienne imprimerie Heintz. Alger, 1930. p.45.

العقد سلفا بدل ال 500 مسكن ومعظمها كان ينهار قبل استغلاله، كما أنها لم توطّن سوى 130 عائلة من أصل 500 عائلة المتفق عليها، لأنها كانت تستعمل أسماء أشخاص وهميين في التعمير حيث أشارت التقارير إلى أن قرية (مسعود) كانت بيد شخصين فقط رغم أن القائمة كانت تشير إلى أكثر من اسم وهمي[1]، ومع ذلك تحصلت الشركة على 8000 هكتار المتفق عليها بقرار من الإمبراطور بتاريخ 24 أفريل 1858م، كما تم اعفاء الشركة من كل التعهدات التي لم يتم تحقيقها، لتلافي الإضرار بسمعة الإمبراطور ومشروعه الاستيطاني الرأسمالي كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أَوقف الإمبراطور سياسة التعمير بالشركات الكبرى، وتوجه إلى الاعتماد على تلك المؤسسات لغرض اقتصادي فحسب، لأنه لم يكن يرغب في تكرار ما حدث مع الشركة السويسرية، التي اعتمدت على العمال الجزائريين بصفة شبه كلية، مما تسبب في انخفاض عدد السكان الأوربيين داخل محيطها بثلاث أرباع، هذا من منظور الأرقام، ولكن الأمر الذي كان يقلق الإدارة الاستعمارية أكثر، هي الحرية التي بات يتمتّع بها هؤلاء "الأهالي" داخل محيط تلك الشركة، في وقت كان التمتّع بالحرية محضور عليهم.

وكانت الإدارة الاستعمارية تراقب ذلك عن كثب، ولذلك قرر الإمبراطور التخلّي عن التوطين بالشركات الكبرى، وجاءت مؤسسة الهبرة والمقطع، والشركة الجزائرية في إطار ذلك التوجه الجديد.

والحصيلة النهائية هي أن الشركة مع الثلاثينات من القرن العشرين، كان يتواجد بمحيطها 23 عائلة أوربية أي نحو مائة شخص مقابل 3700 من "الأهالي"، كما أنها تحولت الى صندوق نقدي يصب كل سنة في البنوك السويسرية[2].

---

[1] Le ministre secrétaire d'état de l'Algérie et des colonies, a sa majesté l'Impératrice Régente, Paris le 24 mai 1859. ANOM, GGA. série L, op. cit, Carton L/24.

[2] René Passeron, op.cit.p.49.

2.7 المؤسسة العامة الجزائرية:

كانت الإدارة الاستعمارية تسعى في نهاية الخمسينات من القرن 19م إلى انجاز برنامج واسع للأشغال العمومية لفائدة المستوطنين الأوربيين بالجزائر بقيمة 300 مليون فرنك، ولكيلا تلجأ الحكومة الفرنسية إلى رفع الديون العمومية، سعت إلى تشجيع المبادرات الخاصة. واهتمت الشركة الفرنسية الكبرى (الشركة العامة الجزائرية) بالعرض المقدم حيث تقدمت سنة 1865م باقتراح المشاركة في المشروع، وتم التوقيع على الاتفاقية بين الأطراف المعنية بتاريخ 18 ماي 1865م من قبل وزير الحرب فريمي و (*M. Frémy*) حاكم القرض العقاري لفرنسا والجزائر بولان تالابو (*Paulin Talabot*) المدير العام لمؤسسة السكك الحديدية لباريس والمتوسط والجزائر، بهدف توفير رؤوس الأموال الضرورية للعمليات الفلاحية، الصناعية والتجارية بالمستعمرة[1]، وتم تأسيس الشركة وفق مرسوم مؤرخ في 15 أكتوبر 1866م[2]، وتعهدت الشركة بإنجاز ما قيمته مائة مليون فرنك من الأشغال في ظرف ستة سنوات بالمستوطنة حسب المخطط السنوي للحكومة، وتقديم قرض للدولة بقيمة 100 مليون فرنك[3].

وتعهدت الدولة في المقابل ببيع الشركة مساحة مائة ألف هكتار من أراضي الدومين، وتحصلت الشركة بحكم الاتفاق على مساحة أولى قدرت ب 82544 هكتار موزعة كما يلي؛ 4188 هكتار في عمالة وهران، 6555 هكتار

---

[1] René Passeron, op.cit., p.50.

[2] Le Maréchal de France, Gouverneur général de l’Algérie, Arrêté, Alger le 4 mars 1867. ANOM, GGA, série L, Carton 3L/25.

[3] حسب مرسوم 18 سبتمبر 1865م، تقرر أن تدفع الشركة بالإضافة الى ذلك فرنك عن كل هكتار كل سنة لمدة خمسين سنة.

Le gouverneur général absent, Le général de division, au ministre de la guerre, 21 mai 1867. ANOM, GGA, série L, Carton 3L/25.

في عمالة الجزائر، و71801 هكتار في عمالة قسنطينة[1]، أضيفت إليها مساحة 17206 هكتار سنة 1868م لاستكمال المساحة المتفق عليها[2].

أشارت المادة الرابعة من القرار إلى أن المساحة المتبقية يجب أن تستعمل لإنشاء مراكز للسكان الأوربيين من دون أن تشير إلى جنسياتهم وهل هم من الجزائر أم من أوروبا[3]، ولقد أشار تقرير مجلس إدارة الشركة بتاريخ 29 أفريل 1876م على أن الشركة وطّنت إلى غاية هذه السنة 358 أوربي في القرى التالية؛ أولاد بسباس، عين مقرة، عين عبيد، عين رقادة ورأس العقبة[4].

حاول الحاكم العام مكماهون فيما بعد تغطية الثغرة الحاصلة في الاتفاقية بين الطرفين، بإضافة التزامات اجتماعية إلى التزامات الشركة الاقتصادية، إلا أن الوثائق والدراسات لم تشر إلى الدور الاجتماعي الواضح للشركة العامة الجزائرية، مما يعني فشل الحاكم العام في مسعاه.

لقد تقرر إنشاء المؤسسة الجزائرية على أنقاض الشركة العامة الجزائرية التي تم حلّها سنة 1877م، بملكية بلغت 97307 هكتار، وقد أشارت المادة الأولى المؤسسة إلى تثمين أراضي الشركة أو المؤسسة بالجزائر وتشجيع الاستيطان[5]،

---

[1] أشارت المادة الأولى من القرار الى 100 ألف هكتار، ولكن عند تقسيمها على العمالات الثلاث، لم تقسم ذات المادة الا مساحة 82544 هكتار فقط.

[2] le Général commandant de la province de Constantine au gouverneur General le 10 juillet 1868. ANOM, GGA, série L, op.cit, , Carton 3L/27.

[3] لقد اقترحت الشركة سنة 1869م انشاء ثلاث قرى بالأسماء الفرنسية التالية: بونوارة (Marignan)، عين عبيد (Magenta) وعين رقادة (Turbigo) بمحافظة قسنطينة. (وردت أيضا أسماء قرى أخرى كأولاد سيدي عبدلي بمحافظة وهران في رسم تخطيطي). ينظر:

le chef du deuxième bureau au secrétaire général du gouvernement, 13 aout 1869. ANOM, GGA, série L, Carton 3L/26.

[4] L. Fremy, compte rendu au nom du conseil d'administration de la société générale Algérienne du 29 avril 1876, Imprimerie administrative et des chemins de fer de Paul Dupont, Paris, 1876, p. 15.

[5] Compagnie Algérienne, Statut, Imprimerie Administrative de Paul Dupont, Paris, 1877, p. 10.

وجاء ذلك في ظل توجهات الجمهورية الثالثة الداعمة والمنادية بالاستيطان الأوربي الواسع بالجزائر، إلا أن تقارير مجالس إدارة الشركة إلى غاية 31 ديسمبر 1883م لم تشر إلى أي دور استيطاني للمؤسسة.

3 .7 مؤسسة الهبرة والمقطع:

تمثّل النموذج الثالث للشركات والمؤسسات الرأسمالية الكبرى التي ظفرت بموافقة الإمبراطور على منحها امتياز اقتصادي في الجزائر، شركة الهبرة والمقطع التي أوكلت لها مهمة إنجاز سد الهبرة، وتجفيف منخفض المقطع بضواحي وهران الشرقية بموجب مرسوم امبراطوري بتاريخ 12 مارس 1864م، وأكّدت الاتفاقية على أن يتم الإنجاز في أجل لا يتعدى تاريخ 1 أكتوبر 1867م، ولكن لم تشر أي فقرة أو مادة إلى التعمير البشري والتوطين.

إن الإدارة الاستعمارية لم تعول بصفة كلية على الشركة السويسرية أو غيرها في تعمير الجزائر بل كانت تنشط على جبهات عدة لبلوغ ذلك الهدف، لأن تلك المشاريع الإمبراطورية الثلاث هي نماذج متباينة وثلاث محاولات فاشلة للتعمير الأوربي بالجزائر؛ فالحكومة أرادت أن تستعين بالقطاع الخاص في مجال الاستيطان إلا أن تلك المؤسسات الخاصة لم تكن في مستوى طموحات الإدارة الاستعمارية، وبذلك خسرت الحكومة الفرنسية بتعاملها معها أكثر مما ربحت، بل كانت من نتائج هذه السياسة الفاشلة حسب باسرون ثورة المقراني سنة 1871م، لأنه رأى بأن هذه الثورة لم تكن لتحدث لو قدّمت تلك المساحة المقدرة ب 400 ألف هكتار من الأراضي إلى 12000 أو 15000 من المزارعين الفرنسيين[1]؛ لأن هؤلاء المزارعين كانوا قادرين على حمل السلاح، وبتوزيعهم على البلاد كان بإمكانهم إخماد أي ثورة في مهدها، وهو تخمين خاطئ وتفكير استعماري غير سليم، لأن الذي كان يتحكّم في ثورات الجزائريين ليس عدد الأوربيين على الأرض، وإنما الرغبة في رد الاحتلال وتحرير البلاد، ولا أدلّ على ذلك من الثورة التحريرية التي اندلعت سنة 1954م، وقد وصل عدد الأوربيين إلى الأوج.

[1] René Passeron, op. cit.

8 تركّز الاسبان في الجهة الغربية يثير مخاوف الإدارة الاستعمارية :

شعرت الإدارة الاستعمارية منذ بداية خمسينات القرن 19م، بخطورة تركّز الإسبان بشكل كبير في الجهة الغربية من المستعمرة، وبدأ الحاكم العام الجنرال شارون يفكّر في طريقة يبعدهم بها عن المنطقة، وتوجيههم إلى المنطقة الشرقية بالخصوص، وقد بلغ عدد الأوربيين بالعمالة الغربية 38000 نسمة منهم 20.000 اسباني سنة 1850م[1].

وصل الحد بتلك الإدارة إلى التفكير في إيقاف هجرة الإسبان من مورسيا (*Murcia*) وفالانس (*Valance*) اللّتان كانتا تشهدان فترة جفاف، أو توجيههم إلى الجهة الشرقية مباشرة، ولكن ذلك لم يكن ممكنا لأن وسائل النقل المستعملة كانت غير فرنسية، حسب الرسالة التي بعث بها القنصل الفرنسي في مدينة فالانس الاسبانية إلى وزير خارجيتة بتاريخ 27 جويلية 1850م[2].

وفي ذات الموضوع كتب والي وهران إلى الحاكم العام بتاريخ 2 جويلية 1852م بخصوص ضرورة توزيع الإسبان على العمالتين الأخرتين وخاصة قسنطينة، لأن تجمعهم بعمالة وهران يشكّل خطورة، وأضاف بأن العلاقات الاجتماعية هي التي تجلبهم إلى العمالة أكثر من القرب الجغرافي.

وقد قبلت الإدارة الاستعمارية التكفّل بدفع مصاريف النقل الإضافية لإيصالهم إلى المناطق الشرقية من الجزائر؛ ولكن رغم توفر العمل في عمالة قسنطينة ورغم حاجة الاسبان إليه، إلا أن بعضهم رفض التنقل إلى تلك المنطقة، ونقرأ في مراسلة بهذا الشأن من الحاكم العسكري لمنطقة بجاية إلى الحاكم العام بتاريخ: 23 يناير 1851، حيث يقول: إن العمال الذين طلبتم إرسالهم إلى سطيف للعمل، بقوا في بجاية بعد أن تحصلوا على مساعدات، لكنهم لم يريدوا الذهاب أبعد من

[1] Lettre de monsieur De Bourgoing, le chef du service d'Algérie, à monsieur le ministre des affaires étrangères, le 25 juillet 1850. ANOM. Fond ministériels, Série F/80, Carton : F/80/1177.

[2] ANOM. Fond ministériels, Série F/80, Carton : F/80/1177.

ذلك، ولذلك اتخذت إجراءات بسحب تلك المساعدات منهم[1]. وكان الحاكم العام قد تلقى رسالة من والي قسنطينة بتاريخ 15 ماي 1850م، أعرب له فيها عن حاجته ليد عاملة اسبانية لإنجاز مشاريع استيطانية بالعمالة، خاصة شق الطرق البرية[2]، كما أشارت مراسلة أخرى إلى رفض عناصر اسبانية التوجه إلى مدينة عنابة مفضلين البقاء في مدينة الجزائر، وحملت المراسلة قائمة أرباب العائلات التسعة الذين رفضوا الانصياع إلى أوامر الإدارة[3].

وكانت كل المراسلات الرسمية تتحدث عن الإسبان كيد عاملة وليس كمستوطنين[4]، كما أنهم كانوا يقلقون كل الأطراف؛ الإدارة الفرنسية، وحتى السلطات البريطانية في جبل طارق، التي كانت لا تمانع هجرة الاسبان من جبل طارق إلى الجزائر، إلا أنها التزمت منذ 1848م بعدم التكفّل بالعائدين منهم، وأشار القنصل الفرنسي في جبل طارق في رسالة إلى الحاكم العام الى أنه بدأ يستقبل جوزات سفر كتبت عليها العبارة التالية؛ " المستفيد من هذا الجواز، لا يتحصل على أي مساعدة أو نجدة عند عودته"، وهي إما لدفعهم إلى عدم مغادرة جبل طارق، أو لإرغامهم على البقاء في الجزائر وعدم العودة[5].

---

[1] Le Commandant supérieur du cercle de Bougie à monsieur le le gouverneur générale de l'Algérie, le 13 janvier 1851. ANOM. . Fond ministériels, Série F/80, Carton : F/80/1177.

[2] ANOM. Ibid.

[3] Le sous préfet de Bône à monsieur le gouverneur générale de l'Algérie, le 25 mars 1850. ANOM, ibid.

[4] لجأت الإدارة الاستعمارية من أجل لفت أنظار الاسبان إلى الجهة الشرقية إلى منح بعض الأسر قطع أرض إلى الجنوب من مدينة عنابة، ومنازل كطعم، لأجل إنشاء مستوطنة اسبانية بالمنطقة الشرقية تشكّل عامل جذب للعناصر الاسبانية الأخرى ولا سيما الفئة العاملة، وبالمرة التأثير على التركّز الإيطالي بالمنطقة. عن قطع الأرض الممنوحة للإسبان ينظر:

Rapport pour monsieur le préfet de Constantine sur l'installation des familles d'émigrants espagnols sur les terre de Sidi Amméda. Le 13 juin 1850. ANOM. .Fond ministériels, Série F/80, Carton : F/80/1177

[5] Le consul de France à Gibraltar à monsieur le gouverneur générale de l'Algérie, le 10 novembre 1848. ANOM. Fond ministériels, Série F/80, Carton : F/80/1177.

وكان تطور عدد الإسبان في الجزائر خلال هذه الفترة حسب ما هو موضح في الجدول التالي:

السنة	العدد
1850	41525
1855	42839
1857	46245
1860	54125

(جدول رقم:12). تطور عدد الاسبان بالجزائر بين 1850-1860م[1].

يتضح من الجدول أن العناصر الإسبانية استمرت في التوافد على الجزائر، ولكن ليس بشكل كثيف جدا، رغم الحروب، الجفاف، ثقل الضرائب، والبطالة والفقر، حيث لم يتزايد عددهم خلال العشرية المشار إليها في الجدول (1850- 1860م) إلا ب 12600 نسمة، بمعدل 1260 نسمة في السنة، رغم أن السلطات الإسبانية تركت الهجرة الى الجزائر حرة، بسبب تطور صادراتها إليها من الخضر، الفواكه والخمور[2]، بل سمحت بنشر إعلانات بمختلف المقاطعات الاسبانية، استهدفت استقطاب يد عاملة اسبانية إلى الجزائر خلال الأشهر الأولى من سنة 1869م، علما بأن هؤلاء العمال قد يستقرون بالجزائر، بل وقد يتجنسون بالجنسية الفرنسية أيضا، وهذا يعني أن الحكومة الإسبانية كانت تسعى من خلال تلك الهجرة إلى التخفيف من الضغط الاجتماعي في البلاد.

ويبدو أيضا أن السلطات الاستعمارية كانت على علم بذلك، فرغم حاجتها لليد العاملة في العمالات الثلاث، إلا أن وزير الحرب في رسالة إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 13 فبراير 1869م، طلب منه عدم التدخل في اسبانيا عبر العملاء أو البعثات الديبلوماسية، وترك التصرف للأفراد الاسبان أنفسهم[3].

1 Jules Duval, op., cit. p.162.

2 Ibid, p. 164.

3 ANOM. L//6.

أما عدد الفرنسيين وأوربيي الشمال فظلّ يراوح مكانه تقريبا في نهاية الخمسينات، وكانت الإدارة الاستعمارية مستعدة لعمل أي شيء من أجل رفع عددهم بالجزائر، ولذلك قال العقيد ريبو (*Ribout*) بأن الإدارة الفرنسية بالغت في منح رخص المرور المجاني لهم، حيث بلغت 80.000 سنة 1857م، لأن 70.000 منهم عادوا من حيث أتوا[1].

9 وضعية الإنجليز بالجزائر بين 1850-1870:

على عكس الرعايا المالطيين، فإن الإنجليز لم يتهافتوا على الجزائر للمتاجرة أو الإقامة خلال العشر سنوات الأولى من الاحتلال، إلاّ أنه ومنذ 1843م بدأ عدد البريطانيين وخاصة الأطباء منهم في الارتفاع بالجزائر إلى درجة ان القنصلية البريطانية في المستعمرة سعت إلى إيجاد قس بروتستانتي لهم، ومنذ نهاية أربعينات القرن 19م شرع هؤلاء الأطباء في دعوة مواطنيهم المصابين بمرض الربو إلى المجيء إلى الجزائر القريبة للتداوي، وبذلك بدأت المستعمرة تكتسب منذ 1857م سمعة لدى الإنجليز كبديل عن وجهات شرقية وأوربية كثيرة[2]، وكان ذلك في الغالب للسياحة والاستجمام أملا في العلاج وليس للاستيطان.

ولقد ساهمت زيارتي الإمبراطور إلى الجزائر سنتي 1860 و1865[3] في زيادة شهرة الجزائر كوجهة سياحية لدى الإنجليز، وخاصة إثر تدشين الشارع البحري في العاصمة الذي شيده المهندس البريطاني مورطون بيتون (*Morton Peto*) والذي تكلمت عنه الصحافة البريطانية كثيرا مما زاد من التعريف

---

[1] Colonel Ribout, in : Jules Duval, **Histoire de l'émigration Européenne**, op.cit. p.327.

[2] Joëlle Redouane, « **La présence anglaise en Algérie de 1830 à 1930** », In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°38, 1984, pp. 15-36.

[3] فكرة قدوم نابليون الى الجزائر فكرة قديمة، طرحتها جريدة الأخبار (l'Akhbar) في العدد 1645، ليوم الخميس 29 أفريل 1852م، حيث نشرت بأن زيارة الامبراطور الى الجزائر ستمنح دفعا جديدا للاستيطان في المستعمرة. ANOM. F/80/1177.

بالجزائر، كما أن الحاكم العام الجنرال ماكماهون رحب كثيرا بالإنجليز أيضا ربما قد يكون ذلك بسبب انحداره من أصول إيرلندية، وهو الأمر الذي ساهم في جلب بعض أرباب العائلات البريطانية.

وصل عدد البريطانيين من غير المالطيين إلى 363 شخص سنة 1858م، وكان الانجليز يفضلون الإقامة في الأحياء التي يسكنها الضباط الفرنسيون والموظفون السامون كحي سانت أوجان منذ 1860م (بولوغين حاليا)، وذلك لأن الهواء به يشبه هواء الساحل الجنوبي لبريطانيا، بالإضافة الى حي مصطفى الذي بدأ يستهويهم أيضا منذ سنة 1862م بسبب موقعه الجيد وابتعاده عن اتجاه الرياح بالإضافة الى المناظر الجميلة المتاحة به[1].

وكانت العبادات تقام في احدى الفنادق بداية من سنة 1857م، بحضور نحو 20 متعبد وبعض القساوسة المتواجدين في الجزائر في فترة نقاهة، وبعد ارتفاع عدد الإنجليز مع زيادة حجم السفن البريطانية الراسية في الموانئ الجزائرية، تحصل هؤلاء الرعايا على قطعة أرض وأموال لبناء كنيسة لهم سنة 1869م[2]. وهكذا بدأ الإنجليز بعد اتمام المشروع يلتقون فيما بينهم ولكن دون اشراك المالطيين الذين كانوا في نظرهم من مستوى اجتماعي مختلف.

حاول البعض منهم الاستقرار بعيدا عن مدينة الجزائر منذ 1860م، حيث جرب بعضهم الإقامة قرب القليعة إلا ان المرض وموت بعضهم انتهى بنفور وعزوف الكثير منهم عن فكرة الاستيطان بالجزائر؛ لأن بلادهم كانت تملك مستعمرات واسعة أكثر أمانا وفائدة بالنسبة لهم، كما ساهم عدم وجود علاقة صداقة بينهم وبين الفرنسيين في ذلك النفور أيضا[3].

---

[1] Joëlle Redouane, op. cit.
[2] Ibid.
[3] Ibid.

شرع بعض المستثمرين الإنجليز رغم ذلك بالاهتمام بالجزائر خاصة بعد المعرض الكبير الذي جرت فعالياته بلندن[1] سنة 1851م حيث تحصلت الجزائر على 11 جائزة عن المنتوجات الفلاحية المعروضة وخاصة القطن. وإلى غاية 1860م كان كل زائر بريطاني للجزائر يعتبر مستثمر محتمل في قطاع الفلين أو السكك الحديدية، الى درجة ان الحاكم العام للجزائر أرسل سنة 1861م ايفان (*Yvan*) [2] لبريطانيا لحث أصحاب رؤوس الأموال الإنجليز على الاستثمار في الجزائر، إلا أن مشروعين فقط رءا النور وحقّقا بعض النجاح؛ المشروع الأول هو انشاء الخط الحديدي الجزائر البليدة، ووهران المحمدية، وقسنطينة سكيكدة، الذي أوكل الى شركة السكك الحديدية الجزائرية حيث كان مجلس إدارتها يضم بريطانيين من لندن هما: (*William Gladstone*)، (*Thomas Hope*)، إلا أن تلك المشاريع لم ينجز منها إلا القليل، مما أدى الى توقف المشاركة الإنجليزية في هذه المشاريع لمصلحة (شركة باريس، ليون المتوسطية). أما المشروع الثاني فتمثل في بناء شارع الإمبراطورة المواجه للبحر (شارع الأقواس) الذي اكتمل في أوت 1866م، والذي كان يشكّل مفخرة الانجليز الذين يزورون الجزائر، لأنه من انجاز مهندس بريطاني.

بالإضافة إلى مشروع آخر اهتم بتجارة الحلفاء سنة 1865م من قبل أب الصحافة الشعبية البريطانية ادوارد لويد (Edward Lloyd)، وكانت معامل الورق بشمال بريطانيا هي الوجهة الأساسية لذلك المنتوج[3].

---

[1] علّقت جريدة الاخبار (Akhbar) في العدد 1645م السابق ذكره، آمالا كبيرة على معرض لندن، وأنه سيفتح المجال واسعا امام الهجرة الأوربية الى الجزائر بعد أن تعرف الانجليز على الامكانيات المتاحة في الجزائر. ANOM. Série F/80, Carton : F/80/1177.

[2] بعد هذه المهمة مباشرة أرسل (ايفان) في مهمة لتجنيد المهاجرين في كل من المانيا وسويسرا، وكان يعمل بالتنسيق مع (مولار)، كما سبقت الاشارة الى ذلك.

[3] Joëlle Redouane, op.cit.

إن المعطيات السابقة لا تجعلنا نتحدث عن وجود جالية انجليزية بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية، باستثناء بعض المقاولين ورجال الأعمال وبعض المتعبين الذين قصدوا الجزائر للتداوي والراحة.

10 سيناتوس كونسيلت 1863م وأهدافه:

شرعت السلطات الاستعمارية منذ سنة 1863م في تفتيت وتجزئة القبائل والعروش، عبر تفكيك الملكيات وتقليص المجتمع القبلي، لتمكين الأوربيين من السيطرة على أراض استعصت عليهم حتى ذلك الوقت[1]، وكان سيناتوس كونسيلت المؤرخ في 22 افريل 1863م أول إجراء استعماري لبلوغ ذلك الهدف، وقد استهدف 372 قبيلة الأهم، بقوتها الاقتصادية والسياسية، وفقدت تلك القبائل 90% من ممتلكاتها نتيجة لذلك، والتي وضعتها الإدارة الاستعمارية تحت تصرف المهاجرين الأوربيين، لأنه بات من السهل بيعها بعدما فتّتت الى ملكيات فردية متناثرة هنا وهناك.

أما مآل 224 قبيلة الأقل أهمية فقد لقيت نفس المصير، عبر مراسيم وقوانين أخرى في فترات لاحقة، صبت كلها في نفس المنطق والاستراتيجية الاستعمارية، والحصيلة هي "ان أسماء القبائل الكبرى التي كان لها تاريخ، اختفت من الخريطة، ولكي نعثر عليها يجب أن نبحث في الوثائق التي عليها الكثير من الغبار"[2].

11 قانون سيناتوس كونسيلت 1865م وتأثيره على الأوربيين بالجزائر:

بدأت عملية التجنس بالنسبة للأجانب في عهد الامبراطورية الثانية من خلال السيناتوس كونسيلت الذي صدر في 14 جويلية 1865م، وكان الدافع

---

[1] للتعرف على كل أهداف السلطات الاستعمارية من قانون 1863م، ينظر:

بن داهة عدة، <u>الاستيطان والصراع على ملكية الأرض ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر **(1830-1962)**</u>، ج1، ط1، المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، 2013.

[2] Augustin Bernard, **l'Algérie**, Edition Félix Alcan, Paris, 1929, p.384.

الأساسي لإصداره هو تزايد عدد الأجانب بالجزائر بوتيرة أكثر مما يتزايد عدد الفرنسيين؛ حيث كان عدد الفرنسيين عشية صدور القانون 122119 نسمة مقابل 95871 أجنبي[1]، الأمر الذي كان يخيف الإدارة الاستعمارية. وشمل هذا القانون كل السكان المقيمين بالجزائر من غير الفرنسيين؛ الأوربيين بالدرجة الأولى، واليهود بعد العرائض الكثيرة التي تقدموا بها للإمبراطور خاصة خلال زيارته الثانية للجزائر، كما شمل الجزائريين من المسلمين أيضا.

أصبح التجنس بموجب هذا القانون، نظريا، من حق أي أجنبي يتقدم بملف طلب الجنسية إلى مقر البلدية التي يقيم فيها، أو إلى الشخص المكلّف بمهام رئيس البلدية في المكان الذي يقيم فيه، حسب المادة 15 من المرسوم الإمبراطوري الصادر في 21 افريل 1866م، مصحوبا بشهادة تثبت اقامته في الجزائر لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات، حسب المادة 16 من ذات المرسوم، مع الإشارة إلى أنه لا يحق للمعني طلب الجنسية الفرنسية إلا بعد استكماله لسن 21 سنة[2]، مع دفع حقوق ادارية تقدر بفرنك واحد مقابل عشرة فرنكات في الميتروبول.

أما "الأهلي" فحسب الفقرة الثالثة من من المادة الأولى والثانية من قانون سيناتوس كونسيلت فيجب أن يتقدم شخصيا إلى رئيس البلدية التي يقيم فيها، أو إلى مسؤول المكتب العربي بالجهة التي ينتمي إليها، بطلب الخضوع للقوانين المدنية والساسية الفرنسية، ويقوم رئيس البلدية او مسؤول المكتب العربي، حسب المادة 12 من المرسوم الامبراطوري، بإجراء تحقيق حول المعني، ثم يرسل المحضر، ونتيجة التحقيق إلى الحاكم العسكري بالمقاطعة، وهو بدوره يقوم بارسال الملف كاملا مع رأيه في الموضوع إلى الحاكم العام، الذي يرسله بدوره،

[1] Projet de loi sur la naturalisation en Algérie : 27 février 1885. ANOM. F/80/ 2043.

[2] Décret Impérial portant règlement d'administration publique pour l'exécution de Sénatus Consulte du 14 juillet 1865, sur l'état des personnes et de la naturalisation en Algérie. ANOM. GGA, Série F/80, Carton/ F/80/2043.

حسب المادة 13، إلى وزير العدل حافظ الأختام وزير الأديان الذي يعرضه على مجلس الدولة للبت فيه[1].

تجب الإشارة الى أن مجلس الشيوخ وهو يشرع هذا المشروع فكّر في منح المتجنسين الأوربيين الجنسية الجزائرية مباشرة، قبل أن يتراجع عن ذلك تحت تأثير التقارير التي كانت تقول بأن منح الجنسية الجزائرية للمعمرين يعني وضع اللبنة الأولى لانفصال الجزائر عن فرنسا، (تقرير مستشار الدولة (Flandin) سنة 1865)[2]. مهما يكن من أمر فإن القرار المشيخي لسنة 1865م لم يعط أي دفع قوي لعملية التجنيس التي ظلت على سابق عهدها، حيث لم يحقق بين 1865 و1885م إلا نجاحات بسيطة تعكسها أرقام الجدول التالي:

الجنسيات	1865 -1884	1885	1886	1887	1888	المجموع
اسبان	1253	113	82	124	194	1766
ايطاليين	1671	202	203	784	508	3668
ألمان	2367	321	331	489	467	3855

(جدول رقم: 12). عدد المتجنسين من الاوربيين بالصيغة الفردية بين 1865-1888م[3].

بالإضافة إلى تجنس 532 شخص من "الأهالي" (مسلمين ويهود)، بمعدل أقل من 30 حالة تجنس في السنة، في حين تجنست 678 رعية مغربية وتونسية كانت مقيمة بالجزائر تضم يهود وبعض المسلمين[4].

[1] Décret Impérial, op. cit. ANOM. GGA, Série F/80, Carton/ F/80/2043.

[2] Hugo Vermeren, « **Les migrations françaises et européennes vers l'Algérie au début de la III e République, Histoire de l'Algérie à la période coloniale** », Dir Sylvie Thenault et autres, Editions La Découverte et Editions Barzakh, Paris et Alger, 2012, in : Histoire de l'Algérie pp. 194- 200.

[3] ANOM. A 1001.

[4] ANOM. Série F, op. cit, Carton : F/80/2043.

يلاحظ من الجدول، أنه كلما كانت كتلة الأجانب كبيرة، كلما كانت مقاومتها للتجنس أكبر؛ فالإسبان رغم كثرة عددهم لم يتجنس منهم سوى 1766 شخص بمعدل 88 حالة في السنة فقط، وهذا لصلتهم القوية بوطنهم، كما أن الشباب الاسبان الذين أدوا الخدمة العسكرية بالجزائر، وفق الاتفاقية القنصلية بين فرنسا واسبانيا لسنة 1862م، والتي تمنح الشباب الإسبان حرية أداء الخدمة العسكرية في فرنسا من دون التخلّي عن الجنسية الأصلية، وفي ذات الوقت لهم الحق في المطالبة بالجنسية الفرنسية، لم يتهافت، الكثير منهم على طلب تلك الجنسية[1].

في حين أن الألمان تجنس منهم 3855 شخص، بمعدل 192 حالة في السنة، رغم أن عددهم كان قليل جدا مقارنة بالإسبان، وهو الأمر الذي يعكس تلك الفكرة جيدا، كما أن تجنس الإسبان في عمالة الجزائر كان أكبر منه في عمالة وهران[2]، علما بأن تركز معظم الاسبان كان أكثر في الغرب الجزائري، وهو ما يؤكد من جديد الرأي القائل بأن مقاومة التجنس تتأثر بحجم الكتلة البشرية.

إن هذه النتائج الهزيلة التي حقّقها القانون المشيخي لسنة 1865م تعزى إلى أن الأجنبي لم يكن يرى في التجنس مزايا كثيرة، باستثناء الحصول على قطعة أرض بالمجان بحكم أنها كانت مخصصة للفرنسيين فحسب بشكل عام، وماعدا ذلك فالأجنبي كان يتهرب من الخدمة العسكرية، كما أنه كان يتمتّع بكل الحقوق السياسية في بلديته بالجزائر بموجب قانون 7 جويلية 1874م الذي ضمن لهم ذلك، قبل أن يصدر القانون البلدي الذي ألغى ذلك الامتياز بتاريخ 5 أفريل 1884م.

أما إحجام اليهود عن التجنس، رغم إلحاحهم علية خلال زيارة الإمبراطور الثانية إلى الجزائر سنة 1865م من خلال مجموعة من العرائض، فكان لاعتبارات دينية وتمسكهم القوي بتعاليم التوراة، ولأسباب قضائية تتمثل في تعدد

---

[1] Colonel Niox, **Géographie militaire** : **Algérie et Tunisie**, Tome VI, 2eme Edition, Librairie militaire de L. Baudoin, Paris, 1890.p.267.

[2] Jean Jacques Jordi, **Espagnols en Oranie**, op. cit., p.111.

الزوجات، منع الطلاق، وميراث النساء، وهي خصوصيات لا يضمنها القانون الفرنسي لهم، وكذا لأسباب عسكرية تتمثل في التجنيد، لأن الالتحاق بالجيش الفرنسي لم يكن يهمهم، إلا أن الحاجز الرئيس الذي ساهم أكثر من غيره في تجنب يهود الجزائر قانون التجنيس لسنة 1865م هو الخوف من رفض الوسط اليهودي لذلك[1]، حيث ان طلبات التجنس من يهود الجزائر كانت أقل من تلك الطلبات التي تقدم بها يهود من المغرب وتونس كانوا مقيمين في الجزائر، لأنهم كانوا بعيدين عن مجتمعهم ووسطهم، مما أشعرهم بنوع من الحرية في اتخاذ القرار بعيدا عن ضغوطات المجموعة اليهودية.

ويعكس الجدول التالي درجة إقبال العناصر اليهودية على الجنسية الفرنسية بين سنوات 1865 و1870م.

مجموع السكان اليهود	يهود الجزائر	يهود تونسيين ومغاربة	المجموع
عمالة الجزائر 11000 يهودي	27	25	50
عمالة وهران 14000 يهودي	77	113	190
عمالة قسنطينة 8000 يهودي	40	2	42
المجموع	142	140	282

(جدول رقم 13). حجم المتجنسين من اليهود بالصيغة الفردية بين 1865-1870م[2].

يبدو جليا من الجدول تساوي عدد المتجنسين من يهود الجزائر، بعدد المتجنسين من اليهود الأجانب القادمين من المغرب في الغالب، رغم أن عدد المجموعتين لم يكن واحدا، أما العرائض الكثيرة التي كان يطالب فيها اليهود بالجنسية الفرنسية التي تقدم بها بعض يهود الجزائر إلى الإمبراطور إثر زيارته الثانية فيمكن تفسيرها بكونها كانت بغرض التقرب منه لتحقيق مآرب خاصة ليس الاّ؛ لأن

---

[1] ANOM. GGA.8CAB/163.

[2] Edouard Drumont, **La France juive** : **Histoire contemporaine**, tome 3, C. Marpon et E. Flammarion Editeurs, Paris, s.d. p.11.

فرحتهم في قسنطينة وغيرها كانت كبيرة بعد هزيمة الإمبراطور في معركة سودان (*sedan*) سنة 1870 م[1]، وهو موقف كان يتقاسمه معهم كل المعمرين؛ لأن عهد نابليون الثالث الذي سماه كمال كاتب "بفترة الاستيطان الناعم"، حمل مشروع المملكة العربية التي كان تهدف إلى تحويل الجزائر إلى محمية فرنسية، الأمر الذي اعتبره المعمرون سياسة مواتية "للجزائريين"، انطلاقا من الرسالة التي بعث بها الإمبراطور إلى بيليسييه[2] ولذلك كان كرههم للإمبراطور كبيرا[3]. أما الألمان الذين كانوا يقيمون بالجزائر فقد فرحوا أيضا بنتيجة الحرب، ولكن بانتصار بروسيا على فرنسا هذه المرة، وهو موقف ينم عن وطنيتهم وتعلّقهم ببلدهم، وأشار ديمانتاس الى أن احتفالات عديدة أقامها الألمان هنا وهناك بالجزائر بذلك النصر[4].

أما "الأهالي" المسلمين، فلم يستهو ضرورة التخلّي عن الأحوال الشخصية، إلا فئة قليلة منهم ممن كانت لديهم علاقة مباشرة مع الإدارة الاستعمارية؛ كالجنود، وبعض المتعاونين مع الاستعمار، ومن منظور آخر كان "الأهالي" المسلمين رعايا فرنسيين فقط، ولم ترغب الإدارة الاستعمارية منحهم المواطنة الفرنسية لأن ذلك يمكّنهم من حقوق قانونية وسياسية[5]، وهذا ما لم تكن ترغب فيه فرنسا، حفاظا على مصالحها وسيادتها وتفوق مستوطنيها.

كانت حصيلة المتجنسين من الأوربيين واليهود قليلة بالنسبة للسلطات الاستعمارية، ولذلك لجأت إلى الضغط على الجاليات الأوربية بوسائل أخرى عديدة؛ فقد كان بإمكان الأجانب الأوربيين منذ مرسوم 28 ماي 1844م أن

---

[1] Edouard Drumont, op.cit., p.11.

[2] للاطلاع على نص الرسالة ينظر: جريدة (Le Moniteur) عدد 6 فبراير 1863م.

[3] Kamel Kateb, **Européens, "indigènes" et juifs en Algérie (1830-1962,** op. cit.**,** .p.5.

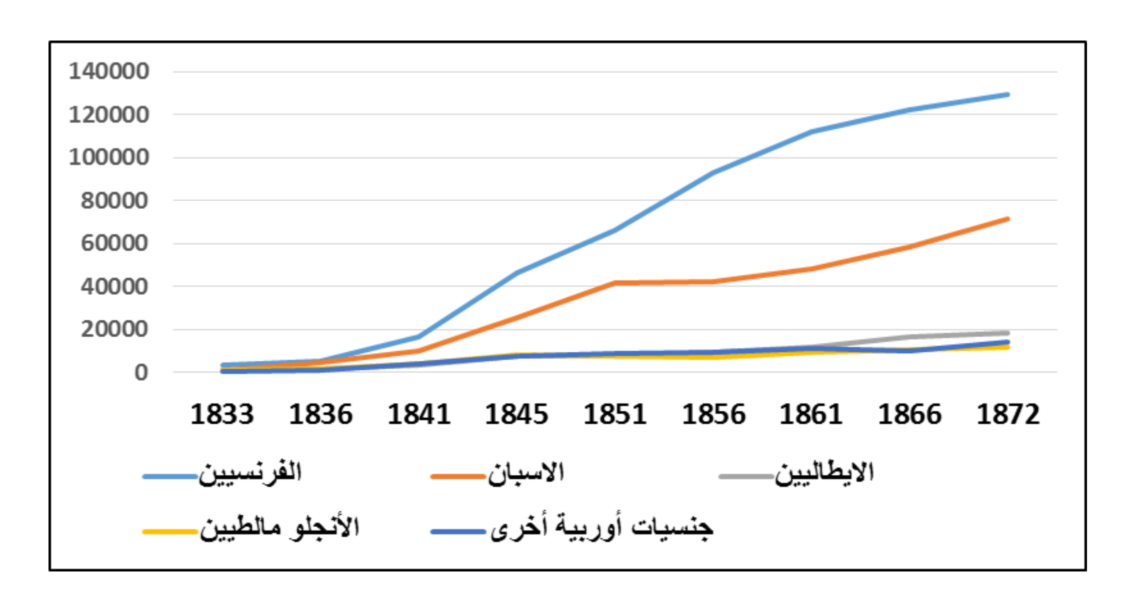
[4] Victor Démontès, **la Stidia**, in : Jean Maurice Di Costanzo, « **L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle (1830-1890)** », p. 115.

[5] Michèle Baussant, **Pieds-noirs. Mémoires d'exils**, Edition Stock, Paris, 2002,op., cit, p. 114.

يصبحوا وسطاء تجاريين، بعد إثبات إقامتهم بالجزائر لمدة ثلاث سنوات، إلا أن مرسوم سنة 1876م أوقف العمل به، كما توقّف كل تمثيل للأجانب في المجالس البلدية منذ 1884م كما سبقت الإشارة إلى ذلك، كما صدر في ذات السنة قرار آخر يمنع تقلّد كل أجنبي لأية مسؤولية، كما صدر سنة 1888م قانون آخر، يمنع هذه المرة الصيد على غير الفرنسيين في السواحل الجزائرية[1].

وبعد كل هذا وذاك، لجأت الإدارة الاستعمارية إلى فرض الجنسية الفرنسية على الأجانب؛ فهي عرضت عليهم التجنيس سنة 1865 ثم أرغمتهم على ذلك سنة 1889 و1893م، وهو ما سنتعرض له في الفصل الثالث من البحث.

واستمر تطور عدد الأوربيين بالجزائر خلال هذه الفترة على الشكل التالي:



(رسم بياني رقم5). التطور العددي للعناصر الأوربية بالجزائر بين 1833-1872م[2].

يلاحظ التزايد الواضح في عدد الأوربيين بالجزائر في عهد نابليون الثالث، كما أن تلك الزيادة كانت ثابتة ومستمرة خاصة بالنسبة للفرنسيين والاسبان، وذلك رغم ما قيل عن هذه الفترة من أنها لم تكن مرحلة استيطان وخاصة عشرية

[1] Gerard Crespo, **Les Italiens en Algérie**, op. cit., p.128.

[2] Xavier Yacono, op. cit., p. 143.

الستينات، لأن عدد الفرنسيين تزايد بشكل واضح، إلا أن هذه المرحلة كانت أقل من حيث الهجرة الفرنسية بالخصوص القائمة أساسا على الاستيطان والأراضي التي أصبحت منذ سنة 1864م لا تمنح بالمجان، في حين لم تتأثر الهجرة الاسبانية والإيطالية بذلك القانون الذي لم يكن يعنيها، بل كانت معنية بالمشاريع الاستيطانية الكبرى التي باشرتها الإمبراطورية الثانية في الجزائر والتي وفّرت لهم فرص عمل كثيرة.

وتجب الإشارة إلى أن التقارير التي رفعت إلى وزير الحرب حول الهجرة الفرنسية إلى الجزائر بين 1858 – 1862م[1] أشارت إلى عدد أقل بكثير مما ذكره ديمانتاس، مما يثير الشك في صحة أرقام هذا الأخير، ويؤكد في ذات الوقت بأن تضخيم الأعداد المنشورة كان ربما لبث الاطمئنان لدى الفرنسيين للمجيء إلى الجزائر ليس إلا، كما أن ارتفاع عدد الفرنسيين بين 1865 و1870م ليس مرده إلى الهجرة فحسب بل إلى الزيادة الطبيعية وإلى المتجنسين من الأوربيين بعد صدور قانون سيناتوس كونسيلت سنة 1865م.

12 يهود الجزائر:

لم يكن يهود الجزائر من الجاليات الأوربية، ولكن اقحامهم في البحث جاء نتيجة التحول الذي طرأ على وضعيتهم بعد 1870م، لأنهم كانوا جزائريين خلال الأربعين سنة الأولى من الاحتلال، حيث أن تواجدهم بالجزائر قديم، وشهد عددهم ارتفاعا بسبب الهجرات القادمة من أوربا باتجاه شمال إفريقيا خلال حكم الإمارات، واستمر خلال الفترة العثمانية وإلى غاية الاستعمار الفرنسي.

وبغض النظر عن عملية ترحيل واحدة اقتيد فيها اليهود كأسرى إلى مصر ومنها فروا إلى شمال إفريقيا، فان باقي هجراتهم إلى هذه المنطقة كانت اختيارية

[1] Rapports à son excellence le ministre de l'interieur sur l'émigration, Années 1858 - 1862, Imprimerie Impériale, Paris. ANOM. GGA. L//5.

وحرة، حيث قدموا إليها بحثا عن حرية الاعتقاد والأمان وفرارا من عمليات التعذيب والإبادة التي كانوا يتعرضون لها في أوربا، ومن أشهر هجراتهم[1]:

- الفرار من فلسطين بعد تعرضها للغزو في القرن الثاني قبل الميلاد.
- الفرار من اضطهاد الإغريق البيزنطيين خلال القرن السادس الميلادي.
- الهجرة من العراق وسوريا برفقة المسلمين خلال القرن الحادي عشر الميلادي.
- الخروج من فرنسا طردا سنة 1307م.
- الفرار من الاضطهاد من اسبانيا عامي 1391م و1492م.
- الفرار من إيطاليا خلال القرن السادس عشر.

لقد عاش اليهود في الجزائر في حرية وأمان، ومع ذلك كانوا يتمنون هلاكها كلّما سنحت الفرصة بذلك، حيث فرحوا كثيرا، حسب ابراهام كاهين كبير رهابنة اليهود بالجزائر، بحملة شارل الخامس على الجزائر سنة 1541م، الاّ أنهم لم يتمكّنوا من إظهار ذلك خوفا، وحينما فشلت تلك الحملة صام هؤلاء يوما حزنا[2].

ورغم أن العثمانيين فرضوا عليهم، فيما بعد، لباسا خاصا وحدّدوا عدد محلاّتهم بالعاصمة، ومع ذلك تمكّن العديد منهم من احتكار صناعة الحلي، وتجارة الحبوب وأشهرهم البكري وبوشناق، وكان إلى جانب هؤلاء اليهود الأغنياء، يهود فقراء كانوا يعيشون في الحارات، وبين هؤلاء والجزائريين كانت تحدث بعض المشادات كتلك التي حدثت سنة 1804و1805م، وقد لجأ نحو 200 يهودي الى القنصلية الفرنسية التي ان يمثلها ديبوا تانسفيل (*Dubois Thainville*)[3]. ولكن ذلك لا يبدو كافيا لتبرير ترحيبهم بالاحتلال الفرنسي،

---

[1] عبد الحميد بورايو، "القصص والتاريخ، التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعي الجزائري"، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وفي علم الانسان والتأريخ، العدد الثاني، الجزائر، 2005.ص ص.72،73.

[2] Abraham Cahen, **Notice historique sur les Israélites d'Algérie**, Edition Crusy, Bordeaux. 1878.

[3] Rina Cohen Muller, « **Les juifs Moghrabi en Palestine (1830-1903) : Les enjeux de la protection française** », Archives Juives, volume38, 2ème trimestre. pp.28-46.

وتعاونهم معه منذ البداية لا سيما في الجزائر العاصمة ووهران، وخير دليل على ذلك هو مغادرتهم لمدينة البليدة سنة 1830م ومدينة معسكر سنة 1835م عندما قرر الجيش الفرنسي إخلاءهما ظرفيا، وذلك خوفا من انتقام الجزائريين منهم بسبب تعاونهم مع المحتل[1]. ولقد وصلت درجة تعاونهم مع الاحتلال إلى المجال العسكري وخاصة في مدينة وهران، حيث يشير تقرير عسكري، أن 300 يهودي من وهران تسلّحوا على نفقتهم وشكّلوا حرس وطني سنة 1831م، وقدموا خدماتهم في كل المناسبات[2] ، وكان اليهود الساعد الأيمن لقائد الحملة الفرنسية على الجزائر[3]، عبر اختراقهم للمجتمع الجزائري وبث الدعاية والتجسس على السكّان، وأول من تهافت على خدمة فرنسا من اليهود البكري وبن دوران، من خلال ابتزاز واعتداء مادي ومعنوي على المسلمين من أتراك وكراغلة وجزائريين.

نظرا لتلك الاعتداءات التي تطل الأتراك فقط، لأنها استمرت على الأقل إلى غاية شهر جويلية 1832م، في وقت كان الأتراك قد غادروا الجزائر منذ أوت 1830م إلى ازمير بالأناضول، مما استرعى تدخل دو روفيقو (*De Rovigo*) بتاريخ 2 جويلية 1832م من خلال الإعلان التالي:

"بعض اليهود لم يستفيدوا بعقل من مكانتهم السياسية الجديدة، وهم يحاولون الانتقام من الجيل الجديد بسبب أعمال يعتقدون بأنهم كانوا ضحايا لها في مرحلة بعيدة، إن الاسرائيليين سيكونون محميين مثل الجميع، وليس أكثر من الغير، فالمسلمون سيحمون من اعتداءات اليهود ....، ومن لم تعجبهم هذه الإجراءات من الفئتين فستمنح لهم جوازات سفر حالا "[4].

---

[1] Jeannine Verdès-Leroux, op. cit., p.215.

[2] Rapport sommaire sur la situation de la province d’Oran, par le lieutenant général, gouverneur de la province d’Oran Pierre Boyer, 1er décembre 1831. SHAT, Série GR 1H, Carton : 1H225.

[3] فوزي سعد الله، يهود الجزائر: موعد الرحيل، ج2، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2005. ص ص.5،6.

[4] ANOM.8CAB/163.

ولم يكن لهذا الإعلان تأثير مباشر على هجرة بعض الجزائريين المسلمين مباشرة بعد الاحتلال، بل لأسباب سبق ذكرها، كما أن هجرة اليهود من المستعمرة كانت قد بدأت منذ العقد الثاني من القرن 19، على دفعتين؛

الدفعة الاولى: 1817-1821م، وانطلقت من وهران، وربما يكون مرد ذلك إلى مجاعات شهدتها تلك الفترة بسبب موجات الجراد العديدة، أما الدفعة الثانية فكانت بين 1830-1834م من مدينة الجزائر وقسنطينة، وكذا البليدة وتلمسان، ومستغانم، وكان اليهود يسافرون بدون جوازات سفر إلى غاية سنة 1845م، ثم اشترطت وزارة الحرب عليهم تلك الوثيقة، مع تعهد بامتلاك مبلغ كافي للذهاب والإياب.

ولقد استقر يهود الجزائر المهاجرين من وهران، ومدينة الجزائر وقسنطينة في الشام بالخليل التي سجل بها 200 يهودي من الجزائر، والقدس خمسون يهوديا، بعد زلزال 1837م الذي دمر كل من طبرية، صفد، وحيفا[1]، كما سجلت القنصلية الفرنسية في القدس منذ 1850م نحو 33 يهوديا في يافا منهم 31 من مدينة الجزائر، تلمسان، وهران والبليدة، وبلغ عددهم 50 نسمة بالمدينة سنة 1841م، بعد انسحاب قوات محمد علي منها، كما أشار نائب القنصل الفرنسي بالشام انطلاقا من متابعة جوازات سفر الرعايا الفرنسيين لسنة 1853م إلى أنه لاحظ وجود 169 يهوديا قادمين من الجزائر.

وفي ظل غياب إحصائيات دقيقة لهؤلاء اليهود المهاجرين إلى الشام، استعنت بصورة زيتية لسنة 1840م والتي تظهر مئات اليهود وهم يغادرون مدينة الجزائر بحرا إلى فلسطين، ويبدو من خلال ذات الصورة الزيتية أن عددهم كان أكبر من تلك الأرقام المقدمة.

خلال زيارته الثانية للجزائر سنة 1865م، ردّ الامبراطور نابليون الثالث على الترحاب الذي لقيه من كبير رهبان وهران ماحي شارلوفيل (*Mahi Charleville*)

[1] Rina Cahen, op.,cit.

قائلا: " أتمنى أن يصبح يهود الجزائر مواطنين فرنسيين عن قريب"[1]. ولكن لم يكن ذلك بسبب الترحاب فحسب، وانما بسبب اندماجهم في الثقافة الأوربية، لأن اليهود بعد 1860م وخاصة في المدن الكبرى باتوا يلبسون مثل الأوربيين، وأصبح الأطفال والفتيات الذين يرتدون الزي القديم نادرين، وحتى التجارة اليهودية فقدت طابعها الشرقي وتحولت إلى الطابع الفرنسي[2]، ولكن لا يجب إغفال معطيات أخرى نشرتها المجلة الاشتراكية لسنة 1899م والمتمثلة في[3]:

- تقديم اليهود لعدد من المترجمين لقوات الاحتلال.
- مساهمتهم في حصار وهران سنة 1833م.
- عدم مشاركتهم في أية ثورة أو انتفاضة ضد فرنسا.
- العرائض العديدة التي قدموها منذ 1860م بغرض التجنس.
- شهادات الجنرالات الذين خدموا في الجزائر أمام مجلس الشيوخ سنة 1865م بأن اليهود قدموا خدمات مفيدة لفرنسا.

أصدرت الامبراطورية قانون سيناتوس كونسيلت في 14 جويلية 1865م، ولم يكن يعني اليهود فحسب، بل كل المجموعات البشرية غير الفرنسية من جزائريين مسلمين ويهود، وكذا الجاليات الأوربية؛ لأن الإدارة الإستعمارية كانت بحاجة ماسة إلى تكثير العنصر الفرنسي في المستعمرة، بالأوربيين واليهود فقط، لأن التخلّي بالنسبة للمسلمين من الجزائريين على أحوالهم الشخصية كان ضرب من الخيال، ولذلك اشترطت فرنسا عليهم ذلك الشرط، والدليل هو أنه عندما تعلّق الأمر بالتجنيس الآلي سنة 1889م، استثني الجزائريون من العملية، ما دام أن اليهود أصبحوا فرنسيين منذ 1870م كما سيأتي في بداية الفصل الثالث.

---

[1] Claude Martin, **Les Israélites algériens de 1830 à 1902**, Editions Héraklès. Paris, 1936, p.109.

[2] Michel Levalois, **Ismayl Urbain (1812-1884) : Une autre conquête de l'Algérie**, Editions Maisonneuve et Larose. Paris, 2001, p.108.

[3] La Revue Socialiste, Tome XXX, Juillet 1899, librairie de la Revue Socialiste, Paris 1899.

حاولت الإدارة الاستعمارية بوسائل شتى جلب أكبر عدد من العناصر الأوربية إلى الجزائر خلال فترة الإمبراطورية الثانية، حيث ركّز الإمبراطور على الاستيطان بالفرنسيين وبالألمان والسويسريين، مع الاستعانة باليد العاملة الإسبانية والإيطالية، إلاّ أنه لم يحقق نتائج باهرة، فعمد بعد ذلك إلى الاعتماد على الشركات الرأسمالية الكبرى علّها تنجح حيث فشلت الإدارة الاستعمارية حتى ذلك الوقت، إلاّ أن تلك الشركات وخاصة الشركة السويسرية اعتمدت على اليد العاملة المحلية بعد أن تعذّر عليها الوفاء بالتزاماتها، وليس ذلك ما كان يقلق الإدارة الاستعمارية بالخصوص، وإنما تلك الحرية التي كان يتمتّع بها هؤلاء "الأهالي" داخل محيط الشركة، الأمر الذي دفع بالإمبراطور عن العزوف عن التعمير بتلك الطريقة التي أدت إلى ظهور دولة داخل دولة، رغم أنه كان يحمل في تلك المرحلة شعار المملكة العربية، والتي جاءت نظريا لحماية العنصر الجزائري من جشع الأوربيين، ولكن الحقيقة أن هذا المشروع كان يهدف إلى إنشاء مملكة عربية تكرس سيادة الفرنسي وعبودية الجزائري مع ضمان بعض المصالح للعرب، تحت حكم ملك فرنسي، لتفادي الصراعات والمتاعب لفرنسا ليس إلاّ.

كما سعى نابليون الثالث إلى تكريس تفوق العنصر الفرنسي، والعناصر الأوربية الشمالية التي عمل الكثير من أجل استقدام أكبر عدد منها من ألمانيا وسويسرا وإيرلندا بالخصوص دونما نتائج باهرة، كما أراد وضع تقسيم واضح ونهائي بين المستوطنين الفرنسيين والأوربيين من جهة وبين اليد العاملة الأوربية المتحركة التي كان يستعان بها في تنفيذ المشاريع الاستعمارية أين يقتضي المكان والزمان ذلك؛ كما أراد أيضا وضع حد فاصل ونهائي بين الفرنسيين من جهة وكل ما هو غير فرنسي من جهة ثانية عبر قانون سيناتوس كونسيلت لسنة 1865م الذي قضى بصيغة التجنيس الفردية، مركّزا على مبدأ السيد والعبد حينما اشترط التخلّي عن الأحوال الشخصية بالنسبة للمسلمين للحصول على الجنسية

الفرنسية، وهو على علم مسبق بأن مقومات الشخصية الجزائرية هي أعزّ ما يملك الجزائري، والتخلّي عنها هو ضرب من الخيال.

الفصل الثالث

- تدارك التأخر
- مرسوم كريميو وموقف اليهود
- تهجير سكان الألزاس واللورين
- داء الكروم (الفيلوكسيرا) والهجرة الى الجزائر
- النشاط البنكي والاستيطان
- واقع الجاليات الأوربية
- تأثير ثورة بوعمامة على تواجد الاسبان بالغرب الجزائري
- التوزيع الجغرافي للأوربيين
- قوانين التجنيس الآلي
- الأزمة اليهودية

تمهيد: انتهت المواجهة العسكرية بين فرنسا وألمانيا سنة 1870م، بهزيمة ساحقة لجيوش نابليون الثالث إثر سقوط المدينتين الفرنسيتين سودان (*Sedan*) في 2 سبتمبر وماتز (Metz) يوم 27 أكتوبر، مما كان يعني أن النظام الإمبراطوري انتهى، جارفا معه سمعة الجيش الفرنسي في الجزائر خاصة بعد سقوط الماريشالان ماكماهون وبازان (*Bazaine*) بيد القوات الألمانية، وهما على التوالي حاكم عام سابق للجزائر والمدير السابق للمكاتب العربية.

كانت انعكاسات الهزيمة على الجزائر سريعة، حيث تمرد الأوربيون على سلطة الجيش في اكتوبر 1870م، واصفين إياه بالخيانة والجبن مطالبين بإنهاء الحكم العسكري على الجزائر[1]، ومنادين بتطبيق النظام المدني، وتحولت تلك المظاهرة إلى سطو واعتداء على المحلاّت، الأمر الذي زاد من حدة التخوف من الأجانب، الذي بدأ الشعور به منذ بداية عهد الإمبراطورية الثانية[2].

جاءت ثورة المقراني لتؤكد انتهاء فترة إدارة العسكريين للجزائر، وفق مرسوم 29 مارس 1871م الذي استهلت به الفترة المدنية في الجزائر، تحت إدارة ما أصبح يعرف بالجمهورية الثالثة، وإن كانت المفارقة هي تعيين حاكم عام عسكري يمثل النظام المدني الجديد هو الأميرال دو قيدون الذي حكم الجزائر من (مارس 1871 جوان 1873) ثم خلفه عسكري آخر هو الجنرال شانزي (جوان 1873م فبراير 1879)، وكان آلبار قريفي (مارس 1879 نوفمبر 1881) أول حاكم عام مدني عين لإدارة الجزائر.

ولعل الذي يمكن استنتاجه من هذا التغيير الإداري هو نهاية المناطق التي كان يحرمها العسكريون على المدنيين الأوربيين، والتي كانت تعرف

[1] Pierre Mannoni, **Les Français d’Algérie, vie, mœurs, mentalités**, Editions L’Harmattan, Paris, 2012 p.80.

[2] Alain Lardillier, op. cit., p.35.

بالمناطق العسكرية، باستثناء الصحراء[1]، ولذلك وجد المدنيون أنفسهم محررين من أي ضغط أو رقابة عسكرية التي كانت قبل ذلك، إلى درجة أنهم أعادوا العمل بتوزيع الأراضي على الأوربيين من أصول فرنسية بالمجان وفق مرسومي 16 أكتوبر 1871م و 15 جويلية 1874م، خاصة إذا علمنا بأن السلطات الاستعمارية لجأت بعد سنة 1871م إلى تشجيع الهجرة الأوربية إلى الجزائر في محاولة منها لتعويض النقص المسجل في تعمير المستعمرة بالأوربيين خلال فترة الإمبراطورية الثانية، وأيضا "لاحتلال النقاط التي تقتضي الضرورة احتلالها، لفائدة الهيمنة الفرنسية وتأمين البلاد"[2].

1 تدارك التأخر:

استمرت الزيادة السكانية للأوربيين بالجزائر وبشكل متسارع خلال الفترة الممتدة من 1871 إلى غاية سنة 1900م، وبلغ حجم تلك الزيادة من 50 إلى 60 ألف نسمة بين كل إحصاء وآخر، علاوة على ذلك أصبحت الزيادة السكانية الطبيعية تساهم هي أيضا في ارتفاع عدد الأوربيين بالمستعمرة، والجدول التالي يوضح تطور عدد المواليد مقارنة بمائة وفاة عند كل العناصر الأوربية باستثناء الألمان[3]، ولذلك خشيت السلطات الاستعمارية أن يكون سكان الألزاس واللورين يتميزون بنفس مميزات الألمان في التأقلم[4].

---

[1] تجب الاشارة الى ان فترة نهاية ق 19 في الجزائر شهدت توسع السلطات الاستعمارية في الصحراء الجزائرية (ميزاب سنة 1882)، حملات استكشافية عديدة في الصحراء بداية بحملة Flatters سنة 1870م، ثم حملة Foureau بين 1888 وسنة 1897 ، ثم حملة Foureau-Lamy سنة 1900 والى غاية انشاء منظمة بريد اقصى الجنوب الجزائري ، ثم الاستيلاء على عين صالح 29 ديسمبر 1898م ، الى غاية منطقة الهقار اثر معركة Tit سنة 1902م. وهذا الامر انعكس مباشرة على الهجرة الاوربية بالصحراء لبعض الأوربيين الذين فضلوا الصحراء للإقامة لأسباب مختلفة، ينظر:

L'Atlas historique et géographique de l'Algérie, de 1934.

[2] Lettre du gouverneur général au préfet de Constantine, le 22/10/1886, in : Claude Collot, **Les Institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830-1962)**, Editions CNRS, Paris, 1987, p.119.

[3] Alain Lardillier, op, cit., p.72.

[4] Colonel Niox, op. cit., p. 264.

إحصاء 1881	الفرنسيون	الإيطاليون	الاسبان	المالطيين	اليهود	الألمان
المواليد	122	149	134	147	182	70
الوفيات	100	100	100	100	100	100
الزيادة الطبيعية	**22 +**	**49 +**	**34 +**	**47 +**	**82 +**	**30**

(جدول رقم 14). حجم الزيادة الطبيعية لدى العناصر الأوربية بالجزائر سنة 1881م[1].

تجب الإشارة إلى أن أرقام الجدول تجمع بين الأرقام التي ذكرها العقيد نيوكس، والتي لم تشمل كل العناصر الأوربية، وبين أرقام التي ذكرها آلان لادريي خاصة فيما يتعلّق بالفرنسيين واليهود، مع العلم أن لادريي وضع الاسبان في المرتبة الأولى من حيث الزيادة حيث ذكر 167 زيادة لكل مائة وفاة، في حين رتّبهم نيوكس في المقام الأخير ب 134 نسمة لكل مائة وفاة، ولذلك فضّلنا الاعتماد على المصدر القريب من الأحداث، ولو أن كلود ليازي حينما تحدث عن التركيبة الجنسية لدى الأجانب في نهاية القرن 19 أشار إلى اختلال كبير لدى الإيطاليين عكس الاسبان[2].

ان هذه الزيادة الطبيعية المرتفعة، عملت على الإبقاء على عدد بعض العناصر الأوربية مرتفعا، وخاصة الاسبان منهم، بعد أن صدر قانون التجنيس الآلي سنة 1889م، الذي أفقدهم الآلاف من العناصر الوطنية كما سيأتي في مكان آخر من هذا الفصل.

إن المرحلة الممتدّة بين (1870–1900م) شكلّت أهم مرحلة من حيث الهجرة الأوربية إلى الجزائر، ومردّ ذلك ليس إلى قرارات سياسية اتخذتها الإدارة

---

[1] Colonel Niox, op. cit., p. 265.

[2] Claude Liauzu, **Histoire des Migrations Méditerranée Occidentale**, volume1, Edition Complexe, Paris, 1996, p.71.

الاستعمارية، خاصة مع بداية سبعينات القرن 19م، وإنما إلى أحداث مختلفة حدثت في أوروبا والجزائر معا أهمها؛

- ضم ألمانيا لمقاطعتي الألزاس واللورين الفرنسيتين.
- فشل حكومة الوحدة بإيطاليا في إيجاد حلول للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية العالقة.
- استمرار المشاكل الاقتصادية والجفاف في اسبانيا.
- داء الفيلوكسيرا الذي أصاب الكروم بفرنسا، وتحول زراعتها إلى الجزائر.
- دور البنوك الفعال في مرافقة المستثمرين عبر القروض.
- تراجع الثورات الشعبية العامة والشاملة في الشمال الجزائري بالخصوص.
- تراجع الأمراض الفتاكة كالكوليرا والملاريا.
- توسيع مشاريع الأشغال العمومية، وخاصة في مجال مد السكك الحديدية التي جلبت إلى الجزائر الكثير من العمالة الأوربية[1].

كان أول إجراء إداري قامت به الجمهورية الثالثة في الجزائر ذا صلة بالسكّان هو إصدارها لمرسوم كريميو في 24 أكتوبر 1870م الذي منح الجنسية الفرنسية لكل يهود الجزائر المقيمين في المناطق المدنية، ثم التكفّل بنقل سكان الألزاس واللورين الذين رفضوا العيش تحت السلطة الألمانية الجديدة إلى المستعمرة، وذلك عبر برنامج واسع خاص بهم، بالإضافة إلى تشجيعها للمبادرات الخاصة من خلال بناء المراكز الاستيطانية التي تصب في نفس الاتجاه، مع اهتمامات الإدارة الجديدة في تعمير الجزائر خاصة بعد استفادتها من مساحات كبيرة من الأراضي المصادرة إثر ثورة المقراني[2]، ومن سيولة مالية

---

[1] G. Mandeville et Victor Démontés, « **Etudes de démographie Algérienne les Populations Européennes : leurs accroissements, leurs densité et leurs origines** », Bureau de la revue, Paris, 1900, pp. 193- 212.

[2] ثورة المقراني: مارس 1871 الى يناير 1872، شارك فيها نحو 800000 ثائر، لم تتمكن السلطات الاستعمارية من القضاء عليها الاّ بعد حشد 85000 من جنودها، وخوض 340 معركة. ينظر: .ANOM GGA/8CAB/163

من خلال الغرامات والتعويضات المفروضة على الجزائريين الثائرين ضد الاحتلال، والتي قدرها نوشي لاكوست بمبلغ 29 مليون فرنك ذهبي كانت قد دفعتها قبائل إقليم قسنطينة كتعويضات، علاوة على خسارتها ل 568817 هكتار من الأراضي[1]، وجاءت هذه العودة القوية لدور الدولة في العملية الاستيطانية في سياق تعويض الخسائر الفرنسية البشرية والجغرافية بعد هزيمة 1870م، وبعد اقتطاع ألمانيا لأجزاء كبيرة من المناطق الشرقية لفرنسا، وذلك من أجل تقوية النفوذ الفرنسي في الجزائر أولا، والتفكير في ضم جارتيها تونس والمغرب ثانيا[2].

وقد اتسمت المرحلة الممتدة بين 1870 إلى 1880م ببناء المراكز والقرى الاستيطانية دونما دراسة حقيقية، حيث بنيت القرى في كل الاتجاهات بعد استفادة الادارة من ال 500 ألف هكتار المصادرة من العروش والقبائل المشاركة في ثورة المقراني لأن فرنسا كانت " بحاجة إلى وسيلة تعوض بها خسائرها في منطقة الراين"[3]، هذا من جهة ولأن المدنيين وجدوا أنفسهم محررين من أي ضغط أو رقابة عسكرية التي كانت قبل ذلك.

ولقد قامت مؤسسة حماية سكان الألزاس واللورين التي ترأسها الكونت هوسانفيل[4](*Haussonville*) بور فعال خلال هذه المرحلة عبر تأطير تلك

---

[1] André Nouschi, Yves Lacoste et André Prenant, L'**Algérie, passé, présent : le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie actuelle**, Éditions Sociales, Paris, 1960.p. 30.

[2] Rapport du Conseiller d'Etat, Directeur général de la Colonisation, Lemyre de Vilers, au Gouverneur Général Chanzy. Le 14 novembre 1877, in : Tarik Belahsene, **La colonisation en Algérie : Processus et procédures de création des centres de peuplement .Institution, intervenants et outils. Les cas de centres en Kabylie du Djurdjura, 1857-1899 : Une illustration, de la pleine vers la montagne.** Tome 1, Thèse pour obtenir le grade de Docteur en Architecture, sous la diretion de Piere Pinon. Université de Paris 8-Vincennes – Saint Denis, Année 2006. p.150.

[3] Rapport du Conseiller d'Etat, Directeur général de la Colonisation, Lemyre de Vilers, op. cit.p.151.

[4] هوسانفيل Joseph-Othenin Bernard Haussonville: سيناتور وديبلوماسي فرنسي، ولد بباريس في 27 ماي 1809م، التحق بالديبلوماسية في سن مبكرة حيث عين امينا عاما للسفارة الفرنسية في=

الهجرة، وبناء مراكز جديدة لهؤلاء اللاّجئين مما يفسر ارتفاع عدد الفرنسيين خلال هذه العشرية من 129998 نسمة الى 195418 نسمة أي بزيادة قدرت ب 50.32 %، وقابل ذلك هجرة أوربية كبيرة أيضا، مما يعني أن التفوق العددي ظل لصالح الأجانب، مما سيدفع بالإدارة الاستعمارية إلى اتخاذ تدابير كثيرة لتغيير تلك المعادلة.

أما العشرية الثانية 1880–1900م فقد اختلفت عن سابقتها لأنها كانت أكثر تنظيما، وتبدأ بفترة الحاكم العام المدني الأول آلبار قريفي (*Albert Grevy*)[1].

وقد شمل الاستيطان 10741 عائلة فرنسية خلال الفترة الممتدة من سنة 1871 إلى غاية 1885م، واستهلك مساحة 495897 هكتار، استفادت منها 5508 عائلة فرنسية مهاجرة، و5233 عائلة أخرى كانت مقيمة في الجزائر منذ الفترة السابقة[2]. وإلى غاية سنة 1895م استعملت الإدارة الاستعمارية مساحة 650000 هكتار من الأراضي لتوسيع 37 مركزا استيطانيا، وإنشاء 248 مركزا جديدا على مساحة تراوحت بين 1300 و3500 هكتار لكل مركز، كما أنشأت 90 مجموعة من المزارع[3].

=العاصمة البلجيكية بروكسل، ثم في المدينتين الايطاليتين (طورينو ونابلي). انتخب نائبا في البرلمان سنة 1842م، ثم أعيد انتخابه سنة 1846م. خصص وقته منذ 1848م للدراسات التاريخية والديبلوماسية، ومنح مقعدا في الاكاديمية الفرنسية سنة 1869م. بعد خزيمة حرب 1870م اقترح اقامة مؤسسات فلاحية بالجزائر لاستقبال لاجئي الألزاس واللورين، وأسس لذلك الغرض مؤسسة. توفي بباريس في 28 ماي 1885م.

[1] آلبار قريفي: Jules Philippe-Louis –Albert Grévy (1823–1899): محامي وسياسي فرنسي، كان عضوا بالبرلمان الفرنسي بين 1876–1880م، ثم أصبح عضوا بمجلس الشيوخ (السينا) مدى الحياة خلفا لكريميو المتوفي من 1880م الى غاية وفاته، عين حاكما عاما على الجزائر بين 1879م الى غاية 26 نوفمبر 1881م، وكان يزاوج بين وظيفته البرلمانية وادارة الجزائر، كان أخ الرئيس الفرنسي جول قريفي. ينظر:

www. Senat.fr /senateur-« eme-republique /Grevy_albert148353.html

اطلع على الموقع بتاريخ: 20 لأفريل 2015م، على الساعة: 09.42.

[2] ANOM. GGA, Série L, op. cit, Carton : 18L/1.

[3] Claude Collot, op. cit., p.119.

وكنت قد بدأت الحديث في هذا الفصل عن اليهود والفرنسيين، بحكم الأحداث السياسية ذات الصلة بالحرب الفرنسية الألمانية، التي أفرزت تجنيسا جماعيا ليهود الجزائر، ودفعت بموجة كبيرة من سكان الألزاس واللورين إلى القدوم إلى الجزائر، ثم نستعرض إلى موقف الجمهورية الثالثة من الهجرة الأوربية غير الفرنسية.

2 مرسوم كريميو وموقف اليهود منه:

جنس مرسوم كريميو الصادر في 24 أكتوبر 1870م كل يهود الجزائر المقيمين في المناطق المدنية بالشمال جماعيا، واستثنى منهم هؤلاء الذين كانوا يقيمون بالمناطق العسكرية بالجنوب، وجاء مرسوم لامبراشت (*Felix Lambrecht*) الصادر بتاريخ 7 أكتوبر 1871 ليعدل المرسوم السابق الذكر بمنح الجنسية الفرنسية لليهود المولودين بالجزائر قبل الاحتلال الفرنسي فقط، أو المولودين بعد تلك الفترة من أبوين كانا مقيمين في الجزائر خلال تلك الفترة[1]، لوضع حد لتجنس اليهود القادمين من خارج الجزائر ولاسيما من المغرب الأقصى.

لم يلق المرسوم استحسانا من كل الطبقة السياسية الفرنسية، حيث تقدم (دو بوزي) بتاريخ 19 جوان 1871م إلى البرلمان الفرنسي بعريضة طالب فيها بإلغاء المرسوم الذي خول لليهود كل الحقوق السياسية، لأنهم كانوا بنظره، غير فرنسيين وانما عرب بديانة يهودية، وبتجنيسهم تحول العبد السابق إلى سيد، والسيد إلى عبد[2]، وهذا ما سيخلق بنظره جوا من التوتّر المستمر في المستوطنة وحتى داخل الجيش إن كانوا معا، بالإضافة الى أن تجنسهم يشكّل خطرا، لأنهم قد يحصلون على الأغلبية في عدة مجالس بلدية[3]. وتضمن رد كريميو، الذي كان في كتيب

[1] Décret du 7 octobre 1871, Journal Officiel, 9 octobre 1871, p. 3885.

[2] Le Progrès de Bel-Abbes, n : 1172, du samedi 5 septembre 1896.

[3] Charles de Bouzet, « **les indigènes israélites de l’Algérie** », Paris, Schiller, 1870**.** (Brochure).p.13.

من ثلاثين صفحة في صيغة المضارع، وكأنه يقر بما جاء به دي بوزي، حيث كتب بأن اليهود سيكونون فرنسيين جيدين، مرتبطين بفرنسا[1].

واعتبر الاميرال دو قيدون (*de Gueydon*)[2] بأن كريميو هو المتسبب الرئيس في ثورة الجزائر لسنة 1871م؛ لأن المسلمين غضبوا كثيرا بعد صدوره، كما كتب الجنرال ديكرو (*Ducrot*) في نفس السنة: " إن مرسوم كريميو أشعل النار في كل مكان"، وكتبت جريدة الأخبار (*l'Akhbar*) أيضا، بتاريخ 15 نوفمبر 1872م بأن تجنيس اليهود كان السبب الرئيس للثورة[3].

أما كريميو، فاكتفى بالقول، بعد صدور المرسوم، "بأنه فرح فرحة عمره بمنح الجنسية الفرنسية لثلاثين ألفا من اخوته في الدين[4] "، رغم كل الأحداث التي صاحبت المشروع، بداية بوفاة وزير الداخلية فيليكس لامبراش الذي كان من أشد المعارضين للمشروع، في تلك الفترة بالذّات والذي يحمل أكثر من تساؤل، لأن دريمون قال بأن كريميو حضر وفاة الرجل وذرف دموع التماسيح[5]، كما أشار أيضا إلى أن تقرير دولاسوكوتيار (*M.de la Sicotière*)، لم يعثر على أية وثيقة

---

[1] Adolf Crémieux, « **Réfutation de la pétition de M.de Bouzet** », Paris, Schiller, 1871.

[2] دو قيدون Louis-Henri-de Gueydon: جنرال فرنسي، ولد في 22 نوفمبر 1809م، التحق بالمدرسة البحرية سنة 1825م، تقلد عدة مهام من بينها حاكم لجزيرة المارتينيك بالمحيط الأطلسي سنة 1853م، ثم الوالي البحري لمنطقة لوريون الفرنسية سنة 1858، ثم مدينة براست في السنة الموالية. رقي الى رتبة أميرال سنة 1861م. عين بتاريخ 29 مارس 1871م حاكما مدنيا على الجزائر، أعلن حالة الحصار في الجزائر بعد اندلاع ثورة المقراني. أشرف على توطين سكان الألزاس واللورين الذين استفادوا من 100 ألف هكتار من أراضي الجزائر. عوضه الجنرال شانزي بعد تقدمه في السن. توفي في 1 أكتوبر 1886م. ينظر:

Narcisse Foucon, op. cit.,pp. 283-285.

[3] Edouard Drumont, **La France juive : Histoire contemporaine**, Tome 2, Editions C. Marpon et E. Flammarion, Paris, s.d, p.13.

[4] Op. cit.

[5] Ibid.p.19.

من التي ساعدت على تحضير مرسوم 14 اكتوبر، لأن الوثائق الأساسية سرقت من ملف الجزائر.

ومما يزيد من الشك في شرعية التوقيعات المرفقة بالمرسوم والتي تخص الأعضاء المعنين من حكومة تور *Tours* بالمرسوم وهم: غامبيطا، غلي، بيزون، وفوريشون *Gambetta*، *Glais*، *Bizon*، *Fourichon* ، هو أن الوزير كريميو بمفرده من أصدر المرسوم السابع الخاص بتجنيس يهود الجزائر[1].

مهما يكن من أمر، فإن مرسوم كريميو جنس نحو 34574 يهودي، رغم أنهم لم يتحمسوا كثيرا للجنسية الفرنسية التي مكّنهم منها سيناتوس كونسيلت الصادر في 14 جويلية 1865م، ولكن فوز أدولف كريميو بتاريخ 20 أكتوبر 1872م بمقعد نائب عن المستعمرة ينم على أن يهود الجزائر استحسنوا المرسوم، كما أن دفع الدولة الفرنسية لكل مصاريف جنازته بتاريخ 12 فبراير 1880م، يعني اعتراف له بالخدمة المقدمة[2].

هل أُرغم يهود الجزائر فعلا على التجنس، وهم من رفض التجنس سنة 1865م؟

بالنظر إلى الإحصائيات، وعدد المتجنسين من اليهود بين 1865 و1870م، التي سبق الإشارة اليها في الفصل السابق، يبدو الأمر صحيحا، ولكن بتصفّح الوثائق يتبين غير ذلك[3]، ففي رسالة من رئيس المجلس الكنسي اليهودي لمدينة

---

[1] Louis Durieu, **les Juifs algériens (1870-1901)**, librairie Cerf, Paris 1902.p.4.

[2] Georges Meynié, **Les juifs en Algérie**, Edition Albert Savine, Paris, 1888, p. 26.

[3] بعد صدور مشروع كريميو كلّفت السلطات الفرنسية بباريس الحاكم العام، أن يطلب من حكام العمالات الثلاث الاجابة على أربعة أسئلة هي:

- هل لديكم اعتراض على المشروع؛
- هل سيلقى صدى لدى المعنيين؛
- ما آثار ذلك على المسلمين؛
- ما هو التأثير المحتمل لذلك على الانتخابات البلدية.

وبعد معاينة يهود الجزائر للمشروع استحسنوا الامر. ينظر: ANOM. GGA, Série F, Carton : F/80/ 2043.

الجزائر إلى والي العمالة بتاريخ 19 افريل 1869م، عن فحوى اجتماع جرى بمقر المجلس وضم المجالس اليهودية للعمالات الثلاث، لمدة ثمانية أيام، أشارت إلى أن الجميع أعرب عن أمنيته في الحصول على الجنسية الفرنسية[1].

علاوة على ما سبق، كتب المجلس الكنسي اليهودي بالجزائر رسالة إلى الملك بتاريخ 31 أوت 1869م، موقّعة من قبل 12 شخصية، طالبوه فيها بتحرير يهود الجزائر، ولتقديم الدّعم لهم، كتب المجلس المركزي ليهود فرنسا رسالة إلى وزير العدل حافظ الأختام بتاريخ 19 نوفمبر 1869م، ليذكّره بالعريضة التي أرسلها يهود الجزائر للملك، وطالبه بتجنيسهم جماعيا، علما بأن المجلس الكنسي اليهودي بالجزائر أصبح تابعا للمجلس الكنسي اليهودي الفرنسي بباريس بمقتضى مرسوم 7 سبتمبر 1867م[2].

تقدم المجلس الكنسي اليهودي لمدينة الجزائر بعريضة أخرى باللغتين الفرنسية والعبرية موقّعة من قبل 303 يهودي، بتاريخ 5 ديسمبر 1869م إلى الملك، تطالب بتحرير جماعي لليهود، ومما جاء فيها: "شعب كامل يطالب بالعدالة، امنحوها لهم، من أجل قوة فرنسا"[3].

هل لعب التحالف اليهودي العالمي دورا في تسوية مسألة يهود الجزائر؟

تأسس التحالف اليهودي في شهر جويلية 1860م، وكانت تشرف عليه لجنة مركزية مقرها باريس مشكّلة من 40 عضوا ثم اتسعت لتشمل 60 عضوا، وعقد التحالف أول جمعية عامة له يوم 30 جوان 1860م تمهيدا للتأسيس، مع أنه كان موجودا ولكن في صيغ مختلفة، وحاجة اليهود إلى سلطة رسمية هي التي دفعت بهم إلى إنشاء التحالف الذي كان يضم يهودا من كل العالم،

تحفظ والي وهران من المشروع، وتحفّظ منه ايضا والي قسنطينة بعض الشيء، في حين تحمس وشجعه والي الجزائر.

[1] ANOM. GGA, Série F, Carton : F/80/2043.

[2] op, cit.

[3] Ibid.

وصحافة جد قوية، وميزانية لا متناهية، وكانت تلك السلطة تتدخّل لدى الحكومات والملوك إذا تعرض اليهود لأي تهميش أو نحو ذلك. وان كان هذا لا يجيب على السؤال، إلاّ أن وصية كريميو لأولاده بمنح مبلغ أربعين ألف فرنك للتحالف[1] قد يعني أن ذلك كان نظير خدمة ما.

3 تهجير سكان الألزاس واللورين إلى الجزائر:

يوم 4 مارس 1871م، أي ثلاثة أيام بعد توقيع معاهدة فرانكفورت مع الألمان ونهاية الحرب، عرض دوبالكاستال (*M.de Belcastel*) نائب محافظة لقارون العليا (*la Haute-Garonne*)، مشروع قانون أمام البرلمان، يقضي بمنح مساحة مائة ألف هكتار من أراضي الجزائر لفائدة سكان الالزاس واللورين، ممن فضلوا الإحتفاظ بجنسيتهم الفرنسية، ووقّع معه زميليه جيل بالسون (*Jules Bulsson*) من محافظة لود (*l'Aude*) وبوكان لورو *(Baucarne-Leroux)* من محافظة لو نور *(le Nord)*[2] .

في حين رأى آخرون مثل رودو (*M. Raudot*) نائب عن محافظة الليون *(l'Yonne)* بأن تقديم تلك التسهيلات لهم يعني تشجيعهم على مغادرة الألزاس واللورين وترك المجال خاليا للألمان، لأن بقاءهم يعطّل المشروع الألماني في المنطقة، كما أنه قد يحتاج إليهم يوما[3].

[1] Georges Meynié, op, cit.,p. 40.

[2] ان كل المقاطعات الثلاث التي اقترحت المشروع تقع على الحدود: لاهوت قارون (la Haute-Garonne) التي عاصمتها تولوز (Toulouse)، وتقع على الحدود الاسبانية في الجنوب الغربي، وكذلك لود (l'Aude) التي عاصمتها كاركاسون (Carcassonne)، أما لو نور (le Nord) وعاصمتها ليل (Lille) فتقع على الحدود البلجيكية في الشمال الشرقي لفرنسا، أما الولاية المعارضة للمشروع ليون (l'Yone) وعاصمتها أوكسار (Auxerre) فتقع بوسط فرنسا. (الباحث).

[3] Rapport de M. Guynemer, Ancien sous –préfet de Saverne, Membre de la société de protection, « **Situation des Alsaciens- Lorrains en Algérie** », Imprimerie Central de Chemin de Fer, Paris mars 1873, p. 139.

ورغم هذه الآراء المعارضة إلا ان البرلمان صوت على القانون بتاريخ 21 جوان1871[1]، ثم جاء قانون 15 سبتمبر، ومرسوم 16 أكتوبر من نفس السنة ليحدثا بعض التعديلات عليه، كإلغاء شرط مبلغ 5000 فرنك الذي كان من الواجب توفّره لدى الأسر المعنية، إلاّ أن ذلك الشرط كان يشكّل عقبة كبرى في طريق هؤلاء اللاجئين، حيث من بين 382 عائلة مشكّلة من 2030 شخص، لم تكن تملك ذلك المبلغ سوى 28 عائلة فقط تتكون من 195 فردا[2].

إعتمد القانون لأن الإدارة الاستعمارية رأت بأن فرصة الألزاس واللّورين لا يجب تضييعها، فهم وسيلة لتحقيق مجموعة من الأهداف الاستعمارية في الجزائر، يمكن حصرها في التالي:

- زيادة حجم الاستيطان الفرنسي؛
- الإبقاء على هؤلاء فرنسيين؛
- تقليص حجم الفارق بين الفرنسيين والعناصر الأوربية؛
- استعمالهم لتحصين تلك المناطق التي جاءت منها الثورة، بسلسلة من القرى الاستيطانية.

وبعد ذلك التصويت علّقت جريدة لاباتري (*la Patrie*) بتاريخ 26 جوان 1871م بما يلي:

"ان سكان الالزاس واللورين سيغيرون الأرض من دون أن يغيروا الوطن "، وكانت قد حفّزتهم جريدة الأخبار (*L'Akhbar*) الكولونيالية على الهجرة إلى الجزائر، حيث كتبت:

"إن الأرض التي تنتظركم ليست أرض ملجأ، لأنكم لن تذهبوا عند أجانب، بل عند إخوانكم الذين يفتحون لكم أيديهم"[3].

---

[1] Rapport de M. Guynemer, op.cit., p.145.

[2] Paul Leroy Beaulieu, **L'Algérie et la Tunisie**, Librairie Guillaumin, Paris, 1887, p.94.

[3] [3] Rapport de M. Guynemer, op., cit. p. 146.

للوقوف على الحصيلة النهائية، والاطلاع على وضعية هؤلاء اللاجئين، أرسل رئيس المؤسسة الحامية لمصالح مهاجري الألزاس واللورين الكونت دهوسانفيل (*d'Haussonville*) ، لجنة الى الجزائر برئاسة قينيمار (*M. Guynemer*) نائب سابق لحاكم محافظة لاسافارن (*la Saverne*) الفرنسية، وبعد أن أمضى شهرين بالجزائر تنقّل خلالهما عبر العمالات الثلاث، وحمل تقريره معطيات مفصلة عن عددهم، توزيعهم الجغرافي وكذا وضعيتهم العامة.

بلغ عدد العناصر التي وصلت إلى الجزائر، حسب التقرير، إلى غاية 31 اكتوبر 1872م ما يلي: 2495 فردا، موزعين كالآتي:

الفئة الاجتماعية	العدد
أرباب عائلات	365
ربات بيوت	365
الأطفال	1100
الأرامل	44
العزاب	622

(جدول رقم: 15). مجموع سكان الألزاس واللورين القادمين الى الجزائر الى غاية 31 أكتوبر 1872م[1].

يضاف إليهم عدد آخر متكون من 767 شخص وصلوا إلى الجزائر خلال الفترة الممتدّة من نوفمبر 1872م وإلى غاية 1 مارس 1873م، وبذلك بلغ المجموع العام 3263 فردا.

تم توزيع تلك الأعداد على العمالات الثلاث، حيث وجهت 69 عائلة إلى وهران، مكونة من 339 شخصا إلى غاية 17 فبراير 1873م، في حين استقبلت عمالة الجزائر 183 عائلة مكونة من 802 فردا إلى غاية بداية شهر جانفي

[1] Rapport de M. Guynemer, op., cit. p.142.

1873م، أما عمالة قسنطينة فقد بلغ عددهم بها 150 عائلة مكونة من 750 فردا إلى غاية 25 فبراير 1873م.

ويضاف إلى الأعداد السابقة، 119 عائلة مكونة من 530 شخص نقلت إلى المناطق العسكرية بالعمالات الثلاث[1]، وكان توزيعهم الجغرافي كما يلي:

- 46.6 % في عمالة الجزائر؛
- 34.5 % في عمالة وهران؛
- 17.8 % في عمالة قسنطينة[2].

وتجب الاشارة إلى أن وجهة سكان الألزاس واللورين، كانت في الاتجاه المعاكس أيضا، حيث غادر الجزائر منهم 1661 شخص[3] ممن فضلوا الجنسية الألمانية، تطبيقا للمادة الثانية من معاهدة فرانكفورت الموقعة بين الألمان والفرنسيين بتاريخ 10 ماي 1871م، التي نصت على أن كل من كان يقطن في محافظات الراين السفلى (*Bas Rhin*) والراين الأعلى (*Haut Rhin*)، ولاموزال (*la Moselle*) محافظة لي فوج (*les Vosges*)، التي أصبحت تابعة لألمانيا بموجب المعاهدة السالفة الذكر[4]، ويرغب في الحصول على الجنسية الألمانية، يمكنه ذلك قبل تاريخ 1 أكتوبر 1873م ممن يقطن خارج أوربا، وكان عدد الذين

---

[1] لمعرفة التركيبة الاجتماعية لهؤلاء المهاجرين، وتفاصيل أخرى، ينظر:

Rapport de M. Guynemer, ibid. p.43.

[2] Fabienne Fischer, **Alsaciens et Lorrains en Algérie**, Histoire d'une migration 1830-1914, Edition Jacques Gandini, Nice, 1998.p.95.

[3] كانوا من: بلدية الجزائر، وهران، سكيكدة، عين البيضاء، معسكر، جيجل، سطيف، مليانة، مرسى الكبير، الحراش، تلمسان، بير خادم، باتنة، الأبيار، الشراقة، سيدي بلعباس، قالمة، الدويرة، تنس، قسنطينة، المدية، البليدة، سعيدة، القليعة، باب الواد، عنابة، تبسة، وشرشال.

[4] كان مجموع عدد بلديات تلك المحافظات يبلغ 1148 بلدية (حسب تقرير قينيمار).

استجابوا لذلك من المقيمين بالجزائر 1661 شخص[1]، هم في الغالب من الجنود، والمساجين، وبعض المدنيين، حسب ذات المصدر.

وبلغ مجموع عدد العائلات التي وصلت الى الجزائر من سكان المناطق الفرنسية المحتلّة من قبل ألمانيا 1020 عائلة إلى غاية شهر مارس 1875م، وهو ما يمثل أكثر من 5000 شخص[2].

وإذا كانت المستعمرة خلال هذه المرحلة قد خرجت من مرحلة الشباب ودخلت في مرحلة الرشد بنظر ديمانتاس[3]، فذلك لأن التطورات السياسية السابقة الذكر مكّنت الإدارة الاستعمارية من تكثير عدد الفرنسيين بالمستعمرة سواء من خلال تجنيس اليهود، أو استقبال اللاّجئين من الألزاس واللورين، وبعدهما استقطاب أعداد كبيرة من المزارعين الفرنسيين الذين تضرروا من داء الفيلوكسيرا الذي أصاب الكروم الفرنسية، وكذا عدد آخر من اليد العاملة الأوربية.

كان التطور العددي للأوربيين بالجزائر بمعدّل 5420 نسمة سنويا، وارتفع خلال هذه المرحلة ليصل إلى 11459 نسمة سنويا[4]، نتيجة الهجرة والزيادة الطبيعية، إلاّ أن هذه التطورات ستفرز في المقابل، خلال المستقبل القريب سلسلة من الأحداث خاصة بين المعارضين للمكانة السياسية التي بات يحظى بها اليهود، كما ستتعكّر الأمور أكثر بعد صدور قانون التجنيس الآلي الذي طبقته الإدارة الاستعمارية على الأوربيين غير الفرنسيين، الأمر الذي سيخلق توتّرا إضافيا خلال هذه المرحلة، لأن ذلك الإجراء لم يرق أيضا لشريحة عريضة من الفرنسيين بالمستعمرة.

---

[1] Centre Historique des Archives Nationales, « **Alsaciens-Lorains ayant opté pour la nationalité allemande (1872-1873)** », BB/31/508 à 510,BB/31/531, Répertoire Alphabétique établi par Ségolène Barbiche, conservateur en chef,1995.

[2] Rapport de M. Guynemer, op, cit., p.159.

[3] Victor Démontès, **le peuple Algerien, Essais de démographie Algérienne**, imprimerie Algérienne, Alger 1906, p.36-37.

[4] Ibid.

4 تأثير الهجرة الكثيفة على العقار وعلى "الأهالي" بالجزائر:

كانت الإدارة الاستعمارية بحاجة إلى المزيد من الأراضي لإشباع رغبات هؤلاء الوافدين من فرنسا بالخصوص، لأن تقديم الأراضي للأجانب بعد الحرب بات محضورا، خاصة بالنسبة للألمان، ولذلك لم تكتف الإدارة الاستعمارية بما استحوذت عليه من الأراضي التي صادرتها من القبائل الثائرة سنة 1871م بالشرق الجزائري، بل أوجدت لنفسها خلال هذه المرحلة سلسلة من الآليات القانونية لتجريد الشعب الجزائري من ممتلكاته، في مقدمتها قانون وارني الذي صدر في 26 جويلية 1873م ، وقانون 28 أفريل 1887م، وقانون آخر بتاريخ 28 سبتمبر 1897م، والتي هدفت جميعها إلى إخضاع العقار وممتلكات الجزائريين إلى القانون الفرنسي، وعدم الإبقاء على الملكية الجماعية داخل العروش بغية تفتيتها لدفع الفلاحين إلى بيعها، لفائدة الأوربيين الوافدين في إطار سياسية الاستيطان الحر، الأمر الذي تسبب في فوضى اجتماعية كبيرة ومجاعات رهيبة داخل المجتمع الجزائري، ولقد نتج عن قانون وارني مايلي[1]:

- تفقير الشعب الجزائري؛
- فقدان شريحة كبيرة من المجتمع الجزائري لممتلكاتها وتحولها إلى فئة عاملة مقابل أجر زهيد؛
- اقتناع الجزائريين بلا عدالة الاستعمار؛
- غضب الجزائريين من السلطات الاستعمارية؛ وإن كان غضب الشعب الجزائري من الاستعمار لم يتوقف منذ الاحتلال،
- تغيير القوانين الجزائرية القديمة بقوانين فرنسية، مس الجوانب الثقافية، الدينية والاجتماعية للجزائريين؛

[1] Alain Lardiller, op. cit.,p.38.

- تعميق الهوة أكثر بين الجزائريين والمستعمر الفرنسي الذي برز على حقيقته، بكونه غير جدير بشعب متحضر[1].

وان كان لادريي قد أشار إلى ذلك، فإن ذلك كان من باب تذكير الإدارة الفرنسية بالأخطاء التي ارتكبتها في الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية والتي تسببت في فقدان المستعمرة إلى الأبد، إلاّ أنه في سعيه ذاك اعترف بحقائق تاريخية مهمة.

5 داء الكروم (الفيلوكسيرا) وتأثيره على الهجرة:

أصاب زراعة الكروم بفرنسا منذ سنة 1875م وباء الفوليكسيرا[2] (*phylloxéra*) المدمر، مما تسبب في إفلاس العديد من الفلاحين وتراجع مستمر للإنتاج الفرنسي من الخمور، وكان انشغال السلطات الفرنسية حينئذ هو كيفية تعويض ذلك النقص الحاصل في السوق الفرنسية.

وقع الاختيار في البداية على النبيذ الاصطناعي والاستيراد من دول أوربية كبديل، حيث تم استيراد اثنتي عشر مليون هكتلتر سنة 1888م[3]، معظمها كان مصدره اسبانيا المجاورة، إلاّ أن ذلك كان يكلّف فرنسا مبالغ كبيرة، ولذلك تم اختيار الجزائر كبديل آخر، بعد مجموعة من الدراسات والتجارب قام بها المهندس ديجارنون (*Dejernon*) والتي أنهاها بمجموعة من التقارير والعديد من المحاضرات دعت المعمرين الفرنسيين بالجزائر " إلى واجب وطني مقدس آخر عبر زراعة الكروم بالمستعمرة "[4].

استهدف النداء كل المتضررين بذلك الداء في فرنسا، لأنها فرصة ثمينة أخرى لتعمير الجزائر بفرنسيين لا يجب إهمالها، حيث صرح الحاكم العام

---

[1] Alain Lardiller, op. cit.,p.38

[2] الفيلوكسيرا: هي حشرة صغيرة مصدرها أمريكا تهاجم الكروم وتلحق أضرارا جسيمة بها. ينظر :

Le Petit Larousse illustréé (Grand format), 1965, op. cit., p. 786.

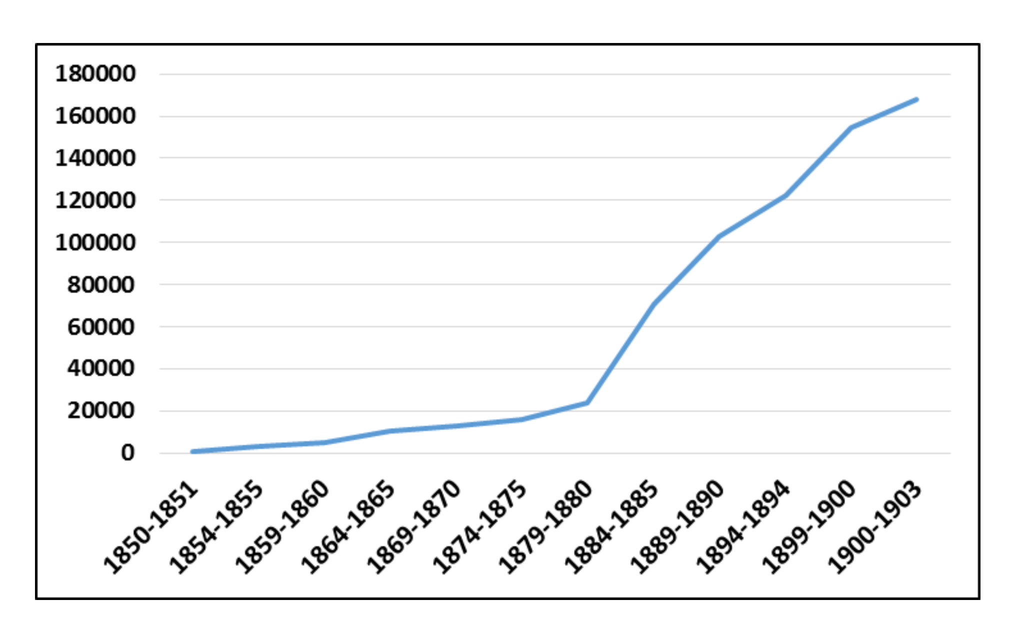
[3] Hildebert Isnard, « **Vigne et colonisation en Algerie (1880-1947)** », In : Annales. Economies, sociétés, civilisations, N.3, 1947.pp.288-300.

[4]Ibid.

الجنرال شانزي سنة 1877م في جلسة للمجلس الأعلى: " بإجماع الوزراء الفرنسيين، تقرر استخدام طعم زراعة الكروم لجلب قسم من السكان المتعودين على زراعتها والذين تضرروا بشدة من هذا الداء إلى الجزائر"[1]، وانجر عن ذلك الأمر ان نسبة كبيرة من مزارعي الكروم المتضررين في سهل الرون والواجهة المتوسطية لفرنسا، قرروا المجيء إلى الجزائر لمواصلة حرفتهم في ظروف بيئية سليمة، وقد شجعهم على ذلك صدور مرسوم 24 جوان 1871م الذي أعاد منح الأراضي بالمجان للمستوطنين، بعد أن كان قد أوقف العمل به بموجب مرسوم 31 ديسمبر 1864م، وتبعهم سيل من العمال الاسبان والايطاليين.

وكان للقروض التي خصصتها البنوك لذلك الواجب الوطني، تأثير مباشر على التطور الكبير الذي عرفته تلك الزراعة بالجزائر، حيث شهدت المساحة المخصصة لزراعة الكروم بالمستعمرة ارتفاعا غير مسبوق، سعيا وراء الربح، وملأ أقبية فرنسا بخمورها، وبالتالي الاستغناء عن الاستيراد، والرسم البياني التالي من إعداد الباحث، يوضح بجلاء حجم ذلك التطور منذ بداية ثمانينات القرن 19م بالخصوص.

[1] M. E. Vivet, « **La Viticulture et la Colonisation en Algérie** », In : Centenaire de l'Algérie, Comité de l'Afrique français, congrès de la colonisation rurale, Alger : 26-29 mai 1930,2ème partie, Les problèmes économiques et sociaux posés par la colonisation, Ancienne imprimerie, Victor Heintz, Alger, 1930, p.210.



(رسم بياني 6) تطور المساحة المخصصة للكروم بالجزائر بين 1850 – 1903م[1].

لتسهيل تصريف المنتوج الجزائري في السوق الفرنسية، الذي تزايد نتيجة تزايد المساحة المخصصة لانتاجه بالشكل الواضح في الرسم البياني، لجأت الحكومة الفرنسية نهاية ق 19م إلى فرض تعرفة جمركية مرتفعة على الخمور الإيطالية والإسبانية، مما فسح المجال واسعا لمنتوج المستعمرة وذلك لتمكينها الاستمرار في تعمير الجزائر. وتزامنت هذه الزيادة المعتبرة في المساحة المخصصة لزراعة الكروم بارتفاع مباشر لوتيرة الهجرة الأوربية إلى الجزائر من المزارعين ومن العمال معا، وحتى من التجار العاملين في قطاع الخمور وغيرها، والأرقام التالية تعكس ذلك بوضوح.

[1] ANOM. 1M/53.Conférence sur l'Algérie, n : 5, **l'Agriculture.**

السنة	عدد الأوربيين
1876	244749
1881	376000
1886	467434
1896	578500
1900	620000

(جدول رقم16). تطور الهجرة الأوربية الى الجزائر بين 1876-1900م[1].

تبين الأرقام أن حجم الزيادة الأوربية بلغ 222685 نسمة، خلال العشرية الممتدة بين 1876 و1886م، مما يعني أن الزيادة بلغت رقما قياسيا وصل إلى 94.5 %، إلا أن العشر سنوات التالية لم تشهد زيادة مماثلة لعدد الأوربيين بالجزائر حيث لم تبلغ سوى نسبة 23.7 %، وهو ما كان يعني أن العصر الذهبي للهجرة الزراعية، وما تبعها من يد عاملة قد ولّى، بسبب إجتياز داء الفيلوكسيرا للبحر، حيث ظهر في كل من المنصورة بتلمسان في شهر جويلية 1885م، وبسكيكدة في شهر ماي 1886م[2]، وسيدي بلعباس ووهران سنة 1898م، وبسهول عنابة سنة 1902م [3] الأمر الذي انعكس على تيار الهجرة مباشرة.

لم تمنع تلك المعطيات الجديدة اتساع المساحة المخصصة للكروم بالجزائر بشكل ملفت للانتباه، حيث وصلت الى 226498 هكتار سنة 1929م، لأن الإدارة الاستعمارية تعاملت مع داء الفيلوكسيرا الذي أصاب الكروم بالجزائر بنسبة قاربت 40%، بالاعتماد على غرس فصيلة من الكروم الأمريكية المقاومة لذلك الداء، وكتب فيكتور بولیات (*Victor Pulliat*) الخبير في أنواع وأصناف

[1] Alain Lardillier, op., cit. p.42.
[2] Hubert Isnard, op, cit.
[3] M. E. Vivet, op, cit.

الكروم، معلّقا على ذلك الرقم في ملاحظاته التي نشرت سنة 1898م بعنوان (الكروم الجزائرية): "إن الكروم استولت على أرضنا الإفريقية، حيث حققت في ظرف عشر سنوات في مستعمرتنا، ما لم تحقّقه كل الزراعات الأخرى مجتمعة منذ 1830م "[1].

وكان التوزيع الجغرافي لزراعة الكروم بالجزائر سنة 1919م كما يلي:

العمالة	المساحة/ هكتار	كمية الإنتاج/هكل	المردود/هكتار	النسبة
الجزائر	61833	272996	44.02	%36.8
وهران	87932	2275696	25.88	%52.4
قسنطينة	18151	741650	40.86	%10.8

(جدول رقم: 17). التوزيع الجغرافي لزراعة الكروم بالجزائر سنة 1919م[2].

يتضح من هذا الجدول أن زراعة الكروم كانت في تتزايد من الشرق إلى الغرب الجزائري، تماما كما كان الحال بالنسبة لتوزيع العناصر الأوربية على الأرض، ويبدو أن زراعة الكروم هي من تأقلمت مع المعطيات البشرية وليس العكس.

يبقى الأمر الأكيد، هو أن زراعة الكروم جلبت مزارعي الكروم من مقاطعات فرنسية كثيرة، بالإضافة إلى اليد العاملة الفرنسية، الإيطالية والإسبانية، كما أنها هي من ساعدت الإدارة الاستعمارية على تثبيت المعمرين في الأرياف، ومكّنتهم من رفع قدرتهم الشرائية، وكما قال أسنار:" إن الكروم أنقذت الجزائر[3]"، بحيث مكّنتها من تحقيق الثروة، كما مكّنت بعض العناصر الأوربية ذات أصول غير فرنسية من الارتقاء اجتماعيا وامتلاك آلاف الهكتارات من الكروم، مثل المالطي شارل دوبونو (*Charles Dobonno*) الذي بلغت ثروته ثمانية ملايين فرنك

1 M. E. Vivet, op, cit.
2 Conférence sur l'Algérie, op, cit.
3 Hildebert Isnard, op., cit.

سنة 1902 [1]، والاسباني لويس بيليغري (Louis Pelegri) الذي امتلك ثلاثة آلاف هكتار من الكروم أيضا[2]، وان كان بارولي يقر ب 813 هكتار فقط، كما يشير أيضا إلى أن المناطق الريفية كانت تحوي الأوربيين الفقراء، ولكن بعد انتعاش زراعة الكروم حدث العكس، وبات الريف رمز الغنى والثراء[3].

6 النشاط البنكي والاستيطان:

إن الدعاية لم تكن كافية لوحدها لجلب المستوطنين والمستثمرين، ثم المتضررين من الفوليكسيرا إلى الجزائر ومن خلفهم آلاف العمال، بل استرعى الأمر تدخل المؤسسات المالية وبقوة في العملية من خلال توفير السيولة المالية اللاّزمة عبر القروض، وكان بنك الجزائر الذي أُنشأ سنة 1851م، هو من تكفّل لوحده بالمساهمة في بعض المشاريع الفلاحية خلال الفترة الممتدة من 1851م الى 1880م؛ لأن القروض كانت مستحيلة مادام أن الإدارة الاستعمارية كانت تمنع رهن الأرض، وكان اليهود خلال فترة الفراغ تلك، يقدمون القروض للمعنيين بفوائد وصلت الى 96 % [4].

انضمت إلى العملية الاستيطانية بنوك أخرى، كالشركة العامة الجزائرية التي تأسست سنة 1865م، والتي تحولت سنة 1877م الى المؤسسة الجزائرية (*Compagnie Algérienne*)حيث باشرت مهمة البنك الحقيقي، وكذا القرض العقاري والفلاحي للجزائر (*Crédit foncier et agricole d'Algérie*) الذي أنشأ سنة 1880م[5]، وهو ما مكّن الإدارة الاستعمارية من الدخول في مرحلة استيطانية واسعة تزامنت مع حمى الكروم التي اجتاحت الجزائر خلال تلك الفترة.

---

[1] يشير بارولي الى أن دوبونو استدان بأكثر من سبعة ملايين ونصف مليون فرنك من بنك الجزائر، وبعد عجزه عن تسديد ديونه حجز البنك على مزرعته سنة 1896. ينظر:

Marc Baroli, **Algérie terre d'espérances, colons et immigrants (1830-1914),** L'Harmattan, Paris, 1992. p .129.

[2] Hildebert Isnard, op, cit.

[3] Ibid.

[4] Marc Baroli, op.,cit.p.95.

[5] Edmond Philippar, **« L'action des banques en matière de colonisation »**, in : Centenaire de l'Algérie, Comité de l'Afrique Française, Congrès de la

علاوة على البنوك والمؤسسات المالية المحلية، تواجدت بالجزائر عدة فروع لمؤسسات مالية مقراتها بالميتروبول هي: القرض الليوني (*Le Crédit Lyonnais*) بنحو عشرة فروع، المؤسسة العامة (*la Société Générale*) بإحدى عشرة فرعا، والمؤسسة المرسيلية للقرض الصناعي والتجاري والإيداع *(la Société Marseillaise de Crédit Industriel et Commercial et Dépots)* بأربعة فروع، بالإضافة الى *(Barcly's Bank)* بفرعين في العاصمة ووهران، علاوة على بنك القرض الجزائري *(le Crédit Algérien)* الذي يعتبر ميتربوليا وجزائريا في آن واحد[1].

بالإضافة الى هذا وذاك، أنشأت صناديق مالية محلية بموجب قانون 8 جويلية 1901م، والتي شرع في انشائها منذ سنة 1902م، وهو ما شجع موجات كبيرة من المهاجرين على القدوم إلى الجزائر من المقاطعات الفرنسية والإسبانية.

7 **الإلحاق وانعكاساته على الجزائر:**

إن المؤسسات المالية الكثيرة التي سعت السلطات الاستعمارية إلى إنشائها بالجزائر، تنم على سعي المحتل لتوفير كل الظروف لإنشاء مشاريع اقتصادية بالمستعمرة مكملة لاقتصاد الميتروبول، كما تنم أيضا على الرغبة القوية التي كانت لدى الإدارة الاستعمارية في الرفع من عدد الأوربيين بالمستعمرة، ولبلوغ هذه الأهداف سعت إلى تركيز كل المصالح الجزائرية بالميتروبول، من خلال مرسوم 26 أوت1881م، المتعلّق بالتنظيم الإداري للجزائر والمعروف بمرسوم الإلحاق، والذي ألحقت بموجبه معظم المصالح المدنية بالجزائر بالوزارات المختصة بباريس مباشرة، ولم تترك المادة الرابعة من المرسوم

---

colonisation rurale, Alger 26-29 mars 1930,2ème partie, les problèmes économiques et sociaux posés par la colonisation, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, Alger 1930, p. 347.

[1] Edmond Philippar,. p. 149.

للحاكم العام أي سلطة، بغض النظر عن الصلاحيات التي منحت له وفق قوانين خاصة، وهذا ما جعل جول فيري يقول عنه، " لقد أصبح الحاكم العام مجرد ديكور مكلّف وغير نافع"[1]، وكان قرار الإلحاق هذا معاصر لظهور الصيغة الشهيرة؛ إن الجزائر ليست مستوطنة وإنما امتداد لفرنسا.

ساهم تسيير الجزائر من باريس مباشرة، من دون شك، في تحويل مسار عدد من المهاجرين عن الجزائر إلى وجهات أخرى، بالنظر إلى التشنج السياسي والعرقي الذي كانت تعيشه المستعمرة خلال تلك الفترة، ولذلك سعت أطراف كثيرة على العمل من أجل إنهاء ذلك الإلحاق الإداري، كجول فيري وجونار وغيرهما، وانتهى ذلك بصدور مرسوم الانفصال الإداري بين بتاريخ 31 ديسمبر 1896م.

ويبقى الحدثان البارزان اللذان ساهما في تشجيع الهجرة الأوربية إلى الجزائر خلال هذه الفترة هما حرب 1870م والفيلوكسيرا؛ فحرب 1870م سهلت تعمير الجزائر وغيرت نظرة سكان الميتروبول إليها، ومن جهة ثانية فإن ارتفاع أسعار الخمور التي تسبب فيها انخفاض الإنتاج الفرنسي سهلت أيضا عملية إنشاء زراعة الكروم التي كانت العامل الأساسي في تشكّل ثروة المستوطنين في الجزائر، ولولاهما لاتخذت الأمور مجرى آخر، خاصة خلال فترة التسيير المركزي للمستعمرة.

8 واقع الجاليات الأوربية بالجزائر:

8. 1 الإسبان:

استمر توافد الإسبان بالخصوص خلال هذه الفترة بسبب المشاكل السياسية والاقتصادية الحادة، التي كانت تشهدها اسبانيا، لأن الحكومة الجمهورية لم تتمكن من تخفيف الضغط الاجتماعي بالبلاد، حيث زاد الفقر والحرمان، وهو ما يعني أن الهجرة الاسبانية، عكس الهجرة الفرنسية، لم تكن تتأثّر بتغير النظام

[1] Alain Lardillier, op, cit., p. 39.

في الجزائر وإنما بمشاكل وظروف داخلية خاصة بين 1871م –1881م[1]، كما تعزى إلى أسباب أخرى ذات صلة بالجفاف وقلة المحاصيل وانتشار مرض الكوليرا ولا سيما في مدينة ألميرية الاسبانية سنة 1885م، وانتهاء المشاريع الكبرى الخاصة بالسكك الحديدية بفالانس وأليكونت ومورسيا بين 1860 – 1865م وعدم برمجة مشاريع أخرى تسبب في ارتفاع عدد البطالين[2]، وهذا ما يفسر استمرار هجرة الإسبان إلى كل الاتجاهات والتي تجاوزت مائة ألف نسمة بين 1882–1911م، مما يعني ارتفاع عددهم بالجزائر أيضا، حيث تزايدوا في عمالة وهران من 37658 نسمة سنة 1872م الى 93262 نسمة سنة 1886م، كما شهدت عمالة الجزائر ارتفاعا محسوسا لعددهم أيضا، حيث بلغ 48599 نسمة سنة 1886م بعدما كان 30356 نسمة سنة 1872م.

إن الفترة الممتدة بين 1872 و1886م كانت فترة هجرة اسبانية كثيفة إلى الجزائر، حيث بلغ عددهم بها 144530 نسمة[3]، وان كان جوردي اكتفى بذكر عدد 141861 نسمة، باستثناء سنة 1874م عندما ظهر مرض الكوليرا بوهران، حيث قامت السلطات الاسبانية بوضع فرق من حراس السواحل في أعالي البحر بقرطاجنة لمنع اقتراب مراكب آتية من وهران، كما اتخذت السلطات المحلية لألميرية، نفس الإجراء مع مركب قادم من وهران في ذات الفترة[4]، وبالموازاة مع ذلك منعت السلطات الاسبانية مواطنيها خلال هذه السنة من الهجرة إلى الجزائر، أما خلال سنة 1881م فكان ذلك بسبب تداعيات ثورة الشيخ بوعمامة على الاسبان في المنطقة الغربية.

---

[1] Gérard Crespo et Jean-Jacques Jordi, **Les Espagnols dans l’Algérois, 1830-1914 : Histoire d’une migration**, Edition de l’Atlanthrope, Paris 1991.p.24.

[2] Ibid. p.55.

[3] Jeannine Verdès Leroux, **Les Français d’Algérie, de 1830 à aujourd’hui : Une page d’histoire déchirée,** Editions Fayard, Paris, 2001, p. 206.

[4] Alfred Salinas, **Quand Franco réclamait Oran (l’Opération Cisneros),** l’Harmattan, Paris 2008, pp.36.37.

8. 1. 1 تأثير ثورة الشيخ بوعمامة على الاسبان:

لقد تعرض عدد من عمال الحلفاء من الإسبان في كل من فرندة شمال شرق سعيدة يوم 10 جوان 1881م، وخلف الله إلى الجنوب الشرقي منها في اليوم الموالي، إلى هجوم عسكري من قبل فرسان الشيخ بوعمامة، انتهى بمقتل 193 شخصا حسب التحقيق، وكتب موبسان (*Maupassant*) [1] رسالة من الجلفة إلى مدير جريدة لو قولوا (*le Gaulois*) بتاريخ 10 أوت 1881م، بعنوان " رسالة من إفريقيا"، والتي نشرت في عدد 20 اوت 1881م ، وقال فيها بشأن القتلى[2] الإسبان من عمال الحلفاء:" إن الإسبان الذين تخلّص منهم وطنهم هم الذين تسببوا في حقد "الأهالي" عليهم، وعدم تخريبهم للخط الحديدي بالمنطقة لخير دليل على ذلك"، وخلُص إلى القول: " في اعتقادي أن قتلهم كان بسببهم وليس بسببنا نحن، كما أن من قتلهم ليس فرسان بوعمامة وإنما القبائل التي كانوا يعيشون وسطها بسبب معاملتهم القاسية والتاريخية"[3]، وفي ذات السياق كتب (لوران) بأن أسباب تلك الثورة ليس التعصب الديني، وإنما لأن "الأهالي" أفلسوا

---

[1] موبسان Guy De Maupassant عاش بين (1850-1893م)، من كبار الأدباء والروائيين الفرنسيين خلال القرن 19م، كان يدرس الحقوق بباريس الا أن حرب 1870م اضطرته الى مغادرة مقاعد الدراسة، ثم اشتغل بوزارة البحرية منذ 1872م، ثم احترف الكتابة من خلال ملاحظاته للمجتمع الريفي والبدوي، ولذلك غلب على انتاجه الواقعية والدقة، حيث كتب عشرات القصص والروايات، وبعد اصابته بمرض السيفيليس تراجع انتاجه، وخلد الى الراحة، وكان كثير التردد على جنوب فرنسا والجزائر، الى أن توفي عن عمر يناهز 43 سنة. ينظر:

Le Petit Larousse illustrée (Grand format), 1965, op. cit., p. 1530.

[2] قدمت لهم السلطات الفرنسية تعويضا بلغ 900 ألف فرنك، (يذكر جوردي ص. 151، مبلغ 1.7 مليون فرنك)، بعد ان ضمنت فرنسا لرعاياها الذين راحوا ضحية الأحداث التي شهدتها اسبانيا قبل الثورة مبلغ 300 ألف فرنك. ينظر:

Juan-Bautista Vilar**, quelques conséquences en Espagne du soulèvement Algérien de 1881 (dans les courants migratoires hispano-algérien et dans relations hispano-française)** In : Mélanges de la Casa de Velazquez.Tome 19,1983.pp.275-291.

[3] يمكن الاطلاع على الرسالة كاملة على الانترنت، على الرابط التالي:

Fr.wikisource.org/wiki/Lettre d’Afrique. 20/05/2014.

بسبب استيطان الرجل البني البشرة (الاسباني) الذي طرده الفقر وأسباب أخرى من بلده؛ فلقد كان هؤلاء الاسبان دمويين وقاسيين في تعاملهم مع "الأهالي" تماما كما تعامل أسلافهم مع السكان الأصليين في العالم الجديد، ولذلك فثأر العرب منهم كان فضيعا بقتل أكثر من 300 اسباني[1]؛ إلا أن القضية أكبر من اعتقاد موباسون بكثير، رغم أنه اشتهر بالواقعية في كتاباته، وأكبر من رأي فرانك لوران الذي يبدو أنه متشبع إلى درجة كبيرة بآراء موباسون، لأن ثورة بوعمامة استهدفت الاحتلال الفرنسي في كل مناطق امتدادها الجغرافي، وكل المتعاونين معه، ورسالة موباسون كان لها أبعاد سياسية أكثر من شيء آخر، بالنظر إلى مستوى التوتّر الذي وصلت إليه العلاقات الفرنسية الاسبانية، والتي كانت قاب قوسين أو أدنى من منع كل هجرة اسبانية إلى الجزائر، والتي لم يكن المعمرون الفرنسيون مستعدين للاستغناء عنها، وبسبب توتّر العلاقات بين الفرنسيين والاسبان في وهران، حيث شهدت شوارع المدينة في الكثير من المرات مشادات بين الطرفين، وبين الاسبان والشرطة، وحتى بين الأشخاص الراغبين في العودة وبين مراقبي الموانئ الذين تلقّوا تعليمات بإعاقة عودتهم، ولقد حذّرت جريدة (*Le Siècle*) من عودة الإسبان قائلة: " إذا غادر الاسبان فإن ثروة البلاد هي التي ستذهب مع هؤلاء العمال المتواضعين الذين لم يتمكن العسكريون الغير أكفّاء من حمايتهم"[2]، كما تحدثت جريدة (*Le Figaro*): " عن إفلاس مؤقّت أو ربما نهائي لإقليم وهران"[3]، لأن آلاف الاسبان طلبوا من حكومة بلادهم العودة السريعة والمجانية إلى اسبانيا، رغم تقديم الحاكم العام بأمر من الحكومة الفرنسية لضمانات لكل الأوربيين المقيمين في المناطق الجنوبية بالخصوص، إلا أن تلك الوعود لم تكف لإيقاف عودة الاسبان وحتى الإيطاليين إلى بلدانهم.

---

[1] Franck Laurent, **Le voyage en Algérie : Anthologie de voyageurs français dans l'Algérie coloniale 1830-1930**, Robert Laffont, Paris, 2008, p.411.

[2] Juan-Bautista Vilar**, quelques conséquences en Espagne du soulèvement Algérien de 1881 (dans les courants migratoires hispano-algérien et dans relations hispano-française)**, op, cit.

[3] Ibid.

إن الأحداث التي شهدتها الجزائر سنة 1881م أحدثت تغيرا مذهلا في منحنى الهجرة الاسبانية تحت تأثير العودة الهائلة للإسبان من جهة، وتوقّف موجة الهجرة الاسبانية إلى الجزائر من جهة ثانية، إلا أن الأزمة الفلاحية، وارتفاع نسبة البطالة والفقر بإسبانيا، والتسويات بين الحكومتين الاسبانية والفرنسية، التي لم تتم إلا سنة 1885م بسبب المماطلة الفرنسية، أعادت الهجرة الاسبانية نحو الجزائر إلى سابق عهدها، كما أنها دفعت بالسلطات الاسبانية إلى نشر إحصاء دوري لأعداد المهاجرين إلى الجزائر منذ 1882م.

ان الفقر الذي فر منه الاسبان، أوقعهم في بؤس آخر في الجزائر، ولذلك طلب القنصل الاسباني بوهران سنتي 1887 و1888م دعما ماليا من حكومة بلاده لفائدة أعمال خيرية يشرف عليها رجال دين اسبان[1]. كما كان يصل هؤلاء الفقراء والمحتاجين الاسبان في وهران دعم من الخواص، وجاءت هذه المساعي الفردية نتيجة منع السلطات الاستعمارية ولفترة زمنية طويلة تأسيس مراكز اسبانية للمساعدة الاجتماعية بدعوى أسباب أمنية، وحتّى المؤسسة الخيرية التي أنشأت في سيدي بلعباس سنة 1894م برآسة نائب القنصل الاسباني والتي كانت تضم أكثر من 150 منخرط حلّت بقرارات عليا[2].

ورغم ذلك كانت السلطات الاستعمارية بالمرصاد لكل من يعمل على إعاقة الهجرة الاسبانية إلى الجزائر، ولذلك قامت بطرد زافالا (*Zavala*)، مدير جريدة (*la Fraternidad*)من الجزائر سنة 1888م، بتهمة معاداته لفرنسا والتحريض على ذلك، لأنه أدان استغلال العمال الاسبان، وأظهر الحقيقة المرة التي كانوا يعيشون فيها في وهران، التي كانت تصدر منها الجريدة، وطالب بتحسين ظروف عملهم[3]، ومن دون شك فإن تلك المقالات كان لها وقع كبير على بعض الاسبان في وهران حيث سجل عودة عشرة آلاف منهم إلى ألميرية[4].

---

[1] Alfred Salinas, op, cit., p.38.

[2] Ibid. p. 39.

[3] Claude Liauzu, op., cit. p.76.

[4] Alfred Salinas, op, cit., p.33.

لقد كانت الادارة الاستعمارية خاصة بعد نجاح زراعة الكروم بالجزائر تسعى إلى اقامة مشاريع كثيرة تخص الطرق، الموانئ، الجسور والسكك الحديدية، وكان لا يكفي الفرنسيون وحدهم لإنجاز كل تلك المشاريع، ولذلك استمر توافد الإسبان بأعداد كبيرة على الإقليم الغربي، وكان منهم من يبقى ومنهم من يرجع الى اسبانيا ليعود في السنة الموالية مصحوبا بأفراد عائلته[1]، أما عدد الاسبان في الجزائر فقد بلغ 114320 نسمة سنة 1881م[2]، ليصل سنة 1886م الى 144530 نسمة[3]، أي بزيادة بلغت 30 ألف نسمة مقارنة بإحصاء سنة 1886م

8. 1. 2 التوزيع الجغرافي للإسبان بالجزائر:

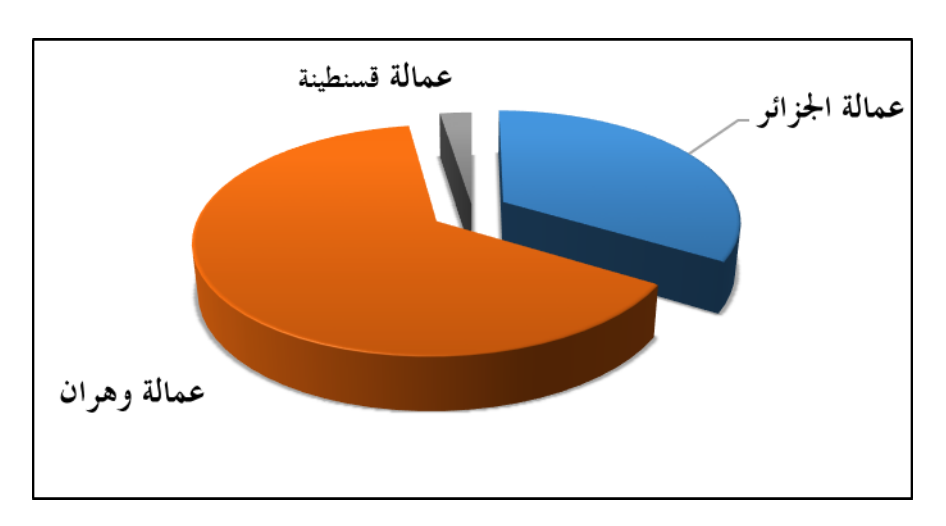
تحكّمت عوامل كثيرة في التوزيع الجغرافي للإسبان بالجزائر، وكان أهمها العامل الجغرافي المتمثل في قرب المسافة، بالإضافة إلى العامل التاريخي بالنظر إلى التواجد الاسباني بوهران خلال فترات سابقة، وبسبب ذلك لم تستطع الإدارة الاستعمارية التحكّم في توزيع الاسبان على الأرض رغم محاولاتها الكثيرة، وكان توزيعهم الجغرافي خلال سنة 1886م على الشكل التالي:

---

[1] ANOM.G.G.A.10H/89. Jean Garry, Les Espagnols d'Oranie.

[2] Jean- Gacques Jordi, **Les Espagnol en Oranie, Histoire d'une migration (1830-1914)**, Editions Jacques Gandini, Nice, 1996, p.106.

[3] Jeannine Verdes Leroux, op. cit.,p. 206.



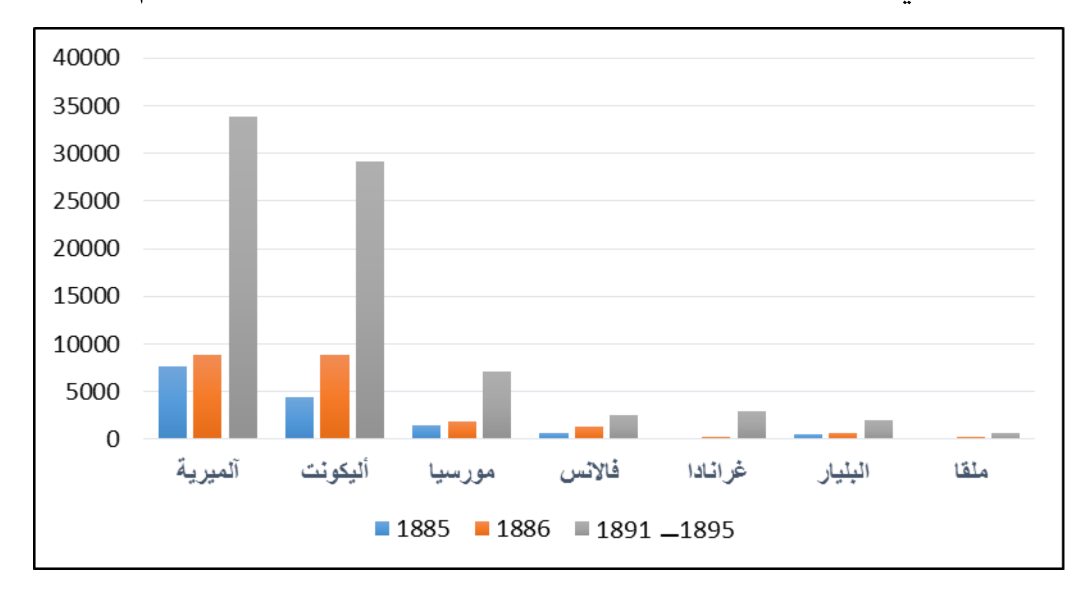
(رسم بياني رقم: 7). التوزيع الجغرافي للجالية الاسبانية بالجزائر سنة 1886م[1].

بحكم هذا التوزيع الجغرافي، فقد كانت معظم مدن الاقليم الغربي غاصة بالإسبان، وهران، سيدي بلعباس، والمحمدية بالخصوص، الى درجة أن المتجول في العمالة كان لا يسمع في الشوارع لغة أخرى غير الاسبانية، مما يعني أن ظروف اسبانيا الداخلية، كانت أكثر وقعا وتأثيرا عليهم من ثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881م، كما يبدو من الرسم البياني أن عمالة قسنطينة لم تستقطب الكثير من الاسبان لبعدها الجغرافي.

لم يستمر ذلك السيل الكبير من المهاجرين إلى الجزائر خلال العشرية الأخيرة من القرن 19م، حيث نلاحظ فتور واستقرار في عدد الاسبان بالإقليم الغربي بين 1891 – 1901م وذلك لأن عدد الزيادات السكانية من المواليد كان كافيا لتعويض عدد الاسبان المتجنسين بقانون 1889م، وان كانت فيه هجرة فإنها لم تكن بارزة، كما أن عدد المغادرين للجزائر من الاسبان خلال ذات الفترة فاق عدد الوافدين، بسبب تراجع قيمة الصرف[2]، وبالتالي لم يعد العمل يجلب الاسبان إلى الجزائر، كما أن ظهور الجفاف بوهران خلال سنتي 1893 و1894م الذي أدى إلى تراجع في المردود الفلاحي، وارتفاع الأسعار وانتشار المجاعة والحرمان وسط الجزائريين والأوربيين معا، كان له دور في ذلك التراجع أيضا، والرسم

[1] Paul Leroy- Beaulieu, op., cit. p. 67.
[2] ANOM.G.G.A.10H/89, op, cit.

البياني من إعداد الباحث يوضح ذلك بجلاء، كما يوضح في ذات الوقت المناطق التي كان يهاجر منها الإسبان باتجاه الجزائر نهاية القرن 19م.



(رسم بياني رقم:8). مصدر الهجرة الاسبانية الى الجزائر بين 1885-1896م[1].

إن التراجع الحاصل في تيار الهجرة إلى الجزائر، والذي يبدو بجلاء خلال الخمس سنوات الممتدة بين 1891 إلى 1896م، مقارنة بسنتي 1885 و1886م، لم يؤثر على عدد الإسبان، لأن زيادتهم كانت من مصدر آخر هو الزيادات الطبيعية، ولم يؤثر عليهم من حيث العدد إلا بعد فترة طويلة، عكس الجاليات الأوربية الأخرى؛ وتبرز الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى الاسبان من خلال الجدول التالي الذي يحمل معطيات من سنة 1844 إلى سنة 1891م.

[1] Juan Bta **Vilar, Emigracion Espanola a Argelia (1830-1900), Colonizacion Hispanica de la Argelia Francesca**, Instuto de Estudios Africanos, Madrid, 1975, p. 107.

الاسبان		الفرنسيين	
عدد الوفيات	عدد المواليد	عدد الوفيات	عدد المواليد
%28	%37	%29	%24
%9 +		%5	

(جدول رقم: 18). حجم المواليد والوفيات لدى الفرنسيين والاسبان بين 1844–1891م[1].

كانت الأرقام التي كان يجمعها الديمغرافيون والجغرافيون تعمل على تقوية حالة الخوف لدى الطبقة السياسية الاستعمارية، وفي ذات الوقت برهنت على أن العناصر الإسبانية بالجزائر تمكّنت من خلال الزيادة الطبيعية المرتفعة، أن تبقي على تفوقها العددي رغم أن قانون 1889 الذي أفقد المجموعة الاسبانية جيلين كاملين من المولودين بالجزائر، ولكن مع مطلع القرن العشرين بدأت تلك المجموعة في التراجع العددي بصفة نهائية، لأن قوانين التجنيس إستمرت في حصد الآلاف منهم من الجيلين الثالث والرابع.

8. 2 الإيطاليين:

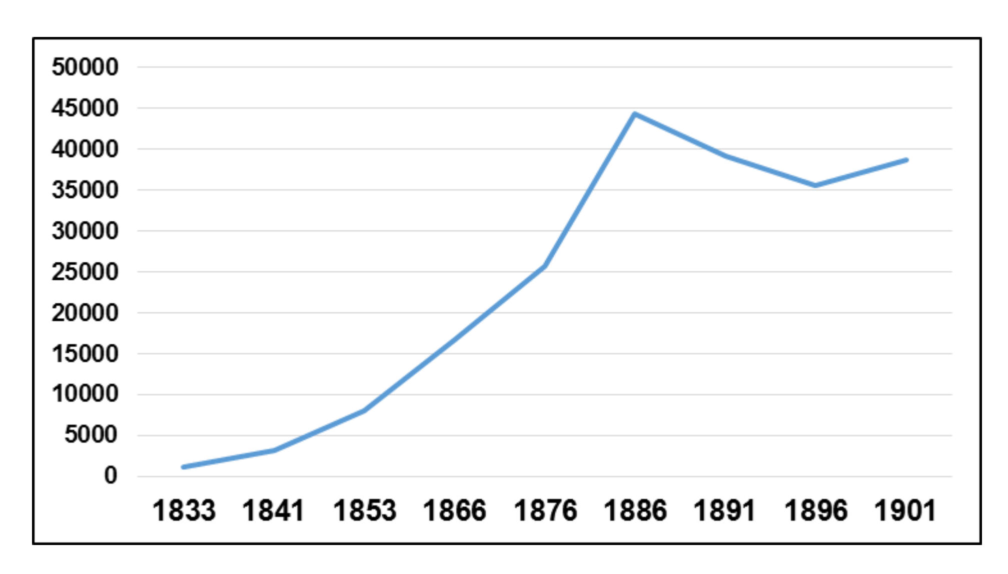
لم تتوقف هجرة الإيطاليين إلى الجزائر بعد تحقيق الوحدة السياسية في البلاد سنة 1870م، بل استمرت خلال هذه الفترة لتبلغ أعلى مستوياتها بالجزائر على الإطلاق؛ بسبب عدم تمكّن حكومات الوحدة من إيجاد حلول للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعاني منها الإيطاليون خاصة في جنوب البلاد الفقير مقارنة بالشمال، وبسبب دخول المستعمرة في مرحلة استيطان رسمي واسعة جدا، عبر مشاريع الأشغال العمومية الكبرى؛ كالموانئ والطرق والسكك الحديدية التي باشرتها الحكومة العامة في عنابة وقالمة وغيرهما من مدن الشرق الجزائري، أين كان يتركز معظم الإيطاليين، وبسبب أيضا توسع زراعة

[1] Juan Bta **Vilar, Emigracion Espanola a Argelia (1830-1900),** op. cit., p.268.

الكروم التي عرفت انتعاشا كبيرا منذ 1876م، والتي شكّل الإيطاليون يدا عاملة هامة بها.

ولكن منذ منتصف ثمانينات القرن 19م، بدأ عدد الإيطاليين بالجزائر في التراجع بسبب تطبيق قانون 1888م الخاص بالصيد والذي منع غير الفرنسيين من الصيد في السواحل الجزائرية، وبسبب قوانين التجنيس الآلي أيضا.

والرسم البياني، من إعداد الباحث، يتتبع تطور عدد السكان الإيطاليين بالجزائر منذ بداية الاحتلال إلى غاية سنة 1901م.



تطور عدد الايطاليين بالجزائر بين 1833-1901م[1].(رسم بياني رقم: 9).

يبدو جليا من خلال المنحنى البياني التطور المستمر لعدد الإيطاليين بالجزائر، خاصة خلال الفترة التي تهمنا في هذا الفصل، حيث كان عددهم 18351 نسمة سنة 1872م، ليرتفع بوتيرة أكثر من التي كانت خلال الثلاث عقود الأولى من الاحتلال، حيث وصل بعد عشر سنوات إلى 27754 نسمة، وبلغ الفائض في حركة السكان الإيطاليين من وإلى الجزائر 1952 نسمة بين 1872

[1] Romain H. Rainero, **Aspetti e vicende del l'emigrazine italiana in Algeria dalle origini all'avvento del fascismo**, in: Italia e Algeria, di un'amicizia mediterranea, a cura di Romain H.Rainero, Marzorati Editore, Milano, 1982, p .233.

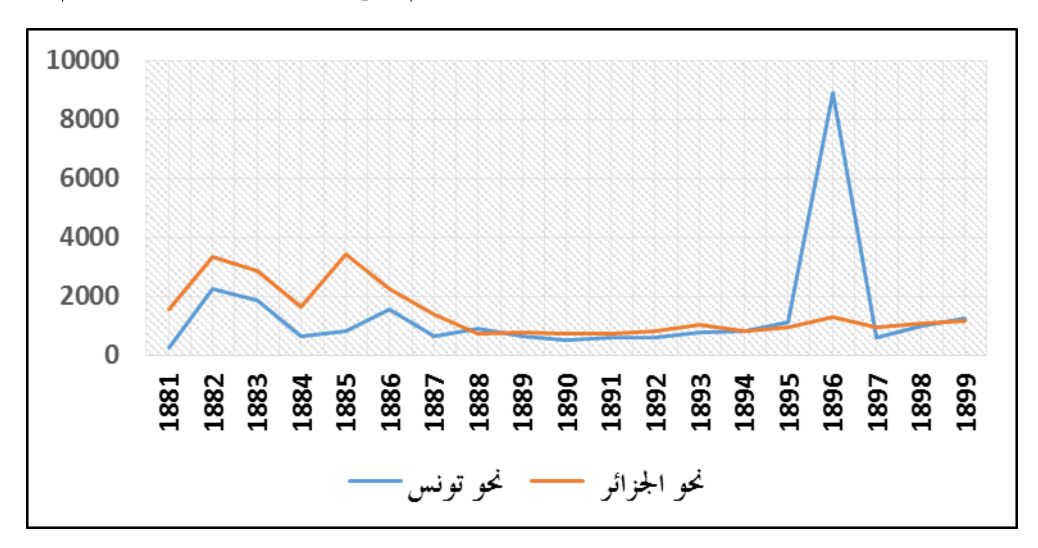
و1876م، ثم ارتفع ذلك الفائض إلى 1585 نسمة خلال الفترة الممتدة بين 1876 الى 1881م، قبل أن يتراجع إلى 2124 نسمة بين سنة 1881 و1886م[1]؛ مما يعني أن تيار الهجرة الإيطالية لم يتأثر كثيرا بفرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م، وهو ما يفسر في الوقت ذاته بلوغ الإيطاليين بالجزائر لأعلى عدد لهم خلال سنة 1886 ب 44315 نسمة، بسبب قلة المحاصيل والوباء الذي أصاب الكروم والأشجار المثمرة بإيطاليا علاوة على ثقل الضرائب وانتشار ظاهرة نزع الملكية على نطاق واسع في البلاد بسبب عدم القدرة على تسديد الديون، التي كانت فوائدها تتراوح بين 30 الى 1200% من قيمة الدين، وانخفاض نسبة سكان الريف إلى 8% فقط كما كان الحال في (صقلية) مما يعني اكتظاظ كبير في المدينة، التي شهدت تشكّل جماعات من اللّصوص وقطاع الطرق نتيجة البؤس والفقر، بالإضافة إلى ضعف الأجور التي كانت تتراوح بين 0.75 وواحد فرنك يوميا[2]، خارج أوقات البذر والحصاد؛ ولذلك كانت الهجرة في ظل تلك الظروف هي السبيل الأفضل لآلاف الإيطاليين.

لم تكن الإدارة الاستعمارية بغافلة عن ذلك التطور العددي الذي كانت تشهده الجالية الإيطالية بالجزائر، حيث شرعت منذ منتصف الثمانينات من القرن 19م في وضع مجموعة من الآليات للتأثير عليهم، خاصة المشتغلين منهم في قطاعِ الصيد البحري، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لذلك لجأ من لم يرغب في التجنس منهم إلى الصيد بطريقة غير قانونية على السواحل الجزائرية، وتجفيف الأسماك على الشواطئ الخالية، بمساعدة بعض المتجنسين منهم من خلال إمدادهم بمعلومات عن تحركات حرس السواحل[3]، قبل أن تجهز الإدارة الاستعمارية على الكثير منهم بقانوني التجنيس الآلي لسنة 1889 و1893م.

[1] Gaston Loth, **Le peuplement Italien en Tunisie et en Algérie,** Librairie Armand Colin, Paris, 1905, p. 119.
[2] Gaston Loth, Op, cit., p. 58.

[3] Marc Baroli, op., cit, p.102.

يتضح ذلك جليا، من خلال الرسم البياني رقم (9)، تراجع الجالية الإيطالية إلى 39226 نسمة سنة 1891، ثم إلى 35139 نسمة سنة 1896م[1]، وهذا التراجع لم تكن تونس المحمية الفرنسية سببا فيه، لأن الفئة العاملة والحرفية من الإيطاليين ظلّت تفضل القدوم إلى الجزائر، في حين كانت الطبقة الميسورة الحال وأصحاب المهن الحرة منهم يفضلون التوجه إلى تونس، والمنحنى البياني التالي، من إعداد الباحث، يوضح الفرق بين حجم الهجرة الإيطالية إلى الجزائر وتونس منذ أن فرضت الحماية الفرنسية عليها سنة 1881م إلى غاية نهاية القرن 19م.



(جدول رقم 10). مقارنة بين هجرة الايطاليين الى الجزائر وتونس بين 1881–1899م[2].

يتضح من الرسم البياني أن حجم الهجرة الإيطالية بين 1881 –1899 إلى تونس بلغ 17730 نسمة، في حين كان حجمها إلى الجزائر 27503 نسمة، رغم أن تونس جغرافيا أقرب إلى إيطاليا، ويمكن تفسير ذلك الفارق في كون أن جل المهاجرين الإيطاليين إلى خارج البلاد والبالغ عددهم 218412 نسمة سنة 1889م كانوا من فئة العمال والفلاحين، في حين أن تونس بسبب طبيعة المحمية وقلة المشاريع الكبرى، لم تكن تستهويهم، ولا أدل على ذلك من حركة الإيطاليين بين الجزائر وتونس في نهاية القرن 19م، حيث سجلت حركة الإيطاليين من

[1] Marc Baroli, op., cit. p. 115.
[2] Romain H. Rainero, op, cit., p. 230.

تونس إلى الجزائر عبر السكك الحديدية فائضا قدر ب 268 شخصا سنة 1899[1].

أهم المناطق الإيطالية التي شهدت هجرة كبيرة إلى الجزائر بين 1877 و1899 فهي؛ كمبانيا(*Companie*) ب2893 مهاجر، تسكانيا (*Toscane*) ب998 مهاجر، ايميلي (*Emilie*) ب 919 مهاجر، صقلية(*Sicile*) 609 مهاجر ولمبارديا (*Lombardie*) ب 367 مهاجر، ومناطق أخرى كثيرة ولكن بأعداد أقل[2]، وهي مناطق تقع في الجنوب الفقير مقارنة بالشمال.

وما دام أن فرص العمل في الجزائر كانت أكبر خاصة في قطاع زراعة الكروم خلال هذه الحقبة الزمنية، فإن عددهم تزايد ب 10500 نسمة بين سنة 1881 و1886[3]، مع الإشارة إلى أن صدور قانوني 1 مارس 1888 و26 جوان 1889م المتعلقان على التوالي، بفرنسة الصيد البحري، وبالتجنيس الآلي، تسببا في تراجع محسوس للهجرة الإيطالية إلى الجزائر، واستمر ذلك الوضع إلى غاية سنة 1894م.

ويبرز أثر الضغوط الإدارية على الإيطاليين من خلال تتبع حجم المتجنسين منهم بمقتضى القانون المشيخي لسنة 1865م، حيث لم يستجب لذلك القانون سوى 2948 إيطالي بين 1865 و1887م، في حين بلغ ذلك العدد 5032 نسمة بين 1888 و1900م؛ أي أن عدد المتجنسين منهم خلال اثنتي عشر سنة فاق بكثير عدد المتجنسين خلال اثنتي وعشرين سنة؛ لأن الإيطاليين خاصة المشتغلين بقطاع الصيد البحري عند تخييرهم بين التخلّي عن جنسيتهم، أو عن عملهم المربح، كانوا يفضلون الإبقاء على الشغل، والتضحية بالجنسية الإيطالية؛ مما يعني أن المصلحة هي التي دفعت بالإيطاليين إلى التجنس بعد الضغوط الممارسة عليهم من قبل الإدارة الاستعمارية، ولذلك أطلق عليهم لقب " متجنسون

---

[1] Gaston Loth, op,cit., p. 79.
[2] Gérard Crespo, **Les Italiens en Algérie 1830-1960 : Histoire et sociologie d’une migration**, Editions Jacques Gandini, Nice, 1994, p. 126.
[3] Paul Leroy- Beaulieu, op., cit., p.71.

من أجل البطون"[1]، ولعلّ الأرقام التالية المتعلّقة بتوزيع حرفة الصيد حسب العرق سنة 1905م تظهر ذلك بجلاء؛

- الفرنسيون الأصليون: 14.32 %؛
- الفرنسيون المتجنسون: 77.04 %؛
- الجزائريون: 07.64 % [2].

ومع ذلك أظهر الواقع أن الإيطاليين خارج حرفة الصيد، قد تشبثوا بهويتهم في الغالب، باستثناء هؤلاء الذين تجنسوا آليا سنة 1889م، وان كان لوت تحدث سنة 1905م عن هؤلاء الإيطاليين الذين تجنسوا بدافع المصلحة الشخصية، ورأى بأن ذلك لا يشكّل أي عيب، من منظور أن أولادهم وأحفادهم قد يكونون فرنسيين جيدين[3].

8. 3 المالطيين:

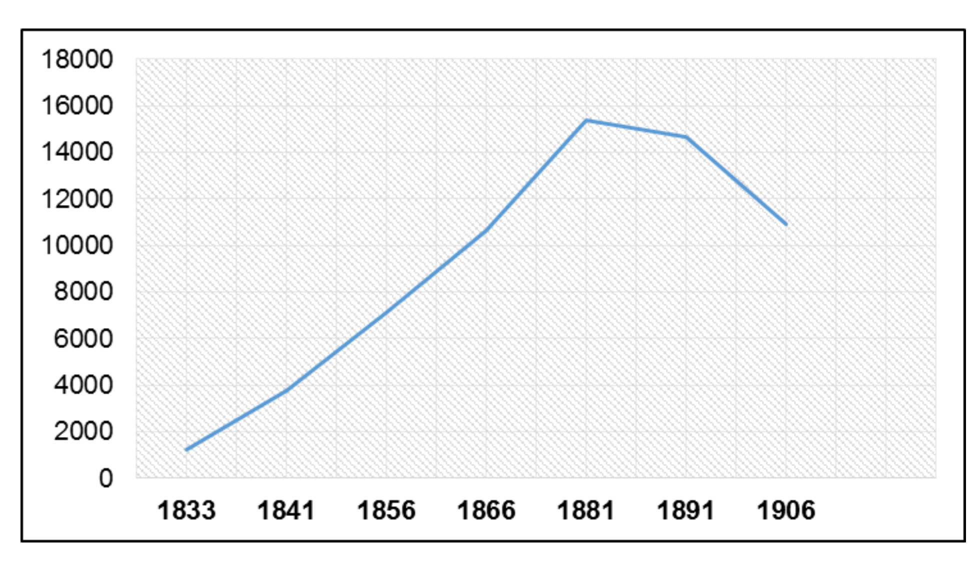
لم يصل حجم المجموعة المالطية بالجزائر إلى مستوى حجم المجموعة الاسبانية أو الإيطالية، لأن عدد السكان بين هذه المجموعات الثلاث في دولهم الأصلية كان مختلفا، ولذلك لم يتجاوز عددهم 16000 نسمة خلال كل الفترة الاستعمارية، والرسم البياني التالي يوضح ذلك بجلاء.

---

[1] Victor Démontès, **« les étrangers en Algérie »**, in : Bulletin de la Société de la Géographie d'Alger, Vol .III, Imprimerie S. Léon, Alger 1898 .p.201-225.

[2] Exposé de la Siuation Générale de l'Algérie, Présenté par M. C. Jonnart, gouverneur général de l'Algérie, Imprimerie Victor Heintz, Alger, 1906.

[3] Gaston Loth, op, cit., p.468.



(جدول رقم:11)، تطور عدد المالطيين بالجزائر بين 1833–1906م[1]

يتّضح من المنحنى البياني أن أعلى نسبة للمالطيين سجلت بالجزائر هي 15402 نسمة وكان ذلك سنة 1881م، ثم بدأ عددهم في التراجع ليصل إلى 10933 نسمة سنة 1906م؛ وليس مرد ذلك لعوامل اقتصادية فحسب، بحكم أن عدد كبير منهم كان يشتغل بقطاع الصيد، ولكن لظروف سياسية أيضا، كاستيلاء الانجليز على قبرص سنة 1878م الذي ساهم أيضا في تناقص هجرة المالطيين نحو الجزائر؛ لأن بريطانيا عملت على استقدام المالطيين إلى الجزيرة لقطع الطريق أمام الهجرة اليونانية إليها[2]، كما أن تأثّرهم بالحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م كان كبيرا، على خلاف الإيطاليين، حيث قصدها المالطيين من مالطة نظرا لقربها، ومن الجزائر بعد صدور قانون 1888م الذي منع الصيد في السواحل الفرنسية والجزائرية على الأجانب، لأن الصيد على السواحل التونسية بقي حرا.

عملت عوامل أخرى نفسية وتاريخية على تراجع عدد المالطيين بالجزائر؛ حيث أن الفرنسيين وبقية الأجانب كانوا ينظرون إلى المالطيين على أنهم في

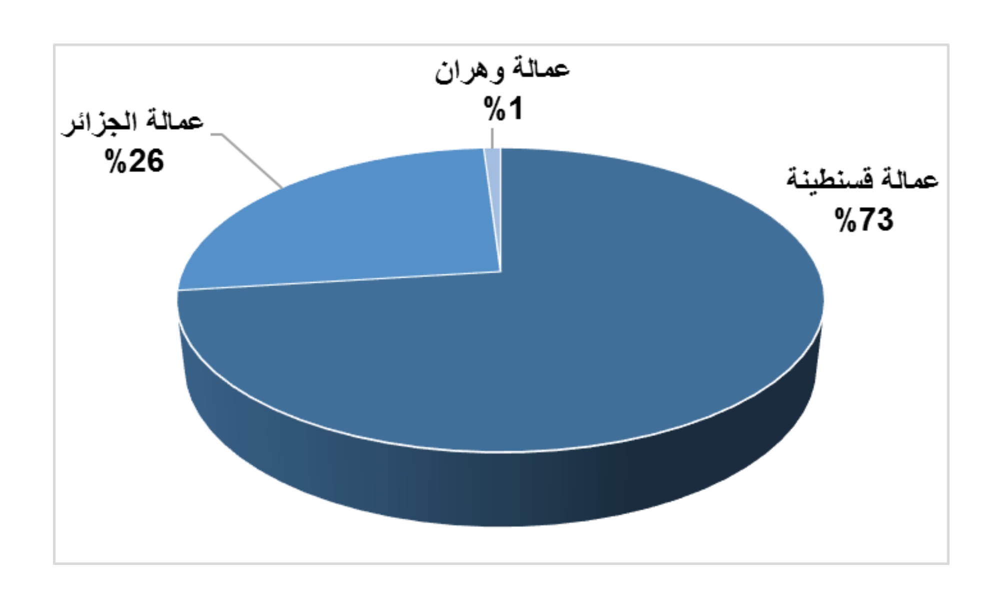
---

[1] Marc Donato, op. cit., p. 117.

[2] Nathalie Bernardie, **Malte parfum d'europe souffle d'afrique, Editions Presses Universitaires Bordeaux, 1999**, p. 101.

أسفل السلّم الاجتماعي للأوربيين، كما أن الأدبيات الاستعمارية الكولونيالية ألصقت بهم صفات تبعث على الخجل؛ كالحقد، العناد، الغضب، وحب المال ونحو ذلك، حتى أنهم كانوا يستحون من انتمائهم وأصولهم إلى درجة **أن** بعضهم سعى إلى محو كل أثر لذلك الأصل بما في ذلك تغيير الاسم[1]، وشكّل رد الفعل هذا دورا كبيرا في ذوبان هذه الجالية بشكل سريع في العنصر الفرنسي، حيث لم يبق منها بالجزائر سوى 5000 نسمة سنة 1926م، ثم 112 فردا فقط عشية الثورة التحريرية، وقد يكون ذلك التجريح آلية من آليات الإدارة الاستعمارية لفرض الاندماج عليهم.

أما التوزيع الجغرافي للمالطيين في الجزائر سنة 1872م فكان حسبما هو موضح في الرسم البياني التالي من إعداد الباحث[2]:



(رسم بياني رقم:12). التوزيع الجغرافي للمالطيين بالجزائر سنة 1872م[1].

[1] Pierre Dimech, **« Le personnage maltais dans la littérature algérianiste »**, L'Algérianiste, n° spécial.1977, 2ème trim., pp.17-28.

[2] Marc Donato, « **l'Emigration Maltaise en Algérie** », in : Mémoire vive, magazine de centre de documentation historique de l'Algérie, N : 50, du 1er trimestre 2012.

تركّز المالطيين على غرار الإيطاليين بالشرق الجزائري بنسبة 73%، خاصة في عنابة التي تفوقوا بها عدديا على الإيطاليين إلى غاية سنة 1885م، كما تواجدوا في سكيكدة وقسنطينة أيضا، أما البقية فكانت بعمالة الجزائر وبخاصة في ضواحي العاصمة بنسبة 26%، أما المنطقة الغربية فنظرا للبعد الجغرافي لم يستقر بها سوى 1% من المالطيين، وهي معطيات من سنة 1872م، إلا أنها تصلح لما قبلها وما بعدها من الفترات، لأن المالطيين استقروا منذ البداية في الشرق الجزائري، عكس الإيطاليين الذين استقروا في بداية الأربعينات من القرن 19م في الغرب قبل أن يتحولوا نهائيا إلى الشرق الجزائري.

أما القطاعات الاقتصادية التي اشتغل بها المالطيين فهي متعدّدة ومتنوعة، بحيث لم يكن لهم نشاط بارز، بل اشتغلوا في البداية كحمالين، سائقو عربات، مترجمين، وخدم، كما مارسوا حرفة تربية الماعز لفترة طويلة من أجل بيع الحليب والجبن، وكانوا يستقدمون كل سنة قطعانا من الماعز من مالطا في البداية، ولذلك أطلق على الحي الذي يقطنه المالطيين بعنابة بحي الماعز[2]، قبل أن تصدر السلطات الفرنسية قرارا يمنع استيرادها بسبب الحمى المالطية من جهة ولمنعها من التجول في الشوارع وخاصة بمدينة الجزائر، كما اشتغلوا بشق الطرق ومد السكك الحديدية وبالمناجم وبالحدائق أيضا، كما امتهن المالطيين حرفة تربية خيول السباق، وقام بعضهم بعد كسب بعض المال بفتح محلاّت تجارية لبيع المواد الغذائية المختلفة، كما اهتموا أيضا بالبحر حيث امتهنوا حرفة الصيد والعمل بالموانئ.

أما الزراعة فلم يستقطبهم العمل بها كثيرا، بدليل أن أعدادهم تناقصت بالجزائر في وقت كانت فيه زراعة الكروم في أقوى فتراتها، علما بأن بعضهم تمكّن من إنشاء مكانة لهم في التجارة والنقل البحري وفي الوساطة التجارية أيضا ومنهم

[1] Marc Donato, « **l'Emigration Maltaise en Algérie** », op, cit.

[2] Marc Donato, **Elisa la Maltaise : Histoire des Maltais d'Algérie (1830-1962)**, Editions Jacques Gandini, Nice, 2002, p. 106.

من امتلك سفنا، لأن الارتقاء الاجتماعي كان بالنسبة لهم مسألة وقت فحسب، حيث تمكنت عدة عائلات[1] من تحقيق نجاحات ملفتة للنظر، كعائلة *Attard, Brincat, Galéa* بالقرب من عنابة، و *Hili, Xerri, Sultana* بضواحي قالمة، وعائلة *Pisani* و *Micaleff* بقسنطينة[2]. أما ثقافيا، فلم يعملوا على فرض أنفسهم، بل ظهروا في تجمعات دينية وشاركوا في كتابات صحفية وراء الإيطاليين[3].

8. 4 الألمان:

أثّرت حرب 1870م على سلوكيات الألمان بالجزائر بشكل مباشر، حيث أصبح تواجدهم أكثر سرية خاصة بعد تلك الاحتفالات التي أقاموها هنا وهناك بالجزائر بمناسبة انتصار ألمانيا على فرنسا، والتي لفتت الانتباه إليهم وتسببت في كره الفرنسيين لهم، والذي استمر سنوات طويلة بعد تلك الحرب حيث عكست الرسالة التي بعث بها الألماني (*Wilfred luhr*) من قسنطينة سنة 1887م، إلى قس كنيسة بلدته بباد (Bade)، معاناة الألمان حيث قال فيها؛ " إنهم يكرهون الألمان كما في 1870م، فهم يطردونهم من العمل..."[4]، إلى درجة أن بعض الألمان ادّعوا أنهم من الألزاس واللورين لتفادي المضايقات، رغم أنهم حتى وقت قريب كانوا مثالا عن الاندماج والاختلاط والامتزاج والذوبان في المجتمع الكولونيالي[5].

تجنّس منهم بعد سنة 1870م الكثير لحماية أنفسهم من قرارات الإدارة الفرنسية ومن اعتداءات محتملة، بل ولجأ بعضهم حتى إلى فرنسة أسمائهم، وهي كلّها عوامل ساهمت في ذوبان وفقدان الذاكرة الجماعية لهم في الجزائر

---

[1] Marc Donato, **Elisa la Maltaise : Histoire des Maltais d'Algérie (1830-1962)**, op, cit.,, p.107.

[2] Ibid. p. 108.

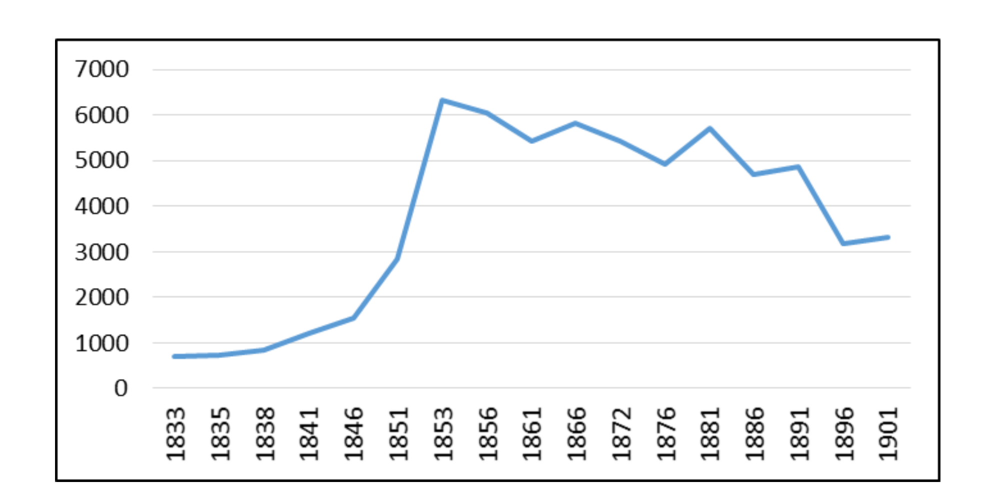
[3] Ibid.

[4] Jean-Maurice Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie (1830-1960)**, op. cit., p. 174.

[5] Ibid..

شيئا فشيئا، بدليل أنهم لم يكونوا طرفا في الصراعات التي ظهرت منذ سبعينات وإلى غاية نهاية القرن 19م.

كان منطقيا أن يتراجع عدد الألمان بالجزائر بين 1876 و1896م بعد تهافت الكثير ممن بقي منهم على الجنسية الفرنسية، وبسبب سلبية الزيادة الطبيعية لديهم لصعوبة تأقلمهم، وتوقف هجرتهم إلى الجزائر، باستثناء سنوات 1881 و1886م حيث ضربت ألمانية أزمة اقتصادية عنيفة تسببت في هجرة بعض العناصر إلى الجزائر، وهو ما يظهر من خلال الرسم البياني التالي من اعداد الباحث.

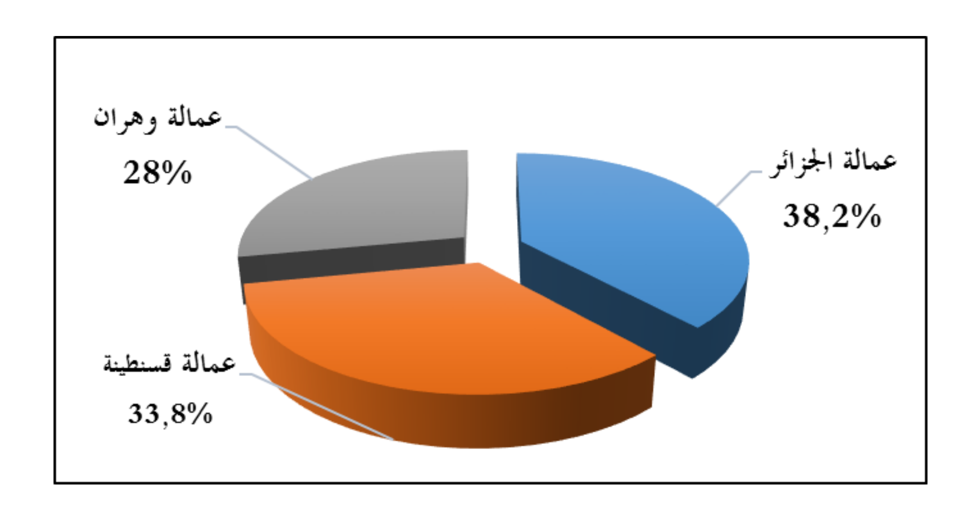


(رسم بياني رقم:13). تطور عدد الألمان بالجزائر بين 1833–1901م[1].

يتضح من المنحنى البياني أن عد الألمان ظل يتزايد باطراد في الجزائر منذ السنوات الأولى للاحتلال وإلى غاية نهاية خمسينات القرن 19م، ثم أخذ عددهم في التراجع بسبب الوفيات وعدم تجددهم طبيعيا، وبسبب تجنس عدد منهم بالصيغة الفردية التي أقرها قانون سيناتوس كونسيلت لسنة 1865م، واستمر ذلك التراجع إلى ما دون 5000 نسمة سنة 1887م، إلى أن وصل إلى حدود 3000 نسمة مع بداية القرن 20م، مع تسجيل من حين لآخر بعض الارتفاع المحتشم

[1] Jean-Maurice Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie (1830-1960)**, op. cit.,. p. 108.

لعددهم بداية الستينات، والثمانينات والتسعينات من القرن 19م، بدافع الظروف الإقتصادية والطبيعية في ألمانيا والمشار إليها سابقا، أما توزيعهم الجغرافي فقد كان سنة 1872م حسبما هو موضح في الشكل التالي؛



(رسم بياني رقم: 14). التوزيع الجغرافي للألمان بالجزائر حسب احصاء لسنة 1872م[1].

يظهر الشكل أن الألمان كانوا المجموعة الوحيدة التي لم تستقر بشكل كبير في جهة واحدة من الجزائر، وانما توزيعهم كان متقاربا في كل العمالات الثلاث، ومردّ ذلك إلى أن الإدارة الاستعمارية هي من تسببت في ذلك التوزيع عبر الاستيطان الرسمي، وهي من وزعتهم جغرافيا منذ البداية، أما ما يبرزه الرسم خلال هذه الفترة مقارنة بالفترة التي سبقتها، هو تسجيل تراجع لعدد الألمان بالمنطقة الغربية لصالح المنطقة الوسطى، ربما لذلك علاقة بسوق العمل، أما المنطقة الشرقية فضلّت مستقرة مقارنة بالفترة التي سبقت.

[1] Jean-Maurice Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie (1830-1960)**, op.,cit. p.85

ومع بداية القرن العشرين لم يعد الألمان مجموعة متماسكة ومتّحدة، ولكن أصبحوا مجرد خليط غير متجانس من الشيوخ، مسافرين، تجار وسواح، هم في حراك مستمر يتشكلون من عزاب في الغالب"[1].

5-8 العناصر الأوربية الأخرى:

سأكتفي بالحديث عن السويسريين وبعض الإنجليز فحسب، لما كان لهم من دور اقتصادي رغم قلة عددهم مقارنة بالعناصر الأوربية السالفة الذكر؛ فالسويسريون استمر قدومهم إلى الجزائر خلال هذه الفترة، حيث سجلنا زيادة قدرت ب 380 نسمة سنة 1886م مقارنة بإحصاء سنة 1881م، حيث بلغ عددهم 2404 نسمة[2]، وهو رقم يعني تراجع في عدد السويسريين بالقياس إلى الفترة التي سبقت الجمهورية الثالثة، ويعزى ذلك إلى أن السويسريين سعيا منهم إلى الارتقاء الاجتماعي قد تجنسوا بقوة، وخاصة أولئك القادمين من المقاطعات الناطقة بالألمانية بعد حرب 1870م لنفس الأسباب، إلا أن عملية التصنيع التي شهدتها سويسرا في بداية الثمانينات من القرن 19م جعلت البلاد تستقطب الهجرة ولم تعد مصدرا لها؛ ونظرا للحاجة إلى اليد العاملة التي رافقت ذلك التطور، فقد اعتبرت السلطات في البلاد أن كل هجرة هي بمثابة هروب من الوطن[3].

وكان للسويسريين بالجزائر عدّة جمعيات متعدّدة المهام، كالجمعية الخيرية السويسرية التي تأسست في سبتمبر 1872م والتي كانت تتشكّل بالأساس من تجار مدينة الجزائر، وكانت بالإضافة إلى قيامها بأعمال خيرية من خلال مساعدة العاطلين عن العمل والمرضى، تستضيف أيضا محاضرين وفرق موسيقية ورياضية مختصة في الرياضات السويسرية، بهدف المحافظة على حبل التواصل بينها وبين الوطن، كما كانت المجموعة السويسرية تحتفل حتى بالأعياد

---

[1] Victor Démontes, « **La Stidia, Une Colonie Allemande en Algérie** », in : Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord, Septième année, 1902, 1er trimestre. pp. 351.407.

[2] Paul Leroy- Beaulieu, op, cit., p. 71.

[3] Jean-Maurice Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie**, op, cit., p. 150.

الوطنية وبالنشيد الوطني. ومع ذلك فإن عملية احتواء السويسريين كانت قد تمت بصفة شبه كاملة في ظرف ثلاثة أجيال[1]. أما السويسريين الذين لم يشملهم الاحتواء رغم قلتهم فكان لهم وزن وثقل اقتصادي وثقافي وحتى ديني إلى غاية سنة 1954م التي صادفت نهاية تواجد الشركة السويسرية التي تأسست سنة 1853م.

أما الانجليز، فقد قدم عدد غير مسبوق منهم إلى الجزائر بعد فتح قناة السويس سنة 1869م ونهاية الحرب الفرنسية الألمانية، متخذين من ميناء مدينة الجزائر أسكلة وهم في طريقهم إلى الهند، ومنذ سنة 1880م فاق عدد السواح الإنجليز في الجزائر عدد السواح الآخرين، مما يعني أن خارج السياحة لم تشهد المستوطنة الإنجليزية بالمدينة أي زيادة عددية، ولذلك كانت هذه المجموعة تتشكّل في الأساس من أشخاص متقدمون في السن، وفي ظروف صحية متردية في الغالب، لم تكن لديهم لا أهداف سياسية ولا تجارية ولا حتى اجتماعية، وكانوا يعيشون في مجال ضيق للغاية جغرافيا واجتماعيا[2]؛ فاستقرارهم كان في البداية في حي (بولوغين) الذي استأجروا به عدة مساكن، قبل أن يغادروه لأنه تحول إلى الحي المفضل للأغنياء من المالطيين واليهود، وفضلوا الاستقرار في الفنادق الإنجليزية بالعاصمة كفندق الكيرش (*le Kirsch*) وفندق سان جورج (*St George*) ، ثم شرعوا في شراء أجمل المساكن بحي مصطفى، وبناء أخرى على الطراز الأوربي، وعندما بات حي مصطفى لا يتوفر على عقار، شرعوا في التوسع باتجاه الأبيار بين 1883 و سنة 1895م، حيث قامت المهندسة الإنجليزية *Bucknall* ببناء نحو 12 مسكنا لهم بطراز مورسكي حديث[3].

أما اجتماعيا، فكانت كل نشاطاتهم تتم في نطاق ضيق للغاية أيضا؛ حيث كانت تتم في شارع ايسلي (العربي بن مهيدي حاليا) بالخصوص وشملت بقالة

---

[1] Jean-Maurice Di Costanzo, **Allemands et Suisses en Algérie**, op, cit.,.p. 167.

[2] Joëlle Redouane, « **La présence anglaise en Algérie de 1830 à 1930** », op.cit.

[3] Ibid.

ووكالة عقارية، ومحل *Burke* للترحيل، ومؤسستي *Cook,s* لتنظيم الرحلات والنزهات، و *Monk Jackson* للخدمات البنكية، بالإضافة إلى مجموعة من العيادات لأطباء انجليز مثل: الدكتور *Thomson* والدكتور *Wilson* و *Gardner*[1].

وكانت حياتهم تنظّمها زيارتهم لبعضهم البعض، كما انهم كانوا يتمونون من الأفضل لدى أحد الانجليز أيضا، ويقصدون أطباء انجليز، ولم تكن لهم اية صلة بالمجتمعات الأوربية الأخرى، بما فيهم الفرنسيين إلا في المسارح[2].

أما عددهم فنستشفه من نشاطهم الديني، لأنهم كانوا يهتمون بهذا الجانب كثيرا حيث كان يرتاد على الكنيسة الأنقليكانية في شارع إيسلي بين 120 الى 180 مصلّ[3]، أما خارج مدينة الجزائر فلم نجد أثرا لهم لا في الشرق ولا في الغرب.

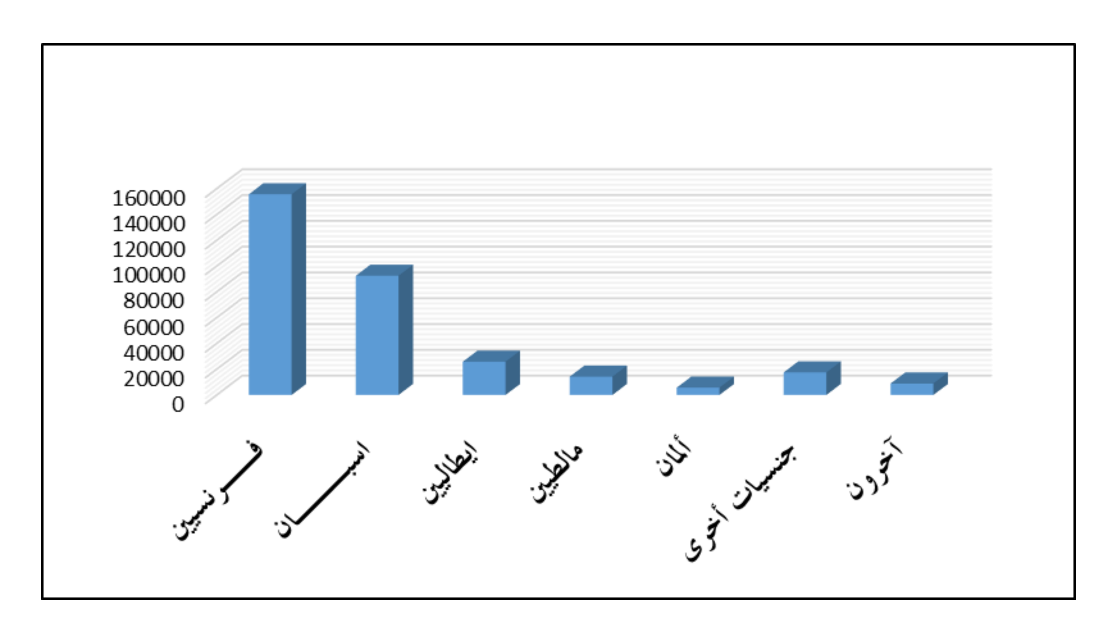
9 قانون التجنيس الآلي 1889م:

إذا كانت الجالية الألمانية والسويسرية قليلة ولم تشكّل خطرا حقيقيا بالنسبة لمستقبل المستعمرة الفرنسية في الجزائر، فإن وضعية الجاليات المالطية، الإيطالية والاسبانية بالخصوص كانت تسيل الكثير من الحبر، وتؤرق تفكير الكثير من الساسة والمفكرين الفرنسيين خاصة بعد أن فشل قانون سيناتوس كونسيلت لسنة 1865م من التأثير عدديا عليهم، والوضعية التي كانت عليها العناصر الأوربية سنة 1876م بالجزائر يوضحها الشكل التالي بجلاء

[1] Joëlle Redouane, « **La présence anglaise en Algérie de 1830 à 1930** », op.cit.

[2] Marc Baroli, op., cit.pp.210- 211.

[3] Joëlle Redouane, op. cit..



(رسم بياني رقم: 15). حجم العناصر الأوربية بالجزائر سنة 1876م[1].

إن بداية الثمانينات من القرن 19م، كانت بمثابة دق ناقوس الخطر من قبل كل الأطراف الفرنسية المفكّرة والحاكمة في فرنسا، بخصوص خطر العنصر الأوربي غير الفرنسي؛ فبعد 1870م لم تعد الجمهورية الثالثة تطيق رؤية على أرض فرنسية محتلة قوة ثالثة غالبة لا تتكلّم الفرنسية لا هي بالمستعمر ولا هي بالمستعمر، في الشرق والغرب معا، ولم تكن تخرج عن هذه القاعدة إلا مدينة الجزائر التي كانت الأكثر فرنسية.

إن تجنيس اليهود سنة 1870م لم يكف لقلب المعادلة بشكل كبير، بحيث كان لا يزال الإسبان والإيطاليون يزعجون كل الأطراف الاستعمارية رسمية وغير رسمية، ووصل الأمر إلى طرح بعض التساؤلات: لماذا لا يذهب هؤلاء الإسبان إلى تعمير مستعمراتهم في أمريكا، ولماذا يأتي البحارة الإيطاليون إلى الجزائر، وليذهب المالطيين بماعزهم إلى مكان آخر[2].

---

[1] Paul Leroy- Beaulieu, op, cit., p.42.

[2] Jean-Jacques Jordi, « **Le peuplement français de l'Afrique du nord : entre mythe et réalité** », In : Actes du colloque « les peuplements de l'Afrique du Nord : une histoire de migration plurielles », organisé par la Fondation Algérie- Maroc- Tunisie, au Maison de la Chimie, Paris le lundi 12 décembre 2011.

زادت نسبة تكاثر الفرنسيين بوتيرة أقل من الإسبان والإيطاليين والمالطيين، من حدة ذلك التوتر والقلق؛ فرغم أن الفرنسيين هاجروا إلى الجزائر بكثرة بعد داء الفيلوكسيرا الذي أصاب الكروم، فإن الفارق بينهم وبين هؤلاء كان لا يزال كبيرا، وإن كان قد تراجع بين 1870–1880م حسبما جاء في مشروع الحاكم العام تيرمان[1] (*Tirman*)، من 26248 الى 14064 نسمة، كما أن الزيادة السكانية للفرنسيين خلال ذات الفترة بلغت 3854 أي بزيادة قدرها 2.47%، أما الأجانب فتزايدوا ب 6515 نسمة وهو ما يعادل نسبة 5 %[2].

ان هذه المسألة حسب المنظور الاستعماري كانت تمس مستقبل الجزائر، ولذلك بدأت كل العقول المفكرة تشتغل لإيجاد وسيلة تمكّن من استيعاب ذلك العدد الكبير من غير الفرنسيين المقيمين بالجزائر داخل الجنسية الفرنسية، وعبر الحاكم العام علنية عن ذلك الانشغال في خطاب له أمام المجلس الأعلى للجزائر بتاريخ 20 نوفمبر 1884، حيث قال:

" إن إحصاء سنة 1881م أظهر أن العناصر الفرنسية من أصول أوربية لا تفوق العناصر الأجنبية إلا 14064 شخص فقط، في حين أن ذلك الفارق بلغ 26248 نسمة سنة 1865م، وهذا يعني أن العدد في تراجع، في وقت لم يعد فيه الفرنسيون يشكّلون الأغلبية بوهران... ومادام أنه لا يمكننا رفع عدد الفرنسيين بالجزائر عن طريق الهجرة الرسمية، فيجب البحث عن العلاج في تجنيسهم "[3].

---

[1] لويس تيرمان: Louis Tirman رجل قانون وسياسي فرنسي عاش بين 1837 و1899م، متحصل على شهادة دكتوراه في الحقوق، برز في المجالس المحلية لمحافظة لاردان التي ولد بها، حيث كان الأمين العام للمحافظة قبل حرب 1870م ، ثم عين واليا عليها بعد الحرب، عين حاكما عاما على الجزائر سنة 1881م لمدة إحدى عشرة سنة، ولمكافئته على جهوده جهوده الاستيطانية عين سيناتورا بعد عودته إلى فرنسا. ينظر: Le Petit Larousse illustrée (Grand Format) 1965, p.1737.

[2] ANOM. F/80/F2043.

[3] M. Dain, « **Etude sur la naturalisation des étrangers en Algérie** », in : Revue Algérienne et Tunisienne de législation et de jurisprudence, publier par l'école de droit d'Alger, tome 1, année 1885, Editions Adolphe Jourdan, Alger, 1885, pp. 1-22.

تقدم تيرمان بمشروع قانون إلى وزير العدل الفرنسي هيئ من قبل مدرسة الحقوق بالجزائر، بتاريخ 30 سبتمبر 1884م، والذي يمنح الجنسية الفرنسية إلى كل الأجانب المولودين بالجزائر، إلا إذا فضلوا الاحتفاظ بجنسيتهم عند البلوغ، وتم إعتبار علاقة الأرض (*Jus Soli*) معيارا جديدا للتجنس، بدل علاقة الدم (*Jus Sangui*) التي كان معمول بها في السابق، ولذلك السبب رفضته الحكومة الفرنسية، إلا ان تيرمان عاود المحاولة بتاريخ 2 ماي 1885م بمشروع قانون خاص بالجزائر، وقال عنه: " لدي الأمل أن المشروع سيحقق نتائج سعيدة لفرنسا، لأن عدد كبير من الأوربيين رغم تعلّقهم بفرنسا لا يقومون بإجراءات الحصول على الجنسية، كما أن نفس هؤلاء لن يقوموا بأي اعتراض بعد صدور هذا القانون"، إلا أنه قوبل بالرفض أيضا[1].

وكان بوليو يرى أيضا، بأن عدد الإسبان كان أكبر من عدد الفرنسيين في معظم مدن وبلديات عمالة وهران، وذكر فيلار جدولا مفصلا لذلك[2]، ويبدو من خلال هذه المعطيات أن الكنسية والمدرسة[3]، اللّتان استعملتا منذ بداية ثمانينات القرن 19م لغرس الأجانب في المجتمع الفرنسي لم يترك لها المجال الزمني

---

[1] تضمن المشروع النقاط التالية:

– يشمل التجنيس كل لأطفال الاجانب المولودين في الجزائر من ابوين مولودين ايضا بالجزائر آليا.

كما يجنس الاطفال المولودين في الجزائر من ابوين أجانب آليا ان لم يطلبوا المحافظة على جنسيتهم الاصلية خلال السنة الموالية لبلوهم.

– يستفيد كل أجنبي أقام بالجزائر مؤسسة صناعية أو فلاحية من الجنسية الفرنسية بعد مرور سنة واحدة فقط من الاقامة بالجزائر.

– يبقى الاهالي خاضعين لمرسوم 1865. ينظر:

ANOM. F/80/2043.

[2] ينظر الملحق رقم 19.

[3] Paul Leroy- Beaulieu, le Journal des Débats du 29 mai 1885.

الكافي لتحقيق كل الأهداف[1]، مما يعني أن ذلك التخوف لم يكن مبررا، وفي ذات الوقت يؤكد سعي الإدارة الاستعمارية إلى إقصاء مقصود لكل العناصر غير الفرنسية في الجزائر، بعد أن أقصتهم من امتياز توزيع الأراضي، وذلك بهدف تأكيد سيطرتها وتحكّمها في مصير الجزائر دون إشراك أحد.

ومع ذلك يجب الإقرار بأن الإسبان كانوا يحسون وكأنهم في بلدهم، إلى درجة أنهم كانوا يتعاملون في مدينة سيدي بلعباس بالعملة الإسبانية، حسب العريضة التي أرسلها تجار المدينة إلى الحاكم العام بهذا الشأن بتاريخ 19 نوفمبر 1889م، والتي أمضى عليها أكثر من مائة شخص[2]، وهذا ما كان يقلق السلطات الاستعمارية، والمستوطنين الفرنسيين أيضا.

وبما أن جميع الاستعماريين كانوا يرون بأنه حان الوقت لإيجاد حل لمسألة الجاليات الأوربية التي كانت تشد اهتمام المشرع الفرنسي، بغرض تجزئة وتفتيت المجموعات الأوربية، واقتطاع عدد كبير من عناصرها في كل سنة وصقلهم في وطنية متجانسة [3]، فقد قررت الإدارة الاستعمارية القبول في النهاية بعلاقة الأرض في التجنس، بدل علاقة الدم عسى أن يساعدها ذلك في الإبقاء على الأرض الجزائرية فرنسية إلى الأبد، وصوت البرلمان الفرنسي على قانون الجنسية سنة 1889م حسب عامل الأرض، بعد إلحاح من نواب الجزائر وبعض النواب من المقاطعات الفرنسية الحدودية، التي كانت تسعى بدورها إلى منح الجنسية الفرنسية للأجانب المتواجدين على أرضها، لمساواتهم في الواجبات مع الفرنسيين خاصة في الميدان العسكري.

وان كانت الباحثة فاني كولونا أشارت إلى أن الأسباب الحقيقية التي أدت بفرنسا الاستعمارية إلى إيجاد صيغة التجنيس الأوتوماتيكي ليست هي فقط تكثير العنصر الفرنسي بالجزائر، وإنما أيضا لإبعاد التقارب الذي كان حاصلا في

---

[1] نص مرسوم 13 فبراير 1883م على مجانية وإجبارية التعليم الابتدائي لكل الأطفال الأجانب من أصول أوربية، كما اتخذت اجراءات لمنع الصلوات في الكنائس بغير اللغة الفرنسية.

[2] Le Bel-Abbessien, n : 97, du jeudi 21 novembre 1889.

[3] ANOM.1M/53.

بعض الأحياء الكبرى في العاصمة ووهران وقسنطينة بين الجزائريين وتلك الجاليات الأوربية، وتضيف بأن قانون 1889م ما هو إلا الجزء الظاهر من جبل الجليد، لأن الإدارة الفرنسية أحست بضرورة تجنيس هؤلاء بشكل كثيف، للقضاء على تلك العلاقة الأوربية الجزائرية[1]، وقد أشارت جريدة تصدر من سيدي بلعباس إلى شيء من هذا القبيل، حيث اتهمت الأجانب بتعطيل عملية الانصهار العربي في الثقافة الفرنسية[2]، ولكن من منظور أن التواجد الأجنبي الكثيف كان ينقص من مصداقية الإدارة الاستعمارية الفرنسية بنظر الجزائريين، الأمر الذي قد يدفعهم إلى الثّورة، وكتب الباحثان كريسبو وجوردي ذلك سنة 1991م، حيث قالا بأنه كان على فرنسا إظهار بأن الجزائر فرنسية[3]، وهي غاية استعمارية خطيرة كان الهدف منها السيطرة على الأرض ومن عليها إلى الأبد.

ومهما يكن من أمر فإن الكتابات الفرنسية التي تعود إلى العهد الاستعماري، تقر بأن تجمع الأجانب كل حسب جنسيته تحت رعاية قناصلهم، جعل من التجنيس الطريقة الوحيدة المتاحة، حسب بارنار، لأنه لم تكن لدى الادارة لا الإرادة ولا الامكانية للقضاء عليهم، ولذلك توجب فرنستهم[4].

---

[1] Fanny Colonna et Christelle Taraud, « **La minorité européenne d'Algérie (1830-1962) : inégalités entre « nationalités », résistances à la francisation et conséquences sur les relations avec la majorité musulmane** », colloque *Pour une histoire critique et citoyenne. Le cas de l'histoire franco-algérienne*, 20-22 juin 2006, Lyon, ENS LSH, 2007,

http : //ens-web3.ens-lsh.fr/colloques/france-algerie/communication.php3 ?id_article=249

اطلع على المقال بتاريخ: 16 أفريل 2014م.

[2] Courrier de Tlemcen n : 2008, du vendredi 13 octobre 1899.

[3] Gérard Crespo, Jean- Jacques Jordi, **Les Espagnols en Algérois, 1830-1914 : Histoire d'une migration**, Editions de l'Atlanthrope, Paris, 1991, p. 105.

[4] Augustin Bernard, **Histoire des colonies Françaises et de l'expansion de la France dans le monde**, Tome2, l'Algérie, Librairie Plon, Paris.1930, p. 451.

بات ضروريا، إذا في نظر ممثلي المصالح الاستعمارية في الجزائر في نهاية الثمانينات من القرن 19م، الاحتكام إلى رجال القانون والديمغرافيين للتكفّل بالمهاجرين الإسبان والإيطاليين بالجزائر، وتزامن ذلك مع تشريعات مماثلة بفرنسا حول التجنيس الآلي للأجانب وفق المادة 3/19 من قانون 26 جوان 1889م[1]، إلا أنها حملت في الجزائر بعض الخصوصيات أهمها؛ جعل التجنيس أداة أساسية لتكريس الهيمنة الفرنسية على الجزائر عبر السيطرة من الداخل على المجتمعات الأوربية بالمستعمرة، وبات التجنيس بذلك وسيلة فعالة تضمن السيادة الفرنسية في المستعمرة، لكونه آلية تعجل من اندماج الأجانب ضمن السكان الفرنسيين، ولذلك فرض التجنس على أبناء الأجانب المولودين بالمستعمرة فرضا، على حد تعبير بونار:

" إذا كان الآباء قد أفلتوا منا ولم يريدوا التجنس، فإن الأبناء لن ينجوا من ذلك"[2].

بات كل الأطفال المولودين في الجزائر من والدين كلاهما أو أحدهما مولود بالجزائر فرنسيا، أما إذا كان الطفل مولودا بالجزائر من والدين أجانب يصبح فرنسيا عند البلوغ إن هو لم يعلن عن رغبته في المحافظة على جنسية والديه خلال السنة التي تلي البلوغ، بحكم قانون 22 جويلية 1893 المعدّل لقانون 1889م.

[1] صدر هذا القانون في فرنسا معدّلا لقانون 7 فبراير 1851 حول الجنسية، الذي كان يقضي بأحقية كل أجنبي مولود بفرنسا وبلغ سنة 18 في الجنسية الفرنسية ان أراد، بهدف تعويض الخسائر التي لحقت بفرنسا بعد هزيمتها مع ألمانيا سنة 1870. وان كانت جريدة التافنة كتبت بأن قانون 1889 جاء لتحقيق أهداف اجتماعية، عبر القضاء على المنافسة غير العادلة التي كان يتعرض لها العمال الفرنسيون في فرنسا من قبل العمالة الاجنبية التي لم يكن عليها واجبات. ينظر:

La Tafna, Numéro 900, du Mercredi 1er février 1899.

[2] A. Bonnard, **Pêche côtière et colonisation maritime en Algérie**, Editions A. Rousseau, Paris, 1902, p.39.

الأمر الذي تجب الاشارة إليه هو أن الفرق بين قانون سيناتوس كونسيلت 1865م وقانون 1889م هو أن الثاني قد استثنى تماما الجزائريين من العملية عكس المرسوم المشيخي، وبذلك أنشأت الإدارة الاستعمارية تقسيما نهائيا للمجتمع الاستيطاني إلى مجموعة من الفئات: أوربيين من جهة متكونين من الفرنسيين الأصليين ثم المتجنسين من الأوربيين واليهود، ثم الجزائريين في جهة أخرى.

لقد قضى قانون 1889م على جزء من مشكل الأوربيين غير الفرنسيين في الجزائر بعد النجاحات الكبيرة التي حققها، لأنه أجبر الأجانب على التجنس للإسراع في إدخال كل من كان منهم رافضا أو مترددا في الجنسية الفرنسية، وقد اتخذت الإدارة الاستعمارية تدابير إدارية قاسية ضد كل من يرفض التجنس الآلي بصيغة قانون 1893م، حيث فرضت عليهم ملفّا متعبا ومكلّفا للتقدم بطلب الحصول على الجنسية مرة ثانية[1]، ونتيجة لذلك ارتفع عدد السكان الفرنسيين بالجزائر من 267672 نسمة سنة 1891م، الى 384000 فرنسي سنة 1898م، منهم 275000 أصليون و109000 متجنسون، علاوة على 53000 يهودي.

الاّ أن التزايد السريع للمتجنسين الأجانب داخل المجتمع الفرنسي أخلط في ذات الوقت المشهد السياسي على المستوى المحلّي، حيث ظهرت توتّرات داخل المجتمع الأوربي، لأن أولئك المتجنسون الجدد أثاروا شهية الأحزاب السياسية في صراعها من أجل الفوز بمقاعد المجالس التشريعية والبلدية، وكان هذا التوتر الذي ظهر منذ 1890م يشتد بالخصوص أثناء الحملات الانتخابية داخل المجتمع الأوربي وهو ما يتّضح في مكان آخر من هذا الفصل.

8. 1 موقف الجاليات الأوربية من قانون 1889م:

لم نتوصل إلى معطيات كثيرة بخصوص موقف الجاليات الأوربية بالجزائر من قانون 1889م، باستثناء ما كتبه *Morales Angel Flores* سنة

[1] للاطلاع على الملف كاملا، بالوثائق الستة، ينظر:
Gérard Crespo, Jean- Jacques Jordi, op, cit., p. 104.

1954م عن الموضوع في العدد 58 من جريدة تيماس (*Temas*) الصادرة في اسبانيا، حيث أشار إلى عريضة كان قد أرسلها اسبان من وهران إلى حكومة بلادهم بعد صدور القانون، طالبوها فيها بالتدخل، الاّ أنه يضيف، بأن الحكومة الإسبانية لم يكن لها أي رد فعل لأن عدد الموقّعين عليها كان قليلا[1]، أما جوردي وكريسبو فقالا بأنهما لا يعرفان إلاّ القليل بخصوص رد فعل الإسبان من قانون 1889م، كما أن التحقيقات الشفهية لم تحمل إجابة لذلك التساؤل، لأن الكثير من الاسبان لم يتذكّر تحول الأب أو الجد من الجنسية الإسبانية إلى الجنسية الفرنسية[2].

أما بخصوص الإيطاليين، فكانت البعثة الدبلوماسية الإيطالية بالمستعمرة تتابع نشاط الإدارة الاستعمارية المتواصل منذ نهاية ثمانينات القرن 19م لدفع السكان الأجانب إلى التجنس، وكانوا على علم بأن تلك الإدارة تعمل على عرقلتهم للوصول إلى العديد من المهن كالصيد، ومن جهة ثانية عبر استثنائهم من كل المزايا التي يتمتّع بها الفرنسيون، وهذا ما اعتبره ممثل الحكومة الإيطالية بالجزائر مساسا بالجنسية الايطالية[3].

أما بعد حديث الصحافة الفرنسية ولاسيما في تونس عن الخطر الإيطالي، ووجوب تجنيس وادماج الجاليات الأوربية داخل العنصر الفرنسي، كتبت الصحف الإيطالية في تونس بدورها تردُّ على ذلك الاقتراح ومنها جريدة (*L'Unione*) التي اعتبرت ذلك الإجراء إهانة، وعبرت عن معارضتها لأي محاولة تعجل بإدماج الإيطاليين في العنصر الفرنسي، حيث كتبت: "هؤلاء الإيطاليون الذين تريدون تعليمهم لغتكم وتفرضون عليهم عاداتكم ومؤسساتكم هم وطنيون مثلكم، وان كنتم تحبون فرنسا فإنهم أيضا يحبون إيطاليا ... واذا كانوا

---

[1] Marc Baroli, op., cit. .p.258.

[2] Gérard Crespo, Jean- Jacques Jordi, op, cit., p. 107.

[3] Hugo Vermeren, « **La naturalisation des étrangers en Algérie pendant la Troisième République : Le cas des Italiens de Bône** », Université Paris Ouest-Nanterre. IDHE.

ينظرون إلى ما وراء البحر فإنهم لا ينظرون أبدا تجاه باريس وإنما تجاه روما ... أنتم تتحدثون عن التجنيس الجماعي للإيطاليين مثل القطيع ..."[1]، ولا شك، أن هذا الشعور كان نفسه لدى السكان الإيطاليين في عنابة وسكيكدة وغيرهما.

وان تمكّنت الجالية الإيطالية في تونس من الدفاع عن هويتها من خلال صفحات جرائدها ومجلاتها وتنظيماتها الاجتماعية، فإن الأمر اختلف في الجزائر، لأن الإيطاليين بها لم يكونوا يملكون شيئا مما سبق ذكره، وبالتالي لم تظهر لهم أي شكاوى[2]، في ظل غياب وثائق تبرز الموقف الرسمي للحكومة الإيطالية، وقد يكون ذلك مرده أن هؤلاء الإيطاليين بالجزائر لم يكن يهمهم أي شيء آخر سوى توفير وضمان لقمة العيش لعوائلهم، وهو ما أشار اليه جوردي بخصوص الاسبان أيضا في ظل غياب الدليل المادي الموثّق، حيث قال بأن الاسبان بسبب الفقر والفاقة كانوا يعتبرون وطنا لهم كل مكان كان يؤمن لهم وسيلة العيش[3].

تجب الإشارة إلى أن الإيطاليين رغم تجنيسهم آليا، الاّ أنهم كانوا يبقون إيطاليين، لأنهم كانوا يبقون على وثيقة الجنسية الفرنسية في جيب، وفي الجيب الثاني على الدفتر العسكري الإيطالي، لأن معظمهم كانوا يعودون إلى بلادهم لاستكمال أو أداء فترات التدريب البحري أو العسكري[4]؛ وهذا يبين تمرد العناصر الإيطالية المتجنسة على الأمر الواقع، مما كان يعني أن التجنس الإداري لم يكن يعني بالضرورة قطع كل صلة بالوطن الأم، وبالواجبات الوطنية تجاهه.

ويبقى الأمر الأكيد هو ان الإسبان هم من قاوم التجنيس أكثر من غيرهم بدليل أنه من خلال معاينة الباحثة كريستال تارو لسجلاّت الحالة المدنية

---

[1] L’Unione, numéro du 17 décembre 1901, in : Gaston Loth, op.cit., p. 424.

[2] Gaston Loth, **Le Peuplement italien en Tunisie et en Algérie**, Librairie Armand Colin, Paris, 1905, p. 433.

[3] Gérard Crespo, Jean- Jacques Jordi, op., cit.

[4] Charles Bos, « **l’invasion des étrangers en Algérie** », in : la Tafna, journal de l’arrondissement de Tlemcen, 17ème année n : 896, du mercredi 4 janvier 1899.

بالبلديات لاحظت وجود أطفال جدد يسجلون إسبان من آباء اسبان طبعا، بل هناك أمهات اسبانيات كن يذهبن إلى إسبانيا لوضع مولودهن من أجل المحافظة على إسبانيتهم[1].

2.9 تأثير قانوني التجنيس على الجاليات الأوربية:

إن قانون التجنيس الآلي لسنة 1889م، والقانون المعدّل له لسنة 1893م، قلبا موازين القوى وحسما مسألة التفوق العددي بصفة نهائية لصالح الفرنسيين، والأرقام التالية توضح ذلك بجلاء.

الجنسيات	**1886**	**1891**	**1896**
فرنسيين أصليين أو متجنسين سنة 1865م	259729	271101	346870
فرنسيين متجنسين سنة 1870م	43179	47564	53103
مجوع الفرنسيين	**302908**	**318665**	**399973**
الاسبان	144530	151859	157560
الإيطاليين	44315	39161	35539
المالطيين	15533	14677	12815
جنسيات أخرى	12090	6784	10777
مجمع الأوربيين غير الفرنسيين	216468	212481	216691
مجمع الأوربيين	**519376**	**531146**	**616664**

(جدول رقم: 19). تأثير قانوني 1889م و1893م على حجم الجاليات الأوربية بالجزائر[2].

[1] Christelle Taraud, et Fanny Colonna, op.cit.

[2] ANOM.GGA. 10002. A 1001.

من قراءتنا للجدول نلاحظ زيادة متسارعة لعدد الفرنسيين بعد 1889م بسبب قوانين التجنيس، التي رفعت عددهم ب 97065 نسمة خلال العشرية الممتدة بين 1886–1896م، ويبدو دور تلك القوانين والظروف الزراعية التي دفعت بالمتضررين من الفيلوكسيرا بالهجرة الى الجزائر جليا، فقد ارتفع عدد الفرنسيين ب 81308 نسمة بين سنة 1891م و 1896م، وفي المقابل نسجل تراجع عدد الإيطاليين خلال ذات العشرية ب 8776 نسمة، والمالطيين ب 2718 نسمة، في حين نسجل ارتفاع لعدد الاسبان ب13030 نسمة، بسبب استمرار تجددهم بالزيادة الطبيعية وبالهجرة التي تزايدت في بداية التسعينات من القرن 19م، مما سمح بتعويض المجنسين منهم، بينما العناصر الأوربية الأخرى فقد شهدت نفس مصير الإيطاليين والمالطيين بتسجيل تراجع في صفوفهم بلغ 1313 نسمة.

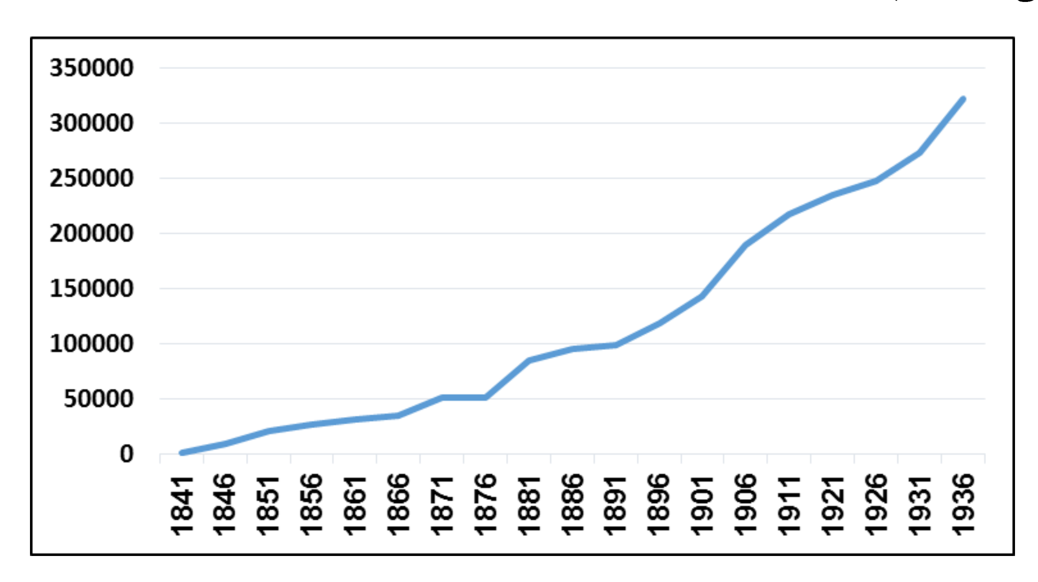
إن الجالية الاسبانية التي استهدفتها قوانين التجنيس بسبب عددها الكبير، تأثرت أيما تأثر بقانوني 1889 و1893م، لأن المتجنسين منهم بحكم القانون المشيخي لسنة 1865 لم يتعد نسبة 2% فقط، في حين فقدوا في ظرف سبعة عشر سنة نصف الجالية المتواجدة بالجزائر بعد صدور قانوني التجنيس الآلي[1]، ويذهب ديمانتاس إلى القول، بأن الاسبان فقدوا خلال خمس سنوات تفوقهم العددي؛ ويستنتج بأن تلك القوانين استهدفت هلاكهم[2]، لأنها شكّلت منعطفا حاسما لصالح فرنسا، حيث جاءت في وقت كان فيه الاسبان والإيطاليون وآخرون على وشك التوصل إلى السيطرة على سكان المستعمرة وخاصة في منطقة وهران وهذا أمر واقع لا جدال فيه[3]؛ حيث كان الفرنسيون الأصليون بوهران يشكّلون سنة 1896م نسبة 32% فقط من السكان الأوربيين، وارتفع عددهم سنة 1901م، ليحتلوا المرتبة الأولى بسبب تداعيات قوانين التجنيس تلك، التي اعتبرها جوردي آلة لصنع الفرنسيين، أما آجيرون فقد ذهب إلى أبعد

[1] Gérard Crespo, Jean- Jacques Jordi, op, cit., p. 103.

[2] Victor Démontes, in : Gérard Crespo, Jean- Jacques Jordi, ibid.

[3] Juan Bautista Vilar, **Los Espagnoles en la Argelia Francesa**, op, cit., p.267.

من ذلك حيث قال بأن قانون 1889م يعتبر شهادة ميلاد الشعب الأوربي بالجزائر[1]، وهي معطيات عكست الواقع الذي نلمسه من المنحنى البياني التالي من اعداد الباحث.



(رسم بياني رقم 16). تطور عدد الفرنسيين بعمالة وهران بين سنوات 1841– 1936م[2].

يتضح من الرسم البياني الارتفاع المستمر لعدد الفرنسيين في عمالة وهران، خاصة مع بداية التسعينات من القرن 19م، مما يعني نجاح المخطّط الاستعماري الرامي إلى تكثير عدد الفرنسيين بالجهة الغربية من المستعمرة، إلا أن ذلك الأمر طرح تخوف جديد مصدره العناصر المتجنسة حديثا (*Néo Français*) هذه المرة، لأن تجنسهم كان إداريا فحسب، حيث استمروا كسابق عهدهم في ممارسة عاداتهم وتقاليدهم، والحديث بلغاتهم الأصلية، وجاء تخوف العناصر الفرنسية الأصل منهم لأنهم رأوا أن عددهم يتزايد بشكل سريع قد ينتهي بتفوقهم عليهم؛ لأن الفرنسي كان يعتبر نفسه الوحيد صاحب الخصال السامية،

---

[1] Charles- Rober- Agéron, in : Patrick Weil, **Qu'est –ce qu'un Français ? Histoire de la nationalité française de la révolution à nos jours**, Editions Grasset, Paris, 2002, p.225

[2] ANOM.G.G.A.10H/89. Jean Garry, op, cit.

والحضارة الراقية، والمتجنسون الجدد لا يحملون تلك الخصال، وبالتالي اعتبروهم شوكة يجب التخلّص منها للحفاظ على سيطرتهم السياسية والاقتصادية على الجزائر[1]، وهذا القلق الفرنسي تزايد بعد الأزمة اليهودية نهاية القرن 19م.

وان كان المشرعون والسياسيون الفرنسيون ومن ورائهم الديمغرافيون ورجال الكواليس اهتدوا إلى التجنيس الجماعي للأجانب الأوربيين لتكثير العنصر الفرنسي في الجزائر، وبالمرة التقليص من عدد الأجانب، فإن المجتمع الكولونيالي في المستعمرة لم يكن مستعدا لتقبل ذلك، وظهر ذلك منذ تجنيس اليهود جماعيا سنة 1870م، وتطور أكثر بعد قانون 1889م، لأن العناصر الفرنسية لم تكن مستعدة لتقاسم خيرات الجزائر مع أحد، لا مع اليهود ولا مع الفرنسيون الجدد من الأوربيين، الأمر الذي فسح المجال لمشادات عرقية وسياسية عنيفة بين عناصر تلك الفسيفساء البشرية، المشكّلة للتركيبة السكانية الفرنسية الجديدة بالجزائر.

وما يلاحظ أيضا هو أن التجنيس بالصيغة الفردية بموجب القانون المشيخي لسنة 1865م تزايد بشكل ملفت للانتباه لدى الجاليات الأجنبية بالجزائر بعد صدور القوانين الإدارية المتعلّقة بالإيطاليين، وقانون التجنيس الآلي لسنة 1889م، كما هو موضح في الجدول التالي:

الفترة	العدد
1879–1875	1834
1884–1880	3066
1889–1885	7205
1894–1890	6919
1899–1895	6226

(جدول20). حجم المتجنسين بالصيغة الفردية من الأوربيين بين 1875–1899م[2].

---

[1] Juan Bautista Vilar, **Los Espagnoles en la Argelia Francesa, op, cit.**, p.24.

[2] Jean Jacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, op. cit., p. 174.

يفسر ارتفاع عدد المتجنسين بالصيغة الفردية مقارنة بالفترات السابقة لقانون 1889م، بأن الأولياء بعد أن جنس أبناؤهم بطريقة آلية (قانون 1893)، أرغموا على الالتحاق بهم حفاظا على تماسك العائلات.

وذكر جوردي جدولا افتراضيا ملفتا للانتباه يتعلّق بالجالية الاسبانية بوهران، وتطور عددها في حالة ما إذا كانت السلطات الاستعمارية لم تصدر قوانين التجنيس الآلي:

السنة	بإلغاء قوانين التجنيس		الحقيقة التاريخية	
	الفرنسيين	الاسبان	الفرنسيين	الاسبان
1910	110000	**230000**	218000	**93000**
1930	120000	**260000**	273000	**78000**

(جدول رقم 21). التطور الحقيقي والتطور الافتراضي للجالية الاسبانية بعمالة وهران بين 1910–1930م[1].

يبدو جليا من خلال الجدول الفرق الشاسع بين الحقيقة التاريخية التي تقر بوجود 78000 اسباني بالعمالة سنة 1930م، وبين الرقم الذي كان سيبلغه الاسبان في حالة عدم تطبيق قوانين التجنيس وهو 273000 نسمة، الأمر الذي يعني أن المجموعة الإسبانية فقدت إلى غاية بداية الثلاثينات من القرن 20م أكثر من 200 ألف نسمة، وهو ما يعني أيضا أن تلك المجموعة في وهران كانت تفقد معدّل أربعة آلاف نسمة كل سنة. بقي فقط التساؤل حول ما إذا كان التجنس الإداري يعني بالضرورة التجنس الفكري والثقافي، وهذا مشكل وضع الإدارة الاستعمارية أمام تحدّ آخر لا يمكن تغييره بجرة قلم هذه المرة.

10 الأزمة اليهودية:

عارض الأوربيين مرسوم كريميو بشدة منذ البداية، وأسسوا أول رابطة مناهضة لليهود سنة 1871م، وأخذت تلك المعارضة أبعادا عدائية وعنيفة مع

[1] Jean Jacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, op. cit., p. 23.

نهاية القرن 19م، عبر حملة كبيرة معادية لليهود ترأستها عدة رابطات مناهضة للسامية، كان هدفها إلغاء مرسوم كريميو وسحب الجنسية الفرنسية من اليهود؛ لأن الهيئة الانتخابية اليهودية كانت حاسمة في تحديد الفائزين في المجالس المختلفة، لفائدة الجمهوريين الراديكاليين الذين كان ينتمي إليهم كريميو في البداية، وهو الأمر الذي كان يثير سخط وغضب اليمين المحافظ المنهزم في تلك الانتخابات[1]، بدليل أن المنتخبون اليهود كانوا يتعرضون وممتلكاتهم للاعتداء بعد 1870م في الفترات التي كانت تجرى فيها الانتخابات[2].

كانت أول مواجهة عنيفة بين الفرنسيين واليهود سنة 1884م، على إثر قرار تعلّق بتأدية الشباب الفرنسي للخدمة العسكرية بالجزائر، أما الشاب اليهودي فيؤديها في فرنسا؛ حيث اندلعت الأحداث على إثر اجتماع مجموعة من شباب الدفعة 1883م، في إحدى قاعات مقر البلدية بالجزائر بتاريخ 27 ماي 1884م، وبعد أن قُرأ القرار المتضمن لما هو مذكور أعلاه بشأن الخدمة العسكرية صاح بعض اليهود:" فرنسيون وسخون"، وبدأت مشادات وشجار بين الفرنسيين واليهود داخل فيناء مقر البلدية، ثم انتقل إلى الشارع.

استغلّت الصحافة هذه الحادثة واتهمت اليهود بسب بلد حررهم من عبودية العرب، كما جاء رد الفرنسيين سريعا حيث رفعوا ورددوا شعارات " يسقط اليهود "، واستمرت المشادات إلى اليوم الموالي مساءا، لتشتد بعد تجمع عدد كبير من الشباب الفرنسي في شارع *La Lyre* (شارع أحمد بوزرينة حاليا)، للسير باتجاه الأحياء اليهودية بشارع *Randon* (شارع علي عمر حاليا) بغرض الثأر للإهانة، مما استرعى تدخل قوات الأمن[3].

---

[1] Aumerat, « **Question Electorale** », le Tell du 10 aout 1898.

[2] Didier Guignard, **Les crises en trompe l'œil de l'Algérie française des années 1890**, in : Histoire de l'Algérie à la période coloniale, Editions La Découverte, Paris, et Barzakh, Alger, 2012, p.p 218.223.

[3] Augustin Casteran**, L'Algérie Française de 1884 à nos jours**, Ernest Flammarion Editeur, Paris 1900.p.42.

تحولت تلك المظاهرات إلى مشادات وانتفاضة، وبدأت عمليات السطو على محلاّت اليهود التجارية بشارع باب عزون، ولم تهدأ الأوضاع إلا بعد تدخل قوات الجيش، وكذا رئيس البلدية قيليمان Guillemin الذي خاطب أولئك الغاضبين من الفرنسيين قائلا:

" باسم جزائرنا، وباسم الجمهورية، إلى أنفسكم وعائلاتكم التي قد تصيبها مآس خطيرة بسبب ذلك، أتوسل إليكم أيها المواطنون بأن لا تشجعوا بحضوركم وبمشاركتكم هؤلاء اليهود الذين لهم مصلحة في استمرار مشاهد الفوضى في الشارع، إنني أناشد حكمتكم ومواطنتكم، واعتمد عليكم لضمان الاستقرار العام"[1].

إلا أن ذلك لم يكف لتهدئة الأوضاع، حيث استمر التحرش على محلات اليهود بساحة *Chartres* (شارع عمر القامة حاليا)، بل ازداد أكثر بعد أن شاع خبر بأن الفرنسيون يتعرضون للقتل، وفي اليوم الموالي راج هذا الخبر مما أدى إلى تزايد موجة السطو على محلات وأسواق اليهود في باب عزون وغيرها بالعاصمة.

تدخل رئيس أحبار اليهود بمدينة الجزائر عبر كتابته لرسالة بتاريخ 1 جويلية 1884م قدمت لرئيس البلدية، جاء فيها:

" باسم كل الجالية اليهودية نعترض على بعض الأقوال التي نسبتها أطراف مجهولة لليهود، وإذا كان ذلك حصل فعلا فإننا نندد به بكل طاقتنا، ... إننا نؤكد إخلاصنا لفرنسا وللجمهورية ".

ولكن رغم ذلك، فقد اتخذت تلك الأحداث أبعادا أخرى بعد ظهور عدة جرائد معادية لليهود في كل من الجزائر العاصمة، وهران وقسنطينة، وكان ذلك ينبئ ببداية حرب بدون هوادة بين المجموعتين الأوربية واليهودية بالجزائر.

انتقلت المشادات إلى الساحة الإعلامية حيث جندت الصحف والجرائد للدعوة إلى الحقد والعنف، كما اندلعت كذلك المواجهات في وهران حيث يتواجد

[1] Augustin Casteran, op. cit., p.42.

عدد كبير من اليهود المغاربة، وتزعم هذه الحملة في بدايتها من الفرنسيي (*Grégoire Fernand*)[1] بمدينة الجزائر ، وكل من (*Morinaud, Réjou , Masson*) بقسنطينة، وكانوا جميعا منتمين إلى الحزب المناهض لليهود، بالإضافة إلى (*Paul Irr*) بوهران.

لم تنته الأحداث بين الطرفين عند هذا الحد بل، قويت واشتدت مع نهاية القرن 19م، خاصة بعد أن تحولت الهيئة الانتخابية اليهودية التي كانت تمثل 15% من مجموع الأصوات، بتعليمات من سيمون قنوي (*Simon Kanoui*)[2] إلى وسيلة لكسب المال، لأنه كان يشتري أصوات اليهود لمصلحة من يدفع أكثر من المترشحين، ولذلك، كان يقول: "لا يدخل أي مرشّح إلى بلدية وهران بدون موافقتي"،[3] وهذا ما تسبب في اشتداد الحركة المعادية لليهود في وهران وغيرها من العمالات. كما وقعت أحداث دموية سنتي 1897-1898م في مدينة مستغانم بتاريخ 18 ماي 1897م بعد أن قامت زمرة من اليهود بالاعتداء على احدى الفرق الرياضية من مدينة وهران، الأمر الذي انتهى برفع شعارات مناهضة لليهود "يسقط اليهود"، كما خرب المعبد اليهودي في المدينة، وكان لهذه الحادثة وقع في كل من وهران، مدينة الجزائر وقسنطينة أيضا لتمتد فيما بعد إلى كل من عين

[1] كان رئيس تحرير جريدة le Radical Algérien وصاحب كتاب La juiverie Algérienne الذي صدر سنة 1888م.

[2] سيمون قنوي: رئيس المجلس الكنسي اليهودي لمدينة وهران لمدة أربعين سنة، كان أبوه (إبراهام) رئيسا للمجلس الكنسي بالمدينة بني 1848–1851م، ثم عمه مسعود بين 1864–1870م، ولذلك كانت عائلة قنوي من العائلات اليهوية ذات نفوذ ديني وسياسي كبير بالمدينة، التحق سيمون قنوي بإدارة المجلس سنة 1867م، ثم عين رئيسا له بالنيابة سنة 1876م، قبل أن ينتخب رئيسا للمجلس سنة 1876م إلى غاية وفاته سنة 1915م، ينظر:

Nadjari David, « Simon Kanouï, président du consistoire d'Oran, conseiller municipal, conseiller général », *Archives Juives* 1/2003 (Vol. 36), p. 136-139 URL : www.cairn.info/revue-archives-juives-2003-1-page-136.htm.

[3] Ibid.

تموشنت، سيدي بلعباس، غليزان وسعيدة، من خلال تخريب محلات ومباني بعض اليهود[1].

تزامنت هذه الأحداث مع قضية الضابط اليهودي دريفوس(*Dreyfus*)[2]، وكان أول من عبر عن غضبه هم الطلبة في العاصمة بطردهم للطلبة اليهود من جمعياتهم منذ نهاية سنة 1896م.

تطورت الأحداث بالعاصمة خاصة بعد مقتل أحد الفرنسين من قبل يهودي، مما استرعى تدخل فرقة الزواوة والدرك والشرطة، كما استقدمت تعزيزات أمنية من البليدة لاحتواء الوضع، وبدت العاصمة وكأنها في حالة حصار: حيث أغلقت المسارح، وهجرت المقاهي وأفرغت المتنزهات[3].

وكان من نتائجها توقيف رئيس بلدية الجزائر ماكس ريجيس (*Max Régis*)[4] وكل المجلس البلدي حسب المواد 13،52،86 من قانون 5 أفريل 1884م.

---

[1] Augustin Casteran, op. cit., p.43.

[2] ضابط فرنسي من أصل يهودي، أُدين سنة 1894م بتسريب معلومات سرية الى السفارة الألمانية، أُبعد الى جزيرة كايان، وقد قسمت هذه القضية الفرنسيين الى شطرين خاصة بعد صدور مقال لإيميل زولا بعنوان: "أَتهم" (J'accuse)، في يناير 1898م. وتركت هذه الحادثة بالجزائر بصمات أكثر من فرنسا، من خلال حملة كبيرة معادية لليهود انتهزها ماكسميليانو ريجيس (Régis) ليصبح رئيس بلدية الجزائر، وكان غير معروف قبلها حيث كان طالبا بكلية الحقوق ليتقلد قيادة بلدية العاصمة في نوفمبر من سنة 1898 وعمره 25 سنة. ينظر:

Gérard Crespo, op. cit., p. 112.

[3] Augustin Casteran, ibid.

[4] ماكس ريجيس: من مواليد سطيف سنة 1873، وتوفي بجنوب غرب فرنسا سنة 1950م، كان من أب إيطالي وتجنس وفق القانون العسكري، درس بكلية الحقوق بالجزائر، قبل أن يطرد بسبب اعتدائه على أحد الأساتذة اليهود بالكلية، ترأس الرابطة المعادية لليهود بالعاصمة، كما أصبح رئيسا لبلدية الجزائر سنة 1898، الأمر الذي زاد من لهيب المواجهة الفرنسية اليهودية بالجزائر. للمزيد ينظر:

Bertrand Joly, **Dictionnaire biographique et géographique du nationalisme français (1880-1900)**, Editions Slatkine, Paris, 2005, p. 342.

وتبقى هذه الحملة المعادية لليهود ذات خلفية سياسية في ظروف كان الصراع فيها على المقاعد السياسية كبيرا، لأن الذي كان يفوز برئاسة المجلس البلدي كان يفوز أيضا بالدعم الذي تقدمه الميتروبول للبلدية[1]، ولهذا عمل الأوربيون على تحييد اليهود من السيطرة السياسية[2]، لأن المبادئ في الممارسة السياسية غابت، وأصبحت المصلحة هي المعيار، وكانت بذلك التوجهات السياسية لا تمليها سوى المصلحة فقط. ولكن تجب الإشارة الى أن هذا الموقف المستقى من تقرير وكيل الجمهورية[3]، لم أدرجه لتبرير الممارسات اليهودية التي كانت بإيحاء من المجلس الكنسي اليهودي للتصويت كتلة واحدة وفق مصلحة معينة، وإنما لإظهار حقائق تاريخية فحسب.

ومع الأسف، كان الأوربيون يستعملون الجزائريين كوسيلة لتحقيق مآرب شخصية، دون تمكينهم من التمتّع بالحقوق السياسية ومن ثم الاجتماعية التي كان يتمتّع بها هؤلاء، حيث استمال المناهضون لليهودية من الأوربيين بعض الجزائريين، وكان ذلك التيار الأوربي المتشدد يوزع النسخة العربية من الجريدة المناهضة لليهود (*L'Antijuif*)[4] على المقاهي العربية بالقصبة، وفعلا نجح التحريض الأوربي في دفع زمرة من الجزائريين إلى الانضمام إلى تلك الحركة، التي استهدفت تخريب محلات ومتاجر اليهود بضواحي القصبة بالعاصمة، ولكن ذلك جاء تحت تأثير ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية الصعبة ولم تكن تستهويهم الاّ السلع فحسب؛ لأن ذلك الصراع لم يكن يعنيهم أولا، ولعلاقتهم الحسنة عبر العصور باليهود في الجزائر، ولأنهم كانوا على علم مسبق بأن

---

[1] راتب رئيس البلدية كان يصل الى 9000 فرنك سنويا، بالإضافة الى الوظائف البلدية التي يسلمها رئيس البلدية لأنصاره علاوة على الاستفادة غير الشرعية المقتطعة من الأهالي. ينظر:

Geneviève Dermenjian, op, cit., p. 15.

[2] Geneviève Dermenjian, op, cit., p. 15..

[3] ANOM, F80/1688 Rapport Dubuc 11 février 1898.

[4] جريدة معادية لليهود أسسها ماكس ريجيس (Max Régis) بتاريخ 14 جويلية 1897.

تعامل قوات الأمن معهم سيختلف عن تعاملها مع الأوربيين[1]. ولكن هل كان لهذه الحملة المعادية لليهود من مبررات موضوعية، أم هو حقد ناتج عن تحكّم اليهود في العملية الانتخابية الموجهة، وفي نشاطات اقتصادية كثيرة مربحة؟

للإجابة على هذا السؤال، استعنت بشهادة الطبيب كاسي، الذي كان عسكريا، ولم يكن طرفا في العملية الانتخابية، وبالتالي لم يكن من ضحايا التكتل الانتخابي اليهودي، حيث قال: " رغم أنني أتعامل مع الأمور دائما من وجهة نظرٍ إيجابية، إلا أنني مجبر وأنا أتحدث عن اليهود في الجزائر بأن أقول بأنهم يتميزون بسمعة سيئة؛ فعندما وصلت إلى إقليم وهران لم يكن لدي حكم مسبق عنهم لأنني لم أعاشرهم ولم أسمع عنهم من قبل، واستغربت من أن الجميع يتكلّم عنهم بحقد واحتقار، حتى أنا بعد بضعة شهور انضممت إلى ذلك الرأي وتبنيت الموقف الفرنسي العام عنهم (...) فبالنسبة لهم لا وجود للإخلاص في الكلام، والّصدق في المعاملة، والكرامة الأخلاقية عندما يتعلّق الأمر بالمسيحي أو بالعربي "[2]. ومع ذلك لم يمس أي يهودي بأذى في حي السود بوهران، بل بالعكس كان الحي مأوى لكل يهودي في خطر[3]، مما يعني أن الملاحظات التي كان يبديها الأوربي بخصوص اليهود، ليست هي بالضرورة وجهة نظر العرب الذي تكلّم عنهم الطبيب كاسي؛ بدليل أن الشرطة نزعت عدّة ملصقات من شوارع وهران، كان مكتوب عليها: "جميع الوسائل مسموحة من أجل تمكين الأوربيين من إبادة اليهود"، والتي تزامنت وانعقاد مؤتمر معادي لليهود بذات المدينة في شهر نوفمبر 1882م، وتلك الملصقات حددت بوضوح طرفي النزاع.

لم ينته العداء اليهودي الفرنسي، إلا بانهزام فرنسا أمام ألمانيا سنة 1940م، حيث اتخذ أبعادا وصفات أخرى، نتحدث عنها في الفصل الخامس من البحث.

[1] Didier Guignard, op, cit.

[2] Dr. A. Casset, **Dans le Sud Oranais, Souvenir d'un médecin militaire**, Bureau du « Réveil médical » Faubourg Montmartre, Paris 1912, pp. 208-209.

[3] Didier Guinard, **L'abus de pouvoir dans l'Algérie coloniale**, Presses Universitaires de Paris Ouest, 2010, p.422.

11 العداء ضد المتجنسين الجدد:

لم يتمخض عن قوانين التجنيس التي طبقتها الجمهورية الثالثة في الجزائر الأزمة اليهودية فحسب، بل أفرزت أيضا موجه أخرى من العداء الفرنسي الأوربي هذه المرة، مصدره المتجنسون الجدد من الأوربيين الذين طبق عليهم قانون التجنيس الآلي؛ ذلك القانون الذي مكّنهم من التمتّع بنفس الحقوق والواجبات التي للفرنسيين الأصليين، الأمر الذي لم يتقبله السواد الأعظم من هؤلاء، من منطلق عدم إشراك أحد في تسيير المستعمرة، وفي التمتّع بخيراتها، ولذلك شرعت عدة أطراف استعمارية في التحرك لإيجاد طريقة لاحتواء هذا الخطر الجديد، ولذلك تأسست مؤسسة استعمارية جديدة سميت (مؤسسة الدعاية الاستيطانية) كان مقرها باريس، لتشجيع هجرة العائلات الفرنسية إلى الجزائر[1]، محاولة منها لترجيح الكفة ليس لصالح الفرنسيين، وإنما لصالح الفرنسيين الأصلين هذه المرة.

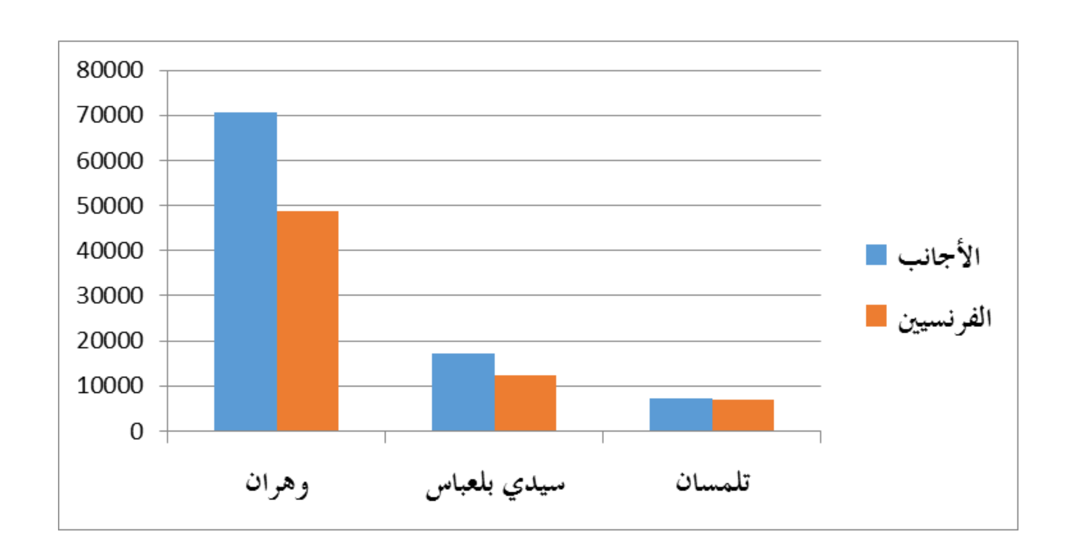
ووصفت أطراف فرنسية كثيرة رسمية وغير رسمية، في فرنسا والجزائر معا، هؤلاء المتجنسون بالخطر لأنهم باتوا يتمتّعون بالحقوق السياسية التي للفرنسيين، والتي ليسوا أهلا لها على حد تعبير هافارد (*Havard*) المستشار العام بوهران في جلسة المجلس العام بتاريخ 13أكتوبر 1898م[2]، لأن التجنس الإداري لم يكن كافيا لجعل هؤلاء فرنسيين، بل يجب أن يتبنوا الأفكار الفرنسية، وهذا عمل يتطلّب عدة أجيال، وحذّر جول فيري أيضا من التمادي في منح الجنسية الفرنسية للأجانب بالجزائر على نطاق واسع، لأن ذلك نذير شؤم، مستدلا بوقائع تاريخية يشوبها نوع من الغموض واللّبس، حيث قال:" إن منح الجنسية الرومانية على نطاق واسع خلال مرحلة الانحطاط، ذلك اللّقب الذي كان يشكّل في السابق مصدر غيرة الرومانيين، أدى بالإمبراطورية الرومانية إلى السقوط ... يجب أن

[1] L'Indépendant de Mostaganem, n : 673 du 5 mars 1896.

[2] Gaston Loth, op, cit., p.473.

نستفيد من ذلك، يجب أن نغير على لقب المواطنة الفرنسية، الذي يجب ألاّ يكون ملكا إلا للفرنسيين الحقيقيين[1]."

كانت عمالة وهران لا تزال تشكّل أكبر مصدر قلق وخوف بالنسبة للإدارة الاستعمارية التي أظهرت فشلها وعجزها عن إيجاد حل نهائي لمشكل الإسبان بها، وكان الوضع بها مع نهاية القرن 19م كما يلي:



(رسم بياني رقم:17). نسبة الفرنسيين والاسبان في أهم المدن بعمالة وهران سنة 1899م[2].

هذه الأرقام وان لم تشر إلى عدد المتجنسين وعدد الأوربيين من أصول فرنسية، فإنها توضح بجلاء تفوق عدد الأجانب من ثقافة اسبانية بالدرجة الأولى في العمالة الغربية، علما بأن عدد الفرنسيين يشمل أيضا عناصر أجنبية تجنست حديثا، وثقافتها ليست فرنسية في الأصل.

إن الأمر الذي كان يقلق فرنسا والفرنسيين كثيرا هو ان كل شيء في وهران كان اسبانيا؛ اللوحات الاشهارية، الكلام في الشارع، الأطباق المطبوخة وكل العادات

[1] Dépêche Tunisienne, n : 3219 du 26 avril 1899,15 hidjé 1316.

[2] La Vigie Algérienne, 9 mars 1899.

والتقاليد، مما يعني أن الاسبان الذين تجنسوا بقوا متعلّقين بلغتهم وعاداتهم ووطنهم الأم، بدليل أن الفرنسين اشتكوا حتى من منتخبين محليين من المتجنسين لا يتكلمون الفرنسية مما تطلب الاستعانة بالمترجمين في المجالس[1]، ومن ثم أُصدرت أحكام من هذا وذاك حيث قال أحد النواب: " لايمكننا الاعتماد على وفاء الخمسين ألف يهودي، ولا على المائة ألف أوربي متجنس لأن وطنيتهم محلّ شكّ"[2].

لذلك كانوا يشكّلون بالنسبة للفرنسيين الأصليين مصدر خوف وقلق على المستقبل السياسي للجزائر، لأنهم في نظر الفرنسيين لا يهمهم سوى الجزائر والمصالح المحلية لاعتبار أنفسهم جزائريين وليس بفرنسيين.

بلغ مستوى الهيستيريا التي انتابت الفرنسيين بالجزائر، إلى اعتبار هؤلاء المتجنسون أجانب، لأنهم لن يصبحوا فرنسيين لا بالقلب ولا بالفكر، فهم قريبون جدا جغرافيا من بلدانهم الأصلية لكي ينسونها، كما أن لهم في أوطانهم الأصلية أولياء وأصدقاء ومصالح، علاوة على استقبالهم كل يوم لوافدين جدد من الوطن يحملون لهم معهم صدى البيت العائلي وتقاليده وعاداته وبلغة الوطن.

ونظرا لعددهم الكبير بالعمالة الغربية بالخصوص، كان ينظر إليهم من المنظور السياسي على أنهم سيصبحون أسياد المجالس المنتخبة، وبالتالي سيستحوذون على القسم الأكبر من الوظائف العمومية[3]، وهي إسقاطات سلّطها الفرنسيون على المتجنسين انطلاقا من تصرفات الهيئة الانتخابية اليهودية من دون شك، والتي لم تكن صائبة بالضرورة، والأحداث والإحصائيات التي تلت

---

[1] Geneviève Dermenjian, op. cit., p.31

[2] Myre De Vilrers, « **Question des étrangers en Algérie** », in : Questions Diplomatiques et Coloniales, Revue Politique Exterieur, tome VI, janvier-avril 1899, Paris 1899.

[3] P.Trolard, **En Algérie, le testament d'un assimilateur**, Imprimerie – Papeterie, J. Torrent, Alger, 1903, p. 43.

بينت خطأ ذلك الاعتقاد في الساحة السياسية، حيث نسجل تغيب الناخبين الأوربيين عن صناديق الاقتراع بشكل كبير لا يقل عن 39% في الأوقات العادية خلال الفترة الممتدة بين 1885 الى 1910م، باستثناء سنة 1898م التي تراجعت فيها نسبة امتناعهم عن المشاركة الانتخابية إلى نسبة 21% بسبب تطور الأزمة اليهودية[1]، مما يعني أن الأوربيين الجدد في الجزائر كانوا لا يكترثون بالحياة السياسية، كما أن المعطيات التي ذكرها جوردي عن وهران سنة 1908م، تشير بأن عمالة وهران كانت تضم 107 بلدية، 55 بلدية منها بها أغلبية من المتجنسين الجدد، ومع ذلك اثنان منها فقط كان يترأسهما رئيس بلدية من المتجنسين[2]، هما: العنصر (*El Ancor*) وحاسين (*Dubineau*) .

والغريب في الأمر، أن هذه الموجة العنيفة من الحقد الديني والعرقي التي اجتاحت المجتمع الأوربي بالجزائر في نهاية القرن 19م، لم تمنع الإدارة الاستعمارية عبر وسائلها المختلفة من التّمادي في السيطرة والنيل من الجزائريين؛ فبعد أن أصدرت في حقّهم قانون الأنديجينا سنة 1881م، راحت تحرض الصحافة الفرنسية في فترة تراجع الأمن من خلال أحداث التسعينات من القرن 19م، للحديث عن اعتداءاتهم على الأوربيين وممتلكاتهم لخلق مبررات لتقوية وتدعيم الإجراءات العقابية والزجرية والردعية ضدهم؛ وفي هذا الشأن قال بوليو: " إن "الأهالي" الذين يمثلون أربعة من خمسة من سكان التل، ليست لهم صلة ولا علاقة بالاعتداءات ضد الأشخاص بنسبة ثلاثة أرباع، ومع ذلك لا تخلوا جرائمهم من الصفحات الأولى للجرائد المحلية"[3].

لقد تحولت نتائج قرارات الجمهورية الثالثة المتعلقة بالجنسية، إلى مصدر قلق وخوف من كل شيء، من ثورة الأهالي، من تحكم المتجنسين الجدد في العملية الانتخابية ومن ثم في المجالس المختلفة، والخوف من سعي هؤلاء الأوربيين إلى

---

[1] Didier Guignard, op, cit., p. 238.

[2] Jean- Gacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, op, cit., p. 175.

[3] Paul Leroy-Beaulieu, in : Didier Guignard, ibid, p.219.

فصل الجزائر سياسيا عن فرنسا، خاصة بعد أن تمكّنت كوبا في تلك الفترة بالذات من تحقيق انفصالها عن اسبانيا سنة 1898م، وقال بوهرر حينها محذّرا فرنسا: "ان السياسة في الجزائر باتت في كل مكان، بل أصبحت أكثر انتشارا من المشاريع والأعمال، وحتى الأهالي باتوا يمارسونها، فلننتزع من الأجانب حقهم السياسي"[1]، وحتى التقارير والخطابات التي كانت تصدر عن المجالس العامة كانت تصب في نفس الاتجاه أيضا، حيث قيل في احدى اجتماعات المجلس الأعلى للحكومة العامة: "لا نفبرك رعايا فرنسيين ليسوا مدينين لنا بشيء لأننا جنسناهم بطريقة آلية، كيف يمكننا تجنيس أشخاص ماضيهم مجهول بالنسبة لنا؟ ألا نسعى من خلال ذلك إلى إدخال أغنام مشبوهة في قطيعنا[2]؟

ورغم أن كتابات الذكرى المئوية التي أوكلت إليها مهمة إظهار العبقرية الفرنسية في الجزائر، وتلميع صورتها بها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، الاّ أن ذلك لم يكن كافيا لتغليف الحقائق والتجاوزات في حق الجزائريين أولا، وفي حق هؤلاء الأوربيين الذين دفع بهم الفقر والبؤس إلى الهجرة إلى الجزائر ثانيا.

إن تلك الهستيريا التي انتابت الفرنسيين الأصليين خلال العشرية الأخيرة من القرن19م، امتدت لتشمل الصحافة أيضا، فها هي جريدة (*L'Indépendant de Mascara*) تكتب في شهر جوان 1898م: "لا خطر من الأجانب المولودين بالجزائر والذين تربوا معنا ومع أولادنا سواء أكانوا يهودا أو أوربيين، ولكن يجب الحذر من تشكّل حزب جزائري يكون من السهل جرهم إليه، مما قد يتسبب في الانفصال"[3]، لتتراجع بعد ذلك وتكتب بعد شهرين من ذلك: "يجب تطبيق النظام الروماني على الفرنسيين المتجنسين بالجملة، وحرمانهم من العمل السياسي

---

[1] M. Bohrer (Jean de Formatou), **Pour la patrie, l'Algérie aux français d'origine, ou le véritable sens de la question du décret Crémieux et les lois Algériennes sur la naturalisation**, imprimerie Baldachino –Laronde – Viguier, Alger, 1898, p. 12.

[2] Conseil supérieur du gouvernement, procès- verbaux des délibérations et exposé de la situation générale de l'Algérie, session de mars 1896, Imprimerie administrative Gojosso, Alger, 1896, p. 569 à 573.

[3] L'Indépendant de Mascara n : 41 du dimanche 19 juin 1898

وممارسة الحكم والوظائف العمومية والانتخابات، إلا بعد ثلاثة أو أربعة أجيال"[1]. وهو ما ينم عن خوف حقيقي، وقلق كبير حيال هؤلاء المتجنسون الجدد.

وحتى لويس بارتراند، متأثرا بتلك الهيستيريا التي انتابت كل ما هو فرنسي أصلي ضد كل ما هو خارج عن هذه المجموعة، بعد إقامته بالجزائر حيث تمكّن من الحصول على منصب عمل بثانوية باب الواد سنة 1891م، وإن كانت كتاباته أدبية وروائية، إلا أنها لم تخل من الجو العام المشحون بالحقد ونبذ الآخر، حيث كتب سنة 1899م، "دم الأعراق"، رتب فيه مختلف الأعراق المقيمة في الجزائر ترتيبا هرميا عرقيا، وكأنه ذكّر بالواقع الذي يجب أن يحترمه الجميع، حيث رتّب العرب واليهود التي تجمعهم قواسم مشتركة كثيرة برأيه، في أسفل السلّم، ثم الغجر والماهونيين الذين لهم دم مختلط ومتشابه بالعرب واليهود بنظره، ثم المالطيين، فالإيطاليين ثم الإسبان[2]، وبطبيعة الحال لم يشر إلى العنصر الفرنسي الخارج عن كل تصنيف.

وكان مصدر هذا الخوف العام، هو المكانة التي كانت تمثّلها الجزائر بالنسبة لكل الفرنسيين في المستعمرة وفي فرنسا أيضا، سياسيا، اقتصاديا، واجتماعيا، وهذا ما يفسر الهاجس الأمني الذي غلب فجأة على كل الخطابات السياسية، والمقالات الصحفية، وحتى على الكتابات الأدبية، خاصة بعد التحولات السياسية التي كانت تشهدها الساحة الأوربية من صراعات وتكتلات وأزمات، والتي كانت متّجهة بها إلى مواجهة عسكرية لا محالة، وكان صعبا على السياسيين والعسكريين الفرنسيين مواجهة كل تلك التحدّيات الراهنة والمستقبلية من دون الجزائر، ولذلك كان تحييد كل خطر مهما كان عنها أمر ضروري، بل حيوي.

لقد شكّلت المرحلة التي تلت ظهور الجمهورية الثالثة مرحلة استيطان وهجرة أوربية كيرة نحو الجزائر، وهلّلت الإدارة الاستعمارية لذلك، واعتبرته تعويضا عما

[1] L'Indépendant de Mascara n : 56 du jeudi 25 aout 1898.

[2] Louis Bertrand, **Le Sang des races**, Editions Fayard et Cie, Paris, 1904, p.280.

فقدته في حربها ضد جارتها ألمانيا، ولتدعيم تواجدها بالجزائر جنّست يهود الجزائر سنة 1870م، واستقدمت سكان الألزاس واللّورين الذين رفضوا العيش تحت السلطة الألمانية، كما استقدمت أيضا جل الفلاحين الذين تضرروا من داء الكروم بفرنسا، وما صاحبهم من هجرات أوربية من الدول المتوسطية بحثا عن العمل في مزارع الكروم، وبالمشاريع الكبرى التي شرعت في إقامتها الإدارة الاستعمارية بالجزائر.

أدركت الإدارة الاستعمارية أن تعمير الجزائر لا يجري في الاتجاه السليم بسبب كثرة عدد الأوربيين الأجانب بالمستعمرة وخاصة في عمالة وهران، وراحت تعمل على إيجاد صيغة تصلح بها هذا الوضع، فاهتدت إلى صيغة التجنيس الآلي للأوربيين الأجانب وفق قانوني 1889 م 1893م، وإن حقّقا نتائج كبيرة، إلاّ أنهما وضعا فرنسا أمام مشكل من نوع آخر دعائمه المتجنسون الجدد، الذي لم يقبلهم لا اليهود ولا الفرنسيون الأصليون، الأمر الذي فسح المجال لمشادات عنيفة بين هؤلاء الفرنسيون الجدد والفرنسيين الأصليون في الشوارع والصحف والحياة السياسية والاقتصادية وغيرها.

لم يتمكّن المنظّرون الفرنسيون ولا المشرع الفرنسي خلال النصف الثاني من القرن 19م من إيجاد حلول جذرية لمشكل الأوربيين غير الفرنسيين في الجزائر، لأن الظواهر الاجتماعية لا يمكن تغييرها أو التحكّم فيها بجرة

الفصل الرابع

- قلق الإدارة الاستعمارية
- تشجيع هجرة الأوربيين الى الجزائر
- موقف الأوربيين من الحرب العالمية الأولى
- وضعية الاسبان بداية القرن 20م
- تداعيات الحرب الأهلية الاسبانية على االجمهوريون الاسبان بالجزائر
- وضعية الأجانب في الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية
- تأثير ظهور الفاشية على الايطالين بالجزائر
- خصوصيات العناصر الأوربية
- وضعية اليهود بالجزائر

تمهيد: واجهت الإدارة الاستعمارية تزايد عدد الأجانب في الجزائر بإصدار مجموعة من القوانين، استهدفت تجنيسهم اختياريا في البداية ثم أجبرتهم على ذلك بعد أن عزف معظم هؤلاء عن التخلّي عن جنسياتهم الأصلية، ولتسريع اندماجهم في الثقافة الفرنسية لجأت تلك الإدارة إلى المدرسة والجيش والكنيسة لتحقيق ذلك.

ومع ذلك فإن ذلك الاندماج المنشود لم يكن قد تحقّق بعد إلى غاية الحرب العالمية الأولى، كما أن السلطات الاستعمارية لم تهتد، وإلى غاية نهاية العشرية الأولى التي تلت تلك الحرب، إلى حلول كافية وناجعة للمسائل المتّصلة بالأجانب، وحتى لبعض الفرنسيين من أصول أجنبية، لأن تلاحم الشعب الفرنسي على اختلاف أصوله خلال الحرب، لم يكن يعني تلاحم واندماج نهائي، بل كان حالة عابرة أكّدها استمرار قلق الفرنسيين الأصليين مباشرة بعد نهاية تلك المواجهة سنة 1918م، وذلك رغم أن كتابات كثيرة تحدّثت عن بداية مرحلة جديدة من الوئام والتفاهم بين عناصر تلك الفسيفساء الأوربية[1]، بمجرد أن تهافت بعض المتجنسين على التجنيد نصرة لفرنسا.

---

[1] كتب فيكتور ديمانتاس سنة 1906م عن هذه المسألة قائلا: " رغم اختلاف أصول المهاجرين الأوربيين، وتباين اهتماماتهم ونشاطاتهم، إلاّ أنهم يختلطون فيما بينهم بسبب تداخل مصالحهم، كما أن انصهارهم الفكري والسياسي قد تحقّق أيضا؛ فلم تعد تفرق المجموعة الأوربية لا الوطنية الاسبانية ولا الإيطالية ولا حتّى مشاعرهم الدينية، وهذا ما لا يتعارض مع الانصهار الفكري **الذي يتمناه الجميع**".

وفي هذا إقرار لواقع ونفي له في آن واحد؛ لأن المسألة المحورية كانت تتعلّق بالانصهار الفكري، وما دونه فهي علاقات اقتصادية واجتماعية فحسب. عن ديمانتاس ينظر:

Victor Démontés, **Le Peuple Algérien**, op. cit., p.606.

1- قلق الإدارة الاستعمارية من الأوربيين المتجنسين:

لم تتحسن العلاقة مع بداية القرن العشرين بين العناصر الأوربية المختلفة بالجزائر بما في ذلك اليهود، ولم يحمل الاستقلال المالي للجزائر أي مؤشّرات إيجابية للإدارة الاستعمارية في هذا الاتجاه، بل تفرع الخوف من المتجنسين الجدد مع بداية القرن الجديد، ولم يعد يقتصر على الخطر السياسي فحسب، بل اتّسع ذلك الخطر ليشمل الجانب الديبلوماسي، وبدأت مؤشرات ذلك منذ سنة 1903م، من خلال كتابات ترولار، وتطور أكثر بعد التغيرات التي طرأت على الخريطة السياسية لمنطقة شمال إفريقيا منذ 1912م، بضم إيطاليا لليبيا، وفرض الحماية المزدوجة الاسبانية الفرنسية على المغرب، حيث بدأت بعض الأطراف تتساءل عن وزن بعض الفرنسيين في ميزان الديبلوماسيين إذا طُبّق مبدأ الجنسيات[1]، حيث كان الإيطاليون في تونس وليبيا، والاسبان في الغرب الجزائري ومعهم اسبان منطقة الريف المغربية.

ثم انتقل هاجس خوف الفرنسيين من الأجانب ليشمل الجانب العسكري أيضا في ظل التطورات السياسية والعسكرية التي كانت تشهدها أوربا ولاسيما التكتّلات والتحالفات، حيث طُرحت في الجزائر، نتيجة لذلك، مسألة موقف المتجنسين من القوى المعتدية المحتملة وخاصة من إيطاليا واسبانيا، وفي حالة حصول تلك المواجهة هل سيمر هؤلاء المتجنسون فوق جثث مواطنيهم السابقين؟، وان كان المعتدي من جنسية أخرى ألا يستقبله هؤلاء الأجانب بالتّرحاب؟[2]

إن الهيستيريا التي انتابت الفرنسيين الأصليين خوفا على مصالحهم في الجزائر شملت الجانب الثقافي أيضا، حيث أظهر الساسة الفرنسيون تخوفا كبيرا

[1] P.Trolard, **En Algérie, testament d'un assimilateur**, Imprimerie- Papeterie J. Torrent, Alger, 1903, p. 45.

[2] op. cit.

من الأخطار الفكرية الناتجة عن امتزاج الجاليات الأوربية المختلفة واليهود بالفرنسيين، الأمر الذي كان، بالنسبة لهم، يشكّل تشويها للمزايا الطبيعية للعرق الفرنسي، فهؤلاء المتجنسون بطريقة اصطناعية، لا يعرفون فرنسا إلا من خلال الكتب، فكيف لا يؤثّرون سلبا على الفرنسيين بالجزائر.

كانت كل الحجج ممكنة لتغذية التخوف من الأجنبي، ووجوب الحذر منه، ووصل الشك حتى في عناصر الشرطة والدرك من أصول أجنبية، واتهموهم بالتواطؤ مع الأجانب بحجة أن عدد الأشخاص الموقوفين من الفرنسيين كان أكبر من عدد الأجانب[1] خلال المواجهات التي كانت بين مختلف المجموعات مع نهاية القرن 19م.

كان العداء اليهودي لا يزال قائما أيضا مع بداية القرن 20م، لأن الممارسات اليهودية خاصة في الحياة السياسية وتوجيه الانتخابات كان لا يزال مستمرا، بدليل أن جريدة (*La Tribune*) باشرت من قسنطينة حملة معادية لليهود سنة 1921م، والتي نتج عنها مهاجمة اليهود لمقر الجريدة، أما في الغرب الجزائري فبعد ماكس ريجيس ودريمون، ظهرت شخصية الدكتور مول (*Molle*) بوهران الذي أسس بعد الحرب العالمية الأولى (الحزب الوطني الشعبي)، الذي كان ينادي بضرورة تكتل القوى اللاّتينية ضد الخطر اليهودي[2].

رغم أن بعض الأطراف حاولت استغلال ثورة 26 افريل 1901م، بعين مارغريت (عين التركي) قرب مليانة والتي راح ضحيتها بعض الأوربيين، معتبرين ما قام به بعض الجزائريين أخطر من المشكل اليهودي، إلا أن ذلك لم يكن كافيا

---

[1] P.Trolard, **En Algérie, testament d'un assimilateur,** op. cit., . p. 50.

[2] Pierre Mannoni, op. cit., p. 219.

بنظر السلطات الاستعمارية[1]، التي أعلنت من باريس عن رفضها إلغاء مرسوم كريميو الذي طالب به التيار المعادي للسامية، ومنحت الاستقلال المالي للجزائر الذي هدفت من خلاله إلى منح توجهات واهتمامات أخرى ذات طابع اقتصادي لبعض الأطراف السياسية التي كانت تؤيد التيار المعادي للسامية[2]، بغية احتواء تلك الأزمة[3].

إن تلك التوجهات الاقتصادية التي نادى بها المنظّرون الفرنسيون، انتهت بظهور صراع جديد امتد جغرافيا ليشمل حتى فرنسا ذاتها، حيث برزت موجة من الضغينة والحقد لدى منتجي الخمور بالميتروبول ضد مواطنيهم بالمستعمرة خلال ثلاثينات القرن 19م، حيث حملوهم مسؤولية انخفاض أسعار منتوجهم، ورأوا فيهم مصدر كل متاعبهم، إلى درجة أنهم طالبوا بإرسال قوات خاصة لقطع كل أشجار الكروم بالجزائر، وحرق كل مزارعهم[4]؛ وهذا يعني أن خلق مجتمع فرنسي بمعايير خاصة، وتعايش تام بين الأوربيين فيما بينهم كان أمر بعيد المنال.

لم تحمل بداية القرن العشرين أي مؤشّر على تعايش العناصر الأوربية المختلفة بالجزائر، حيث استمر الصراع الأوربي من أجل الظّفر بالمجالس المحلية المختلفة بين الفرنسيين واليهود، واستمر أيضا الصراع بين العناصر المتجنسة من أصول اسبانية وبين اليهود لأسباب تاريخية، بينما استمر التخوف

---

[1] ومع ذلك، فبعد أن ألقت الإدارة الاستعمارية القبض على الثائرين في عين التّركي، طبعت بطاقة بريدية تضمنت صورة الموقوفين الستّة المشتبه في ضلوعهم في تلك الثورة، ربما لطمأنه العناصر الفرنسية بالجزائر وفرنسا معا.

[2] Robert Randau, « **L'Algérie vivra** », in : Annales Africaines ,15 octobre 1934, pp. 1-2.

[3] قرارات سياسية كثيرة أصدرتها الإدارة الاستعمارية طيلة فترة تواجدها بالجزائر كان دافعها العنصر البشري.

[4] Robert Randau, op. cit.

الرسمي على مستوى الإدارة الاستعمارية في كل من باريس والجزائر من المتجنسين الجدد، ورأوا فيهم مصدر كل الأخطار التي قد تحلّ بالمستعمرة.

كان بعض النواب في البرلمان الفرنسي يقولون بأن تكثير العنصر الأوربي المتجنس يعتبر خطأ، وعدم رأيته، ومراقبته وتفاديه يعتبر أكثر من خطأ، وحذّروا من خطر قريب ووشيك مصدره الفرنسيون الجدد، ونادوا مع بداية القرن 20م بالاهتمام بذلك الخطر الموجود فعلا، والذي كان يسير نحو الزيادة والتطور، الأمر الذي كان يتطلّب تسوية عاجلة لأن هؤلاء المتجنسون، حسب رأيهم، سيسعون بعد أن تحقق الاستقلال المالي للجزائر، في وقت بعيد ولكن أكيد، إلى تحقيق الاستقلال السياسي الذي سينتهي بالانفصال عن فرنسا[1].

مما سبق يظهر أن اندماج الأجانب المتجنسين في المجتمع الكولونيالي وإلى غاية الحرب العالمية الأولى لم يكن قد تحقق بعد، ولم يكن الأجانب المتجنسون فرنسيين حقيقيين، لأنهم كانوا لا يزالون مصدر شكّ وقلق بالنسبة للإدارة الاستعمارية، لأنها رأت فيهم مصدرا محتملا لانفصال الجزائر سياسيا عن فرنسا؛ وهو ما يعني بأن السلطات الفرنسية اضطرت في الكثير من الأحيان، تحت تأثير ضغط الأجانب إلى تغيير سياستها في الجزائر، نتيجة هواجسها المستمرة، وتلك الأزمات والصراعات التي كانت تظهر هنا وهناك زمنا وجغرافية، ولو جاء إلى الجزائر منذ 1830م إلاّ الفرنسيون فحسب لاختلفت كل المعطيات[2].

---

[1] M. P. Trolard, **De la mentalité Algérienne : A propos de la question des étrangers**, Imprimerie Administrative, A. Mauguin, Blida, 1905, p .16

[2] كانت غلبة العنصر الفرنسي أساسية ومحورية بالنسبة للإدارة الاستعمارية حتّى ولو كان ذلك في الخطابات الرسمية والصحفية فحسب، لأن ذلك يوحي بتماسك وتناسق المجموعة الأوربية، ومن تلك الخطابات السياسية تصريح للحاكم العام ليتو (Lutaud) (ماي 1911–يناير 1918م)، حيث قال: إن=

2- تشجيع هجرة الفرنسيين إلى الجزائر:

نظرا لما عاشته الجزائر من أحداث بين الفرنسيين والمتجنسين، وبين هؤلاء واليهود، أدركت الإدارة الاستعمارية وجوب تمتين تواجد العنصر الفرنسي في المستعمرة من خلال بعث الاستيطان الرسمي بها، وخصصت لذلك مبلغ 50 مليون فرنك بين 1904–1914م لاستغلال مناطق الهضاب العليا بعد أن تبين لها بأن كميات التساقط بها كافية لنمو الحبوب في المنطقة.

وجاء توجه الإدارة الاستعمارية هذا، بهدف إيجاد توازن في المستعمرة داخل المجموعة الأوربية التي كان يغلب عليها العنصر الأجنبي، بالجنسية والثقافة، واعتبرت بأن ذلك هو السبيل الوحيد للحفاظ على خصوصيات الفرنسيين، وكان فيبار من بين الذين طالبوا بتشجيع الاستيطان على نطاق واسع، لأنه السبيل الوحيد للحفاظ على العرق واللغة الفرنسيين[1]، وبالمناسبة تطوير مصادر فرنسا الاقتصادية والتجارية خاصة في ظل المد البريطاني والألماني في نقاط كثيرة من العالم خلال تلك الفترة.

سطّرت الإدارة الاستعمارية برنامجا في هذا الاتجاه بطلب من الحاكم العام جونار (*Jonnart*)[2] تضمن حملة دعائية للاستيطان بالجزائر سنة 1905م بفرنسا

= الصراعات التي شهدتها الجزائر نهاية القرن 19م ما هي إلاّ صراعات عائلية فحسب ...، والجزائريون هم فرنسيون في قسنطينة، الجزائر ووهران، وهذا لا يمنعهم من أن يكونوا جزائريين". ينظر:

= Le Livre d'Or de l'Oranie, Editions de l'Afrique du Nord illustrée. 1925.

[1] Paul Théodore- Vibert, **la Concurrence étrangère, la philosophie de la colonisation, les questions brulantes, exemples d'hier et d'aujourd'hui**, (Tome 2), Édouard et Cornély et Cie Éditeur, Paris, 1906, p.232.

[2] شارل جونار: رجل سياسي وديبلوماسي فرنسي عاش بين 1857 و1927م، عين سنة 1881م للعمل بمكتب الحاكم العام بالجزائر، أصبح سيناتورا سنة 1894م، ثم حاكما عاما على الجزائر سنة 1903م، ثم وزيرا للخارجية سنة 1911م، منح قبل وفاته كرسي بالأكاديمية الفرنسية. ينظر: =

عبر تعليق 15000 ملصقة إشهارية في محطّات القطار ومراكز البريد ومكاتب الجمعيات الفلاحية ومكاتب شركات النقل، وبإعلانات في شكل ملصقات أيضا عن عمليات بيع الأراضي، توضح شروط العملية وتسهيلات الدفع. وتم تعليق تلك الإعلانات فعلا في أهم مدن المقاطعات الفرنسية، كما نشرت في الجرائد اليومية الأكثر مقروئية، بالإضافة إلى تكليف شركات خاصة بالتشهير للهجرة إلى الجزائر، من خلال تنظيم محاضرات حول المستعمرة على حساب ميزانية الجزائر، وكذا إرسال مندوبين إلى مقاطعات الجنوب الشرقي لفرنسا لإعلام السكان بإيجابيات الهجرة إلى المستعمرة[1].

شرعت الإدارة الاستعمارية بذلك في استقطاب العناصر الفرنسية التي استحسنت الفكرة في كل من مقاطعات لالوزار (la Lozère) لارداش(*Ardèche*) لارياج (*l'Ariège*) لافيرون (*l'Aveyron*) ومحافظة الألب العليا (*Hautes-Alpes*) بعد أن أصدرت مرسوما يخص ملكية الأرض بتاريخ 1904/09/13م الذي قضى بإمكانية الحصول على ملكية بأربعة صيغ[2]:

- بيع الأراضي بسعر ثابت في مكاتب مفتوحة؛
- بيع أراضي بالمزاد العلني؛
- بيع أراضي عن طريق الاتفاق المتبادل (حالات خاصة)؛
- منح أراضي بالمجان عندما تقتضي مصلحة الاستيطان ذلك.

=*encyclopedie-afn.org/**JONNART**_Auguste*

[1] M.C. Jonnart, gouverneur général de l'Algérie en 1905, **Exposé de la situation générale de l'Algérie**, Victor Heintz, imprimerie du gouvernement général, Alger 1906.

[2] Augustin Bernard, **Histoire des colonies Françaises et de l'expansion de la France dans le monde**, Tome2, l'Algérie, Librairie Plon, Paris.1930, p. 455.

وتم خلال الفترة الممتدة من سنة 1904م إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م إنشاء مراكز استيطانية جديدة وتوسعة أخرى كما يلي:

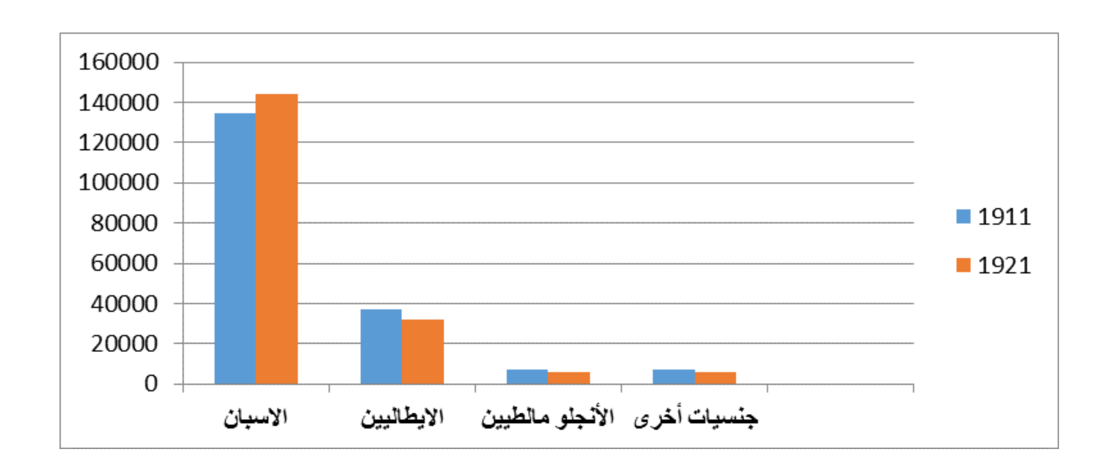
- تم إنشاء 59 مركزا استيطانيا جديدا.
- توسيع 140 مركزا قديما.
- إنشاء 151 مزرعة جديدة[1].

3- الهجرة الأوربية إلى الجزائر:

رغم أن قوانين التجنيس قد تسببت في أحداث كثيرة مع نهاية القرن 19م، إلاّ أنها في ذات الوقت مكّنت الفرنسيين من التزايد عدديا على حساب الأجانب من الأوربيين، حيث بلغ عدد المتجنسين 50.000 نسمة سنة 1896م، ليرتفع ذلك العدد الى 188.000 نسمة سنة 1911م؛ مما يعني أن الأجانب الأوربيين فقدوا نصف عددهم بالجزائر قبل الحرب العالمية الأولى، حيث لم يبق منهم سوى 189.000 نسمة سنة 1911م، وذلك نتيجة قوانين التجنيس المختلفة، وبسبب الزواج المشترك بين الفرنسيين والاسبانيات بالخصوص، ولذلك لم تقم السلطات الاستعمارية بأي إجراء يمنع أو يحدّ من هجرة الأجانب من الأوربيين إلى الجزائر مع بداية القرن العشرين، حيث استمر توافدهم عليها خلال هذه الفترة وخاصة قبل الحرب العالمية الأولى، بسبب استمرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردّية في كل من اسبانيا، إيطاليا بالخصوص.

ويمكن حصر تطور عدد الأوربيين خلال العشريتين الأولى والثانية من القرن العشرين من خلال الرسم البياني التالي من إعداد الباحث.

[1] Augustin Bernard, op. cit., p. 456.



(رسم بياني رقم18). عدد الأوربيين غير الفرنسيين سنة 1921 مقارنة بسنة 1911م[1].

يتّضح من الجدول أن عدد الأجانب ظل يتوافد على الجزائر بنفس الترتيب الذي كان خلال القرن 19م، بحيث نسجل تفوق العنصر الاسباني على حساب الإيطاليين والمالطيين وجنسيات أخرى، وما نسجله أيضا هو التراجع الذي شهدته الجاليات الأجنبية سنة 1921م مقارنة بسنة 1911م، باستثناء الاسبان الذي زاد عددهم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، بسبب أوضاع اقتصادية غير مستقرة في إسبانيا، في حين كانت الجزائر في المقابل تشهد جملة من المشاريع في قطاع الأشغال العمومية التي كانت توفر العمل لهؤلاء الوافدين وبأجور أحسن من بلدانهم، ولكن في ذات الوقت صعبت السلطات الاستعمارية من شروط حصولهم على الملكية خاصة بعد الحرب، لأن الاستيطان الفلاحي بالأوربيين كان يشكل خطأً اقتصاديا وخطرا سياسيا[2]، من أجل استقطاب فئة فرنسية ميسورة الحال، وبالمرة تحيد كل الأجانب المتوفرين على إمكانيات مادية والراغبين في

[1] L.Barthelet, **La Population étrangère en Algérie**, Alger, mai 1925, p. 3.

[2] Paul Masson, **La Colonisation française au début du XXe siècle**, Marseille, 1906, p.32.

امتلاك أرض، وحتى المتجنسين منهم برفع الحد الأدنى للشرط المالي، لكي تبقيهم فئة عاملة فحسب في كل الحالات، وتضمنت تلك الشروط ما يلي[1]:

- أن يكون صاحب الطلب فرنسيا ومتمتّعا بكل الحقوق المدنية؛
- أن يكون رب عائلة؛
- أن تكون له دراية بأمور الفلاحة؛
- أن يمتلك مبلغ مالي كاف للاستثمار (10 آلاف فرنك على الأقل)؛
- التعهد بالمكوث في الأرض لمدة 10 سنوات.

ومع ذلك لم تكن المستعمرة تستقطب من الفرنسيين إلا بعض الشباب من كان لديهم أمر يريدون التخلص منه أو إخفاءه، على حد تعبير رئيس الأكاديمية الفرنسية آلفراد بودريار (*Alfred Baudrillart*)، بتاريخ 25 يناير 1925م وهو يخاطب الحاكم العام جونار[2].

ونظرا لأن المواجهة العالمية برهنت عن اندماج المتجنسين، فإن السلطات الاستعمارية أصدرت قانونا آخر بتاريخ 10 أوت 1927م لتجنيس عدد آخر منهم خاصة في ظروف الحرب تلك، نص على:

- فرض الجنسية الفرنسية على كل طفل ولد بفرنسا من أب أجنبي مولود هو أيضا بفرنسا.

[1] Journal des Débats n : 258 du Dimanche 17 septembre 1922.

[2] Journal des Débats, vendredi 16 janvier 1925.

- كل شخص ولد بالجزائر من والدين أجنبيين، بإمكانه الحصول على الجنسية الفرنسية إذا قام بالخدمة العسكرية على سن 21 سنة أو قبل ذلك، إذا سمح الشخص المسؤول عنه بذلك[1].

وصاحب ذلك العرض، من جديد صيحات العديد من الفرنسيين بوجوب تغيير أسماء المتجنسين إلى أسماء فرنسية، لأن التجنس وحده لا يكفي[2].

ولم يكن الاستمرار في تجنيس العناصر الأوربية جماعيا يشكّل خطرا على سيطرة الفرنسيين على المستعمرة، لأن مكانة العنصر الفرنسي كانت محفوظة بحكم كونه يمثّل الطبقة المثقّفة الحاكمة والمسيرة، والتي كانت تحجز لنفسها كل المناصب العمومية والخاصة[3].

4 ـ موقف الأوربيين في الجزائر من الحرب العالمية الأولى:

ان الحرب العالمية الأولى كانت محطة امتحان هامة بالنسبة للفرنسيين من أصول أجنبية، وكانوا على وعي بالأمر، ولذلك قد شكّلوا منذ البداية مجموعات أظهرت تعاطفا كبيرا مع الرموز الفرنسية كالنشيد الوطني الفرنسي والعلم الثلاثي الألوان، والتصفيق للبدلة العسكرية وابداء تقزز كبر من الألمان ومن كل العلامات التجارية الألمانية المتواجدة بالجزائر[4] (*Kub*) – (*Liebig*). وامتد ذلك الى المعاملة السيئة لكل شخص ذا ملامح ألمانية ، وأُغلقت الفنادق التي يعتقد أن مالكيها من الألمان في كل من عنابة، قسنطينة، باتنة وبجاية، كما خرجت جموع كبيرة في الجزائر العاصمة إلى الشوارع بتاريخ 1 أوت 1914م،

[1] Léon d'Anfreville de La Salle, « **Population et avenir »,** Centre National d'information démographique, n : 228, Paris, juillet 1931.

[2] Fernand Boverat, « **La Francisation des Noms des Naturalisés** », in : la Revue d'Alliance, n : 242, septembre 1932.

[3] Victor Demontès, op. cit., p. 610.

[4] Pierre Mannoni, op. cit., p.106.

وانطلقت الفرق المرددة للأناشيد الوطنية في كل مكان، وفي اليوم الموالي اصطفت طوابير طويلة من الأوربيين أمام الثكنات العسكرية رغبة منها في الدفاع عن الوطن الأم[1]، كما سارع الأوربيون على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية وجذورهم العرقية الى نجدة الوطن الأم أيضا عبر تنظيم حملات التبرع الكبيرة لفائدة الصليب الأحمر وفي اليوم الموالي 2 أوت نشرت الصحف إعلان عن التعبئة العامة[2].

وان كان كمال كاتب قد أقر بأن الحرب العالمية قد وحدت فعلا الفرنسيين الأصليين والفرنسيين الجدد[3]، لأن كلاهما قبل المشاركة في الحرب، ولكن بنوع من الإحساس بالدين من الفرنسيين المتجنسين، وكانت الحرب فرصة بالنسبة لهم لدفع ذلك الدين تجاه بلدهم بالتبني[4]، وعلى النقيض من ذلك فإن باحثين آخرين شكّكوا في ذلك التهافت الكبير للمتجنسين على الرموز الوطنية الفرنسية، فجيلبار مينييه اعتبر ذلك الموقف تمجيد مبالغ فيه للوطن جاء نتيجة ذهنية محاصرة وشعور متمادى فيه بالهوية والانتماء، وهو ما لا يمكن اعتباره وطنية[5]. يبدو استنتاج المعطيات التاريخية الصحيحة من الظواهر الاجتماعية من الصعوبة بما كان، وحتى الباحثين المعاصرين انقسموا في ذلك، لأن الأمر يخص موقف هؤلاء المتجنسين من مسألة تعلّقهم بفرنسا الذي لا يمكن التأكد منه بسبب تداخل المصالح بالخوف[6] في تلك الفترة الحساسة.

---

[1] Pierre Nora, **les Français d'Algérie**, Editions Julliard, Paris, 1961. p.264.

[2] op. cit., p.266.

[3] Kamel Kateb, op. cit.,p. 190.

[4] Pierre Goinard, **Algérie, L'œuvre Française**, Editions Robert Laffont, Paris, 1984.p.110.

[5] Gilbert Meynier, in : Pierre Mannoni, op.cit., p.124.

[6] الخوف من مضايقات الإدارة الفرنسية.

لقد غادر الجزائر في المجموع للمشاركة في الحرب 155000 أوربي و170000 من الجزائريين كمجندين، و70000 أخرى جندت ولكن بشكل مختلف للعمل في مصانع الأسلحة وغيرها بعد صدور قانون التجنيد الاجباري، ويشير مانوني إلى أن قوائم المتطوعين الذين ذهبوا للموت في سبيل فرنسا من الأوربيين حملت أسماء من أصول مختلفة، لا لشيء سوى لأن فرنسا هي بحاجة إليهم[1]، وهو أمر لا يمكن الجزم به.

بعد ذهاب القوات المختلفة إلى فرنسا للمشاركة في الحرب، تشكّلت جمعيات نسوية لجمع الملابس الشتوية والحلوى للجنود، ومواد لإسعاف الجرحى، وهذه المواقف للمتجنسين اشعرت السلطات الاستعمارية بأن الاندماج قد تم فعلا، فيما يتعلّق بالأوربيين، أما الجزائريون فلم يكن أمام هؤلاء المشاركون منهم في الحرب أي خيار بعد أن فرض عليهم التجنيد الاجباري.

رغم إعلان حالة الحصار في الجزائر تخوفا من اندلاع ثورات شبيهة بثورة المقراني التي اندلعت اثر حرب 1870م، فقد انطلقت في الجزائر مجموعة من الاضطرابات، في الشرق والغرب معا، خاصة بعد إعلان السلطان العثماني عن الجهاد، وذكر أجيرون هجوم بني شقران بمعسكر بتاريخ 5 أكتوبر 1914م على المسؤول الإداري بالمنطقة، وحركات مماثلة في تبسة وبسكرة، وتبقى أكثر تلك العمليات جرأة تلك التي وقعت بمحافظة باتنة بتاريخ 10 نوفمبر 1916م بالبلديات المختلطة التالية: بريكة، بلزمة وخنشلة حيث تحولت بها المقاومة إلى انتفاضة استهدفت في اليوم الموالي برج ماكماهون بالبلدية المختلطة عين توتة حيث قتل فيها نائب محافظ باتنة وكذا المسير الإداري، وأحرق البرج ودمرت محطة القطار، كما أحرقت بنفس المنطقة مزرعتين أوربيتين وقتل حارس للغابات، مما

---

[1] Pierre Mannoni, op. cit., p. 107.

استرعى تدخل القوات السنيغالية والزواف مدعومة بطائرات (*Farman*) لاستعادة الهدوء بالمنطقة نهاية ديسمبر 1916م. ان هذه الصورة التي تعكس (التودد والتقرب) من الإدارة الاستعمارية الذي ابداه الفرنسيون الجدد، ويقابلها إصرار الجزائريين على قطع كل صلة بالمستعمر لتعبر ايما تعبير على الامتيازات التي وجدها هؤلاء الأوربيون في تجنسهم، وفي المقابل على تهميش كبير لا ينتهي الا بانتهاء الاستعمار، وأود أن أشير الى معطيات توضح جليا ذلك التناقض الحاصل بين المجموعتين سنة 1929م عشية الاحتفال المئوي.

حيث نوه لورانس بإنجازات فرنسا في الجزائر، وذكر من بين الأمثلة ارتفاع ميزانية الجزائر من 33 مليون فرنك سنة 1880م الى مليار و 320 مليون سنة 1929م ، كما بلغ حجم الصادرات الفلاحية 525 مليون فرنك سنة 1928م و هي في ارتفاع مستمر، كما تم إقامة شبكة من خطوط الكهرباء بلغت 4000 كلم ، اما مشتركي الهاتف فارتفع من 10800 مشترك سنة 1920م إلى 22000 مشترك سنة 1928م بعد توسيع شبكة الهاتف إلى غير ذلك من الانجازات ذات الصلة المباشرة بالفرنسيين بالخصوص، والملفت للانتباه هو أنه عندما تحدث عن الإنجازات التي تمت لمصلحة "الأهالي" جاءت كلّها في صيغة المضارع رغم أننا على بعد قرن من الاحتلال ، ومن بين ما ذكره لورانس في مجال التعليم أنه سيتم رصد 200 مليون فرنك لبناء المدارس، وفي مجال الرعاية نتوقع بناء عدة مستشفيات ملحقة ومصحات، و في مجال التعليم المتخصص سنحاول بذل جهد، كما يجب مساعدة الفلاح لتحسين دخله ونأمل الحصول على مردود حسن[1]، إلى غير ذلك من الوعود التي ضلّت وعودا على الورق فحسب. وهذا

[1] Anselme Laurence, « **l’Algérie à la veille de son centenaire** », in : Les Annales Africaines, du 1er novembre 1929, pp. 392.394.

يعني أيضا أن الجزائري لم يكن يتمتّع بالحقوق ومع ذلك أثقل كاهله بالواجبات مرغما.

5- تأثير الحرب العالمية الأولى على الأوربيين بالجزائر:

لم يتخذ الفرنسيون بالجزائر أي موقف عدائي من الأجانب بشكل عام، لأن اسبانيا لم تكن طرفا في الحرب، وإيطاليا التي أقحمت في المواجهة متأخرة كانت في صفوف دول الوفاق، وبالتالي في نفس الخندق مع فرنسا، أما الألمان أعداء فرنسا في المواجهة فكان لهم مصير آخر، خاصة بعد أن قامت ألمانيا بحملة دعائية كبيرة ضد تجنِد الألمان في صفوف اللفيف الأجنبي الفرنسي بأوروبا وغيرها، باستعمال المناشير، الملصقات والبطاقات البريدية، التي ركّزت على الإهانة التي كان يتعرض لها المجنِدون الألمان والتي كانت تصل إلى درجة المذلة[1].

بعد القصف البحري الألماني لبعض مدن الشرق الجزائري كعنابة وسكيكدة صبيحة يوم 14 أوت 1914م؛ والذي جاء لمنع وصول الإمدادات العسكرية واللوجستية من الجزائر إلى فرنسا والمشكّلة من 35000 جندي من الزواف، إلاّ أن السلطات الفرنسية غيِرت ميناء ركوب هؤلاء الجنود بميناء العاصمة، ومع ذلك خلّف القصف ضحايا وخسائر، ولذلك تعرضت الممتلكات الألمانية الرسمية والخاصة من قنصليات، وفنادق في كل من عنابة، قسنطينة، باتنة، تيمقاد وبجاية بالخصوص إلى الاعتداء.

---

[1] قد تفسر تلك المعاملة السيئة للألمان، بالأطماع التي أظهرتها الحكومة الألمانية في الجزائر، ان نحن اعتبرنا ما ذكره تولار صحيحا، حينما ذكر بأن قضية تنازل فرنسا على الجزائر لألمانيا طرحت عند التوقيع على اتفاقية فرانكفورت بتاريخ 10 ماي 1870م، ويضيف ايضا بأن لجنة البحث الألمانية التي جابت المستعمرة طيلة عشر سنوات قبل 1870، لم تكن حبا في العلوم وانما لمعرفة امكانيات الجزائر الطبيعية. ينظر:=

وشملت تلك العمليات سويسريين من أصول ألمانية أيضا[1]، وامتد ذلك العداء حتى بعد الحرب لأن المدنيين الألمان الذين كانوا يقيمون بالجزائر أثناء الحرب ورحلوا الى الخارج، لم يعودوا إليها بعد نهاية الحرب، كما امتد ذلك العداء ليشمل البحث العلمي أيضا، ويتعلّق الأمر بالألمان الخمسة الذين كانوا مراسلين ل (*le Bulletin de l'Académie d'Hippone*) منذ سنة 1893م، ولكن إلى غاية سنة 1922م لم يسجل تواجد أي متعاون ألماني في ذلك المجال[2].

أما الثلاثة آلاف والخمسمائة أسير ألماني الذين حولوا من جبهات القتال إلى الجزائر بين ديسمبر 1914 ونهاية سنة 1915، فقد حرصت الإدارة الاستعمارية على ألاّ يكون لهم أي احتكاك بالجزائريين، ولذلك وزّعوا على 19 مخيما أقيمت في عجالة بالمدية، سطيف، بجاية، سيدي بلعباس، معسكر وبسكرة وغيرها، للعمل بالمناجم وبتسوية الطرقات، ولكن استمرار قلق الإدارة من احتمالات فرار بعضهم دفع بالسلطات الاستعمارية إلى إبعادهم منتصف سنة 1916م إلى جزيرة سانت مارغريت الفرنسية[3].

انطلاقا مما سبق، يتّضح جليا بأن الحرب العالمية الأولى لم تشكّل أي انسجام بين العناصر الأوربية، وإن كان الاندماج قد تحقّق بنظر البعض، فإن الواقع لم يكن يعكس ذلك، حيث كانت ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا)، تعكس ذلك الانقسام، حيث كان الفرنسيون يقيمون في الجهة اليمنى من الساحة،

= M.P.Tolard, **De la Mentalité Algérienne : Apropos de la question des étrangers**, op. cit., p. 24.

[1] Pierre Mannoni, op.cit., pp. 175. 180.

[2] Jean-Maurice Di Costanzo, **Allemands et suisses en Algérie : 1830- 1918**, op. cit., p. 176.

[3] Pierre Mannoni, op. cit., p. 188.

والإيطاليون في جهتها الشرقية، أما الاسبان فقد كانوا يتجمعون في الجهة المواجهة لتمثال دوبورمون، أمام الجزائريون فاتخذوا من المنطقة الوسطى الباقية مكانا لهم، ولم تكن تلك الأعراق تلتقي إلا في محطة القطار بحكم الحاجة[1].

6ـ وضعية الاسبان في الجزائر في بدايات القرن 20م:

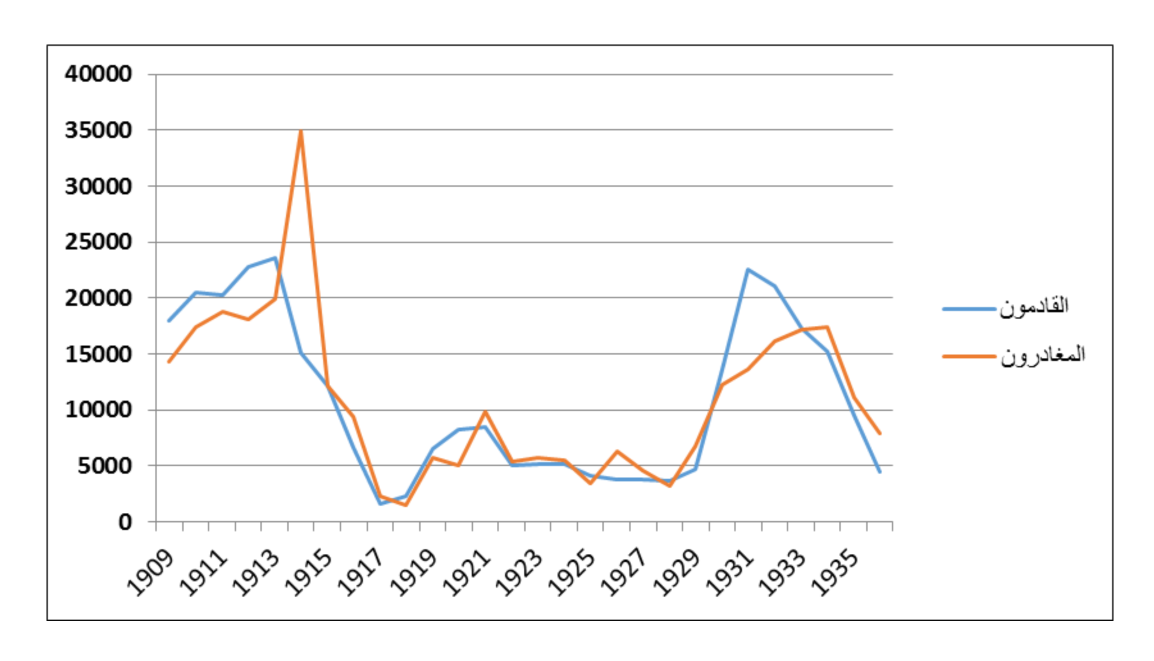
تراجعت الهجرة الإسبانية إلى الجزائر بين 1901 و1906، بل كان عدد المغادرين أكبر من عدد الوافدين إلى المستعمرة سنة 1903م، وهذا للمرة الأولى منذ عدة سنوات، بسبب تراجع قيمة العملة بها، الأمر الذي أبعد العمال الموسميين الإسبان عن الجزائر، كما أن اسبانيا بعد الكارثة التي أحلّت بها إثر استقلال كوبا سنة 1898م، حاولت التقليص من النزيف البشري إلى الخارج لأنه كان يرهقها اقتصاديا.

رغم ما سبق، فإننا لاحظنا ارتفاعا في عدد الاسبان خاصة في الإقليم الغربي للجزائر منذ سنة 1906م، وهو ما سمح بتعويض عدد المتجنسين منهم، حيث سجل في حركة مرور الاسبان بميناء وهران بين سنوات 1906-1914م وصول 155350 نسمة ومغادرة 129662 شخص، أي أن 25606 من الاسبان فضلوا البقاء في الجزائر خلال تلك الفترة[2]، ويفهم من ذلك أن الظروف العامة في الجزائر كانت أحسن من اسبانيا.

استمر عددهم في الارتفاع من بداية الحرب العالمية الأولى وإلى غاية 1921م، ولكن تراجع عدد المتجنسين خلال ذات الفترة هو الذي أعطى ذلك الانطباع الخاطئ بتزايد عدد الاسبان بالإقليم، لأن الحقيقة يبرزها بجلاء الرسم البياني الآتي.

[1] L’Afrique du Nord illustrée, n : 293 du Noël 1926.

[2]. J. Garry, **Les Espagnols en Oranie**, Avril 1940. ANOM. 8CAB/163



(رسم بياني رقم: 19). حركة الاسبان بميناء وهران بين 1909–1936م[1].

يتضح من الرسم البياني أن عدد الوافدين إلى وهران كان أكبر من عدد العائدين إلى اسبانيا قبل الحرب العالمية الأولى، ونسجل أكبر خلل في ذلك الرقم سنة 1914م مع بداية الحرب؛ بحيث أن عدد العائدين إلى إسبانيا فاق بكثير عدد الوافدين إلى الجزائر، حيث بلغ الفارق 19793 نسمة، قبل أن يعود إلى التراجع ليبلغ 2708 نسمة سنة 1916م، كما أن عددا آخر من الإسبان متجنسين وغير متجنسين غادروا الجزائر، باتجاه المغرب الفرنسي أو فرنسا، ولذلك كان عدد القادمين إلى الجزائر لا يكاد يذكر، ومع ذلك استمر عدد العمال الموسميين في التوافد على الجزائر خاصة في موسم زبر الكروم، قبل أن يتراجع عددهم أيضا خاصة بين سنوات 1921 1929م بسبب تراجع قيمة العملة الفرنسية، والرقابة الصارمة التي كانت تفرضها السلطات الإسبانية والفرنسية على تنقّلهم، وهو الأمر الذي لم يعد يمكّنهم من الإقامة النهائية في الجزائر.

[1] J. Garry, **Les Espagnols en Oranie**, op. cit.

كما أن وعود الجمهورية الاسبانية الجديدة بإجراء عدة إصلاحات اقتصادية في الأرياف الإسبانية ساهمت أيضا في تقليص موجات الهجرة الإسبانية إلى الجزائر.

لكن مع بداية سنوات الثلاثينات توافد على الإقليم الغربي عدد من الاسبان تحت إغراء الأجور الحسنة سنوات 1930، 1931، و1932م، ولكن سرعان ما غادروا الإقليم بمجرد بروز المصاعب الاقتصادية من جديد؛ والملاحظ هو أن حركة الاسبان باتجاه الجزائر كانت تتحكّم فيها الحياة الاقتصادية أكثر منها شيئا آخر في الحالات العادية، كالأزمات الاقتصادية وقلة العمل في اسبانيا، وسنوات تراجع قيمة الصرف، إلا أن فترة الأزمات برهنت على أن الاسبان يتفاعلون مع أيضا مع الظروف السياسية.

استمر الوضع خلال هذه الفترة بين مد وجزر إلى غاية اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية سنة 1936م[1]، التي أدّت إلى صدور قرار تجميد الهجرة الإسبانية إلى الجزائر من قبل الإدارة الاستعمارية بتاريخ 8 جويلية 1836م[2]، بل أصبح الإقليم الغربي يرسل رجالا إلى اسبانيا أكثر مما يستقبل بصفة غير رسمية في الغالب، لأن فرنسا وقّعت على ميثاق عدم التدخّل بتاريخ 28 أوت 1936م[3]،

---

[1] اندلعت الحرب الأهلية الاسبانية في 18 جويلية 1936م، بين الوطنيين بزعامة الجنرال فرانكو، وبين الحكومة الجمهورية التي كان يترأسها (إيمانويل أزانا) الذي خلف الرئيس (زامورا) المقال في أفريل 1936م، وانتهت بانتصار الوطنيين، الذين دخلوا العاصمة مدريد بتاريخ 27 مارس 1939م، وخلّفت خسائر بشرية ومادية جسيمة. ينظر:

العربي بلعزوز، اللاجئون الاسبان بالجزائر: 1939–1962، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013، ص. ص.31–82.

[2] Jean Jacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, op. cit., p. 82.

[3] العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص. 47.

والذي شمل ستة وعشرين دولة أخرى بعد مساعي حثيثة من حكومة بلوم الفرنسية وضغط من حكومة بالدوين (*Baldwin*)[1] البريطانية المحافظة (1935–1937).

تراجع عدد الإسبان بالجزائر بصفة نهائية منذ سنة 1925م، لأن التجنيس استمر في تقليص عددهم فرديا[2] بقانون 1865م وجماعيا بقانون 1927م، ولكن يجب التنويه إلى أن الماهونيين من سكان الجزر الاسبانية تخلّوا بكل سهولة عن جنسيتهم في عمالة الجزائر، إلاّ أن سكان فالانس، أليكونت ومورسيا بالإقليم الغربي، على العكس من ذلك قاوموا التجنس، وبعد أن فُرض عليهم بمختلف الصيغ، رفضوا التخلّي عن عاداتهم القديمة التي تَعتبر مصدر ثرائهم الوحيد، وذلك رغم كون غالبيتهم من الأميين، ورغم عدم تدخل السلطات الإسبانية بشكل فعال وقوي لمنع تجنسهم[3]، حيث كان بإمكانها شل الحركة الاستيطانية الفرنسية بمنع هجرة الإسبان إلى الجزائر، إلا أنها وإلى غاية الحرب العالمية الثانية لم تقم بشيء من هذا القبيل[4]؛ لأنها بعد المعاهدة الثنائية التي وقّعت بين البلدين بتاريخ

[1] ستانلي بالدوين (Stanley Baldwin)، سياسي بريطاني من مواليد 1867م، كان ينتمي إلى حزب المحافظين، انتخب عضوا في البرلمان منذ سنة 1916م، ترأس الحكومة البريطانية ثلاث مرات: من ماي 1923 م إلى نوفمبر 1924م، ثم من نوفمبر 1924 الى جوان 1929م، والمرة الثالثة كانت بين جوان 1935م وجوان 1937م. توفي سنة 1947م.

http://www.britannica.com/EBchecked/topic/50027/Stanley-Baldwin

[2] تجنس2585 اسباني بالصيغة الفردية بين 1895 و1911م. ينظر:

Jean Jacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, ibid. p. 106.

[3] ANOM. 8CAB/163. J. Garry, ibid.

[4] باستثناء منعها لهجرة رعاياها إلى الجزائر سنة 1850م بعد أن ظهر داء الكوليرا بالمستعمرة، وهو ما أقلق السلطات الاستعمارية كثيرا. ينظر:

ANOM. Font ministériels, Série F/80, Carton F/80/ 1177.

14 أفريل 1862م[1]، لم تول تلك السلطات للقضية أي أهمية، كما أن القنصل الاسباني بوهران، لم يحاول حتى جمع الجالية الايبيرية من حوله، أما وزارة الخارجية الاسبانية فلم يتعدّ دورها تهنئة فرنسا بالخدمات التي كانت تقدمها لإسبانيا بإيوائها لعدد كبير من رعاياها.

ونظرا لهذا كله لم توضع الإدارة الاستعمارية آليات لحماية الاسبان، حيث لم تمنح لهم حق فتح مدارس، والكثير منهم عانوا كثيرا من جراء ذلك النقص في التعليم بالإسبانية[2]، وبعض المحاولات القليلة التي ثارت ضد ذلك الوضع كانت في الأصل معارضة للنظام الملكي في اسبانيا، وليس لتغيير واقعهم بالمستعمرة.

كانت السلطات الاستعمارية تدرك بأن الإسبان، خاصة بالغرب الجزائري، كانوا يشكّلون وحدة اجتماعية متماسكة، ولكنها غاصة في الصراعات الاقتصادية؛ فالإسباني حين وصوله إلى الجزائر كان يحظى بمساعدة من قبل أفراد أسرته أو قريته، ولكن سرعان ما كان يطغى عليه طابع الأنانية الفردية والغيرة، التي كان يراها كل منهم ضرورية لتحقيق النجاح، ونتيجة لذلك فإن عوامل الفرقة توفّرت خلال الفترة الاستعمارية بين الاسبان أكثر من عوامل الوحدة، وجاءت الحرب الأهلية الاسبانية لتؤكد ذلك على المستوى السياسي، وخدم ذلك الأمر الإدارة الاستعمارية بحيث لم يعارض قراراتها المختلفة صف اسباني موحد.

---

[1] تمت الاتفاقية بين نابليون الثالث (Napoléon III) وايزابيلا الثانية (Isabelle II) ملكة بريطانيا، للحفاظ على الأمن والسلم بين الدولتين الجارتين، جاءت في 11 صفحة (النسخة الفرنسية) وتضمنت 29 مادة.

Convention consulaire conclue entre la France et l'Espagne, fait à Madrid en double original, le 7 ème jour du mois de janvier de l'an de grâce 1862. ANOM. 7CAB/8.

[2] J. Garry, ANOM. 8CAB/163. op. cit.

إلاّ أن اللّغة الاسبانية شكّلت عاملا مهما في جمع الاسبان بالجزائر بما في ذلك العناصر المتجنسة من أصول إسبانية، بل وصل الأمر إلى أن الفرنسيين في المناطق ذات الغلبة الإسبانية كانوا يستعملونها في حياتهم اليومية، وحتى بعض الجزائريين أيضا.

أما الفرنسية فكانت لا تفرض نفسها إلاّ في المصالح الإدارية والمدارس فحسب، كما أن المتجنس وغير المتجنس، كانا يحافظان على الذوق والممارسات الاسبانية؛ فسلطة الأب مثلا لدى الأسرتين كانت تمارس بنفس الشدّة، كما أن الوفاء للطبخ الاسباني استمر لدى كليهما[1]، وحتى قاعات العرض لم تكن تخلُ إحداها على الأقل من عرض أحد الأفلام بالإسبانية.

كما أن الفرق المسرحية الإسبانية التي كانت تجوب المنطقة، حتى في المناطق النائية، كانت تجمع عناصر من المجموعتين، وحتى الحفلات والأعياد لم تكن تخلُ هي أيضا من السهرات الإسبانية، ونفس الأمر بالنسبة للطقوس والممارسات الدينية التي كان يغلب عليها الطابع الإسباني لأنه كان يشرف عليها رجال دين إسبان،[2] وحتى بعد أن تغيرت الأمور وأصبحت الكنائس بيد رجال دين فرنسيين، لم يتغير شيء في الواقع لأن الملاحظ هو أن معظم هؤلاء كانوا من أصول إسبانية، ولذلك استمرت الصلوات باللغة الإسبانية حتى الثلاثينات من القرن العشرين.

كما أن الممارسات السياسية كانت نفسها أيضا بالنسبة للإسباني غير المتجنس والمتجنس، فكل الاجتماعات الانتخابية ومداولات المجالس البلدية كانت تجرى باللغة الإسبانية، ورغم أن الاسبان غير المتجنسين كانوا لا ينتخبون

[1] J. Garry, ANOM. 8CAB/163. op. cit..

[2] Ibid

ولا ينتخبون، ومع ذلك كانوا لا يدّخرون جهدا من أجل أن يفوز الشخص الذي يفضلونه، وإذا كان أحد المجالس يغلب عليه متجنسون اسبان، فذلك كان يسعد غير المتجنسين منهم[1].

ولكن في نفس الوقت لم يكونوا واعين بحجم تأثيرهم ووزنهم إن هم اتّحدوا لمواجهة تهميش الإدارة الاستعمارية لهم، خاصة خلال القرن 19م، ولذلك تأثّروا بقراراتها، ولم يؤثّروا فيها كمجموعة، ومن دون شك كان لنسبة الأمية العالية المنتشرة بينهم دور في ذلك[2].

لقد أظهرت التظاهرات السياسية، والحياة العامة أنه لم يكن هناك أي تمييز بين الإسباني وبين الفرنسي من أصول إسبانية، رغم اختلافاتهم الإدارية والقانونية، مما يعني أنهم كانوا لا يزالون يشكّلون كتلة واحدة، والكل كان متّفقا على أن وهران قبل أن تكون للميتروبول أو للجزائريين كانت اسبانية، لأنهم كانوا الوحيدين بنظرهم من ساهم في تطويرها، ولذلك لم يكونوا يقبلون كل من يشك في ذلك حتى ولو تعلّق الأمر بالإدارة الفرنسية نفسها، وهو أحد العوامل الأساسية التي سيتخذها الجنرال فرانكو لتقديم بعض المطالب السياسية بخصوص المنطقة أثناء الحرب العالمية الثانية.

قد تكون لوسائل التواصل وفي مقدّمتها الصحافة التي سعت النخبة القليلة من الاسبان في إنشائها بالجزائر منذ ثمانينات القرن 19م وإلى غاية بداية ثلاثينات القرن 20م دور في تلك اللّحمة البشرية التي كانت بين الإسبان، لأنها ركّزت على العامل المشترك الذي كان يجمع المتجنسين بغير المتجنسين منهم

[1] J. Garry, **Les Espagnols en Oranie**, op. cit.

[2] ولكن تأثير العناصر الأوربية غير الفرنسية على قرارات الإدارة الاستعمارية خلال كل الفترات كان واضحا. (الباحث).

وهي اللّغة التي تعتبر قلب وروح كل شعب، ولذلك فقد ساهمت في توحيد الشّعور والتفكير بين الفئتين الإسبانيتين ذات المستوى الاجتماعي المتقارب.

تمثّلت الصحافة الاسبانية خلال الخمسون سنة التي سبقت الحرب الأهلية الاسبانية في 29 عنوانا شملت الجرائد اليومية والأسبوعية بالإضافة إلى المجلاّت توزّعت حسب مجالاتها على النّحو التالي[1]:

الصحافة الإخبارية: 11 عددا. الصحافة السياسية الصاخرة: 5 أعداد

الصحافة الثقافية: 6 أعداد الصحافة المتخصصة: عدد واحد

الصحافة السياسية: 5 أعداد الصحافة الرياضية: عدد واحد

علاوة على عناوين أخرى ظهرت منتصف أربعينات القرن 20م بعد أن تم تحرير اللاّجئين السياسيين الاسبان الذين وفدوا على الجزائر سنة 1939م، والتي تمثّلت في جريدة (*soli*) التي كانت تصدر من باب الواد في مطبعة *Heinz* في قلب العاصمة، بالإضافة إلى جريدة (*Nao*) التي أصدرها في وهران أحد اللاجئين الاسبان يدعى أورلاندو بيلايو.

لقد كان هدف الصحف والمجلات الاسبانية التي أصدرها الجمهوريون غير السياسية هو الحفاظ على الشخصية الاسبانية وكذا جمع التبرعات والمساعدات لإرسالها إلى بعض المناضلين من الجمهوريين ممن بقي في اسبانيا[2].

لم تكن الإدارة الاستعمارية المحلية في وهران ترغب في استمرار نقاط الالتقاء والتفاهم تلك بين مختلف الاسبان، ولذلك انشأ رئيس بلدية وهران غابريال

[1] Jean- Jacques- Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, op. cit., p.370.

[2] العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص100.

لامبار [1](*l'abbé l'Ambert*) حزب "الصداقة اللاتينية" (*Amitiés latines*) لفائدة المتجنسين، وهو جهاز يعوض اللّجنة الانتخابية الموجودة في فرنسا، وتمثّل رد معارضيه من جريدة (*Oran Républicain*) في تخصيص صفحة أسبوعيا في الجريدة باللغة الاسبانية، موجهة للإسبان من المجموعتين.

كما عملت السلطات الاستعمارية قبل الحرب الأهلية الاسبانية على فرض بطاقة هوية على الأجانب المقيمين بالجزائر منذ منتصف سنة 1934م، وإن كان ذلك القرار قد تسبب في تخوف الكثير من أرباب العمل الذين كانوا يشغلون يد عاملة اسبانية بعد إجراءات 1936م المراقبة للهجرة، وحتى الآباء الاسبان الذين كانوا يتقاضون منحة بعد أن دفع ابنهم المتجنس ضريبة الدم لفرنسا خلال الحرب العالمية الأولى باتوا مهدين أيضا[2]، إلاّ أن تلك الإجراءات مكّنت الاسبان من التقرب من قنصلياتهم والحديث عن الوطن الأم بعد فترة طويلة من اللامبالاة وعدم الاكتراث.

عملت القنصليات الاسبانية في الجزائر على انتهازهذه الفرصة لتقوية وتطوير الصلة بينها وبين رعاياها بالمستعمرة، خاصة بعد انتصار فرانكو في الحرب الأهلية، حيث اقيمت عدة تظاهرات مساندة لإسبانيا، من قبل عناصر فرنسية في بعض الحالات لأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية، وعندما فتح فرانكو

---

[1] غابريال لامبار (Gabriel Lambert): رئيس بلدية وهران الثالث والثلاثون، ولد سنة 1900م، انتخب يوم 12 ماي 1934م، واستلم مهامه في 18 من ماي إلى غاية سنة 1941م. ترشّح في الانتخابات التشريعية لفبراير سنة 1936م الاّ أنه انهزم أمام الاشتراكي ماريوس دي بوا. عندما قامت حكومة الجبهة الشعبية بحلّ كل الحركات الوطنية اليمينية، قام بتأسيس فيدرالية المنتخبين الوطنيين. عارض مشروع بلوم فيوليت، وأسس الصداقة اللاتينية لمقاومة الحكومة، أيد فرانكو تأييدا مطلقا خاصة بعد زيارته له سنة 1937م، توفي سنة 1979م. ينظر:

*www.cerclealgerianiste.fr/.../177-l-abbe-**gabriel-lambert**-1900-1979*

[2] J. Garry, ANOM. 8CAB/163. op. cit.

القنصلية الاسبانية من جديد، أُعطيت تعليمات للمواطنين برفع الأعلام الفرنسية والاسبانية معا، وذلك كرد فعل على معارضة حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية لفرانكو[1]، وتفاعل مع الأمر الفرنسيون الأصليون أكثر من الاسبان أنفسهم، لأنهم كانوا في الغالب من الطبقة العاملة في وهران، وبالتالي مع الجمهوريين المنهزمين، وجرت نفس العملية بالقنصلية الاسبانية بسيدي بلعباس.

7. تداعيات الحرب الأهلية الاسبانية على الجزائر:

بعد اندلاع الحرب الأهلية الاسبانية، انقسم الاسبان إلى مجموعتين؛ المجموعة الفقيرة المقيمة في ضواحي المدن والمشكّلة من هؤلاء الذين قدموا في الغالب منذ فترة قصيرة، حيث تحمسوا كثيرا لانتصار حكومة الجبهة الشعبية الجمهورية لأنهم كانوا من الطبقة العاملة، في حين انحاز المعمرون الفرنسيون من أصول اسبانية مع الحزب الوطني الفالانجي[2] الذي كان يتزعمه الجنرال فرانكو، خاصة عندما تبين لهم بأن تلك الحرب كانت تمثّل صراع الطبقات، ولذلك كانت سيدي بلعباس وضواحيها قبلة الفرانكويين، بتأطير من لامبار رئيس

[1] فرانكو Francisco Franco: جنرال ورجل سياسي اسباني من مواليد سنة 1892م، دخل الأكاديمية العسكرية سنة 1907م، شارك في قمع ثورة الريف بالمغرب الأقصى سنة 1926م، عين حاكما عسكريا على جزر البليار الاسبانية سنة 1932م، وبعد عودة اليمين الى الحكم سنة 1933م أعيد الى مدريد ورقي الى رتبة جنرال في السنة الموالية. بد قضائه على ثورة (أستورياس) بشمال اسبانيا (1934م) عين قائدا للقوات المسلحة الاسبانية بالمغرب، أبعد من جديد إلى جزر الكناري بعد وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم سنة 1936م. بعد نهاية الحرب الأهلية الاسبانية أصبح الرجل الأول في البلاد ورئيس الحزب الفالانجي إلى غاية وفاته سنة 1975م. ينظر:

Encyclopédie-Noms communs- Noms propres, Editions Alpha, 1996, p. 536.

[2] الحزب الفلانجي (Phalange Espagnole) : تجمع سياسي اسباني أسسه بمدريد خوسي أنطونيو بريمو دي ريفيرا سنة 1933م، ذا توجهات فاشية، ثم انصهر سنة 1937م مع المحافظين ومختلف أحزاب اليمين في اسبانيا، وأصبح الحزب الوحيد في البلاد بقيادة الجنرال فرانكو الى غاية سنة 1975. ينظر:

www.larousse.fr/encyclopedie/divers/phalange_espagnole/137894.

بلدية وهران، الذي كان يسعى من خلال ذلك إلى ضرب الحكومة الفرنسية التي جاءت بمشروع بلوم فيوليت الذي كان يشكّل بالنسبة له خطورة، رغم أنه لم يخص إلاّ فئة قليلة من الجزائريين، في حين كان سكان مدينة وهران والضواحي خلف القنصل العام الاسباني الذي كان يمثّل الحكومة الجمهورية، وهي المعطيات التي انتهزتها البعثات الديبلوماسية الإسبانية لتجنيد أكبر عدد ممكن منهم للتطوع نصرة للجمهورية.

إن الاستجابة كانت ضعيفة وعدد قليل من العمال غادر عمله لأجل القضية الجمهورية؛ لأن الوثائق لم تتحدث الاّ على خمسة عشر اسبانيا تطوعوا للمشاركة مع القوات الحكومية في تلك الحرب من بينهم ثلاثة قصر غادروا الجزائر بتسريح من أوليائهم[1]، كما أشارت التقارير الأمنية لعمالة الجزائر إلى قيام عدّة أشخاص بتحضير قوائم لمتطوعين في صفوف الحكومة الاسبانية بإيعاز من القنصلية الاسبانية لأنها هي من كانت تجهز جوازات سفر لهم[2]، كما أشارت نفس التقارير الى مشاركة أوربيين من أصول فرنسية من الجزائر في صفوف الجمهوريين، إلاّ أنهم فضلوا العودة إلى المستعمرة سنة 1937م، وأخضعتهم الإدارة الاستعمارية إلى الرقابة ظنا منها أنهم عادوا لتجنيد رعايا اسبان.

كما اتخذت مساعدة الاسبان للجمهورية عدّة أشكال ومن بينها جمع المساعدات الغذائية والألبسة، وكانت أشهر عملية تمت في هذا الاتجاه خلال سنة 1838م، والتي أشرف عليها الاتحاد الولائي للنقابات بعمالة وهران، والتي

[1] Le commissaire de la sureté départementale, service de la police des chemins de fers et ports à monsieur le chef de la sureté départementale, Alger le 21 février 1937. ANOM. Département d’Alger, Série 1F, Carton 1F/410.

[2] Le préfet d’Alger à monsieur le gouverneur général de l’Algérie (Direction de la sécurité générale), le 5 février 1937, ANOM. Département d’Alger, Série 1F, Carton 1F/410.

أثمرت على جمع 300 قنطار من مختلف المواد، وزّعت على أربعة عشر شاحنة[1]، وقد قامت جريدة (*Oran Républicain*) بالتشهير لها في أعدادها ل 29 مارس الى غاية 1 أفريل، وذلك بهدف استغلال الحدث لإثارة المزيد من الحماس لدى الجالية الإسبانية دعما للجمهورية، حيث أعلنت الجريدة في تلك الأعداد إلى دعوة الاسبان بالخصوص إلى مرافقة تلك القافلة من المساعدات إلى ميناء وهران بتاريخ 2 أفريل من أجل ختم المجهود بتجمع كبير لهم. الاّ أن والي الولاية كان له رأي آخر، حيث استدعى المسؤولين عن العملية وهدّدهم بمنع شّحن تلك المواد ما لم يتم التراجع عن حشد الاسبان بالميناء[2]، الأمر الذي لقي استجابة وتم الاجتماع مساءا في إحدى القاعات المغلقة، والذي حضره 2000 شخص.

أما ميسوري الحال من سكان وهران فقد تخصصوا في تلك الفترة في تهريب السلع إلى الوطنيين عبر المغرب أو عبر طرق أخرى، خاصة السلع التي تكدّست في المستعمرة بسبب تلك الحرب، وبذلك كانوا يدعمون فرانكو ومن جهة ثانية يصرفون سلعهم المكدّسة، كما سجلت مصالح الأمن لولاية الجزائر محاولات بعض الاسبان لتجنيد بعض الرعايا من مدينة الجزائر في صفوف قوات الجنرال فرانكو[3]، والتي لم تكن تنتهي بنتائج في الغالب من الطرفين لأن الإدارة الاستعمارية كانت تراقب العملية جيدا، وأشارت تقارير شرطتها أن الاسبان الذين ساندوا الجنرال فرانكو لم يكونوا من المعمرين الأثرياء بالضرورة، وإنما حتى من فئات اجتماعية متوسطة لأسباب فكرية ذات صلة بازدرائهم للفكر الشيوعي[4].

---

[1] Oran Républicain du 30 mars 1938.

[2] Le préfet du département d'Oran à monsieur le gouverneur général de l'Algérie (Cabinet), le 2 avril 1938, ANOM. GGA. 7CAB/8.

[3] Commissaire divisionnaire chef de la sureté départementale d'Alger à monsieur le préfet, le 15 juin 1937, ANOM. Département d'Alger, Série 1F, Carton 1F/410.

[4] Le commissaire chef de brigade de surveillance du territoire à monsieur le contrôleur général de territoire, Alger le 24 septembre 1938. ANOM, ibid.

من نتائج الحرب الأهلية أيضا توافد عدد كبير من الجمهوريين الاسبان إلى الجزائر، وتعاطف كبير للجالية الاسبانية المتواجدة بها من الفئتين مع هؤلاء البؤساء القادمين من اسبانيا، وكان لهم بعض الاحتكاك معهم، رغم أن السلطات الاستعمارية اتخذت عدّة إجراءات لمنع ذلك.

8 – الجمهوريون الاسبان بالجزائر سنة 1939م:

رغم أن هجرات الاسبان السياسية نحو الجزائر كانت قليلة إلا أنها كانت مؤثّرة على الجالية الاسبانية في وهران بالخصوص؛ لأنها كانت تتشكّل من تيارات سياسية مختلفة حركت نوعا ما الحس السياسي لدى الاسبان في الجزائر، ولولا احتجاز معظمهم في السجون بطلب من الحكومة الاسبانية بسبب خوفها من تنامي المعارضة في وهران ضد النظام الاسباني ومنعهم من الاحتكاك بالجالية الاسبانية في الجزائر لكان تأثيرهم أكبر.

على غير العادة فقد حصل تنسيق بين الحكومتين الإسبانية والفرنسية بشأن هؤلاء اللاجئين السياسيين، لأنهم كانوا يشكّلون خطرا عليهما، وكانت أول دفعة من اللاّجئين السياسيين الإسبان إلى الجزائر تلك التي شملت مثيري انتفاضة اندلوسيا سنة 1868 و1869م الذين حول منهم 1673 شخصا إلى المستعمرة، حيث وزّعوا على مدينة الجزائر، دلّس، بجاية ووهران، وشكّلوا تيارا معارضا للنظام الاسباني رغم الرقابة بعد أن أُطلق سراحهم في 23 فبراير 1874م بعد أربعين يوما من الحجز[1]، وكانت آخر دفعة من اللاجئين السياسيين الاسبان إلى الجزائر في شهر مارس وأفريل من سنة 1939م.

[1] Jean Jacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**., op. cit., pp. 124.125.

فبعد أن حسمت المعركة عسكريا في اسبانيا في مارس 1939م لصالح القوات الوطنية بقيادة الجنرال فرانكو، تحتّم على المناضلين والمجندين في صفوف الجمهورية مغادرة البلاد خوفا من المتابعة، وإن كان السواد الأعظم منهم فضل العبور إلى فرنسا المجاورة عبر الحدود البرية، فإن عدّة آلاف منهم فضلت التوجه إلى شمال إفريقيا ممن كانوا في الجهة الجنوبية الشرقية للبلاد (فالانس وأليكونت) بالخصوص، والطريق نحو الشرق والشمال باتت مقطوعة عليهم، وبما أن وهران كان بها عدد كبير من الرعايا الاسبان، والقسم الشمالي من المغرب تحت سيطرة حكومة فرانكو الجديدة فقد فضلوا الالتحاق بالجزائر بصفة خاصة.

إن قدوم اللاجئين الاسبان إلى الجزائر بدأ منذ بداية عصيان الجنرال فرانكو على النظام القائم في شهر جويلية 1936م، والذي كانت بدايته من سبتة[1] ومليلية[2] الاسبانيتين، بقي بعضهم في الجزائر، في حين فضل آخرون العودة لدعم الجمهوريين، كما التحق بوهران 111 لاجئ في ماي 1937م قادمين من القسم الاسباني للمغرب. ومنذ سنة 1938م بدأ مجيئهم إلى الجزائر يأخذ بعدا أكبر، عبر استعمال وسائل نقل مختلفة وبصفة غير رسمية هروبا من أعين الجمارك وحرس السواحل، ولذلك تعذّر معرفة عددهم الحقيقي في تلك المرحلة.

التحقت بالجزائر سنة 1939م موجتين من اللاجئين الاسبان، البداية كانت بتاريخ 16 فبراير بسفينتين على متنهما 24 لاجئ، ثم ستّة لاجئين آخرين يوم 22

---

[1] سبتة: مدينة تقع في شمال مدينة تيطوان المغربية، مقابلة لمضيق جبل طارق، احتلها البرتغاليون سنة 1415م، ثم الاسبان سنة 1640م، ولا تزال اسبانية حتى اليوم. ينظر:

www.larousse.fr/encyclopedie/ville/ceuta/112446.

[2] مليلية: مدينة تقع الى شمال غرب المدينتين المغربيتين وجدة وبركان، هي تابعة للتاج الاسباني منذ سنة 1497م. ينظر:

www.larousse.fr/encyclopedie/ville/melilla/126673.

فبراير وصلوا على متن طائرتين، كما وصل إلى وهران بتاريخ 25 فبراير 44 لاجئا غادروا اسبانيا على متن سفينة شحن إنجليزية.

شملت هذه الموجة الأولى عددا قليلا ممن هاجروا بسبب الأزمة السياسية داخل صفوف الجمهوريين، ولكن منذ 28 مارس1939م تاريخ سقوط مدريد بيد الوطنيين آخر معاقل الجمهوريين وتأكد الهزيمة، بدأ عدد اللاجئين في الارتفاع ليبلغ ذروته يوم 19 مارس 1939م.[1]

جاء هؤلاء اللاجئون المتكونين من مقاتلين، إداريين ومناضلين، في شكل مجموعات على متن سفن تجارية، أوصلتهم إلى ميناء وهران الأقرب إليهم، في حين جاء عدد آخر فرادى أو في شكل عائلات، بعضهم استقبلهم أقارب لهم والبعض الآخر استقروا في البلاد بإمكانياتهم الخاصة، أما العدد الكبير منهم فقد تم اقتيادهم إلى مراكز جماعية ومخيمات أقيمت في عجالة، كانت تسير وفق تعليمات من الإدارة الاستعمارية بباريس.

كانت التّعليمات السياسة الأولى تنص على تحويل كل السفن الحاملة للاجئين الاسبان من الجزائر إلى الميتروبول، الا أن تلك التعليمات لم تطبق[2]، وطُلب من الإدارة تجميع هؤلاء اللاجئين في وهران ظرفيا قبل تحويلهم إلى أماكن أخرى.

ولكن أمام السيل الجارف لهؤلاء اللاجئين منذ بداية سنة 1939م ، قررت الحكومة العامة منع رسو السفن المقلّة لهم بميناء وهران، بحجة أنهم لا يتوفرون على جوازات سفر قانونية وبالتالي لا يملكون تأشيرات من السلطات الفرنسية،

---

[1] العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص. 87.

[2] قد يكون ذلك سبب العدد الهائل من اللاجئين الاسبان، الذي التحق بفرنسا عبر الحدود بين البلدين، والذي فاق 500 ألف نسمة سنة 1939م.

بالرغم من أن وزير الخارجية الفرنسي تلقّى بتارخ 9 سبتمبر 1937م رسالة من عصبة الأمم تذكّره فيها بضرورة رعاية وحماية اللاجئين حسب القوانين الدولية لعصبة الأمم، كما تلقى وزير الداخلية الفرنسي نسخة منها، وقام بإعلام الحاكم العام للجزائر بمضمونها حسب الرسالة التي أرسلها إليه بتاريخ 18 نوفمبر 1938م[1]، و نتيجة لتلك التعليمات المفروضة من قبل الإدارة ، فقد ترك اللاجئون على متن السفن، أو عزلوا ظرفيا في المرافئ لنحو شهر من الزمن قبل أن يتم تحويلهم إلى مراكز الاحتجاز للفئات العسكرية والسياسية منهم، ومخيمات للإيواء بالنسبة للعائلات.

استقبلت عمالة وهران اللاجئين في أربعة مخيمات هي مدينة بني صاف، المخيم الصيفي بعيون الترك وآخر بشارع تونس بقلب وهران، وبسجن المدينة القديم. وقامت السلطات الاستعمارية بإخلاء كل تلك المراكز في شهر جويلية 1939م، باستثناء السجن المدني القديم بالمدينة الذي تأجل إخلاؤه إلى الشتاء.

أما في عمالة الجزائر فقد تم استقبالهم برأس ماتيفو بمدينة الجزائر بالنسبة للأطفال، واوليانفيل (الشلف حاليا) في كل من ثكنة بارتزان (*Berthazène*) وسط المدينة، التي استعادت مهمتها الأولى منذ شهر جويلية 1939م، وبمخيم التجميع العائلي بكارنو (العبادية حاليا) ، ليضاف إليهما بداية من شهر ماي مخيم موليار (*Molière*) ببني هندل على جبال الونشريس، الذي أخلي نهاية سنة 1939م. ورغم أن هذه المخيمات اعتبرت مخيمات للإيواء العائلي إلا

[1] العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص. 57

أنها كانت تسير وفق نظام عسكري، وتحت حراسة مشددة، حسب ما ذكره ميغال مارتيناز لوباز[1]، الذي كان محتجزا وعائلته بمخيم كارنو[2].

أما العناصر الأخرى من الجنود وقوات اللفيف الأجنبي فقد قرر الحاكم العام اقتيادهم الى مراكز للحجز نزولا عند رغبة الميتروبول، حيث تم إبعادهم بسبب الخطر المحتمل الذي كانوا يشكلونه على الإدارة و المجتمع في آن واحد[3] ، حيث نظر إليهم على أنهم مصدر خطر على الأمن الاجتماعي، وخطر على استيعاب واندماج المتجنسين من أصول اسبانية، لأنهم قد يتسببون في إعادة إحياء الحس الوطني الاسباني لديهم. وورد هذا التخوف في رسالة بعث بها والي وهران إلى والي الجزائر[4]، كما وصفتهم مراسلات أخرى بالفوضويين الذين لا قيمة لهم[5]، ولذلك أقيمت كل المراكز والمخيمات في المناطق الداخلية، بعيدا عن التجمعات السكانية الكبرى المتواجدة بالمناطق الساحلية.

أقيمت العناصر العسكرية المشاركة في الحرب الاسبانية من الجيش الجمهوري والألوية العالمية في مخيمي موران (*Morin*) وسيزوني (*Suzzoni*) بالمدية، أما العناصر الأكثر خطورة فقد أبعدت إلى الصحراء بمخيمات الجلفة،

---

[1] Miguel Martinez Lopez، أحلّ بالجزائر مع والديه واخته في مارس 1939م، وكان عمره حينئذ 6 سنوات، اقتيد الى مخيم كارنو(Carnot) ، العبادية بعين الدفلى حاليا، الى غاية نهاية سنة 1943م، تحصل على الجنسية الفرنسية، وبقي في الجزائر حتى سنة 1965م حيث كان معلّما في إحدى مدارس مدينة الجزائر، بالإضافة الى كتابه (Casbah d'oubli)، فقد خصني بعدة شهادات قيمة، توفي في 30 جوان 2014م.

[2] العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص.66.

[3] Denis Peschanski, « **L'internement massif des républicains espagnols** », in : La Seconde république espagnole en exil en France (1939-1977), sous la direction de Bruno Vergas, Presses Universitaires de Champion, Albi, 2008. P.17.24.

[4] Le Préfet d'Oran au préfet d'Alger, le 14 avril 1939. ANOM. GGA. 4cab.10.

[5] ANOM, Alger F 65, administrateur adjoint Jacquot au préfet d'Alger, le 15/12/1939.

بشار، حجرة مقل[1] وجنان بورزق[2]، أما مخيم شرشال فخصص للطبقة المثقفة والغير قادرة على العمل، وهو المركز الوحيد الذي أقيم على الساحل.

وصل مجموع عدد اللاجئين حسب الوثائق إلى 7995 شخص[3]، حسب رسالة من الأمين العام للحكومة، إلى مدير مكتب الحاكم العام[4]. وكان وصولهم إلى الجزائر على النحو التالي[5]:

العمالة	**قبل 25 جوان 1940**	**بعد 25 جوان 1940م**
الجزائر	2334	
وهران	5498	138
قسنطينة	20	5
المجموع	**7852**	**143**

إلا أن عددهم الحقيقي فاق العشرة آلاف شخص، بحكم أن عددا كبيرا منهم جاء بطريقة غير شرعية وبالتالي كانوا خارجين عن كل إحصاء إداري رسمي.

تم احتجاز هؤلاء اللاجئين في ظروف قاسية وصعبة، بالإضافة إلى الأعمال الشاقة التي كانت مفروضة عليهم بمخيمات المدية والصحراء؛ في المناجم وفي خط السكة الحديدية العابر للصحراء، ولذلك فر الكثير منهم بحثا

---

[1] حجرة مقل: تقع بين عين الصفراء وبني ونيف.

[2] جنان بورزق: يقع بين عين الصفراء وبشار.

[3] تجب الاشارة الى أن الدراسات التاريخية التي اهتمت بموضوع اللاجئين الاسبان إلى الجزائر من الجمهوريين أوردت أرقاما تراوحت بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفا.

[4] Le secrétaire général du gouvernement au directeur du cabinet du gouverneur général Châtel, le 23/09/1941, ANOM. 7CAB/8.

[5] Anne Dulphy, « **Les Réfugiés Espagnols en Algérie : Les camps oubliés** », in : La Seconde république espagnole en exil en France, 1939-1977, sous la direction de Bruno Vergas, Presses Universitaires de Champion, Albi, 2008, pp. 233-248

عن ظروف أحسن، حيث بلغ عدد الفارين من مخيم (سيزوني) بالمدية 264 لاجئ[1]، وعدد آخر من مخيم بشار، كما شهد مركز شرشال حالات فرار أيضا رغم أن ظروف الاحتجاز به كانت أحسن، ولم تتمكن قوات الشرطة من إلقاء القبض إلاّ على اثنين من الفارين فقط[2]، لأنهم كانوا يذوبون وسط الجالية الاسبانية بكل يسر.

لم يكن هؤلاء الفارون يرغبون في العودة الى اسبانيا التي يحكمها فرانكو، رغم أن الحكومة الاسبانية شجعتهم على العودة خوفا من انضمامهم إلى صفوف الجيش الفرنسي، ولكن لم يلق ذلك التشجيع استجابة كبيرة، باستثناء 200 حالة من مخيم الجلفة، طلبت العودة في أوت 1941م بسبب القسوة والوحشية، و603 آخرون غادروا الجزائر بين شهر أوت 1939، وجوان 1940[3]، باتجاه الاتحاد السوفياتي بطلب من قنصل هذا البلد، أو نحو دول أمريكا الجنوبية وخاصة الباراغواي والمكسيك، قبل أن تمنع السلطات الفرنسية ذهابهم بسبب حاجتها لليد العاملة بعد غزو الجيش الألماني لأراضيها سنة 1940م.

أما البقية ممن كان خارج المعتقلات من الشيوعيين بالخصوص، فكانت لهم بعض المحاولات لتدعيم حرب العصابات في إسبانيا وإيجاد قناة إذاعية لذلك الغرض، إلا ان الشرطة الفرنسية ومصالح القنصلية الاسبانية كانا يراقبان الوضع ويتبادلان المعطيات لإفشال كل محاولة.

---

[1] Anne Dulphy, « **Les Réfugiés Espagnols en Algérie : Les camps oubliés** » op. cit.

[2] Jacques Cantier, **« les camps d'internement dans l'Algérie de Vichy »**, in : La Seconde république espagnole en exil en France, 1939-1977, sous la direction de Bruno Vergas, Presses Universitaires de Champion, Albi, 2008, p.49.

[3] Anne Dulphy, « **État colonial et minorité nationale : migration et exil républicain espagnols en Algérie (1936-1954)**, in : Les Administrations coloniales XIXe - XXe siècles, Presses Universitaires de Rennes, 2009.pp. 193-209.

وبعد مجيء الماريشال بيتان (*Pétain*)[1] إلى السلطة، ازداد التخوف من العناصر الجمهورية، خاصة من أولئك الذين كانوا يعيشون لدى العائلات، وهؤلاء الفارين الذين كانوا يجوبون شوارع وهران بكل حرية، وهم من الحزب الشيوعي (*P.C.E*) أو الفيدرالية الفوضوية الايبيرية (*F.A.I*)، وازداد ذلك التخوف في مرحلة الحملة الدعائية التي شنها النظام الاسباني لضم وهران، لأن درايتهم بالنظام العسكري وبالسلاح كانت كبيرة.

بعد إنزال الحلفاء بالجزائر في 8 نوفمبر 1942م، تم غلق كل تلك المراكز، وأطلق سراح كل اللاجئين الاسبان منذ منتصف سنة 1943م، وحسب الإدارة العامة فإن عدد اللاجئين الذين بقوا بالجزائر بعد تلك السنة هو 6600 لاجئ، أحصي منهم 3700 شخص إلى غاية سنة 1948م في محافظة وهران فقط.

قبل تحرير فرنسا كانت تحركات اللاجئين مراقبة من قبل الادارة الاستعمارية في وهران بالخصوص، فلم تكن تسمح لهم بالتجمعات والاجتماعات، ولم تسمح

---

[1] فيليب بيتان (Philippe Pétain) 1856–1951م: ماريشال عسكري وسياسي فرنسي، هو من أبرز شخصيات فرنسا في القرن العشرين، تولى عدة مهام عسكرية وسياسية، كان أستاذا بالمدرسة الحربية مابين سنتي 1901 و1910م، وفي هذه المدرسة أشتهر بتركيزه على الأكيد على أهمية قوة نيران المدفعية الحربية وطبق هذه النظرية في معركة فردان سنة 1916م ضد الألمان.

وأثناء الحرب العالمية الأولى 1914–1918م، تولى قيادة القوات الفرنسية، و كُلف سنة 1925م بمهمة القضاء على ثورة الريف بالمغرب الأقصى، أسندت له وزارة الحربية عام 1934م، ثم سفيرا في اسبانيا سنة 1939م ليستدعي إلي الحكومة في ماي من العام 1940م كلف برئاسة الحكومة في السادس عشر جوان من نفس السنة ليوقع في الثاني والعشرين من نفس الشهر والسنة على وثيقة استسلام بلاده لألمانيا، ويمنح عن طريق البرلمان سلطة تسيير فرنسا المحتلة، وكان عمره إذاك أربع وثمانون سنة، رحله الألمان معهم في العشرين أوت 1944 غداة دخول قوات الحلفاء إلى فرنسا، التي عاد إليها في أفريل 1945م، حيث قدم للقضاء، الذي حكم عليه بالإعدام، ثم خفف الحكم إلى السجن المؤبد، وعاش ما تبقى له من العمر منفيا في إحدى الجزر الفرنسية. ينظر:

- **Le petit LAROUSSE (grand format)**, Ed. Larousse, Belgique, p. 1589.

لهم بالتعبير عن آرائهم لا في الصحف ولا عبر الملصقات، وكان يسمح فقط بالاجتماعات ذات الطابع الخاص قبل أن يمنع قبل محافظ الشؤون الخارجية كل تجمعاتهم.

أما بعد تحرير فرنسا سنة 1944م، استمر منع الإدارة الاستعمارية لصحفهم، كما أنها لم تعترف بأحزابهم السياسية التي كانت على شاكلة الأحزاب التي كانت في اسبانيا زمن الجمهورية، وكانت الإدارة تتبنى نشاطات اسبانية تحت غطاء فرنسي وذلك في محاولة منها لإيقاف أي تقارب بين هؤلاء اللاّجئين السياسيين، والمهاجرين الاقتصاديين من الاسبان المقيمين في الجزائر [1].

وقد فضحت التّحقيقات التي جرت سنة 1944م التجاوزات الخطيرة المرتكبة في حق اللاجئين، في مخيمات الجلفة، حجرة مقل وجنان بورزق؛ ففي هذا الأخير كان قائد المخيم يترك المحجوزين يموتون بسبب غياب العلاج، أما في مخيم حجرة مقل الذي كان مخصصا للعمال الأجانب، " فالتعذيب والإذلال كانا يوميا؛ فلم يكن اللاجئون يعاملون كالبشر بل أقل من ذلك، وكان الجوع يدفع بهم إلى أكل أي شيء، مما تسبب في انتشار أمراض خطيرة بينهم. ورغم ضعف العديد جسديا إلاّ أنهم كانوا يجبرون على العمل الشاق، وكان الحراس بهراواتهم يضربونهم فوق كل ذلك من أجل الضرب فقط وليس لسبب آخر" [2]. وانتهت المحاكمات التي جرت بالعاصمة شهر فبراير 1944م، بعدّة أحكام تراوحت بين الإعدام، السجن المؤبد والسجن لسنوات.

---

[1] ANOM. Alger 4L/ 64

[2] Jacques Cantier, « **les camps d'internement dans l'Algérie de Vichy** »,in : Sables d'exil : Les républicains espagnols dans les camps d'internement au Maghreb (1939-1945), Editions Mare Nostrum, Perpignan, 2009, pp. 37-53.

لم يكن ذلك الإجراء القانوني، يعني رضى الادارة الاستعمارية عنهم، رغم أن بعض المسؤولين كانوا يمنعون بعض نشاطاتهم الثقافية التي كانت تقام بمدينة الجزائر بالخصوص وباللغة الفرنسية التي أجبروا على تعلّمها وهم في المخيمات[1]، إلا أن الإدارة الاستعمارية في ذات الوقت كانت تبعد عن الجزائر كل من تصدر منه تصرفات معادية لفرنسا، وذلك منذ بداية سنة 1943م، مما يعني ان كل حركاتهم كانت مرصودة من قبل قوات الأمن الاستعمارية، وحتى نادي قارسيا لوركا بالعاصمة، والذي كان له دور ثقافي خضع بدوره لرقابة شديدة منذ 1946م، حسب تعليمة من الحكومة العامة بتاريخ 9 ينايرمن السنة ذاتها[2]، وكان الهدف من ذلك هو منعهم من التوغل الى عمق المجتمع الاسباني المتجنس، لتلافي انخفاض الشعور الفرنسي لديهم، وكل من كان مصدر إلهام لوطنيتهم الأصلية كان مصيره الطرد من الجزائر، ومع ذلك أشار تقرير أمني بتاريخ 14 أفريل 1943م الى أن حضور أعلام الجمهورية كان قويا ليلة 13 الى 14أفريل 1944م ، حيث علّقت لافتة كبيرة على جدار القنصلية الاسبانية في وهران ، كتبت عليها عبارة: " تحيا الجمهورية الاسبانية ، الموت لفرانكو "[3].

استمرت الرقابة على النشاطات السياسية والإعلامية للجمهوريين إلى غاية صدور مرسوم 7 سبتمبر 1950م الذي منع كل الأحزاب والمنشورات الخاصة باللاجئين الاسبان في الجزائر.

---

[1] Miguel Martinez Lopez, **Casbah d'oubli : l'Exil des réfugiés politiques Espagnols en Algérie (1939-1962),** Editions l'Harmattan, 2004, p. 28.

[2] ANOM. GGA, 14 CAB/ 96.

[3] ANOM. Département d'Oran, dossier 3094.

9 وضعية الأجانب في الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية:

تغيرت ملامح الجزائر البشرية مع بداية ثلاثينات القرن العشرين، حيث انهال على الأوربيين الأجانب سيل من القوانين التي استهدفت فرنستهم منذ 1865 إلى غاية قانون 1929م، الذي لم يترك أي مجال للمولودين في الجزائر من أصول أوربية للتهرب منها، وذلك ما أثر على تلك المجموعات، التي بدأ عددها في التراجع النهائي، بسبب التحولات السياسية والاقتصادية المحلية والدولية، فالإيطاليون لم يعد يسمح النظام الجديد بسفرهم إلى الجزائر، وإن حصل ذلك فكان لغرض سياسي واضح، لأن موسوليني كان يرغب أيضا في ضم عنابة إلى ممتلكات إيطاليا، ذات التركيز البشري الإيطالي الكبير، ولسنا ندري إن كانت تلك الفكرة سابقة لانهزام فرنسا في جوان 1940م، أم أنها برزت مع توسعات النظام الفاشي في إفريقيا منذ ثلاثينات القرن 20م، وأن الانهزام الفرنسي أمام ألمانيا، والحملة الاسبانية المطالبة بضم وهران هما من ساهما في طفو الفكرة إلى السطح. أما الاسبان الذي شهدت بلادهم تحولا سياسيا كبيرا بوصول الجبهة الشعبية الى الحكم، فلم يعودوا يرغبون في الهجرة خاصة بعد وعود الحكومة الجديدة بتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف، التي كانت تشكل مصدر هام للهجرة إلى الخارج، أما بعد اندلاع الحرب الأهلية المدمرة، فقد توقفت الهجرة بقرارات رسمية الى الجزائر، بل نسجل موجة للهجرة العكسية من وهران بالخصوص باتجاه اسبانيا لمساندة الجمهورية التي كانت تعيش سنواتها الأخيرة، أما المالطيين فقد أحجموا عن القدوم إلى الجزائر، كما سبقت الإشارة إلى ذلك منذ أواخر القرن 19م. ووصل حجم العناصر الأوربية بالجزائر خلال ثلاثينات القرن 20م إلى ما يلي:

العناصر البشرية	1931	1936	حجم الزيادة	النسبة%
الفرنسيين	734353	853209	+ 118856	%16.1 +
الاسبان	109098	91942	17156	%15.6
الإيطاليين	26090	20929	5161	%19.8
المالطيين	3702	2976	826	%22.3
عناصر أخرى	8341	18196	+ 9855	%54.1 +

(جدول رقم:22). تطور العناصر الأوربية بالجزائر بين 1931-1936م[1].

يتضح من خلال الجدول جليا، بأن كل العناصر الأجنبية شهدت تراجعا سنة 1936م مقارنة بإحصاء سنة 1931م، باستثناء العناصر الأجنبية الأخرى التي كانت تشكل مجموعات صغيرة من عدة جنسيات، خاصة من دول أوربا الشرقية كبولونيا واليونان والتي استقدمت للعمل من قبل شركات خاصة؛ ولذلك لم يعد هؤلاء الأجانب وخاصة الاسبان، الذين تفوّقوا حتى على الفرنسيين عدديا خلال فترتين 1846 و1891م، يتزايدون عدديا حتى من خلال الزيادات الطبيعية، لأنها كانت بحكم قوانين التجنيس تصب آليا في فئة الفرنسيين، وبالتالي قطعت بذلك كل السبل على الأجانب في التزايد بالجزائر، وفي نفس الوقت كان كلما ارتفعت نسبة المتجنسين الاسبان في وهران كلّما تراجعت نسبة الفرنسيين الأصليين بالعمالة حيث كان عدد الفرنسيين الأصليين بها يشكّل نسبة

[1] René Hoffherr et Lucien Paye, « **Evolution du peuplement en Afrique du nord** », Congrès international de la population, Paris, 1937, tome VI : Démographie de la France d'Outre –Mer, Editions Hermann et Cie, Paris, 1938, pp.3-10.

31,6 % سنة 1906م، لتتراجع تلك النسبة سنة 1911 الى 26,7 %، وهو ما يعني أن وهران كانت المدينة الأقل فرنسية رغم كونها الأكثر أوربية[1].

ومع ذلك يبقى الشيء الأكيد، هو أن كل من الاسبان والايطاليين كانت لهم بصمات عرقية وثقافية عجزت الإدارة الاستعمارية عن طمسها؛ فهي أرادت أن تمنح الأجانب قلبا فرنسيا خارج فرنسا، عبر فرض اللغة الفرنسية وكل التقاليد المرتبطة بذلك عن طريق المدرسة، التي كانت مهمتها تتمثل في تعليم الأجانب آداب اللياقة، اللغة، السلوكيات الفرنسية ومصاحبة الزملاء الفرنسيين من التلاميذ، وعن طريق الخدمة العسكرية التي أوكلت اليها مهمة تعليمهم حب اللباس العسكري الفرنسي، وسلوكيات الجندي الفرنسي وحب زملائه الفرنسيين من الجنود[2]، ومع ذلك فبغض النظر عن الأرقام التي تغيرت بقرارات إدارية، فإن العناصر الفرنسية كانت تبدو كفسيفساء غير متجانسة، وهو أمر كان ظاهر للجميع كما سيأتي في الفصل الخامس من البحث.

10 تأثير ظهور الفاشية في إيطاليا على بعث الوطنية لدى الإيطاليين بالجزائر:

تأثرت الجالية الايطالية في الجزائر كثيرا بالعراقيل الادارية التي استهدفت نشاطاتهم الاقتصادية، وبقوانين التجنيس الكثيرة التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية، إلى درجة أن الكثير من عناصرها ذابوا إداريا في المجتمع الكولينيالي الفرنسي، وثقافيا أيضا لأنها فقدت بعض خصوصياتها كاللغة وبعض العادات، ولم يبق على الجنسية الايطالية إلاّ القليل.

ولكن ما أن تمكّن النظام الفاشي من السيطرة على الحكم في ايطاليا سنة 1922م، حتى بدأت تداعياته تصل إلى الجزائر عبر استهدافه للإيطاليين وحتى

---

[1] Jean- Jacques Jordi, **Les Espagnols en Oranie**, op. cit., p. 32.

[2] Gaston Loth, op. cit., p. 451.

المتجنسين من أصول إيطالية، ولقد رفع النظام الفاشي الجديد شعار "إيطالية للإيطاليين من داخل وخارج البلاد"، ولذلك الغرض ألحقت بالمنزل الإيطالي (*la Maison Italienne*) بالجزائر منذ بداية الثلاثينات عدة أجهزة هي:

- الحزب الوطني الفاشي؛
- الغرفة التجارية الإيطالية؛
- المدرسة الإيطالية (*dante Alighieri*) بالعاصمة؛
- جمعية قدماء المحاربين الإيطاليين؛
- الاتحاد الرياضي الإيطالي بالعاصمة.

حسب تقرير للأمن الولائي موجه إلى والي الجزائر بتاريخ 31 جويلية 1932م[1]، وهو ما يعني أن جهاز الأمن كان يتتبع تحركات العناصر الإيطالية الرسمية وغير الرسمية بكل جدية.

كما ظهرت بالجزائر جريدة نصف شهرية (*Il Messagero d'Algeri*) بين 1928 الى 1939م، وكان رئيسها (*Frederico Giolli*) وصدر أول عدد لها في شهر مارس 1928م، وإن كان هدفها المعلن هو تقريب الدولتين الجارتين إيطاليا وفرنسا، الا أن هدفها الآخر كان السعي الى الحيلولة دون استيعاب البلد المستقبل للمهاجرين الايطاليين حسب تعليمات من موسوليني[2].

وكانت الجريدة تكتب معظم مقالاتها باللّغة الإيطالية تقدم فيها معلومات مختلفة عن الوطن الأم، وتدعو الايطاليين إلى الدفاع عن إيطاليتهم، والعمل

---

[1] ANOM. 1F/410.

[2] Gerard Crespo et Jean- Jacques Jordi, **Les Espagnols dans l'Algérois, 1830-1914 : Histoire d'une migration**, Edition de l'Atlanthrope, Paris 1991.p.154.

على إقامة حفلات في الجزائر ينشّطها فنانون إيطاليون، كما دعت الجريدة ذاتها إلى جمع التبرعات بالكتب لفتح مكتبة إيطالية بالعاصمة.

كانت مهمة الجريدة أيضا الدعاية للوحدات الفاشية بالخارج بما فيها الجزائر بداية من سنة 1928م، وهي ليست وليدة الصدفة بل هي نتاج نشاط جمعوي مبكّر للمحاربين القدامى في الجزائر، عنابة، قسنطينة، سوق أهراس وعين البنيان وغيرها، وقد نتج عن هذا النشاط الجمعوي والإعلامي ميلاد ثمانية أقسام في كل من العاصمة، وهران، بجاية، قسنطينة، الغزوات، قالمة وسكيكدة[1]، وكانت مهمتها تنظيم الزيارات التي تقوم بها الشخصيات الفاشية الإيطالية إلى الجزائر.

هل كان لهذه النشاطات تأثير على الجالية الإيطالية بالجزائر التي كان يبلغ تعدادها نحو 30000 إيطالي سنة 1930؟

لا يمكن الجزم بتأثير فعال ومباشر لتلك النشاطات على الجالية الإيطالية بالجزائر، لأن عدد الذين عادوا إلى إيطاليا كانوا قلّة، بل استمر توافدهم على الجزائر بشكل فاق عدد العائدين إلى الوطن وهو أمر لم يكن ليحدث لولا موافقة الحزب الفاشي الإيطالي عليه، ولم يسجل رقم سلبي إلا سنة 1936م بعدد 175 شخص[2]؛ مما يعني ان تلك السياسة الفاشية لم تلق صدى كبير، إلى درجة استمرار تهافت الايطاليين على الجنسية الفرنسية، حيث تجنس منهم 2000 شخص سنة 1935م، وهي ذات السنة التي احتفل فيها إيطاليون بوهران بانتصارات بلادهم في الحبشة (أثيوبيا).

لمجابهة تلك المتغيرات تطورت جريدة (*Il Messagero d’Algeri*) شكلا ومضمونا لاستيعاب الوضع، حيث أصبحت تحرر بالإيطالية فحسب، وتخصص

---

[1] Gerard Crespo et Jean- Jacques Jordi, **Les Espagnols dans l’Algérois, 1830-1914** . op. cit., p. 155.
[2] Ibid. p. 156.

صفحتيها الأولى والثانية لنشاط موسوليني السياسي وإلى الفكر الفاشي، كما أنها كانت متحمسة جدا لانتصارات فرانكو في حربه ضد الجمهوريين الاسبان في اسبانيا، والصفحة الثالثة والرابعة كانت تخصص للرياضة ولانتصارات الايطاليين في ليبيا وإثيوبيا، وكذا لزيارة الشخصيات الكبرى لإيطاليا، في حين تركت الصفحة الخامسة فقط للأحداث الجزائر[1].

سعت الحملة الإيطالية إلى تفعيل أكثر لحفلة لابافانا *(la Bafana)* التي كان يحييها الإيطاليون كل سنة في جميع المناطق ذات التواجد الإيطالي، والتي تجمع فيها التبرعات وتوزع الهدايا، وكانت فرصة للتأكيد على المحافظة على الجنسية الإيطالية، بل الانسلاخ عن الجنسية الفرنسية للمتجنسين والعودة إلى الأصل.

لم يخف موسوليني في ذات الوقت دعمه للجنرال فرانكو في اسبانيا، حيث أشارت الوثائق الى أن السلطات الايطالية كانت تقوم في مدينة عنابة بالخصوص بحملة دعائية جد نشيطة بغرض تجننيد رعايا إيطاليين للالتحاق بصفوف قوات الجنرال فرانكو، وقد استهدفت تلك الحملة بالخصوص الإيطاليين العاطلين عن العمل، ولذلك وعدوا بالحصول على مبلغ 3000 ليرة إيطالية نظير تجندهم[2].

كان المتطوعون يلتحقون بالسفارة الايطالية العامة بتونس، حيث يتعرضون لفحص طبي، ثم ينقلون إلى مدينتي جنوة أو البندقية الايطاليتين، ومنهما يتم نقل عدد منهم إلى اسبانيا والعدد المتبقي الى المستعمرة الايطالية بإثيوبيا[3]. وقد

[1] Gerard Crespo et Jean- Jacques Jordi, **Les Espagnols dans l'Algérois, 1830-1914 , op. cit.,** p. 156.

[2] Le Gouverneur général de l'Algérie au Préfet d'Alger le 23 Janvier 1937, ANOM. Département d'Alger, Série 1F, Carton : 1F/410.

[3] ANOM. Département d'Alger, Série 1F, Carton : 1F/410, ibid.

أشارت رسالة أخرى إلى أن القنصلية الايطالية العامة بالجزائر كانت تقوم أيضا بتلك العملية الدعائية بغرض تجنيد رعايا إيطاليين في صفوف القوات الإيطالية في إثيوبيا، وكانت مدّة العقد تتراوح بين أربعة الى خمس سنوات مقابل مبلغ 3000 ليرة إيطالية أيضا، وكان الإيطاليون المهتمون بالعرض المقدّم، ينقلون إلى إيطاليا مباشرة عبر البحر، أو إلى تونس عبر السكك الحديدية، وكانت الحكومة الايطالية تعد الذاهبين إلى إثيوبيا للعمل بمنحهم قطعة أرض بعد انتهاء الأشغال بالمستعمرة الإيطالية، وقد استهدفت الحملة الدعائية الإيطاليين المتخصصين في مد شبكة السكك الحديدية[1].

ومع ذلك لم تشر الوثائق، ولا الدراسات إلى مغادرة بعض الايطاليين للجزائر خلال هذه السنة، باستثناء بعض العناصر التي غادرت المستعمرة باتجاه ليبيا لاستقبال موسوليني عندما حل بها سنة 1937م لتدشين المسرح الروماني بمدينة صدراتة الذي أشرفت إدارته الاستعمارية على ترميمه، كما أشارت جريدة الميساجيرو دالجيري (*Il Messagero d'Algeri*) الى رجوع 314 إيطالي الى البلاد سنة 1939م بعد أن تعرضوا لمضايقات في الجزائر، قد يكون مصدرها عناصر من الجالية الاسبانية الموالية للجمهورية، التي كانت تتابع موقف الجالية الإيطالية من طرفي النزاع في بلادهم من خلال صفحات الجريدة، ولم نعثر في الأرشيف إلاّ على رسالة واحدة من والي الجزائر موجهة الى كل أجهزة الامن بتاريخ 20 أفريل 1939م بشأن تتبع بعض العائدين إلى بلدهم، حيث أعلمهم الوالي بأن أربعة إيطاليين من بينهم امرأة غادروا الجزائر برعاية القنصلية الإيطالية العامة خلال شهر أفريل، بعد ان تحصلوا من القنصلية على تعويض

[1] Le commissaire divisionnaire le chef de la sureté départementale à monsieur le préfet le 4 Avril 1937, ANOM. Département d'Alger, Série 1F, op. cit.

ووعد بعمل في إيطاليا، وتشير ذات الرسالة أن القنصلية الإيطالية العامة تعهدت أيضا بترحيل كل إيطالي يرغب في العودة الى البلاد[1].

ولكن مع كل ذلك، يصر الباحثان كريسبو وجوردي على أن آثار الفاشية على الإيطاليين بالجزائر كانت محدودة، الاّ أننا لاحظنا العكس بعد تصفحنا لبعض تقارير الشرطة الفرنسية بخصوص نشاط الحزب الفاشي بالجزائر، خاصة ذلك الذي استهدف الأطفال الصغار والشبان، حيث نقرأ في رسالة من الحاكم العام الى والي الجزائر بتاريخ 6 جوان 1932م[2]، بشأن الدعاية الفاشية التي كانت تقوم بها الحكومة الإيطالية بالجزائر عن طريق الخدمات المدرسية، ولاسيما حضائر الأطفال الصغار التي أنشأت برعاية نائب القنصل الايطالي، والتي حولت إلى مدرسة ابتدائية لعدم إثارة الشكوك الفرنسية، وكانت تلك السياسة تهدف إلى عرض أشرطة مصورة على الجالية الإيطالية بالجزائر، وقد تحمس نائب القنصل الإيطالي بوهران للفكرة أيضا ووعد بتقديم أموال لتعميم تلك العملية على مدارس إيطالية في كل من بجاية وسكيكدة.

كما استهدفت الدعاية الفاشية أيضا، حسب الرسالة، تنظيم رحلات للأطفال إلى إيطاليا خلال العطل المدرسية، وكلف مدير المدرسة الإيطالية بمدينة الجزائر ييزي لويجي (*yezzi Luigi*) ومدير المدرسة الإيطالية بعنابة قياكولون أكينو (*Giacalone Aquino*) بتأطير تلك الرحلات[3]، وتتبعت مصالح الأمن الفرنسية العملية حيث أشارت رسالة من مسؤول الأمن الولائي إلى والي الجزائر بتاريخ 16 جويلية 1932م بشأن 27 طفل و10 بنات، كانوا يدرسون في المدرسة الإيطالية

[1] ANOM, 1F/410.

[2] ANOM .Département d’Alger, 1F/410.

[3] ANOM .ibid.

بمدينة الجزائر، تم إرسالهم الى مخيم للأطفال بإيطاليا، وهو ما اعتبرته الرسالة نشاطا يدخل ضمن الحملة الفاشية[1].

وقد أشار تقرير آخر من مصالح الأمن ذاتها بتاريخ 18 نوفمبر 1932م، إلى أن نشاط تلك الدعاية الفاشية بالجزائر تنوع ليشمل فتح ورشات لتعليم الرسم والنحت وبعض الحرف كالبناء وذلك بالمدرسة الايطالية بالجزائر، من قبل لجنة تابعة للحزب الفاشي لجلب عنصر الشباب من الإيطاليين في المستعمرة من دون شك، وكلّف شيريبينو (*Cherubino*) بإدارة المدرسة، وكان قد وصل إلى الجزائر بتاريخ 1 ديسمبر 1928م مع عائلته، وكان جندي احتياط في الجيش الإيطالي، ومهندس في ذات الوقت[2]. بالإضافة إلى هذا وذاك فإن لويجي بيزي مدير المدرسة الإيطالية كان مسؤولا سابقا عن الميليشيات الفاشية، وهو من أنشأ بالجزائر منذ سنة 1931م المنظمة الفاشية *(L'organizazione Gioventu Fascista)* لجمع الاطفال بالمدرسة التي كان بشرف على إدارتها. وأختم برسالة أخرى من الحاكم العام الى والي العاصمة، بتاريخ 20 اكتوبر 1931م[3]، بشأن تعيين الحزب الفاشي للنائب الايطالي زينو فارجو (*zeno vergo*) للمجيء إلى الجزائر لتقديم محاضرات إلى الجالية الإيطالية المتواجدة بها، بمناسبة ذكرى المسيرة على روما المصادفة ل28 أكتوبر، ووصل المعني، حسب ذات الرسالة، بتاريخ 25 اكتوبر.

ويبقى الشيء الأكيد هو أن جريدة (*Il Messagero d'Algeri*) حافظت على بقاء واستمرار الحديث باللغة الإيطالية في أوساط كل الإيطاليين في الجزائر منذ 1928م، علما بأنها لم تحرر الاّ باللغة الإيطالية فقط طيلة الفترة الممتدة بين

---

[1] ANOM .Département d'Alger, 1F/410..

[2] op. cit.

[3] Ibid.

1934 إلى 1938م، كما أنها من دون شك ساهمت في توجيه بعض العناصر الايطالية لحضور بعض الفعاليات والنشاطات الإيطالية والتي قد تكون تركت انطباعات لدى بعضهم.

11 المالطيين:

لم يكن في مالطة نظام سياسي وطني يسعى للحفاظ على أبناء الوطن في الخارج، كما كان الشأن في إيطاليا وإسبانيا، ولم يستفد المالطيين أيضا من تجديد لمجموعتهم في الجزائر عبر وافدين جدد منذ نهاية القرن 19م، ولذلك ما انفك عددهم بالجزائر يتراجع بشكل سريع، حيث تناقص من 13986 نسمة سنة 1896م الى 6907 نسمة سنة 1911م، ليستمر ذلك التراجع الى أن وصل الى 3706 نسمة فقط سنة 1931م. ويفسر ذلك التناقص بمساهمتهم بشكل كثيف في تزايد عدد الفرنسيين المتجنسين، وكان ذلك السعي الى الجنسية الفرنسية بهدف الحصول على شرف أداء الخدمة العسكرية، التي لم يكن بإمكانهم القيام بها تحت ظل السيطرة البريطانية[1]، لإخفاء وزن الجنسية الفرنسية الحاسم لدى كل من كان يسعى منهم إلى الارتقاء اجتماعيا في المستعمرة، كما أن المتجنسين منهم من الجيل الثاني، كان لا يمكن التمييز بينهم وبين الفرنسيين إلا من خلال الاسم فقط، وهو ذكاء يبرره طموحهم في الارتقاء وفرض الوجود، في مستعمرة فرض عليهم المستعمر فيها كل أساليب التهميش.

12 بقية الأجانب:

لم يكن بقية الأجانب يشكّلون مجموعة قوية وبارزة منذ بداية الاحتلال، ولذلك فالإحصائيات لم تشر إليهم حسب جنسياتهم وإنما شملتهم في مجموعة

[1] R. Vadala, « **L'émigration maltaise en pays musulman** », in : Revue du monde musulman, Avril 1911, pp. 36 .61.

واحدة على اختلاف جنسياتهم، وأُحصي منهم 8679 نسمة سنة 1931م، وهو ما يعني أن هذه المجموعة لم تكن تمثّل سوى بنسبة 5.85 % من مجموع الأجانب الأوربيين، وكان في مقدمتهم الألمان الذين استقروا على مراحل بالقبة ودالي ابراهيم منذ بداية الاحتلال، ثم في ستيديا بمستغانم، وبنواحي أرزيو وسانت ليوني (المحقن حاليا) بعمالة وهران، إلا أنهم فشلوا تقريبا في كل القرى التي استوطنوها، وتغلّب عليهم العنصر الاسباني بها، ولذلك منهم من رجع إلى ألمانيا، والبقية ذابت في المجتمع الفرنسي قبل نهاية القرن 19م، أما السويسريين، البلجيكيين، واليونانيين، والبولونيين فكانوا أقلية أيضا، ولذلك ذابوا بسرعة في العناصر الأوربية الأخرى، وإن أشارت الإحصائيات الى بعض العناصر منهم عند إحصاء سنة 1954م فذلك لأنهم كانوا من الذين وفدوا على الجزائر في وقت قريب للعمل، وباستثناء السويسريين الأغنياء الذين حافظوا على مؤسساتهم الى غاية بداية الثورة التحريرية[1]، فالعناصر الأخرى فقدت كل مميزاتها مع الزمن.

13 خصوصيات العناصر الأوربية غير الفرنسية::

تميزت العناصر الأوربية التي وفدت على الجزائر عن بعضها البعض بمجموعة من الخصوصيات شملت المستوى الاجتماعي، النشاط الاقتصادي، التمركز الجغرافي على الأرض، بالإضافة الى المستوى الثقافي ومختلف النشاطات ذات الصلة بالانتماء، علاوة عن الطقوس الدينية ومختلف العادات الاجتماعية.

[1] « **Le peuplement européen de l'Algérie** », in Questions nord africaines, 25 mars 1935.

1. 13 الاسبان:

كان الاسبان الذين قدموا الى الجزائر من الفئة البائسة والفقيرة في الغالب، حيث كانوا لا يحملون معهم سوى أطفالهم، فكان عتادهم لا يزيد عن فراش ووعاء للقلي، فأس وبعض الأغطية[1]، ولذلك سميوا بالحلزون لأنهم كانوا يحملون كل عتادهم على ظهورهم.

كانت لهم أكبر نسبة زيادة سكانية بالجزائر وصلت حتى 3.7 % نهاية القرن 19م، في حين لم تتعد لدى الإيطاليين 3.5 % اما عند الفرنسيين فكانت في حدود 2.4 % فقط.

وفي ذات الوقت كانت نسبة الوفيات لديهم هي الأقل بسبب تأقلمهم السهل نظرا لتشابه الظروف الطبيعية إلى حد بعيد مع المنطقة الجنوبية الشرقية لإسبانيا التي كانت الاكثر تمثيلا في الجزائر.

كان الاسبان لا يتزوجون في الغالب إلاّ بإسبانيات بنسبة فاقت 90 % إلى غاية الحرب العالمية الأولى[2]، هجرتهم كانت اقتصادية نتيجة تعفن المناخ الاجتماعي في البلاد، وكانت في الغالب جماعية، كما أنهم كانوا أميين بنسبة 80 % وهي ذات النسبة التي كانت في اسبانيا في المدينة والريف معا، كانوا يمتازون بتنوع ثقافي بسبب تنوع المناطق، شمل ذلك اللهجات اللباس الطبخ ونمط الحياة، وساهمت تلك الأمية التي لازمت الكثير منهم في الجزائر إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية في محافظتهم على جزء من خصوصياتهم المختلفة لأنه لم يكن لهم خيار آخر[3].

---

[1] E. Violard, in : Jean- Jacques- Jordi, op. cit., p. 33.

[2] Jean- Jacques- Jordi, op. cit., p. 42.

[3] Gérard Crespo et Jean- Jacques- Jordi, op. cit., p. 157.

كانوا أقل نفاذية للتأثيرات الخارجية ليس فقط بسبب ضعف مستواهم التعليمي وإنما بسبب تمركزهم في فضاء مكاني جد محدود، وبسبب عددهم الكثير، وتجانس مجتمعهم، وبقائهم على صلة مستمرة ودائمة مع الوطن الأم.

ساهم نجاح بعض الأفراد الاسبان في الجزائر منذ البداية في الحصول على عمل وجلب أسرهم في التأثير على كل العائلة ثم وصل الأمر إلى التأثير على كل القرية في بعض الحالات.

وإذا كان الألمان قد منحوا أرضا في البداية وتخلّوا عنها فإن الاسبان على العكس من ذلك، باستثناء البعض منهم كالماهونيين، لم يستفيدوا من ذلك، بل عملوا في الأرض لفائدة المعمر الفرنسي، بالاستثناء البعض منهم ممن تمكّن بفضل مستواهم المعيشي البسيط من جمع بعض المال وشراء قطعة أرض.

قدّم الاسبان خدمات جليلة للإدارة الاستعمارية بعملهم وبكثرة عددهم، وخلقوا لها في ذات الوقت مشاكل وصعوبات كثيرة، كانت آخرها استعمالهم من قبل الحكومة الاسبانية بعد بداية الحرب العالمية الثانية كورقة للمطالبة بضم وهران، كما سنرى في الفصل الخامس.

جاء الكثير منهم بطريقة غير شرعية (سرية) بسبب القرب الجغرافي، وعلى متن قوارب صيد، كما حصل تماما مع بداية الألفينيات في الجزائر وفي مختلف دول شمال إفريقيا.

كان بينهم وبين اليهود حقد تاريخي كبير، ولكن لا يمكن القاء كل التبعة على التاريخ لان الظروف التاريخية تقاسمها معهم الكثير من المسلمين نهاية القرن 15م، الا أن علاقة الاسبان بهم كانت أحسن.

كان العمال في الغالب يرتدون سروالا عريضا وقميص وحذاء قماشي كان يشترك في لبسه كل الاسبان، ووشاح على الرأس أو قبعة عريضة، استقدموا معهم ألعابهم وخاصة ألعاب الحظ إلى غاية منعها سنة 1852م بسبب أحداث العنف التي اتصلت بها[1].

تخلّى الأثرياء منهم عن لباسهم لفائدة اللباس الفرنسي إلا أنهم احتفظوا بالطبخ الاسباني.

13. 2 الإيطاليين:

اشتهر الإيطاليون بالأخلاق العنيفة، وخاصة الصقلين منهم، حيث كانوا لا يحتكمون إلى أي مؤسسة، كانوا يلجؤون إلى الثأر لأنفسهم ويستعملون الأسلحة البيضاء في كل المناسبات[2]، ولذلك كانوا يحتلّون الريادة في عدد المطرودين من الجزائر إلى غاية بداية القرن 20م، حيث أبعد منهم مثلا 1858 شخص بين 1885 و1890م.

اشتهروا، إلى جانب حرفة الصيد، بإتقانهم لعدة حرف ذات الصلة بقطاع البناء، حيث كانوا يتميزون باحترافية كبيرة في مهنة الآجر، الطلاء والتزيين ونحو ذلك، والكثير منهم أصبحوا مقاولين كبار. كما اشتهر سكان (ميلانو)، (سردينيا) و(صقلية) بصناعة الخشب (براميل الخمر)، بالإضافة الى اهتمامهم الكثير بحرفة الحلاقة والعمل في المقاهي والمطاعم.

[1] Jean- Jacques- Jordi, op. cit., p. 242.
[2] Gaston Loth, op. cit., p. 430.

توغلوا مع بداية القرن 20م الى المدن الداخلية، حيث جلبهم توفر الشغل في مناجم الفوسفات في الإقليم الشرقي (سوق أهراس، قالمة، باتنة بالخصوص)[1] ولكن نتيجة للأزمة التي أصابت هذا القطاع في نهاية العشرينات من القرن 20م فقد عاد منهم الكثير إلى إيطاليا، أما الفلاحة فلم تهتم بها الا فئة قليلة منهم، بعد الانتعاش الكبير الذي عرفته زراعة الكروم في المستعمرة.

وإن كانت حرفة الصيد قد جمعت بينهم في الإقامة والعمل، وبعض الشكليات كاللباس الأزرق والقيراط الذهبي في الأذن، إلاّ أنه لم يكن داخل الجالية الايطالية أي انسجام أو تعايش، حيث ذكر كريسبو بأنهم كانوا يعيشون في مجموعات جهوية، فسكان نابلي لوحدهم، وسردينيا وصقلية لوحدهم وهكذا[2]، وكل تلك المجموعات حافظت على لهجاتها الخاصة.

لم يترك الإيطاليون في الشرق الجزائري الذي استقروا به بكثرة، أي آثار ثقافية بارزة، عكس الاسبان في الغرب الجزائري، وقد يكون لذلك التنافر والتشتت دور في ذلك.

13. 3 خصوصيات المالطيين:

كان المالطيين الذين قدموا إلى الجزائر من طبقة اجتماعية فقيرة جدا، ومع ذلك لم يحسوا بالغربة في الجزائر منذ البداية لأن لغتهم تعتبر خليط بين العربية والإيطالية، استقروا في البداية بالموانئ، وشيئا فشيئا بدأوا ينتشرون داخل البلاد وكانوا يسعون منذ البداية الى الاستقرار النهائي بالجزائر ولذلك كانوا

1- Marcel N. Schweitzer, « **Le peuplement européen de l'Algérie** », in : Question nord-africaine. Revue des problèmes sociaux de l'Algérie et de la Tunisie et du Maroc, Librairie de Recueil Sirey, Paris, juin 1935.

2- Gérard Crespo, op. cit., p. 26.

يغادرون جزرهم من دون التفكير في العودة[1]، ربما لأنهم كانوا العنصر الأوربي الوحيد الذي كان يشهد تواجد قوة أجنبية ببلاده؛ إلاّ أن ذلك لم يمنعهم من التعاون مع الجيش الفرنسي حيث قدّموا عدّة خدمات مع بداية الاحتلال خاصة في مجال الترجمة، وذلك لم يمنع أيضا الفرنسيين من نعتهم بأنهم ليسوا سوى صورة شاحبة للعرب[2].

كانوا فقراء ومتمسكين كثيرا بالديانة المسيحية الكاثوليكية، التي غادر الكثير منهم البلاد نفورا من الطقوس الدينية البريطانية البروتستانتية[3]، ولقد خصهم الكاردينال لافيجري بعناية خاصة حسب فادالا[4].

لم يشكّل المالطيين مجموعة بشرية خاصة بالجزائر وإنما اكتفوا بالاحتماء بالإيطاليين، مما يفسر استقرارهم بأعداد كبيرة في عنابة حيث كانوا يمارسون الصيد أيضا، وكان الإيطاليون بسبب ذلك ينفرون منهم مفضلين الاسبان عنهم[5]، إلاّ أنهم تأثروا بالقوانين الاستعمارية التي استهدفت تلك الحرفة أكثر من الإيطاليين، حيث لم يؤثر فيهم قانون التجنيس الآلي لسنة 1889م، لأن عددهم بدأ في التراجع منتصف ثمانينات القرن 19م، حافظوا على لغتهم وعاداتهم خاصة الطّبخ المحلّي الذي توارثته الفتيات عن الأمهات.

4 .13 خصوصيات الألمان:

ما ميز الألمان عن غيرهم من العناصر الأوربية في الجزائر، هي البنية الفيزيولوجية حيث أن طول القامة لديهم كان يفوق في الغالب 1.80م،

---

[1] Marcel N. Schweitzer, op. cit.

[2] Marc Donato, op. cit., p. 114.

[3] Ibid. p. 59.

[4] R.Vadala, « **L'émigration maltaise en pays musulman »,** op. cit.

[5] Gérard Crespo, op. cit., p. 108.

بالإضافة الى البشرة الرقيقة والحساسة لكل حر وقر، كما أن نمط استهلاكهم الغذائي اختلف تماما عن النمط الغذائي للإسبان والايطاليين مثلا، حيث اهتموا بالأعمال القوية وكانوا يفضلون العيش خارج المدن، كما أن عاداتهم واحتفالاتهم اختلفت عن عادات الشعوب الأوربية المتوسطية، وكانوا يعملون على الاحتفاظ بتلك العادات الخاصة في إطار حياتهم الجديدة بالجزائر، كما أن نمط استهلاكهم انعكس على نشاطاتهم الفلاحية، كزراعة البطاطس، وتربية الخنازير وصناعة الخمور[1].

كما أن سكان شرق ألمانيا (بافاريا، بادوا ورينان) كانوا كاثوليك، وكاثوليكيتهم اختلفت عن كاثوليكية دول أوروبا المتوسطية التي كانت مشبعة بالفولكلور، أما سكان شرق ألمانيا فكانوا بروتستانت، والفئة البروتستانتية لعبت دورا اقتصاديا كبيرا في الجزائر[2].

اهتم الألمان باللغة الفرنسية لتحسين ظروفهم ومكانتهم، وبرز ذلك جليا من خلال الجيل الثاني نتيجة التعليم، وربما كان للظروف السياسية (حرب 1870م) تأثير على تهافتهم على الجنسية ثم الثقافة الفرنسيتين.

أما الصحافة الألمانية التي تواجدت في كل المناطق التي هاجر اليها الألمان، لم تقم بدور مماثل في الجزائر، فباستثناء محاولة واحدة كانت سنة 1856م التي تمثلت في اصدار ورقة أسبوعية بالجزائر العاصمة نصفها بالألمانية ونصفها الآخر بالفرنسية، فلم يذكر المهتمون بالموضوع ولا الوثائق التاريخية عن الموضوع شيئا آخر، ولذلك لم يكتب لها النجاح لأن عدد المشتركين بها كان

---

[1] Louis de Baudicour, op.cit., p.187.

[2] Jean-Maurice Di Costanzo, **L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890**, op. cit ., p.116.

قليلا، وذلك لم يسمح لها بمواصلة الاصدار، وقد لاقى مدير الجريدة عدة صعوبات في اقناع الادارة الاستعمارية بإصدار الجريدة باللغة لألمانية فقط، الا أن لا بوديكور ولا غيره تكلم عن اسم الجريدة ولا عن الفترة التي صدرت فيها ولا حتى عن مدى نجاحها.

شكّلت المدرسة العامل الاول في اندماج الألمان، أما العامل الثاني فتمثل في قوانين التجنيس وخاصة سيناتوس كونسيلت 1865 وقانون 1889م بدرجة أقل لأن الزيادة الطبيعية للألمان بالجزائر كانت قليلة مقارنة بالعناصر الأوربية الأخرى بسبب صعوبة التأقلم، حيث سجلت بين 1876 و1885 ببلدية ستيدية[1] الى الغرب من مستغانم 15 زيادة طبيعية فقط لكل ألف نسمة خلال عشر سنوات[2]، وقد بلغ عدد المتجنسين من الألمان بما فيهم القادمين من الألزاس واللورين 6591 شخص بين سنوات 1865 و1901م، أما العامل الثالث فكان الزواج المشترك الذي كان يتم بنسبة 541 في الألف مع غير الألمان[3]، ورغم ذلك فإن ديمانتاس يذكر بأن العائلات الألمانية في ستيدية كانت لا تزال تتكلّم بالألمانية داخل البيوت إلى غاية سنة 1901م.

---

[1] مستوطنة تقع الى الغرب من مستغانم، أنشأت سنة 1846 من 467 شخص، 438 منهم ألمان حولوا الى الجزائر، بعد أن كانوا متوجهين الى أمريكا في الأصل وتركوا في ميناء دانكارك بفرنسا، و25 فرنسي وأربعة اسبان (حسب إحصاء سنة 1848)، ثم أضيف اليها دوار القدادرة ودوار أولاد السنوسي المجاورين سنة 1869، حيث أصبحت مساحتها 5955 هكتار. ينظر:

Victor Démontes, « **La Stidia, Une Colonie Allemande en Algérie** », op, cit.

[2] Ibid.

[3] Jean-Maurice Di Costanzo, , **L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890**, op, cit., p. 127.

12 تطور عدد السكان بالجزائر بين 1900 – 1935م:

لم تصل نسبة النمو لدى العناصر المشكلة للسكان بالجزائر نسبة 17%، على خلاف ما رأيناه سابقا لدى اليهود خلال الفترة الممتدة بين 1896–1901م، وإن كان العنصر الأوربي القد عرف نموا معتبرا خلال بعض الفترات وصل مثلا إلى 12.51 % بين سنة 1886–1891م، فذلك ليس مرده إلى زيادة كبيرة وإنما الى هجرة أوربية كثيفة الى المستعمرة.

فعندما كان يعزف الأوربيون عن القدوم إلى الجزائر فكان ذلك لأسباب اقتصادية كقلة الطلب عل اليد العاملة الفلاحية، وتراجع المشاريع الكبرى نتيجة الأزمة الاقتصادية، أو لأسباب سياسية كمنع موسوليني لهجرة الإيطاليين إلى الخارج، وذهاب الاسبان الى بلدهم خلال فترة الحرب الأهلية، أو رجوع الإيطاليين بسبب حملة التجنيد لحرب إثيوبيا.

كما نلاحظ أيضا ان تطور عدد الأوربيين بالجزائر تناقص، ومن الملفت للانتباه أن تطور عددهم الاجمالي بالجزائر خلال الفترة الممتدة بين 1926 – 1931م بلغ 8.02 %، في حين تزايدت المجموعة اليهودية خلال نفس الفترة ب 14.30 %، بينما عدد المسلمين كان في حدود 9.23 %، أما الفرنسيون في الجزائر فلم يتزايدوا خلال ذات الفترة الاّ ب 9.14 % فقط[1].

إن هذه الوضعية خلال الفترة التي سبقت الحرب العامية الثانية خلقت قلقا كبيرا لدى السلطات الاستعمارية من حيث خوفها من تغير الخريطة الديمغرافية للجزائر، فالعنصر الاوربي وخاصة العنصر الفرنسي منه سيذوب

---

[1] G. Mesnard, « **Le régression relative des européens en Algérie** », in : Démographie de la France d'outre-mer, Congrès international de la population, Paris, 1937, Actualités scientifique et industrielles n : 715.

http:// gallica.bnf.fr/ark:/12148/cb338815682.

داخل المجموعات المسلمة واليهودية الاكثر حيوية، خاصة إذا علمنا ان زيادة عدد الاوربيين، خارج العنصر اليهودي المتجنس، كان في مرحلة تراجع منذ 1911م.

تحدّث ماسنار أيضا عن القلق الذي ما فتئ يؤرق السلطات الاستعمارية ومنظّريها، بخصوص الأجانب تارة، والأهالي تارة أخرى، حيث بعد أن تتبع الزيادة السكانية التي كان يشهدها المجتمع الجزائري من 5233000 نسمة سنة 1926م الى 6249000 نسمة سنة 1936م، عرض أرقاما تتبرز تطور عدد الأوربيين كذلك، الذين تزايدوا من 833000 نسمة سنة 1926م الى 973000 نسمة سنة 1936م، ثم خلص الى القول بأن عدد الأوربيين في تراجع خطير، لأنهم كانوا يشكلون 13.7 % من مجموع سكان الجزائر، وتراجعت تلك النسبة الى 13 % من مجموع السكان سنة 1936م[1]، وهو أمر اعتبره ماسنار خطرا جديدا كان يهدّد التواجد الفرنسي في الجزائر.

إن السلطات الاستعمارية وإن كانت قد أفلحت في التوسع على الأرض بالاعتماد على القوة العسكرية وحرب الإبادة والأرض المحروقة طيلة القرن 19م، فإنها وقفت أمام العنصر البشري المتنوع الذي كان متواجدا بالمستعمرة عاجزة، فهي لم تتمكّن من إيجاد حل نهائي لمسألة الأجانب في الجزائر، كما أنها، رغم محاولاتها، لم تتمكّن من تفكيك الآليات والقواعد التي كانت تحكم المجتمع المحلّي الذي استمر في التزايد العددي، رغم الظروف القاسية، وهو ما لم يكن يتوقّعه المحتل، لأن دراسات وأبحاث معاونيه من الجغرافيين والديمغرافيين التي اعتمدت على المنطق الرياضي كانت خاطئة،

[1] G. Mesnard, op. cit.

وبالتالي بنيت عليها قرارات غير صائبة، وهو ما وفّر للحركة السياسية الوطنية مناخا خاصا للتحرك في سبيل إنهاء التواجد الاستعماري في الجزائر.

13 وضعية اليهود بالجزائر خلال هذه الفترة:

ظل عدد اليهود منذ سنة 1886م يتزايد باستمرار وذلك بنسبة تفوق نسبة الاوربيين من غير اليهود كما تتفوق عن عدد المسلمين ايضا.

حسب الحاخام ايزنباث (*Eisenbeth*)، فإن سكان الجزائر تطوروا بين 1881م

و1931م على النحو التالي:

اليهود تزايدوا بنسبة: 215 %؛

الأوربيين تزايدوا بنسبة: 96 %؛

المسلمين تزايدوا بنسبة: 97 %؛[1]

يتضح من هذه الأرقام أن اليهود تزايدوا فعلا بأكثر من 200% في ظرف خمسين سنة، ولكن يبقى المشكل في عدد اليهود ذاته، حيث أشار الحاخام ايزنباث إلى أن عدد اليهود بلغ 110127 نسمة سنة 1931م، في حين أن الاحصائيات الصادرة عن الحكومة العامة، والمتمثلة في الجدول التالي لا تشير الا الى 98646 نسمة فقط في ذات السنة، وهو ما يعني أن الحاخام أحصى كل اليهود بالجزائر بما فيهم يهود الجنوب غير الفرنسيين، والأجانب أيضا.

[1] Maurice Eisenbeth, **Les Juifs de l’Afrique du Nord : Démographie et Onomastique**, Imprimerie du Lycée, Alger, 1936, p. 14.

السنة	العدد	حجم الزيادة	نسبة النمو %
1891	47459	4854	% 11.39
1896	48763	1304	% 2.75
1901	57054	8291	% 17.00
1906	64645	7591	% 13.30
1911	70271	5626	% 8.70
1921	73967	3696	% 5.25
1926	86303	12336	% 16.67
1931	[1]98646	12343	% 14.30

(جدول رقم: 23). تطور عدد اليهود بالجزائر بين 1891-1931م[2].

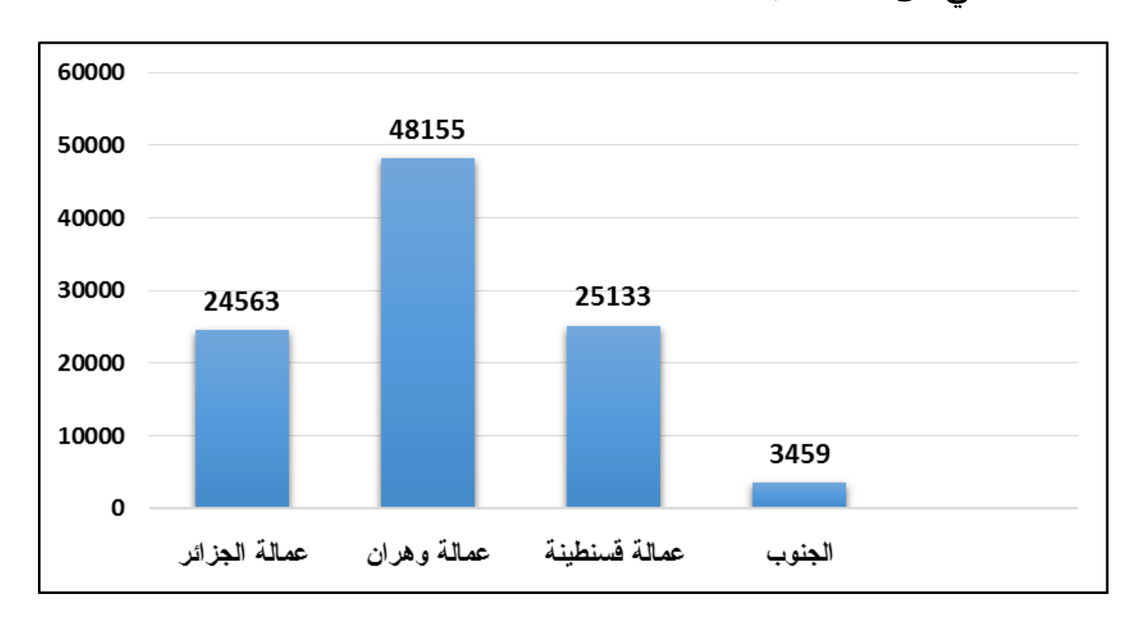
يتضح من الجدول ان ارتفاع عدد اليهود كان ملفت للانتباه، خاصة بين سنة 1896 و1906م، حيث شهدت الزيادة قفزة معتبرة، وكذا بين سنة 1921 و1931م، ويفسر ذلك بأن نسبة الخصوبة لدى اليهود كانت جد مرتفعة ما دام الجدول لا يشمل عدد الأجانب، وكان الدافع لتلك الخصوبة هو السعي لتحقيق جملة من الاهداف المادية والسياسية هي:

- الحصول على امتياز تخفيض الضرائب عليها؛
- الحصول على منحة الاولاد المتمدرسين،
- الحصول على امتياز أكبر في الانتخابات.

[1] الأعداد لا تشمل يهود الجنوب غير الفرنسيين، ولا تشمل أيضا عدد اليهود الأجانب القادمين من المغرب في الغالب.

[2] ANOM. GGA/8CAB/163.

ونلاحظ من خلال قراءتنا لهذه الأرقام المتعلقة بالوسط اليهودي القديم، أن عدد الأسر التي كان لديها أربعة أطفال هي أكثر من تلك التي تملك طفلا واحد سنة 1931م، حتى في مدينتي وهران والجزائر فقد كانت نسبة الخصوبة لدى العائلات اليهودية جد مرتفعة ايضا، وتصل في بعض الحالات الى الطفل الثامن عشر لدى بعض العائلات، أما توزيعهم الجغرافي، فكان حسب ما هو موضح في الشكل التالي من اعداد الباحث.



(رسم بياني رقم: 20). التوزيع الجغرافي لليهود بالجزائر سنة 1931م[1].

من خلال الشكل يتبين أن اليهود كانوا يفضلون العيش حيث يكثر عدد الأوربيين، بحيث كانوا يكثرون في الغرب حيث عدد الأوربيين كبير، ويتناقصون في الشرق حيث يقل عدد الأوربيين ويكثر عدد الاهالي، وهو رأي نعتمده بتحفظ في ظل غياب أرقام تبرز التوزيع الجغرافي لليهود قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر.

[1] ANOM. GGA/8CAB/163, op. cit.

5 –علاقة اليهود بالعناصر الأخرى المشكّلة لسكان الجزائر:

ان نحن اعتمدنا على احصاء سكان الجزائر العام لسنة 1931م، كان يقابل ال 110127 نسمة[1] من اليهود، 634596 فرنسي أصلي أو متجنس، من مجموع 735906 نسمة، أي بمعدّل يهودي واحد لكل 6 فرنسيين، وفي نفس الفترة كان اليهود المشار إليهم اعلاه يمثلون 13.7 % من المجموعة الفرنسية، وهي نسبة تمثل في ذات الوقت يهودي واحد مقابل 56 مسلم[2].

تجب الاشارة إلى أن يهود الجنوب استاءوا كثيرا من اقصائهم من المواطنة الفرنسية، ولذلك انتهزوا فرصة نهاية الحرب العالمية الأولى، وتقدّموا سنة 1919م الى السلطات الفرنسية بعريضة طالبوا فيها بالتجنس، وركّز الموقّعون في العريضة على دورهم خلال الحرب[3].

	مدينة وهران		مدينة الجزائر		مدينة قسنطينة	
	1881	**1931**	**1881**	**1931**	**1881**	**1931**
اليهود	3549	20493	5372	23550	5213	13110
الأوربيين	41214	111031	38850	156971	14679	34493
المسلمين	9084	32219	21005	76601	17900	52299
المجموع	**54347**	**163743**	**65227**	**257122**	**37792**	**99902**

(جدول رقم 24) تطور عدد سكان المدن الرئيسية بالجزائر بين 1881 الى 1931م[4].

---

[1] هو إحصاء أقرب الى الصحة لأنه يشمل كل العناصر اليهودية بالجزائر بما في ذلك بين 2 الى 3 % من اليهود المقيمين بالجنوب الذين لم يشملهم مرسوم كريميو، كما شمل ايضا نحو 6000 نسمة من اليهود الأجانب القادمين من المغرب في الغالب. (الباحث).

[2] ANOM. GGA/8CAB/163,

[3] Pétition adressée au colonel Commandant du territoire militaire, de Ghardaïa, le 28 septembre 1919. ANOM (GGA), 22H18.

[4] ANOM. GGA/8CAB/163, op. cit.

نلاحظ ان معظم سكان قسنطينة هم بين مسلمين ويهود، وهذا ما يفسر وقوع عدة صدامات عنيفة بين العنصرين في هذه المدينة خلال أحداث فاجعة قسنطينة[1] خلال الفترة الممتدة من مساء يوم 3 الى يوم 6 اوت 1934م[2] التي انتهت بوفاة، حسب احصائيات رسمية، 25 يهودي وأربعة من المسلمين وعدد كبير من الجرحى وخسائر مادية معتبرة، وكادت الحصيلة أن تكون اكبر من ذلك لولا الدور الايجابي الذي قام به عبد الحميد ابن باديس، وكبير أحبار اليهود أندري كوفي (*André Koufi*)[3]، لتهدئة ذلك الجو المشحون بالتوتر، في ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة بسبب السياسة الاستعمارية وتداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929م.

إن العنصر الفرنسي الذي من شأنه ان يقوم بدور المرجح بفرض إرادة التفاهم على المسلمين واليهود قليل جدا بالمدينة، وربما أن ذلك هو السبب الذي دفع بالحركة الصهيونية، التي أشار يحي بوعزيز إلى ضلوعها في الأحداث[4]، الى اختيار قسنطينة لزعزعة التواجد اليهودي القديم بالمدينة، وضرب جو الاطمئنان والسكينة السائد بين المسلمين واليهود، لإشراك يهود المدينة أولا والجزائر قاطبة في المشروع الصهيوني بالهجرة إلى فلسطين من جديد، بعد تلك

---

[1] ابن باديس، "فاجعة قسنطينة"، مجلة الشهاب، ج10، مج10، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001، ص ص 491. 513.

[2] ذكر محمد خير الدين، ان المشادات واعمال العنف استمرت الى غاية يوم 24 اوت 1934 بضواحي مدينة قسنطينة، ومدن أخرى من العمالة كالخروب وعنابة وغيرهما ينظر:

محمد خير الدين، مذكرات، ج1، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002، ص213.

[3] Yahiaoui- Merabet Messaouda, **Société musulmane et Communautés Européennes dans L'Algérie du XXe siècle : Réalités, Idéologies, Mythes et Stéréotypes**, Editions Houma, Alger, 2005.p.178.

[4] ينظر: يحي بوعزيز، **ثورات القرن العشرين**، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص69.

الهجرات التي كانت مع بداية الاحتلال، والتي سبق الحديث عنها في مكان آخر من البحث.

وهو نفس الامر الملاحظ في وهران ايضا، حيث ان في وهران عدد الفرنسيين قليل مقارنة بعد المتجنسين من اصول اسبانية، واسبان غير متجنسين الذين كانوا منذ القديم ضد اليهود، ولذلك ما يفسر ان العلاقة ين اليهود والاوربيين بوهران كانت وحشية[1].

والملاحظة التي يجب الوقوف عندها هو انه منذ احصاء سنة 1936م وبإرادة من الحكومة الفرنسية، لم يعد يذكر في الإحصاء لا عامل العرق ولا عامل الدين[2]، وهذا يعني ان الصعوبة التي كانت مطروحة في تتبع تطور العنصر اليهودي صارت أكثر من ذي قبل، والمشكل الثاني هو أن شهادات الميلاد التي كانت ترسلها البلديات إلى مديرية الإحصاء لم تكن تحمل إشارة إلى الأصل العرقي أو الديني للمولود، وهذا يعني انه منذ تلك الفترة 1936 أصبح تتبع تطور عدد اليهود من حيث الزيادة الطبيعية خارج الإطار العام للسكان أمر من الصعوبة بما كان.

إن اليهود حافظوا على خصوصياتهم رغم تشتّتهم، بفضل عمل الحاخامات الذين استعملوا بيعهم وكنائسهم لهذا الغرض، ولكن ايضا بفضل الاحياء اليهودية التي رأوا فيها وسيلة للحفاظ على ديانتهم، عاداتهم وخصوصياتهم العرقية، وفي هذا الصدد كتبت احدى المجلات اليهودية ما يلي: " إن الأحياء اليهودية كانت بمثابة الدرع الواقي الذي أقيم فقط بدافع غريزي للحفاظ على الذات"[3]، وقد أظهرت هذه الأحياء نجاعتها خاصة في الأوقات الصعبة التي مر بها اليهود في

[1] ANOM. GGA/8CAB/163, op. cit.

[2] Ibid

[3] Le bulletin des sociétés juives d’Algérie, février 1942, in : ANOM, ibid.

فترات صراعهم مع العناصر الأوربية المختلفة بالجزائر، وذلك هو ما يفسر استمرار تكتلهم الديني والاجتماعي وحتى السياسي، ويفسر في ذات الوقت خلفية ذلك الصراع الأوربي اليهودي في سياق ما عرف بالمعاداة للسامية، اقترن في بعض الفترات بالمعادات للماسونية أيضا بعد صدور مشروع بلوم فيوليت بالخصوص، حيث كثرت الشعارات المنددة باليهودي بلوم وبالماسوني فيوليت[1] ، وقد بلغ ذلك العداء ذروته خلال الحرب العالمية الثانية، والذي استمر إلى غاية بداية ثورة نوفمبر 1954.

لم تشهد الجزائر مع بداية القرن العشرين تراجع في التوتر الذي كان قائما نهاية القرن الماضي بين اليهود والمتجنسون الجدد والفرنسيون، بل تطور واشتد من خلال توسع نطاقه الى مجالات مختلفة (سياسية، عسكرية، ثقافية)، مما كان يعني استمرار الشك في العنصر الأجنبي متجنسا وغير متجنس خاصة في تلك الظروف المشحونة بالتوتر والصراعات التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى، رأت الإدارة الاستعمارية في تشجيع هجرة الفرنسيين إلى المستعمرة الوسيلة الناجعة لتجاوز ذلك، إلا أن ذلك التوجه لم يحقق نتائج باهرة.

ظنت الإدارة الاستعمارية أن تهافت بعض المتجنسين على التجند في الجيش الفرنسي نصرة لفرنسا، دليل قاطع على اللحمة التي حصلت في الجزائر بين العناصر الفرنسية الجديدة وبين بلد التبني، إلاّ أن ذلك لم يكن سوى سحابة عابرة فحسب، لأن الأحداث التي وقعت في الجزائر ذات الصلة بما كان يجري في إيطاليا وألمانيا أظهر بأن الانصهار الأوربيين في المجتمع الفرنسي الكولونيالي كان لا يزال بعيد المنال.

[1] Pierre Mannoni, op. cit., p.219.

لقد تفاعل الإيطاليون في الشرق الجزائري مع ما كان يحدث في بلدهم الذي بات يحكمه الحزب الوطني الفاشي، الذي سعى إلى استرجاع كل الإيطاليين بالخارج، كما أن الأحداث التي باتت تلوح في الأفق في إسبانيا كان يتفاعل معها الاسبان في الجهة الغربية من الجزائر بكل حماس، ولاحظنا ذلك خلال الحرب الأهلية الاسبانية التي تفاعل معها عدد كبير من الاسبان ومن الفرنسيين من أصول اسبانية أيضا، مما يعني أن الفرنسيين الجدد تفاعلوا مع الأحداث البارزة التي شهدتها بلدانهم أكثر مما تفاعلوا مع فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى.

الفصل الخامس

- بداية المطالب الاسبانية بضم وهران
- الاعلام الاسباني ورد الفعل الفرنسي
- اليهود خلال الحرب العالمية الثانية
- الاختلافات داخل المجموعة الأوربية
- استمرار السلّم العرقي
- الصراع الفرنسي الاسباني وتأثيره على العناصر الاسبانية والمتجنّسة على السّواء
- التأثير والتأثر الثقافي بين العناصر الأوربية والأهالي
- فشل الإدارة الاستعمارية في تكوين مجتمع أوربي منسجم بالجزائر

تمهيد: ما إن انتهت الحرب الأهلية الاسبانية، بعد أن خلّفت دمارا كبيرا في المدن والأرياف وتراجع كبير في الأرواح بين قتلى وجرحى ولاجئين، حتى بدأت مواجهة أخرى بين القوى الوطنية التوسعية (ألمانيا، إيطاليا واليابان)، وبين القوى (الديمقراطية) الاستعمارية وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا بعد شهور قليلة من ذلك، وشكّل زحف ألمانيا على بولونيا في سبتمبر 1939م بدايتها الرسمية، تلتها مناطق أوربية أخرى كثيرة استهدفتها الآلة العسكرية الألمانية من بينها فرنسا، لأن النظام النازي أراد تصفية حسابات تاريخية معها وردّ الاعتبار بعد الإهانة التي أُلحقت ببلاده في قصر فرساي[1] سنة 1919م، ولذلك كانت فرنسا من بين أهداف هتلر المسطّرة، والتي تمكّن من دخول عاصمتها في جوان 1940م.

إن سقوط فرنسا القوة الإمبريالية الكبرى، هزّ كيانها داخليا، وبعث الأمل في الشعوب المقهورة بتسلّطها منذ عشرات السنين، وفي أمم أخرى بينها وبين فرنسا تاريخ قديم، كإسبانيا التي شهدت مع بداية القرن 19م اجتياحا عسكريا من قبل نابليون بونابارت كما رأينا في الفصل الأول من البحث، والتي لم تكن قد تعافت بعد اقتصاديا واجتماعيا من تلك الحرب الأهلية المدمرة، ولذلك شكّلت هزيمة فرنسا بالنسبة لنظام الجنرال فرانكو فرصة ثمينة للتوسع الاستعماري على حساب

---

[1] قصر فرساي: قصر يقع جنوب غرب العاصمة الفرنسية باريس، بني بطلب من الملك لويس الرابع عشر (1638– 1715م)، اتخذ منه مقرا لإقامته، واستعمله لذات الغرض عدة ملوك من بعده كنابليون الأول، لويس فيليب ونابليون الثالث، كما اتخذ مقرا للحكومات الملكية بين (1682 – 1789م)، شهد توقيع معاهدة نهاية الحرب بين فرنسا وبروسيا بتاريخ 26 فبراير 1871م، كما شهد مؤتمر الصلح الذي دام من 18 يناير 1919 الى 10 جوان 1920م، والذي جاء بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، كانت أبرز المعاهدات في هذا المؤتمر هي تلك التي كانت مع ألمانيا بتاريخ 28 جوان 1919م والتي حملت نفس اسم القصر. ينظر:

http://fr.wikipedia.org/wiki/Ch%C3%A2teau_de_Versailles

http://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/trait%C3%A9_de_Versailles/148669

اطلع على الموقعين بتاريخ 14 أفريل 2014م.

مستعمرات جارته، لتحقيق التقدم الاقتصادي والرفاه الاجتماعي لشعبه على حساب شعوب أخرى لم يكن ينظر إليها أحد.

1- بداية المطالب الاسبانية بضم وهران:

أفصحت إسبانيا قبل سقوط باريس بيد الألمان، عن أطماع سياسية وجغرافية في الإقليم الغربي للجزائر، واستهلت إسبانيا ذلك التوجه الجديد بحملة إعلامية قوامها الكتابات المغرضة والمقالات الصحفية، شعارها: "وهران لنا" (*Oran para nostros*) و"نريد وهران" (*Nos queremos* Oran)[1].

اشتدّت تلك الحملة الاسبانية أكثر بعد احتلال ألمانيا للأراضي الفرنسية في شهر جوان من سنة 1940م[2] ، وذلك عبر إذاعة مليلية الاسبانية، كما سيأتي في هذا الفصل، وكان أول من تصدّى لها علانية هو الأب ديران (*Durand*) أسقف كنسية وهران، من خلال تدخّلاته الكثيرة حول الموضوع في المناسبات الدينية، ولعلّ أشهرها تلك التي كانت في كل من المدرسة الحرة (*Sonis*) بسيدي بلعباس وكنيسة السيدة الفرنسية بوهران شهر أكتوبر 1940م، بمناسبة التحضير للأسبوع الديني الذي جرت فعالياته في الثاني من نوفمبر 1940م، حيث أكّد على أن وهران هي أرض فرنسية، ووصف المطالب الاسبانية بالإجرامية وغير

[1] Antonio Tovar, « **Oran – Un stimulant pour perfectionner notre état** », Tajo, 28 février 1942. ANOM. GGA. 7CAB/8.

[2] وردت كلمة احتلال اسبانيا للجزائر قبل ذلك التّاريخ، حيث صرح القنصل الاسباني في وهران نهاية القرن 19 م قائلا: " إن اسبانيا فقدت كوبا ولكنها احتلت سلميا الجزائر". ينظر:

H. Novicow, **La Fédération de l'Europe**, Felix Alcan, Editeurs, Paris, 1900, p. 194.

العادلة[1]، وهو ما تسبب في حرب ديبلوماسية بين البعثات الإسبانية في الجزائر وبين الحاكم العام، ووزير الداخلية الفرنسي.

ونحن من خلال هذا الطّرح لا ندافع على ملكية شرعية لفرنسا في وهران، وإنما نعرض حقائق تاريخية تبرز بأن الأنانية وحب التسلّط كان يتفتّق لدى الدّول الأوربية كلّما توفّرت إحداها على قوة عسكرية، أو شعرت بأن غريمتها ضعفت، ولم يتغير شيء منذ 1830م إلى غاية 1940م، في قارة لم تحتكم إلاّ إلى منطق العنف والحروب خلال قرون من الزمن.

كان لصدور كتاب "مطالب اسبانيا" (*Reivindicaciones de España*) وما تلاه من تعليقات صحفية وقع كبير على الإدارة الاستعمارية، لأن الأستاذ أريلزا دي كاستيا (*Areilza et Castiella*) تطرق فيه إلى شرعية الطموح الجغرافي لبلاده، وقال بأن ذلك يمكّنها من تحقيق مجموعة من المكتسبات المادية، كما يعمل على إبقاء الوطن في حالة استعداد دائم للدفاع عن ذلك المجال الجغرافي حينما تقتضي الأحداث التاريخية ذلك.

ومن هذا المنطلق رأى بأنه من الواجب والضروري المطالبة بوهران؛ لأن ذلك سينشّط الإدارة الإسبانية في كل القطاعات، ويخرجها من الفتور والتقوقع والجمود الذي كانت فيه، واستدلّ بالتواجد الفرنسي في الجزائر، حيث أشار إلى أن المستعمرة شكّلت بالنسبة لفرنسا عامل مقاومة[2]، خاصة بعد حرب 1870م، ولولاها لكانت قد هوت وانتهت[3]. وردت هذه المقتطفات من كتاب "مطالب

[1] Extrait de la semaine religieuse du diocèse d’Oran du 2 novembre 1940. ANOM, GGA, 7CAB/8.

[2] قد يفهم من ذلك المثال أن إسبانيا أرادت أن تقنع جارتها فرنسا بالتخلّي لها عن وهران لتعينها على استعادة عافيتها، وتلافي الدخول معها في نزاعات وحروب جديدة.

[3] Le préfet du département d’Oran à monsieur le gouverneur général de l’Algérie (Cabinet), le : 6 mars 1942. (Traduction de l’article). ANOM, GGA, 7CAB/8.

إسبانيا"، في الجريدة الاسبانية الأسبوعية (Tajo) بتاريخ 28 فبراير 1942م، تحت عنوان "وهران، محركة الطموح الإسباني"، وجاءت مثل هذه الكتابات، من دون شك، لإقناع الرأي العام الاسباني والدّولي لتقبل فكرة ضم اسبانيا لوهران من جديد.

بعد صدور هذا الكتاب دقّ القائم بالأعمال الفرنسية بمدريد ناقوس الخطر، لأن الموضوع اتّخذ بعدا آخر، بعد أن بات مؤكّدا بأن التوسع هو قضية مصيرية بالنسبة لإسبانيا، حيث راسل وزير خارجيتة بتاريخ 7 أفريل 1941م، معلما إياه بأن الصحافة الاسبانية ولاسيما جريدة (*Domingo*) ومجلة (*El Mundo*) علّقتا مطولا على الكتاب، وبعد اطلاعه على المحتوى، راسل الوزير الحاكم العام للجزائر بتاريخ 20 ماي 1941م، مطالبا إياه بإعداد تقرير مفصل عن الاسبان وعن شرعية المزاعم الاسبانية[1].

حمل التقرير الذي أعدّه حاكم الناحية العسكرية 19 الجنرال كولتز (*koeltz*)، عنوان "أخطار الحملة الاسبانية" وكان موجها إلى المكتب العسكري التابع للحاكم العام، وتضمن إضافات أخرى عن مطالب اسبانيا، جمعها من عدّة مقالات صحفية كانت قد نشرتها الصحف الاسبانية السالفة الذكر بعد استسلام فرنسا مباشرة[2]، تحدّث عن الحق التاريخي لإسبانيا في الجزائر والمغرب، واتّهمت كل من بريطانيا وفرنسا بتجريدها في الماضي من ممتلكاتها الإفريقية[1].

---

[1] ANOM. 7CAB/8.

[2] لا يمكن الجزم بوجود تنسيق ألماني اسباني بشأن وهران قبل بداية الحرب العالمية الثانية، إلا أن طلب اعتماد ثلاث جمعيات إسبانية في سيدي بلعباس من بينها (الأوكسيليو سوسيال) قبل بداية الحرب يثير بعض الشكوك، وتخوف فرنسا من الجمعيات ذات الطابع السياسي بالخصوص يؤكد بأن المناخ السياسي كان مشحون بالتوتّر الذي تجلّى في التخوف من كل شيء، ولذلك اقترح والي وهران (لويس بوجار) عدم اعتماد (الأوكسيليو) فرع سيدي بلعباس. ينظر: =

وأشار التقرير إلى طبع شارات في شهر سبتمبر 1941م، وزعت في كل من اسبانيا والمغرب تذكّر بالتواجد الاسباني القديم بوهران، ووزّعت نسخ منها أيضا على عناصر اسبانية بالعمالة الغربية[2].

شكّل العامل البشري أهم عنصر ارتكزت عليه الحملة الإسبانية الهادفة إلى ضم وهران، وكتبت في هذا الشأن جريدة (*El Mundo*) السالفة الذكر في أحد أعدادها لشهر ماي 1941 بقلم مديرها خوان باجول (*Juan Pujol*) ما يلي: "وهران، هي الألزاس واللورين بالنسبة لنا، فهي لا تمثّل تاريخنا الحافل فحسب، وإنما حقيقة حية للتوسع الاسباني". كما كتبت جريدة أخرى أيضا في شهر أوت من ذات السنة: " لا يمكن اعتبار الجزائر وحدة جغرافية مع فرنسا، رغم الادّعاءات الفرنسية بذلك، لأن وهران يقطنها نحو مليون ونصف مليون نسمة، منهم مليون ومائة ألف مسلم، و350 ألف اسباني، و70 ألف أجنبي (فرنسيين، مالطيين، يونانيين وغير ذلك)، ومهام الجميع واضحة؛

فالإسباني والمسلم هم من زرع الأرض، شقّ الطرق، وحفر الآبار، وهم أيضا من حول الأراضي المهجورة إلى جنة، في حين الأجانب (المستعمرين الفرنسيين ومعاونيهم)، منشغلين بالبيروقراطية، وبيع الكحول، والمضاربة[3].

ومن بين 350 ألف اسباني المقيمين بإقليم وهران، فإن فرنسا تسببت لنا في خسارة 200 ألف نسمة بفرضها عليهم الجنسية الفرنسية، وكم هو بطولي ووطني

= Le préfet d'Oran à monsieur le ministre de l'intérieur le 30 aout 1939. ANOM, GGA, 7CAB/8.

[1] Le général de corps d'armée Koeltz commandant de la 19ème région, à monsieur le Gouverneur général de l'Algérie (Cabinet militaire) le 19 mars 1942. ANOM. GGA. Série 7CAB, Carton 7CAB/8.

[2] ينظر الملحق رقم 34.

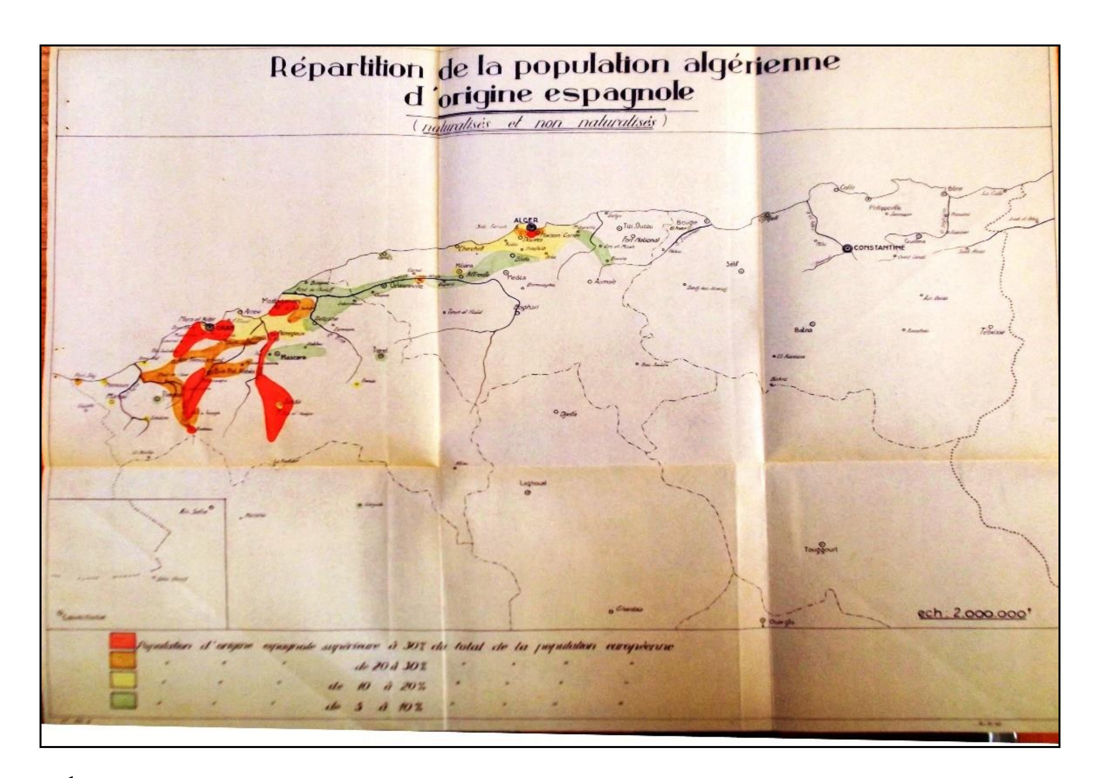
[3] La question espagnole en Algérie. 19e région, état major, 2e bureau, Février 1942. ANOM, GGA. Série 7CAB, op.cit.

تصرف الإسبان المحافظين على جنسيتهم، متحدين بذلك كل الضغوطات الإدارية؛ فالهواء بوهران هواء مزدوج اسباني وعربي، ولسماع الفرنسية يجب الذّهاب إلى الإدارات أو إلى المدارس؛ لأن المحتل رفض تأسيس مدارس اسبانية بوهران، أين تخرج لغتنا من 350 ألف حنجرة"[1].

في ظل غياب وثائق رسمية تثبت مطالبة الحكومة الاسبانية بوهران، نرجح بأن فرانكو استعمل الصحافة الرسمية تمهيدا لذلك في محاولة منه لجس نبض الاسبان بالعمالة وكذا الإدارة الاستعمارية، وأشار التقرير ذاته إلى أن جريدة (*Domingo*) الاسبانية كتبت في عددها لشهر ماي 1941م: "إن اسبانيا تطالب أمام كل العالم باسترجاع وهران التي يقطنها اسبان، وهي مسقية بعرق ودم اسباني، وكذا جبل طارق، والمغرب، وغينيا الإسبانية (نيجيريا وقسم من إفريقيا الوسطى)، وكل الأراضي التي لنا حق فيها"[2].

[1] ANOM, 7 CAB/8.

[2] Ibid.



(خريطة رقم.4). التوزيع الجغرافي للعناصر الإسبانية بالجزائر سنة 1940م[1].

يبدو جليا من الخريطة أن جل الإسبان والعناصر الفرنسية من أصول إسبانية كانت تتركز بالجهة الغربية للجزائر، وهذا ما يفسر تركيز الحملة الإسبانية على العامل البشري أكثر من العامل التاريخي.

2- مدى تأثير الدعاية الاسبانية:

1.2-الدعاية من الخارج:

أشارت التقارير الأمنية أن ما كُتب في الصحافة الاسبانية بشأن أطماع اسبانيا في وهران، لم يكن يشكّل خطورة وتأثيره كان محدودا للغاية، لأن عدد الصحف القادمة من اسبانيا إلى مشتركين بوهران كان لا يتعدى 110 نسخة فقط، في حين أن الدعاية عبر الإذاعة كانت أكثر خطورة، لأنها كانت تصل إلى أسماع كل الاسبان بشمال إفريقيا من خلال إذاعة مليلية الواقعة في القسم

[1] ANOM, 7 CAB/8.

الاسباني من المغرب، وكانت موجهة بالأساس إلى المغرب الفرنسي والجزائر، وكان يدير الإذاعة أحد الاسبان المنتمين إلى مصلحة الدعاية بالحزب الفلانجي[1]، يدعى "مورا"، ولقد علّقت الإذاعة وشمتت كثيرا في فرنسا بعد انهزامها أمام القوات الألمانية.

شرعت الإذاعة ببث المطالب الإسبانية منذ بداية شهر جويلية 1940م، واستهلّت ذلك بتعليقات لمذيع الإذاعة عن التواجد القديم لإسبانيا بإفريقيا خلال القرون الماضية، كما تحدّثت عن الحدود الجغرافية لإسبانيا التي تصل حتى جبال الأطلس بشمال إفريقيا، على حد تعبيرها.

كما أذاعت القناة بتاريخ 19 جويلية من نفس السنة محتوى احدى المقالات الصحفية التي نشرتها جريدة اسبانيا (*España*) التي تحدّث عن موت الإمبراطورية الفرنسية، وميلاد الإمبراطورية الاسبانية[2].

تطورت تلك الحملة لتصبح أكثر عنفا خلال الشهور التي تلت، قبل أن تعرف بعض الهدوء بين شهر ديسمبر 1940م وشهر أفريل 1941، ثم استأنفت الإذاعة حملتها ببثّها لتعليق عن تقرير للقنصل الإسباني بوهران، حول أهمية الإنجازات الإسبانية بالعمالة، بسواعد الإسبان تحت رعاية القنصل طوكا.

لقد تركت برامج الإذاعة انطباعا عميقا لدى الاسبان بوهران متجنسين وغير متجنسين، خاصة عندما كان المذيع يستعمل إلى غاية شهر جوان 1942م، فقرات من كتاب "مطالب اسبانيا" في برنامج وجهت فيه اتهامات إلى

[1] Le général de corps d’armée Koeltz, ANOM. GGA. Série 7CAB, Carton 7CAB/8. op., cit.

[2] Ibid.

كل من والي وهران، وأسقف المدينة، ونقدت فيه الإدارة الفرنسية نقدا لاذعا، وكانت المادة المذاعة في البرنامج تصل المذيعين مباشرة من وهران.

والغريب في الأمر، أن لامبا رئيس بلدية وهران إلى غاية 18 ماي 1941م[1]، لم يبد أي موقف حيال هذه المسألة وهو من حي علم الوطنيين (فرانكو) بالطريقة الفاشية، واستمع إلى النشيد الوطني الإسباني الجديد، في وهران بتاريخ 3 مارس 1939م عندما علّق على القنصلية الإسبانية أمام 3500 شخص، مما يؤكد أن نشاطاته خلال الحرب الأهلية الإسبانية كانت تحركها أهداف سياسية داخلية فحسب.

2.2-الحملة الدعائية من الداخل:

تكفّل بهذه الحملة القناصلة الاسبان بالجزائر، بمساعدة شخصيات أخرى رسمية وغير رسمية، واتخذت حجما كبيرا في عمالة وهران مقارنة بعمالة الجزائر؛ وكان أهم هؤلاء القناصل بارنابي طوكا *(Bernabé Toca y Perez de la Lastra)*، القنصل الاسباني بوهران الذي كان يساعده أحد رجال الكنيسة يدعى مانريسا *(l'Abbé Manresa José)*. وشكّلت هاتان الشخصيتان مصدر جزء كبير من متاعب السلطات الاستعمارية بالجزائر حسب المراسلات والتقارير الأمنية والعسكرية الفرنسية.

كُلّف القناصلة الإسبان بتحضير الأرضية لعملية ضم اسبانيا لوهران، وتحديد الطرق الكفيلة بضمان نجاح تلك العملية التي أطلقت عليها السلطات الاسبانية إسم "عملية سيسنيروس (Cisneros)، وكانت مهمتهم-بالإضافة الى ما سبق ذكره-تتمثّل في ترويج الفكرة وإثارة الحماس في قلوب مواطنيهم في العمالة وحتى

[1] لم نرصد له أي موقف حينما كان رئيسا لبلدية وهران الى غاية شهر ماي 1941م، ولا حينما ترأّس جمعية الصداقات اللاتينية (les Amitiés latines) بعد ذلك.

ضمن المتجنسين منهم، وغرس فيهم الحس الوطني، ومحاولة إيجاد انسجام داخل العناصر الإسبانية حول تلك الفكرة؛ أي العمل على إيجاد مستعمرة اسبانية منفصلة عن فرنسا، أنظارها متجهة نحو اسبانيا الدولة الأم[1].

كانت لهؤلاء القناصل مهمات أخرى لا تقل أهمية، تمثلت في الاعتماد على الاسبان بالمنطقة لتشكيل مجموعات فالانجية[2] منظّمة ومجهزة، على غرار تلك المجموعات التي في اسبانيا قصد استعمالها وقت الحسم، ويبدو أن هذه العملية جلبت عناصر اسبانية حتى ممن كانوا بالأمس القريب موالين للنظام الجمهوري السابق، كما تحدثت تقارير الشرطة بأن القبعات الحمراء للفالانج، خزنت أسلحة بالقنصلية الاسبانية بوهران، والتي كانت ستوزع على المناضلين عند سماع الإنذار المخصص لذلك[3]، كما أعطيت لهم تعليمات بأن يقاوموا أي عملية عسكرية من القوات الأنجلو أمريكية، أما في حالة هجوم من قوات المحور فيجب مساعدتهم بكل شيء ممكن.

وصل الأمر في بعض الحالات إلى تعيين مسبق لعناصر اسبانية لتعويض الإداريين الفرنسيين في المناطق ساعة الحسم، حسب رسالة من محافظ الشرطة بمستغانم إلى وكيل الجمهورية بتاريخ 15 يناير 1942م التي أعلمه فيها بأن

---

[1] Le général de corps d'armée Koeltz, ANOM. GGA, Série 7CAB, Carton 7CAB/8, op., cit.

[2] نسبة الى الحزب الفالانجي (Phalange Espagnola) الذي أسسه بإسبانيا بريمو دي ريفيرا (José Antonio Primo de Rivera) بتاريخ 29 أكتوبر 1933م، حزب وطني كان يستمد مبادئه من الحزب الفاشي الإيطالي، بعد منع الحزب وسجن رئيسه بتاريخ 6 جويلية 1936م، وإعدامه بعد شهور، تبنى الجنرال فرانكو الحزب أثناء الحرب الأهلية الاسبانية(1936-1939م) وبعدها. ينظر:

www.larousse.fr/encyclopedie/divers/**Phalange**_espagnole/137894

أطلع على الموقع بتاريخ 15 يناير 2015م.

[3] Le général de corps d'armée Koeltz, ANOM. GGA. Série 7CAB, Carton 7CAB/8, ibid.

التطورات الخطيرة لمسألة استيلاء اسبانيا على المنطقة الوهرانية امتد إلى المدينة، إلى درجة أن بعض الاسبان منهم متجنسون شكّلوا مجلس إدارة محتمل لتسيير المدينة بعد انتقالها إلى اسبانيا تتكون من:

Antoine Cobos نائبا للوالي؛

Jose Pestor رئيسا للبلدية؛

Mariano Perez محافظا للشرطة[1].

وجاءت هذه الإجراءات بعد حشد قوات ألمانية اسبانية مشتركة على الحدود المغربية الجزائرية في القسم الاسباني، وبعد القيام بحملة لتجنيد اسبان من المنطقة وتدريبهم للقيام بأعمال بعد دخول تلك القوات، وتشير ذات الرسالة إلى أن هناك عناصر فرنسية كانت متحمسة للفكرة أيضا[2].

شكّلت هذه التحركات مخاوف السلطات الاستعمارية، خاصة من هؤلاء اللاجئين الاسبان الذين كانوا خارج المخيمات والذين كانوا يجوبون شوارع وهران بكل حرية، لدرايتهم الكبيرة بالسلاح وبالنظام العسكري، وقد حملت رسالة من الجنرال مارتان رئيس الوحدة الولائية للفيف الفرنسي للمحاربين بوهران إلى والي الولاية بتاريخ 2 جويلية 1942م، بشأن التدابير التي يجب اتخاذها ضد كل الأطراف التي قد تشكّل مصدر خطر، في حالة أي قصف أو هجوم محتمل، وشملت تلك القائمة إلى جانب اللاجئين الاسبان، شيوعيين، ماسونيين ويهودا، والإجراءات التي يجب اتخاذها مع كل طرف من هؤلاء حسب درجة الخطورة

[1] Le commissaire central à monsieur le procureur de l'état français (Mostaganem), le 15 janvier 1942. ANOM, GGA, 7 CAB/8.

[2] Ibid.

على الأمن العام[1]، وبعث الجنرال رسالة مماثلة إلى الحاكم العام بتاريخ 15 أكتوبر 1942م.

شاركت جمعية الأوكسيليو سوسيال (*Auxillio Social*[2]) بكل حماس في الترويج للفكرة وتدعيمها من خلال أعمالها الخيرية، ولكن لتحقيق أهداف سياسية واضحة، حيث استهدفت الجمعية كل الاسبان المحتاجين، عبر توزيع وجبات غذاء وألبسة ونحو ذلك عليهم، بالتنسيق مع القنصل الاسباني لسيدي بلعباس رويز دي كويفا[3] (*Teodoro Ruiz de Cuevas*) ، الذي كان متحمسا لتفعيل دور الجمعية إلى أقصى نقطة ممكنة، لجلب العناصر الاسبانية إليها بمختلف توجهاتهم، وقد كان يقول: " هنا لا يوجد إلاّ الاسبان، واسبانيا بحاجة إلى كل أبنائها... وربما عن قريب ستسترجع اسبانيا جميع ممتلكاتها السابقة"[4]، ولذلك الغرض فتح الاوكسيليو سوسيال بالمدينة مطعما بتاريخ 27 جويلية 1941م[5]، في

---

[1] ANOM, GGA, 7 CAB/8.

[2] جمعية أنشأها فرانكو في اسبانيا أثناء الحرب الأهلية تحت شعار: " لا اسباني بدون خبز، ولا بيت بدون إنارة"، والتي فتحت فرعا لها بوهران في شهر نوفمبر 1939م، بهدف مساعدة المحتاجين الاسبان المتواجدين بالجزائر، ولكنه في الحقيقة (حسب تقرير الحاكم العام) كانت متصلة مباشرة بالحزب الفالانجي، وهي بذلك آلية من آليات الالحاق، وكان شعارها في الجزائر: (الخبز والعدالة للإسبان). ينظر:

Le Gouverneur général de l'Algérie au ministre secrétaire d'état a l'intérieur (Vichy), le 8 novembre 1940, ANOM. GGA. 7CAB/8.

[3] من أعضاء الحزب الفلانجي، عينته إدارة فرانكو سفيرا لإسبانيا بسيدي بلعباس في مكان كامبوس (Campos)، الذي أنهيت مهامه بالمدينة بسبب اتهامه بمحاباته للفرنسيين، ونقل الى مدينة طنجة المغربية. 7CAB/8.

[4] Le commissaire chef de la brigade de surveillance du territoire de sidi bel abbés, au contrôleur général chargé de la surveillance du territoire d'Alger, le 09/04/1942, ANOM, GGA, 7cab/8.

[5] يتضح من ذلك أن وزير الداخلية الفرنسي، لم يأخذ برأي والي وهران، ومنح الاعتماد فعلا (للأوكسيليو سوسيال) فرع سيدي بلعباس. وكان الطلب قد قدم قبل اندلاع الحرب العلمية الثانية.

منزل أحد أثرياء المدينة من أصول اسبانية يدعى كريماداس (*Cremades*)، حيث كانت تقدّم أطباق اسبانية، وفي المناسبات الوطنية والدينية كانت الوجبات خاصة [1]، كما كانت توزّع وجبات أيضا على المحتاجين من الاسبان في منازلهم، حيث وزّعت 1516 وجبة بين 27 جويلية ونهاية ديسمبر 1941م مثلا.

شكّل الأوكسيليو أيضا خلية أخرى لتوزيع الألبسة على الصغار والكبار من الاسبان، وخلية ثالثة تكلّفت بالأمور الصحية للجالية الاسبانية يشرف عليها طبيب للفحص المجاني، بالإضافة إلى خدمات اجتماعية أخرى، كما أنشأت الجمعية خليّة أخرى للتكفل بالنجدة، ودفع قيمة الإيجار لمن لا عمل لهم، ونقلهم الى اسبانيا إن تطلّب الأمر ذلك، وقد تشكلت في كل قرية في سيدي بلعباس خليّة لتلك الجمعية.

وكان الهدف من كل ذلك هو جمع الاسبان في بلعباس حول العلم الاسباني، وتذكيرهم بأن اسبانيا لم تنس أبناءها المحتاجين خارج البلاد، وفي ذات الوقت كانوا يعلمونهم أن ضم اسبانيا لوهران صار وشيكا.

---

[1] يلاحظ ارتفاع مطّرد لعدد الوجبات المقدمة، مما يعكس حالة الفقر والبؤس التي كان يعيش فيها الاسبان في سيدي بلعباس:

قُدمت 90 وجبة شهر جويلية 1941 (بمعدل وجبة واحدة في اليوم فقط).

أوت 1197 وجبة؛

سبتمبر 1405 وجبة:

أكتوبر: 1450 وجبة؛

نوفمبر: 1616 وجبة؛

ديسمبر: 2480 وجبة. ANOM, GGA, 7CAB/8, op., cit.

أما الطبقة الميسورة الحال، والمتجنسة في الغالب فاتخذت اسبانيا معها خطابا وأسلوبا مغايرا: "إن ألمانيا ستنتصر لا محالة، وستعيد تقسيم ممتلكات الإمبراطوريات المنهزمة، ومنها الجزائر، هل تريدون أن تكونوا تابعين لألمانيا التي ستطردكم وتعوضكم بعناصر ألمانية؟، أما ايطاليا فذلك أمر مستبعد، ولذلك فستكون اسبانيا هي المرشحة لذلك بصفتها صديقة لألمانيا... وعلى كل العناصر ذات الدم الإسباني أن تعمل على أن تميل الكفّة لصالح اسبانيا ... عليكم بالتكفّل بالإسبان في وهران بالمحتاجين إلى مساعدة، وهو أمر سيحسب لكم يوم تصبح وهران تابعة لإسبانيا"[1].

لقي هذا الخطاب صدى كبيرا ليس لدى الاسبان المتجنسين فقط، بل حتى لدى الفرنسيين الأصليين أنفسهم، الذين فضلوا التحول إلى رعايا اسبان، بدلا من رعايا ألمان، وبذلك كان هؤلاء يدفعون اشتراكات إلى خزينة الأوكسيليو سوسيال، وهناك منهم من كان يدفع للأوكسيليو كعربون ضمان، وفي ذات الوقت يدفع لجمعيات خيرية فرنسية كذلك، مما يعكس حالة الخوف والشك التي كانوا يعيشون فيها.

اهتم الاوكسيليو بالمرأة الاسبانية بوهران أيضا، وعول عليها في مشروع الإلحاق، وشكرها وأثنى عليها، كما استغلت كل المناسبات والاحتفالات للدعاية للمشروع في المدن ذات الكثافة الاسبانية الكبيرة كوهران، سيدي بلعباس، مستغانم، والمحمدية[2].

من بين اللقاءات التي كانت تجتمع فيها السلطات الاسبانية بوهران بالجالية الاسبانية، أشار تقرير آخر لمحافظ شرطة مستغانم بتاريخ 14 اكتوبر

[1] Le général de corps d'armée Koeltz, ANOM. GGA. Série 7CAB, Carton 7CAB/8, op . cit.

[2] Ibid.

1940م، بخصوص شهادة أحد الاسبان أفادت بأن مجموعة مكونة من 15 شخصا ضمت اسبان، فرنسيين وايطالي، بمعية القنصل الاسباني والأب مانريسا اجتمعوا بمنزل أحد الاسبان[1]، وتحول ذلك اللقاء إلى اجتماع في مسمكة على شاطئ البحر يملكها أحد الاسبان، حيث أخذ القنصل الاسباني الكلمة الاولى قائلا: "لا يوجد اسبان معنا، ولكن بعد فترة قصيرة ستصبحون اسبان، وسيرحل الفرنسيون؛ ففي شهر مارس على أبعد تقدير ستدخل اسبانيا في حرب مع فرنسا لاسترجاع الإقليم الغربي، وسيرتفع العلم الاسباني على مصب واد الشلف"[2]؛ ثم وزع القنصل بعض المال على بعض المسنات من أصول اسبانية، ووعدهم بأنهن ستصبحن اسبانيات بعد نهاية الحرب في روسيا[3].

لقد أخذت مصالح الأمن الفرنسية بمدينة مستغانم هذه الحادثة وما ورد خلالها من تصريحات محمل الجد، بدليل أن تلك المصالح حقّقت مع كل من كان حاضرا يومها، بعد أن غادر القنصل الاسباني والأب مانريسا[4].

كان القنصل الاسباني بالموازاة مع ذلك، يعمل على تشكيل شبكة من المراسلين في كل بلدية من بلديات العمالة، وكانت القنصلية تمدّهم بتعليمات من اليد إلى اليد، وكاد أن يكون للجريدة السرية "السهام" (*Fléchas*) الصادرة بوهران، تأثير أكثر لولا تدخل الشرطة وحجز العدد قبل توزيعه، وأشار تقرير أمني أن مداهمة مطبعة (*Lavantina*) بوهران لصاحبها (*Juan Banon*) الفرنسي من أصول إسبانية، بتاريخ 7 أكتوبر 1940م أضفى الى حجز خمس مقالات

---

[1] كان أستاذا للغة الاسبانية بجمعية الأوكسيليو سوسيال.

[2] Le commissaire central de la police d'état de Mostaganem, procès-verbal d'audition, le 15 janvier 1942, ANOM. GGA. 7CAB/8.

[3] Ibid.

[4] حقّقت مصالح الأمن بمدينة مستغانم مع كل الأشخاص المقيمين في مستغانم والذين حضروا ذلك اللقاء، يومي 15 و16 أكتوبر 1942م. (اتفق الجميع تقريبا على نفس الرواية). ANOM. 7CAB/8.

بالإسبانية[1] كانت بصدد الطبع، تدخل في سياق الحملة الدعائية الاسبانية حسب رسالة من رئيس الأمن الخاص بوهران إلى والي الولاية[2]، والتي أشارت أيضا إلى العثور في المطبعة على رسائل من الأب مانريسا[3]، مما يعني ضلوعه في الأمر.

كانت السلطات الاستعمارية على علم بتحركات البعثة الديبلوماسية الاسبانية بالجزائر وبكل المتعاونين معها، حيث أشار تقرير آخر بتاريخ 17 أفريل 1940م إلى اجتماع جرى بالقنصلية الاسبانية بوهران، وكان الهدف منه دراسة الوسائل والطرق لدفع سكان وهران من الاسبان للانخراط في الاوكسيليو سوسيال، على شكل خلايا في الأحياء تضم كل خلية 40 شخصا، ويرأس كل فرقة رئيس، ينسق بين مجموعته ويجمع الاشتراكات[4].

---

[1] المقالات الخمس حملت العناوين التالية:

- ولكن، لماذا تقاوم هناك؛
- عيد العرق؛
- الاسبان في الجزائر ضحية اللاّعدالة؛
- المعاناة؛
- كلمات من القوديو (فرانكو). ينظر:

Le chef de la police spéciale départemental , Procès-verbal, le 8 octobre 1940, ANOM. 7CAB/8.

[2] Lapperière, Le Chef de la police spéciale départementale au préfet d’Oran, le 17/09/1940, ANOM. GGA. 7CAB/8.

[3] Ibid.

[4] ANOM. 7CAB/8.

ولم تستطع السلطات الفرنسية طرد العناصر المشبوه في ضلوعها في الحملة الدعائية، لأن القنصل الاسباني بوهران صرح بأنه نظير كل اسباني مطرود من الجزائر ستطرد حكومته من اسبانيا أربعة فرنسيين.

وما يؤكد علم السلطات الفرنسية بالعناصر المجندة، الرسالة التي بعث بها محافظ شرطة مراقبة الحدود إلى قائد الناحية العسكرية التاسعة عشر بتاريخ 28 ماي 1940م، والتي تضمنت أسماء خمسة عشر مسؤولا عن منطقة وهران مولودون كلهم بإسبانيا، وقائمة أخرى لخمسة وسبعين منخرطا في جمعية الاوكسيليو سوسيال تراوحت أعمارهم بين 31 و49 سنة[1]، وكان يسيرها القس مانريسا.

3 نشاطات القس مانريسا:

كان القس مانريسا، حسب التقارير الأمنية الفرنسية، ينتهج سياسة معادية لفرنسا في الجزائر، وكان مكلّفا بصفة سرية بعدة مهام أهمها:

- إنشاء تيار موالي لإسبانيا؛
- تنمية الغضب وعدم الرضى لدى العناصر الإسبانية؛
- التأكيد على قوة اسبانيا؛
- التشدق بتفوق النظام والعرق الإسباني[2].

أثار القس مانريسا بمواقفه السياسية، سخط وغضب الإدارة الاستعمارية، التي لجأت إلى مداهمة بيته بوهران وإخضاعه للتفتيش من قبل

---

[1] Le commissaire chef de la brigade de surveillance du territoire à Oran à monsieur le général commandant de la 19ème région, le 20 mai 1940, ANOM, 7CAB/8.

[2] Le chef de la police spéciale à monsieur le préfet (Oran), le 12 octobre 1940, ANOM. 7CAB/8, op. cit.

الشرطة القضائية بتاريخ 26 نوفمبر 1940م، رغم اعتراضه[1]، وجاء ذلك بعد مداهمة مطبعة "بانون" حسب الرسالة الاحتجاجية من القنصل الاسباني بوهران إلى الوالي، التي أعرب له فيها عن استغرابه للحدث، وطالب من السلطات الفرنسية المحلية تفسير أسباب ذلك، كما أرسل طوكا أيضا برقية إلى كل من السفير الاسباني بفرنسا، وإلى وزير الشؤون الخارجية الاسباني بمدريد[2].

كانت كل الجهات الرسمية على علم بأن الإدارة الفرنسية كانت مستاءة من تدخل شخصية دينية اسبانية في أمور سياسية، بما فيهم الأب ديران (Léon Durand) المسؤول الفرنسي عن الكنيسة بوهران، ومع ذلك كان أول من أقحم نفسه في ذلك الصراع، ولسنا ندري إن كان ذلك بقرار شخصي أو بأمر من السلطات الفرنسية، حيث أشار ديران في تقرير له بتاريخ 10 جويلية 1940م بأن مناداة بعض العناصر الاسبانية بفكرة أن الجزائر هي الألزاس واللورين بالنسبة لهم، هو ما جعله يتدخّل عبر خطب في كل كنائس الاقليم (وهران 20 أكتوبر، سيدي بلعباس 24 أكتوبر 1940م) كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بهدف إعلام المتعبدين بأن ادعاءات اسبانيا في وهران باطلة وليس لها أي سند تاريخي؛ حيث أشار إلى مرسى الكبير ووهران اللّتين كانتا تابعتين لإسبانيا في مرحلة ما وطردت منها، وهي بذلك لا تملك أي شيء في وهران لا من الناحية العسكرية التي غادرتها قواتها، ولا من الناحية الاقتصادية، لأن الذي استصلح ارضا للمعمر وتقاضى أجرا، لا يمكنه ادعاء ملكيته لتلك الأرض[3].

[1] التقارير الأمنية أشارت إلى أن الوظيفة التي كان يشغلها مانريسا في القنصلية الاسبانية لا تسمح له بالحصانة، وفق اتفاقية سنة 1862م بين البلدين.

[2] Télégramme adressé à l’Ambassadeur d’Espagne à Vichy et au ministre des affaires étrangères à Madrid. (s.d). ANOM, 7CAB/8, Ibid.

[3] L’évêque d’Oran à monsieur le gouverneur général de l’Algérie, le 26 septembre 1942, ANOM, 7CAB/8, op. cit.

جاءت تلك المواقف في ظروف الهجوم البريطاني على ميناء مرسى الكبير بتاريخ 3 جويلية 1940م، وعلى العاصمة السنيغالية دكار بتاريخ 22 من نفس الشهر، وفي وقت كانت السلطات الاسبانية قد علّقت في محطات القطار بإسبانيا وبشوارع مدريد ملصقات كتب عليها "نريد وهران"، "وهران لنا"، وكذا تجمع قوات اسبانية قوامها نحو 300 ألف[1] جندي على الحدود الاسبانية الفرنسية[2]، بالإضافة إلى أن الاسبان غير المتجنسين بوهران الذي قدّر عددهم ب75000 نسمة سنة 1941م، كانوا ينتظرون متى تصلّ القوات الاسبانية إلى وهران، إلى درجة أن بعض الفرنسيين بدأوا يشكّون في شرعية التواجد الفرنسي بالعمالة.

وصل الأمر بالأب ديران إلى وصف الحكومة الاسبانية بالمجرمة في تلك الخطب الدينية[3]، وهو الأمر الذي أثار غضب السفير الاسباني العام بالجزائر، الذي أرسل رسالة احتجاجية بهذا الأمر إلى الحاكم العام بتاريخ 7 نوفمبر 1940[4].

لم تتّخذ السلطات الاستعمارية أي إجراء ضد الأب ديران رغم كل ذلك[5]، واكتفت بتذكيره بوجوب الحذر والتحلّي بالحس الوطني، وبعدم فتح حوارات في

[1] ورد هذا الرقم في المراسلة الرسمية التالية:

Direction de la sureté générale, note à monsieur le directeur de cabinet de monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 3 juin 1942. ANOM, 7CAB/8.

[2] ANOM, 7CAB/8.

[3] Extraits de la semaine religieuse du diocèse d'Oran du 2 novembre 1940, ANOM, 7CAB/8, op. cit.

[4] ANOM, 7CAB/ 8, ibid.

[5] اعترف والي وهران بالمساهمة الفعالة للأب ديران في المساعي الفرنسية الهادفة إلى طرد مانريسا من خلال مراسلته لمسؤوله الديني المباشر بإسبانيا. ينظر:

Le préfet du département d'Oran à monsieur le gouverneur général le 21 avril 1940, ANOM, 7CAB/8.

عمق الموضوع مع اسبانيا تحاول فرنسا تحاشيها[1]، ولم تذهب إلى أبعد من ذلك لأن محاولات كل الأطراف الاستعمارية السياسية منها والأمنية وعلى مختلف المستويات لطرد الأب مانريسا من الجزائر لم تفلح، الاّ أن أسقف وهران تمكّن من ذلك بعد أن راسل مسؤول الكنيسة بمدريد يشكوه إياه، والذي استجاب له عبر دعوة مانريسا إلى اسبانيا بتاريخ 16 اكتوبر 1941م، بعد تردّد كبير من دون شك، لأن أسقف وهران أعلم والي الولاية بهذه الرسالة إثر زيارته له بتاريخ 20 أفريل 1940م[2].

يبدو أن مهمة الأسقف الإسباني بالجزائر كشخصية محورية لم تكن قد اكتملت بعد، ولذلك ضغط القنصل الاسباني بوهران والجزائر معا لإعادته إلى وهران، الأمر الذي حصل فعلا في يناير 1942م، إلا أن كل الأطراف الفرنسية في مراسلاتها أجمعت على أن هذا الأمر غير مرغوب فيه، نظرا لنشاطاته السياسية في أوساط الإسبان بالغرب الجزائري، وأن هذا الرجوع سيفهمه الأجانب بالخصوص في وهران بأنه ضعف في موقف الحكومة الفرنسية.

تقرر إعلام أميرال الأسطول، كاتب الدولة المكلف بالشؤون الخارجية بهذا الأمر لاتخاذ الإجراءات اللازمة في هذا الشأن، كما أعلم الحاكم العام كاتب الدولة المكلّف بوزارة الداخلية بحكومة بفيشي بالأمر أيضا[3]، وانتهت تلك الحملة الديبلوماسية بطرد نهائي لمانريسا من الجزائر بتاريخ 12 فبراير 1942م[4].

[1] Le chef du gouvernement ministre secrétaire d'état à l'intérieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 3 septembre 1940, ANOM, 7CAB/8, op. cit.

[2] ANOM. 7CAB/8.

[3] Le gouverneur général de l'Algérie à monsieur le ministre secrétaire d'état à l'intérieur (vichy) le 9 janvier 1942, ANOM. 7CAB/8.

[4] ANOM. 7CAB/8.

خلق طرد مانريسرا استياءا كبيرا وسط الجالية الاسبانية بوهران، كما غضب القنصل طوكا كثيرا للأمر أيضا، وتمثل رد فعله في إعلام المجموعة الاسبانية بالعمالة بأن هذه القضية لم تنته بعد، وأن مانريسا ما يزال يتواصل معهم من خلال إذاعة مليلية[1].

لم يكن ذلك الأمر تخمينا فقط، لأن مصالح الاستعلامات الفرنسية أكّدت ذهاب مانريسا إلى مليلية بعد طرده فعلا، وأضافت بأنه اشتكي إلى السلطات العسكرية الاسبانية هناك من أسقف وهران، ووالي الولاية، وقال بأنه عندما تصبح وهران إسبانية سيتلذّذ بالثأر[2].

لتبرير المطالب الاسبانية في وهران، وكرد فعل على المضايقات التي كان يتعرض لها بعض الرعايا الاسبان، نشرت جريدة دومينقو (Domingo) الاسبانية الصادرة في مدريد في عدد 12 أفريل 1942م، أن القوات الألمانية عثرت في أرشيف باريس على وثيقة مؤرخة في الخامس من ماي 1939م، بشأن مشروع فرنسي لاجتياح القسم الاسباني من المغرب، وأن السلطات الألمانية سلّمتها إلى الحكومة الاسبانية[3]، ونشرت الجريدة نسخة منها في عددها بتاريخ 12 أفريل 1942م وعلّقت عليها بقولها بأن مطالب اسبانيا لضم القسم الفرنسي للمغرب ما هو الاّ رد فعل فحسب؛ ولسنا ندري ان كانت فرنسا قد خطّطت فعلا لضم القسم الاسباني من المغرب لممتلكاتها، لأن ذلك كان سببا كافيا بالنسبة لنظام فرانكو

[1] Le préfet du département d'Oran à monsieur le gouverneur général de l'Algérie (cabinet), le 15 mars 1942, ANOM. 7CAB/8, op. cit.

[2] Le général commandant de la division d'Oran, le lieutenant-colonel Tostain chef d'état-major, au gouverneur général de l'Algérie, le 20 avril 1942, ANOM. 7CAB/8.

[3] Le commissaire chef de la brigade de surveillance du territoire, à monsieur le contrôleur général chef du service de la surveillance du territoire, Oran le : 13 mai 1942, ANOM. 7CAB/8. Ibid.

لتبرير تلك الحملة التي استهدفت ضم وهران، رغم أن الجريدة في تعليقها لم تشر إلى وهران بالذّات، كما قد يكون الإعلان عن تلك الرسالة في تلك الظروف بالذات، ما هو الاّ جزء من تلك الحملة الدعائية الاسبانية، بهدف تضليل الرأي العام الدولي.

ظلّت الحكومة الاسبانية إلى غاية نزول الحلفاء بالجزائر في 8 نوفمبر 1942م، تسعى بشتى الوسائل لتطبيق مخططها لضم وهران، وشملت تلك الحملة بالإضافة الى ما سبق ذكره، تنظيم رحلات سفر لأطفال اسبان لقضاء العطلة المدرسية بإسبانيا عملا بالطريقة التي كان يطبقها النظام الفاشي بالجزائر مع الأطفال الإيطاليين، وكلّفت اسبانيا قنصلياتها بالجزائر بالإشراف على تلك المهمة في سيدي بلعباس بالخصوص[1]؛ لتركّز العناصر الغنية من أصول اسبانية بها، وأشارت مراسلة أخرى بين وزير الداخلية الفرنسي والحاكم العام إلى هذا الموضوع أيضا، حيث تحدثت عن دفعة أولى من الأطفال ضمت 33 فردا تراوحت أعمارهم بين 12 و14 سنة، كما كلّفت السلطات الاسبانية قناصلها بالجزائر أيضا بنشر إعلان عن التجنيد في الجيش الاسباني، لقطع الطريق أمام تجندهم في الجيش عبر نداء تكفّل القناصلة الاسبان بنشره في بعض الجرائد بالجزائر، ويبدو أن الأمر تحفّظت منه السلطات الفرنسية، مما يبرر احتجاج السفير الاسباني بالقرب من الحاكم العام، وانتهى الأمر بنشر الإعلان فعلا في عدة صحف بوهران وسيدي بلعباس بتاريخ 6 ماي 1942م[2].

---

[1] Le gouverneur général de l'Algérie à monsieur le préfet d'Oran, le 4 juillet 1942, ANOM, GGA.7CAB/8.

[2] Le chef du gouvernement ministre secrétaire d'état à l'intérieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 26 juin 1942, ANOM, 7CAB/8.

لم يحقق ذلك الإعلان نجاحات كبيرة من دون شك، لأن التقارير الأمنية أشارت إلى أن الشباب الاسبان المقيمين بالجزائر، عندما كانوا يذهبون لأداء الخدمة العسكرية في اسبانيا، بعد نجاح فرانكو، كانوا يعاملون معاملة سيئة من قبل مواطنيهم، لأنهم لم يساندوا فرانكو خلال الحرب الأهلية، حسب شهادة جندي اسباني من وهران، ورد في تقرير لمديرية الأمن العام موجه الى مدير مكتب الحاكم العام[1].

4 الإعلام الاسباني ورد الفعل الفرنسي:

حمل تقرير من الحاكم العام بتاريخ 24 مارس 1942م، بشأن تطور قضية المطالب الاسبانية بوهران معطيات بشأن عدد الإسبان بوهران لم تكن تقر به الإدارة الاستعمارية قبل ذلك، حيث أشار إلى تواجد 350 ألف اسباني بالعمالة منهم 200 ألف متجنس، وان كان لويس بوجار والي وهران أشار سنة 1941م في تقرير إداري الى أن عدد المتجنسين الاسبان بلغ 220ألف نسمة[2]، لتتراجع السلطات العسكرية الفرنسية بالجزائر في السنة الموالية عن ذلك الرقم في مناورة سياسية لتغليط المعطيات الاسبانية؛ لأن إحدى الشخصيات العارفة بملف الحملة الاسبانية ومنذ البداية، أصدر الأرقام التالية بخصوص عمالة وهران:

---

[1] Le directeur de la sureté générale, à monsieur le directeur de cabinet de monsieur le gouverneur général de l’Algérie, le : 3 juin 1942, ANOM, ibid.

[2] حاولت كل الكتابات الاستعمارية إخفاء هذا الرقم، حتى في الإحصائيات الرسمية، ولكنه ظهر عند الضرورة بهدف تضخيم الخطر الأجنبي.

الإحصائيات الاسبانية	الإحصائيات الفرنسية
العدد الإجمالي للسكان: 1700.000 يتوزعون كما يلي: 1200.000 أهلي. **200.000** اسباني متجنس.	1623356 نسمة 1183549 نسمة **19751** نسمة
• الاسبان: 150.000 نسمة، يتوزعون كما يلي: 75000 مولودون بإسبانيا، 66.000 بعمالة وهران، 10.000 لاجئين.	65982 نسمة
فرنسيون وأوربيون: 100.000 نسمة. يهود: 50.000 نسمة. مغاربة من القسم الاسباني: 5000 نسمة.	290.971 نسمة. 51334 نسمة. 30372 نسمة.

(جدول رقم: 25). حجم المجموعة الإسبانية بعمالة وهران حسب المصدرين الإسباني والفرنسي[1].

يتّضح جليا من معطيات الجدول الوزن الكبير الذي كان يمثّله العامل البشري في الصراعات السياسية بين الدّولتين، لأن ما كانت تؤكّده المعطيات الاسبانية كانت تنفيه الأرقام الفرنسية، خاصة بالنسبة للعنصر الاسباني.

إن حدة الحملة الاسبانية التي كانت عنيفة بعد هزيمة جوان 1940م، تراجعت بعض الشيء وأصبح تأثيرها عبر الصحف منعدما، رغم أن تأثيرها عبر الإذاعة كان لا يزال هاما.

[1] Le général commandant de la 19ème région, Alger, 11 juin 1942, ANOM. 7CAB/8.

وأحصت السلطات الاستعمارية كل أطراف الحملة الاسبانية المعادية لفرنسا في الجزائر، حيث شمل ذلك:

- القنصل الاسباني بوهران "طوكا"، ومانريسا (الذي طرد).
- القنصل الاسباني بالجزائر العاصمة "لومينانا"، والأب "جوليان ايسكيرو".
- الأعمال الخيرية: التي كانت يشرف عليها (الاوكسيليو سوسيال)، والجمعيات المختلفة: (*Orphéon de Beb el Oued*)، التي كانت توجهاتها جمهورية في البداية، بالإضافة إلى تجمعات الحزب الفالانجي، وكذا التظاهرات المختلفة[1].

وهي أطراف كانت تنشط في وضح النهار، وكانت تستعين بعمل آخر سري، شمل توزيع المناشير، واعطاء تعليمات عامة للمناضلين في حالة الأزمة، بل وقد وصل الأمر إلى حد وعدهم بتوزيع الأسلحة عليهم إن تطلب الأمر ذلك؛ وربما استعمل السلاح كطعم فحسب للفت نظر الجمهوريين الاسبان من المقيمين في الجزائر ممن كانوا خارج المراكز والمخيمات من اللاجئين، لأن رسالة من محافظ الشرطة بالمحمدية إلى مدير الأمن العام بالجزائر بتاريخ 13 أوت 1942م، أظهرت بجلاء بأن العناصر التي كانت مع الجبهة الشعبية الاسبانية سابقا، هي اليوم بدون توجه سياسي وتستجيب لأي نداء خاصة إذا كان بغرض استعمال العنف "[2].

4 . 1 الإجراءات المتخذة لمواجهة تلك الحملة:

جاء رد الفعل الفرنسي في تقرير لمحافظ شرطة مراقبة الحدود بالجزائر بتاريخ 16 فبراير 1942م في شكل مشروع حمل شعار: " التعاون الفرنسي

---

[1] ANOM, GGA. 7 CAB/8., op. cit.

[2] Ibid.

الاسباني على الأرض الإفريقية"، لمواجهة مجهودات (الاوكسيليو سوسيال)، بهدف جلب الاسبان للالتفاف حول العلم الفرنسي. وركّز ذلك المشروع على ما يلي:

- القيام بحملة دعائية مضادة، تشمل القيام بأعمال خيرية واسعة لمصلحة الاسبان لقطع الطريق أمام الاوكسيليو سوسيال، خاصة بعد أن وزّعت عرائض على الاسبان للتوقيع عليها دعما للإلحاق، وجمعت توقيعات كثيرة حسب التقارير الأمنية، وهو ما أشعر السلطات الاستعمارية بالخطر.
- إنشاء فريق لكرة القدم، تكون الرئاسة وبعض المناصب فيه لإسبان ذوي ثقة، تعينهم الإدارة الفرنسية.
- إنشاء مؤسسة لمساعدة ودعم المرأة، والتكفّل الصحي، ومحاربة البطالة[1].
- طرد القنصل الاسباني بوهران (طوكا)، ونائبه الذي عين قنصلا لبلاده بمدينة الجزائر[2].

أما في الجزائر العاصمة فان تلك الحملة الدعائية كانت أقل حدة، ربما ذلك ما يفسر إنهاء الحكومة الاسبانية لمهام القنصل الاسباني بالعاصمة كريستوبال دال كاستييو (*Cristobal del Castillo*) في اكتوبر من سنة 1941م وتعويضه ب (*Liminana*) الذي كان القنصل المساعد لطوكا بوهران.

كان يساعد القنصل الجديد بالجزائر رجل كنيسة آخر هو الأب جوليان ايسكيرو (*Julian Esquerro*)، قسيس الكنيسة الإسبانية الوحيدة بمدينة الجزائر، وكان يساعدهما (*Jose Ballester*) اسباني مقيم بالمدينة، وأول إجراء قام به

---

[1] لم تشر الوثائق إلى تجسيد المقترحات المتعلّقة بتكوين فريق لكرة القدم، والاهتمام بالمرأة الاسبانية، أما مصير مانريسا فسبقت الإشارة إليه في هذا الفصل.

[2] ANOM, 7CAB/8., op. cit.

القنصل الجديد هو تفعيل خلية للاوكسيليو سوسيال التي أنشأت بمدينة الجزائر منذ سنة 1940م.

كما أن جمعية لورفيون لباب الواد (*Orphéon de Beb el Oued*)، حتى وإن كانت ذات توجهات جمهورية، ومع ذلك، يشير التقرير، كانت مستعدة للتعاون مع القنصل في العملية، حتى بالقرب من اللاجئين الاسبان الجدد، الذي سعى القنصل الاسباني إلى التقرب منهم مرارا دونما فائدة[1].

4. 2 موقف السلطات الاستعمارية من الاسبان بالجزائر:

لم يرق للإدارة الاستعمارية أن تمّس مصالحها في الجزائر بأذى، حتّى وإن لم يتعدّ ذلك الإطار الإعلامي والديبلوماسي، ولذلك شرعت في استهداف الرعايا الاسبان بالجزائر، ولم يسلم حتّى بعض المتجنسون منهم، حيث أصدرت فرنسا قرارا في سبتمبر 1941م يمنع العناصر الأجنبية (الاسبانية بالخصوص) من ممارسة حرفة تجار الحبوب والسمسرة، حسب مضمون المادة الثالثة، التي تقضي بوجوب حمل المعني للجنسية الفرنسية، بالإضافة إلى شروط أخرى[2].

كما أن الشرطة اهتمت أيضا ببعض الاسبان ممن شرعوا في شراء بعض الممتلكات من اليهود في الإقليم الغربي، حسب رسالة من وزير الداخلية إلى الحاكم العام، يطلبه فيها بإجراء تحقيقات سرية في الأمر، خاصة بعد أن عرضت القنصليات الاسبانية على بعض اليهود الجنسية الاسبانية، بعد أن سحبت منهم الإدارة الاستعمارية الجنسية الفرنسية[3]. كما أشارت تقارير أخرى إلى

---

[1] ANOM, 7CAB/8., op. cit.

[2] Etat français, Arrêté fixant les conditions d’exercice du commerce des céréales secondaire, le 5 septembre 1941, ANOM, op. cit.

[3] Le chef du gouvernement ministre secrétaire d’état à l’intérieur à monsieur le gouverneur général de l’Algérie, le 16 octobre 1942. ANOM, 7CAB/8, op. cit.

أن الإدارة الفرنسية أعلمت الموثّقين بالجزائر بعدم اكتتاب عقود الشراء للإسبان الذين كانوا يبتاعون عمارات وسكنات بوهران بالخصوص[1].

كما طالت بعض الاسبان بمدينة الجزائر مضايقات عديدة، حيث شرع بعض الملاّك الفرنسيين في طرد الاسبان من السكنات التي كانوا يستأجرونها، وهو ما حصل مع عائلة الحلاّق الاسباني بازيليو ريبولي (*Basilio Ripoli*) المتكونة من ستة أفراد، حسب رسالة من وزير الداخلية إلى الحاكم العام بتاريخ 11 ماي 1942م، طالبه فيها بالنظر في القضية، كما مس ذلك الإجراء أشخاصا آخرين في وهران، طردتهم الإدارة العسكرية من مباني كانوا يستأجرونها بحجة استقبال لاجئين[2].

لم يقف الاسبان موقف المتفرج من تلك الإجراءات، بل راسلوا بكثافة القناصلة الاسبان في وهران، سيدي بلعباس والجزائر اشتكوا لهم تسلّط ووحشية السلطات الاستعمارية بداية برئيس البلدية، ومحافظ الشرطة وأعوان الأمن والدرك، حينما كانوا يتقربون إلى مصالحهم لطلب أي وثيقة وخاصة بطاقة التعريف المخصصة للأجانب، حسب الرسالة التي بعثها والي وهران الى الحاكم العام بتاريخ 30 يناير 1942م[3]، وكانت تلك البطاقة ضرورية لممارسة أي نشاط تجاري أو غيره بالجزائر، وعدم حيازتها يعرض المعني إلى دفع غرامة مالية قدرها 200 فرنك، وقد أصدرت محكمة الجزائر فعلا، أحكاما في حق اسبان بدفع

[1] Le chef du gouvernement ministre secrétaire d'état à l'intérieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 26 novembre 1941. ANOM, ibid.

[2] Le chef du gouvernement ministre secrétaire d'état à l'intérieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 26 novembre 1941, op. cit.

[3] Ibid.

تلك القيمة منذ 9 نوفمبر 1940م حسب رسالة من رئيس محكمة الجزائر الى الحاكم العام بنفس التاريخ[1].

وكانت السلطات الاستعمارية تضرب بيد من حديد كل من يروج للأفكار الاسبانية بالجزائر، حيث جعلت الاسباني أمنات (*Amnat*) عبرة لهم بحكمها عليه بالسجن لمدة سنة، وبتغريمه بمبلغ 500 فرنك[2].

ولم تنج البعثات الديبلوماسية الاسبانية من إجراءات الإدارة الاستعمارية خلال تلك الفترة الحرجة أيضا، حيث رفض وزير الداخلية طلب تقدم به السفير الاسباني بوهران، والذي تعلّق باستقدام أجهزة ومعدات طبية من اسبانيا عبر الحقائب الديبلوماسية لتفادي دفع حقوق الجمارك، لأنها كانت عبارة عن هبة لفائدة سكان وهران لتجهيز العيادة الطبية التي ينوي القنصل فتحها لمواطنيه بالمدينة، وجاء ذلك الرفض بحجة أن تلك المعدات هي لفائدة الحملة الاسبانية المعادية لفرنسا، ولم يقف الوزير الفرنسي عن هذا الحد، بل أمر بتطبيق قانون 22 نوفمبر 1941م الساري العمل به في فرنسا على الجزائر والقاضي بالسماح للفرنسيين من آباء فرنسيين فقط بممارسة مهنة الطب في الجزائر[3].

وكانت المواقف الفرنسية حيال الجالية الاسبانية بوهران[4] بالخصوص تتطور وتتغير تبعا للمستجدات السياسية المحلية والدولية، فبعد تعرض بعض

---

[1] Le procureur général près de la cours d'Alger, à monsieur le gouverneur géneral de l'Algérie, 11 novembre 1940. ANOM, 7CAB/8.

[2] Le procureur général près de la cours d'Alger, à monsieur le gouverneur géneral de l'Algérie, 11 novembre 1940. ANOM, 7CAB/8. Op. cit.

[3] Le ministre secrétaire d'état à l'intérieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 22 mars 1942, ANOM. 7CAB/8, op. cit.

[4] إن الأمر الملفت للانتباه في هذه المواجهة الدعائية والإعلامية والديبلوماسية، هو أن كل الوثائق اتفقت على تسمية سكان عمالة وهران-(غير الفرنسين الأصليين) – بالإسبان، خاصة المراسلات الرسمية الفرنسية رغم كون معظهم كانوا فرنسيين إداريا لأنهم متجنسين، وهو دليل على أن فرنسا كانت مستعدة للتضحية=

المصالح الفرنسية بمدينة طنجة[1] بالمغرب إلى مضايقات اسبانية، راسل أمين العلاقات الخارجية الفرنسي الحاكم العام بتاريخ 10 أفريل 1943م، طلب منه فيها تزويده بقائمة مفصلة لممتلكات الاسبان الحكومية والخاصة بعمالة وهران لاستعمالها كورقة ضغط ضد السلطات الاسبانية للعزوف عن تلك المضايقات، أو لمعاملة جاليتها في الجزائر بالمثل، وجاء رد الحاكم العام بتاريخ 27 أفريل من ذات السنة[2]، وأظهرت تلك الرسالة عن وجود 84 مؤسسة تابعة لإسبان بمدينة وهران، خمسة منها عمومية والأخرى عبارة عن محلاّت خاصة شملت بقالات، مخابز، وبعض الحلاقين والاساكفيين، وكان عددها في مدينة سيدي بلعباس أقل حيث شملت 34 مؤسسة، أربعة حكومية، والباقي عبارة عن محلاّت على شاكلة تلك التي كانت في وهران، في حين احتوت مدينة تلمسان على 12 مؤسسة، منها مؤسسة عمومية واحدة، في حين ضمت كل من عين تموشنت والمحدية على مؤسسة عمومية واحدة أيضا تمثلت في (الاوكسيليو سوسيال)، أما تيارت، مغنية، أرزيو وبني صاف فلم تكن بها أية مؤسسة اسبانية[3].

=بكل شيء في سبيل الإبقاء على وهران فرنسية، وهو دليل أيضا على أن الاستيعاب بمنظوره الواسع والشامل ليس بالأمر الهين، كما سنرى في نهاية هذا الفصل.

[1] مدينة مغربية تقع في الشمال الغربي للبلاد، احتلها البرتغاليون سنة 1471م، منحت للإنجليز سنة 1661م إثر زواج سياسي، استرجعها السلطان مولاي إسماعيل سنة 1684م بعد حصار دام خمس سنوات. نزل بها القيصر الألماني قيليوم الثاني في مارس 1905م وألقى فيها خطابا لإبعاد الفرنسيين عنها، كانت ضمن المجال الجغرافي= للحماية الاسبانية منذ 1912م، أصبحت منطقة دولية منذ 1923م. ينظر: http://fr.wikipedia.org/wiki/Tanger

أطلّع على الموقع بتاريخ 17 مارس 2015.

[2] ANOM, 7CAB/8.

[3] Ibid.

لا تعكس هذه الأرقام أي وزن اقتصادي للجالية الإسبانية بعمالة وهران لأن التقرير أشار إلى وجود 120 مؤسسة اقتصادية صغيرة فقط لإسبان غير متجنسين من أصل 65000 نسمة.

لم يشكّل الاسبان بشكل عام مصدر خوف للسلطات الاستعمارية فحسب، بل شمل أيضا أعوان الدولة أنفسهم من أصول اسبانية، حيث أشارت مراسلة لوكيل الجمهورية العام لدى محكمة الاستئناف بمدينة الجزائر إلى وزير العدل الفرنسي بتاريخ 26 فبراير 1942م إلى ضرورة التزام الحيطة والحذر حيال عناصر الشرطة من أصول اسبانية، الذين كانوا يشكّلون عددا معتبرا في كل من وهران ومستغانم، لأنهم قد يكشفون حيثيات التحقيقات الأمنية السرية التي كانت جارية[1]، وراسل أمين وزارة الداخلية الحاكم العام بهذا الشأن لاتخاذ إجراءات احترازية من كل أعوان الشرطة من أصول اسبانية بالمدينتين.

5 تغير الموقف الاسباني منذ سنة 1943م:

تغيرت المواقف الاسبانية تبعا للتطورات العامة للحرب بعد نزول الحلفاء بالجزائر شهر نوفمبر 1942م، خاصة بعد انكسار الجيش الألماني على الجبهة الشرقية من الحرب (الاتحاد السوفياتي)؛ ولم تشمل تلك التحولات مسألة وهران فحسب، بل شملت السياسة العامة لفرانكو من خلال:

- تخلّيه عن سياسة التدخّل والعودة إلى السياسة التقليدية القائمة على الحياد؛
- اعترافه باللّجنة الفرنسية للاستقلال الوطني، بعد اعتراف كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا والاتحاد السوفياتي بها؛

[1] Le Procureur général près de la cour d'Alger à monsieur le garde des sceaux, le 20 janvier 1942, ANOM, GGA, 7CAB/8.

- التعاون فيما تبقى من الحرب لإعادة الأنظمة الديمقراطية إلى أوروبا[1]؛
- إعادة العائلة المالكة إلى الواجهة في اسبانيا، لكيلا تحدث تغيرات داخلية عنيفة قد تعصف بنظامه، كما حدث مع موسوليني في إيطاليا سنة 1943م[2].

كما تغيرت أيضا مواقف المالكين الكبار من أصول اسبانية من المسألة، حيث أشار تقرير شهري للمحافظة المركزية لشرطة وهران بتاريخ 13 ماي 1943م، إلى أن المالكين الكبار والتجار بوهران أمثال: *(Santo) (silves), (Sola), (Tovar), (Puja)* لم يتوقّفوا عن مساندة فرانكو، ولكن ليس في مطالبه التوسعية، وإنما لتجنيب اسبانيا حربا محتملة هذه المرة، كما أشار تقرير آخر للشرطة الخاصة لوهران بتاريخ 16 جويلية 1943م، بأن القنصلية الاسبانية أعطت تعليمات صارمة للمواطنين المتعاطفين مع فرانكو في سيدي بلعباس بتوقيف كل نشاط، والعزوف عن كل تظاهرة تظهر العداء لفرنسا أو للحلفاء[3]. كما تحولت اهتمامات البعثات الدبلوماسية الاسبانية في الجزائر، إلى الاحتفال

---

[1] قصد فرانكو بالتعاون مع الحلفاء في الشق السياسي فقط، لأن التقارير أشارت إلى أنه رفض طلب الرئيس الأمريكي روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل باستعمال الأراضي الاسبانية لمرور القوات الأنجلو أمريكية إلى فرنسا، بل علّق على ذلك بأنه سيعلن الحرب على كل من يتجاوز حدود بلاده. ينظر:

Police d'état, commissariat central d'Oran, renseignements, le 17 juin 1943, ANOM, 7CAB/8.

[2] Note de renseignement, objet : milieux espagnole, (s.d), ANOM, 7CAB/8.

[3] Le commissaire principal de la police special d'Oran, Rapport sur l'attitude politique des ressortissants espagnols, le 16 juillet 1943, ANOM. GGA. 7CAB/8

مع مواطنيهم بالأعياد الدينية الاسبانية *(La Vierge dal Pilan)*، وكذا عيد العرق[1].

يبدو جليا ان الجنرال فرانكو كان يتابع التحولات العسكرية والسياسية على الساحة الدولية باهتمام كبير، وكان ينسج سياسته الخارجية تبعا لذلك، الأمر الذي جنّبه مضايقات الدول (الديمقراطية)، ومكّن بلاده من الاستفادة من مشروع مارشال بعد الحرب العالمية الثانية، كما أن الاسبان في وهران كانوا يتأقلمون مع المعطيات والمستجدات أيضا، فبعد زوال تلك الحملة الاسبانية، استرجع الاسبان من الجمهوريين حنينهم إلى الماضي وراحوا يسعون إلى تنظيم احتفالات بمدينة وهران بمناسبة ذكرى قيام الجمهورية الاسبانية في 14 أفريل، وجاء ذلك في رسالة من مديرية الأمن العام بالجزائر إلى الكاتب العام للحكومة بتاريخ 11 أفريل 1944م[2]، مما يعني أن الاسبان غير المتجنسين بوهران استمروا في التأقلم مع المستجدات هم أيضا، أو أنهم باتوا ينجرفون وراء أي تيار، وفي كلتا الحالتين كانوا يملؤون حياتهم بنشاطات سياسية كانت تثبت إسبانيهم وتعلّقهم بالوطن الأم.

6 الصراع الاسباني الفرنسي وتأثيره على العناصر والمتجنسة وغير المتجنسة من الأوربيين:

تفاعل الاسبان مع تلك الحملة الاسبانية الهادفة إلى ضم وهران، كما تفاعل معها عدد آخر من المتجنسين من أصول اسبانية، تماما كما تفاعلوا من قبل مع الحرب الأهلية الاسبانية، وهو ما خلق نوعا من الشك لدى الإدارة الاستعمارية؛ لأن ذلك كان يعني أن البناء الذي كان يعتقد أنه قد تم خلال

[1] Police d’état d’Oran, commissariat général, renseignement, le 13 octobre 1943, ANOM, op. cit.

[2] ANOM, 7CAB/8.

الحرب العالمية الأولى، لم يكن سوى بناء من الرمل سرعان ما تآكل وانهار، وينطبق الأمر على الفرنسيين من أصول اسبانية وايطالية على السواء، كما أن سحب الجنسية من اليهود سنة 1940م، زاد من تشنج تلك المجموعة الفرنسية الجديدة، وهو ما كان يؤكّد بأن المجموعات الأوربية بالجزائر بصفة عامة كان لا يوحدها سوى عامل خارجي مشترك، كما حدث مع الاسبان والايطاليين خلال الحرب العالمية الأولى (1914- 1918م)،[1] أما خلال الحرب العالمية الثانية (1939- 1945م) اختلفت المعطيات، لأن إيطاليا لم تكن في نفس الخندق مع فرنسا، الأمر الذي كان كافيا لاتخاذ بعض الفرنسيين من أصول إيطالية مواقف عدائية ضد بلد التبني، حيث ذكر تقرير للشرطة العامة لمدينة البليدة موجه إلى والي الجزائر بتاريخ 4 ماي 1943م، ضلوع تسعة أشخاص من المدينة في نشاطات معادية لفرنسا، وكان على رأس هؤلاء غاستون ريتشي (*Gaston Ricci*) الذي كان من أصول إيطالية، وكان رئيسا لبلدية البليدة منذ 1929م، وفي ذات الوقت مالكا ومديرا لجريدة (*l'indépendant*) المساندة لألمانيا، وكانت له مواقف واضحة ضمنها في مقالاته بالجريدة، وكان أبرزها مقال نشر بتاريخ 22 ماي 1942م، بعنوان: "بين بريطانيا، وألمانيا، اخترت ألمانيا"، ولذلك أُلقي عليه القبض بتاريخ 24 نوفمبر 1942م، قبل أن يخلي سبيله بداية شهر فبراير 1943م، كما أشار ذات التقرير الأمني إلى أن قاستون ريتشي قام بحملة دعائية لفائدة الألمان استهدفت الجزائريين[2]، كما قام إلى جانب ذلك بحملة قوية مناهضة للجنرال

[1] نلمس ذلك أيضا بعد اندلاع الثورة التحريرية المجيدة سنة 1954م.

[2] Le commissaire central de Blida à monsieur le préfet du département d'Alger (Activités pro- nazie), le 4 mai 1943, ANOM. 7CAB/8.

جيرو (Giraud) [1] الذي اتّهمه بخيانة الماريشال بيتان[2] (Pétain)، بالإضافة إلى أنه كان عنصرا نشيطا من عناصر القوة الخامسة في متيجة [3]، التي كان مخول لها تحضير الأرضية لاستقبال القوات المشتركة الألمانية الاسبانية التي كانت مرابطة على الحدود الجزائرية المغربية، ومن دون شك أنه كان من مؤيدي فكرة ضم اسبانيا لوهران، لأن تلك القوة هي من كانت مكلفة بتنفيذ تلك المهمة حسب التقارير الأمنية كما سبقت الإشارة الى ذلك.

[1] الجنرال هنري جيرو (Henri Giraud) 1879–1949م: هو عسكري فرنسي التحق بصفوف الجيش منذ شبابه، واعتلى الرتب إلى أن أصبح جنرالا وقاد الفيلق السادس سنة 1940 في مواجهة الألمان، لكن ما لبث أن أعتقل، بقي رهن الاعتقال إلى أن فر نهاية سنة 1940م، حيث ساهم رفقة الحلفاء في عملية الإنزال خاصة في تونس. تنافس بشكل كبير على قيادة المقاومة مع الجنرال ديغول مدعما من طرف الأمريكيين، شكل رفقة ديغول "اللجنة الفرنسية للتحرير" في جوان 1943م بالجزائر لكن تأثيره فيها كان ضعيفا، حتى وجد نفسه سنة 1944م ملاحقا بعد أن تمكن ديغول وأنصاره من إبعاده عن كل هياكل المقاومة، لينسحب طوعا ويبتعد عن الأضواء نهائيا إلى غاية وفاته سنة 1949م. ينظر: **Le petit Larousse (grand format)** , Ed. Larousse, Belgique, 1994, p 1360.

[2] فليب بيتان: (Philippe Pétain) ماريشال عسكري وسياسي فرنسي، عاش ما بين 1856–1951م، هو من أبرز شخصيات فرنسا في القرن العشرين، تولى عدة مهام عسكرية وسياسية، كان أستاذا بالمدرسة الحربية مابين سنتي 1901 و1910م، و في هذه المدرسة أشتهر بتركيزه على الأكيد على أهمية قوة نيران المدفعية الحربية وطبق هذه النظرية في معركة فردان سنة 1916م ضد الألمان.

وأثناء الحرب العالمية الأولى 1914–1918م، تولى قيادة القوات الفرنسية، و كُلف سنة 1925م بمهمة القضاء على ثورة الريف بالمغرب الأقصى، أسندت له وزارة الحربية عام 1934م، ثم سفيرا في اسبانيا سنة 1939م ليستدعي إلى رئاسة الحكومة في السادس عشر جوان 1940م، ليوقع في الثاني والعشرين من نفس الشهر والسنة على وثيقة استسلام بلاده لألمانيا، منحه البرلمان سلطة تسيير فرنسا المحتلة، وكان عمره إذاك أربع وثمانون سنة، رحله الألمان معهم في العشرين أوت 1944م غداة دخول قوات الحلفاء إلى فرنسا، التي عاد إليها في أفريل 1945م، حيث قدم إلى القضاء، الذي حكم عليه بالإعدام، ثم خفف الحكم إلى السجن المؤبد، وعاش ما تبقى له من العمر منفيا في إحدى الجزر الفرنسية. ينظر:

-Le petit Larousse, 1994, op.cit, 1589.

[3] ANOM. 7CAB/8, op.cit.

إن اسبانيا أبانت عن أنيابها منتهزة ظروف الحرب العالمية الثانية وتفوق دول المحور بزعامة ألمانيا فيها، ووجود عدد كبير من رعاياها بوهران للمطالبة بضمها إلى ممتلكاتها، قبل أن يتراجع فرانكو عن ذلك منذ نهاية 1943م، بسبب اختلال ميزان القوى العسكرية لصالح الحلفاء.

7 اليهود في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية:

طرأت على اليهود بالجزائر مع بداية أربعينات القرن 20م عدّة تحولات؛ فسعيهم للارتقاء الاجتماعي، والسيطرة الاقتصادية على القطاعات المربحة، دفع بالكثير منهم إلى التخلي عن اللباس التقليدي وتبني واستيعاب جزء هام من ممارسات الفرنسيين اليومية، حيث التحق أبناؤهم بمدارس الفرنسيين وجلسوا إلى جانب أبنائهم، كما تهافتوا على المعاهد الفرنسية وتحصلوا منها على شهادات أيضا.

وتؤكّد هذه المعطيات الوثائق ومنها تلك التي أشارت إلى أن غالبية يهود قسنطينة خلال إحصاء شهر سبتمبر 1934م، أجابوا بنعم عن سؤال: هل أنتم فرنسيون أصليون؟[1]، وصاحب تلك التحولات والحركية الاقتصادية لدى اليهود تراجع للأحياء اليهودية الفقيرة، الاّ أن اندلاع الحرب العالمية الثانية ودخول القوات الألمانية إلى باريس في 22 جوان 1940م، غير كل تلك المعطيات.

صدر في 3 أكتوبر 1940م، نتيجة لذلك الاحتلال، قانون يوضح الوضعية الجديدة للطائفة اليهودية في الجزائر، ويحدّد كيفية تحديد وتعريف هوية اليهودي، وكذلك قائمة الوظائف العمومية الممنوعة عليهم، وكيفية تنفيذ هذا القانون الذي تم العمل به في كل من فرنسا والجزائر معا، وفي 7 أكتوبر 1940م صدر قانون

[1] Etude démographique et statistique sur les juifs d'Afrique du nord et plus particulièrement d'Algérie, Centre des hautes études d'administration musulmane, Aout 1943, ANOM. 8CAB/163.

آخر يقضي بإلغاء مرسوم كريميو، ونشر نص القانون في الجريدة الرسمية في يوم 8 أكتوبر 1940م بسرعة غير معهودة[1]، وبذلك أصبح يهود الجزائر "أهالي" بمنظور القانون الفرنسي، ولم يسمح إلاّ لعدد قليل منهم بالاحتفاظ بالجنسية الفرنسية ممن تحصلوا على أوسمة أو تشريفات خاصة نظير خدمات جليلة لفرنسا، كما صدر في 11 أكتوبر 1940م قانون آخر مكمل لسابقه ألغى حق المواطنة الفرنسية لليهود الذين تحصلوا عليها بصفة فردية بمقتضى السيناتوس كونسلت ل 14 جويلية 1865م أو بمقتضى قانون 4 فيفري 1919م[2].

صاحب تلك الإجراءات القانونية، طرد عدد من الطلبة اليهود من المدارس والثانويات والمعاهد، كما طال ذلك الإجراء الموظفين والعمال أيضا، بالإضافة إلى حجز ممتلكاتهم التي سلّمت إلى إداريين أوروبيين.

وما أن حلّت سنة 1943م حتى كانت إجراءات الطرد قد شملت بين 2616 الى 3500 موظف يهودي، وأبقي على 2% فقط منهم في المهن الحرة[3]، ووصل ذلك الاقصاء حتى إلى الشواطئ، حيث كتبت عبارة " ممنوع على اليهود، العرب والكلاب"[4]، على لافتة بأحد شواطئ مدينة تيبازة إلى الغرب من مدينة الجزائر[5].

[1] فوزي سعد الله، يهود الجزائر، ج2، موعد رحيل، ط2، دار قرطبة، الجزائر، 2005م، ص. 94.

[2] عيسى شنوف، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، ط1، دار المعارف، الجزائر، 2008م، ص.81.

[3] Charles –Robert Agéron, **Histoire de l’Algérie contemporaine**, Presses Universitaires de France, Paris, 1999 .p 556.

[4] Pierre Mannoni, op.cit., p.220.

[5] للإشارة فحسب، كتب (Jean Brune)، من مواليد عين بسام بالبويرة، كتابا حول الجزائر سنة 1966م بعنوان: "ممنوع على الكلاب والفرنسيين " (Interdit Aux Chiens Et Aux_Français)، (278 صفحة)، في إشارة إلى أن الجزائر بعد استقلالها باتت ممنوعة حتى على الفرنسيين.

قدر المسؤولون في نظام الماريشال بيتان حصة اليهود في التعليم الابتدائي ب 14% من مجموع تلامذة كل ابتدائية و14% في الثانويات و3% في التعليم العالي، ودخل هذا التقنين حيز التنفيذ لبضعة أشهر فقط، من بداية جانفي 1942م إلى غاية إلغاء جميع هذه الإجراءات نهائيا[1].

لم تكتف إدارة حكومة فيشي بالجزائر بطرد اليهود من مقاعد التكوين ومناصب العمل فحسب، بل حولت الكثير منهم إلى معسكرات العمل في البرواقية وبوغار بالمدية، القنادسة ببشار وبغيليزان جنوب شرق وهران، حيث كان يعمل اللاجئون الاسبان من الجمهوريين في مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء (البحر المتوسط–النيجر)، ودفع اليهود خسائر كبيرة في الأرواح خلال تلك الأشغال خاصة بعد انتشار وباء الحمى الصفراء سنة 1941م[2].

1.7–التوزيع الجغرافي لليهود حسب العمالات:

قبل المقارنة بين العمالات الثلاث من حيث التوزيع السكاني لليهود تجب الإشارة إلى أن عمالة وهران كان بها 47483 يهودي فرنسي سنة 1941م، و3299 يهودي أجنبي أي ما مجموعه 50782 نسمة أي 42.7 % من مجموع السكان اليهود بالجزائر.

وهذه مقارنة بين توزيع اليهود بالنسمة في الجزائر وفق إحصاء سنتي 1931 و1941م.

---

[1] عيسى شنوف، المرجع السابق، ص95.

[2] غولد زيغر أني راي، **جذور حرب الجزائر 1940–1945 من المرسى الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني**، تر: وردة لبنان، دار القصبة، الجزائر، 2005م، ص. 52.

العمالات	1931	1941
عمالة الجزائر	24563	33916
عمالة وهران	48155	47483
عمالة قسنطينة	25133	25292
الأقاليم الجنوبية	3459	4330
المجموع	**101310**	**111021**

(جدول رقم:23). توزيع اليهود بالجزائر سنتي 1931-1941م [1]

نلاحظ من أرقام الجدول أن عمالة وهران تصدرت قائمة العمالات سنة 1941م من حيث تمركز عدد اليهود بها، تلتها عمالة الجزائر ثم قسنطينة، مما يعني أن اليهود كانوا يفضلون العيش حيث كان يكثر عدد الأوربيين، كما يبدو أنه كان فيه سيل من الهجرة الداخلية لليهود من عمالة الغرب بالخصوص باتجاه عمالة الجزائر، وهذه حقيقة نتوصل إليها من خلال مقارنتنا لأرقام سنتي 1931 و1941م، التي جاءت بعد الاحصاء الفردي الذي أجرته الحكومة العامة والذي شمل أسئلة فردية، وأسئلة تتعلق بالممتلكات بسبب ظروف الحرب، وتوصل إحصاء سنة 1941م إلى أن عدد اليهود بالجزائر كان 111021 نسمة بين مواطنين ورعايا، يضاف إليهم 6625 يهودي أجنبي، أي بمجموع 117646 نسمة.

تعامل اليهود في الجزائر مع وضعيتهم الجديدة بحذر، لأنهم أدركوا بأن اقصاءهم من المجتمع الفرنسي ما هو إلا سحابة عابرة، ولذلك عبر جون شابيرا *(Jean Shapira)* وهو من عائلة يهودية عريقة بمدينة الجزائر عن حسن نية الشباب اليهودي القاطن بالجزائر حيث قال: "نحن فرنسيون ونقول بصوت عال،

[1] H. Weller, ANOM, GGA, 8CAB/163, op. cit.

لا أحد يملك القوة لتغيير الحس العميق الذي يربطنا ببلدنا..."، وأضاف قائلا: "لكننا يهود أيضا ... عرفنا هذا فقط بعد أن تعرضنا للضرب"[1].

أمام خطر الاقصاء الثقافي الذي داهم أبناءهم، تحرك المثقفون اليهود وأنشأوا مديرية للتعليم اليهودي الخاص، وتم فتح العديد من المدارس من بينها ثانوية بوهران، إلا أن الإدارة الاستعمارية تدخّلت وقامت بغلقها، كما أنشأ المعلّمون اليهود المطرودون مدرسة خاصة بمدخل القصبة، رغم أنها كانت حيا خاصا بالأهالي[2]، كما التفّوا في الجزائر حول زعمائهم الروحيين من أجل مواجهة الاجراءات الإدارية الجديدة؛ حيث تحول الحاخامات الكبار للعمالات الثلاث إلى قادة ومرشدين رئيسيين للطائفة اليهودية بالبلاد؛ ففي قسنطينة كان (فرج حليمي) صاحب الكلمة الأولى في كل حركة للمجموعة اليهودية، كما برز في مدينة الجزائر الحاخام موريس إيزنبث (*Maurice Eisenbeth*)[3]، وفي وهران تولّى تلك المهمة زعيم اليهود الروحي بالعمالة (داوود الأشكينازي)، وتمثّلت أعمال هؤلاء الزعماء في تقديم مساعدات للمعوزين والمتضررين من سياسة فيشي خصوصا المطرودين من وظائفهم، كما قامت جمعية لجنة الدراسات الاجتماعية[4] بالموازاة مع ذلك بتنظيم شؤون الطائفة ومد يد المساعدة في حدود الامكانيات المتاحة،

---

[1] غولد زيغر أني راي، المرجع السابق، ص. 53.

[2] H. Weller, ANOM, GGA, 8CAB/163, op. cit.

[3] صاحب كتاب: يهود شمال إفريقيا (Les Juifs de l'Afrique du nord) الصادر سنة 1936م والذي اعتمد عليه H. Weller في كتابة دراسته، خاصة في الجزء المتعلّق بالإحصائيات، وهو متوفّر في موقع (Algérie ancienne) على الشّبكة العنكبوتية.

[4] لجنة الدراسات الاجتماعية: هي لجنة يهودية أسستها مجموعة من الشخصيات اليهودية سنة 1917 للدفاع عن مصالح اليهود أثناء الحرب العالمية الأولى، غابت بعد الحرب عن الساحة ثم عادت ثانية سنة 1937 عملت قدر الإمكان على تنظيم شؤون الطائفة ومد يد المساعدة لها، ينظر:

فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص98.

بالإضافة إلى جمعية الدراسات المساعدة والحماية التي أنشأت أثناء حكم فيشي بهدف مساعدة الشباب اليهودي[1].

وهكذا، دفع الاضطهاد باليهود إلى مراجعة قيمهم والرجوع إلى الثقافة اليهودية، وإن كان التقرير الأمني السابق الذكر، قد أشار إلى حدوث تحول كبير داخل المجموعة اليهودية مع بداية أربعينات القرن 20م، إلاّ أن الإجراءات التي صاحبت انتزاع الجنسية الفرنسية منهم، دفعت ببعض من غادر منهم الأحياء اليهودية (الملاّح) بعد تحقيق نجاح مادي، إلى العودة إليها من جديد والاحتماء بذلك الدّرع الواقي، والعودة أيضا إلى الممارسات اليهودية التي كانت في طريقها إلى النسيان حسب التقارير الأمنية الفرنسية، وفي هذا السياق يقول جوال علوش، بأن يهود الجزائر تأثّروا أكثر من يهود تونس والمغرب لأنهم كانوا تابعين للإدارة الفرنسية بحكم الجنسية، في حين بقي اليهود في تونس والمغرب محافظين على هياكلهم التقليدية القديمة[2].

7. 2 موقف الفرنسيين والجزائريين من انتزاع الجنسية الفرنسية من اليهود:

لقد ابتهجت العناصر الفرنسية المعادية للسامية، ووجدت في وضعية اليهود الجديدة فرصة خلّصتهم من منافسة اليهود لهم، حيث كتب اميل مورينو أهم القادة المعادين للسامية في الجزائر خلال هذه الفترة بأنه سعيد برؤية هذا المرسوم الذي كرس جزءا من حياته، وضحى بعدة مناصب من أجل القضاء عليه، يدخل في أدراج أرشيف الجهاز التشريعي الفرنسي ويصبح ذكرى من

---

[1] نفس المرجع، ص. 99.

[2] Joelle Allouche-Benayoun, « **Michel Abitol**, **Les Juifs d'Afrique du Nord sous Vichy**», Archives de sciences sociales des religions, (en ligne) ,148 (octobre-décembre 2009, document 148-1, mis en ligne le 13 janvier 2010. consulté le 19 janvier 2015.URL :http//assr.revues.org/index 21080 .html.

أطلع على الموقع يوم: 25 يناير 2014م، على الساعة: 21.45.

ذكريات الماضي، وقد سارع إلى التعبير عن ارتياحه وسروره بقرار الالغاء دون تردد، كما شكر حكومة بيتان على ذلك الإجراء.

أما الأوروبيون بشكل عام فقد تهافتوا على المناصب والوظائف الشاغرة، في حين أن المسلمين وبعد صدور قانون 7 أكتوبر 1940م الذي منع اليهود من امتلاك أو تسيير المقاهي، وأجبروا على بيعها أو التنازل عنها، قبلوا التّنازل الصوري لتلك الملكيات لهم ريثما تمر العاصفة، وقد ردّ المسلمون الأمانة بعد عودة الأمور إلى نصابها[1].

وبصفة عامة لم يتورط المسلمون في الصراع اليهودي الفرنسي، الذي مصدره الإدارة هذه المرة، والتزموا الحياد، دون أن يمنعهم ذلك الموقف من مد يد العون لليهود أو من التعاطف معهم بصفة فردية، وكتب أحد اليهود عن ذلك قائلا: "إن الشجاعة المدنية للمسلمين جعلتهم يواجهون تحريضات الزّعماء المناهضين لليهود بالصمت الأشد احتقار"[2].

وفي سياق البحث في وضعية اليهود بالجزائر خلال الحرب العالمية الثانية لاحظنا أن القرارات التي صدرت في فرنسا بخصوص اليهود لم تطبق في الجزائر بنفس الصرامة والحدّة، وذكرت براكو شهادة لأحد اليهود تقر بذلك، حيث قال: " لم نكن على علم بقوانين فيشي، لم نر منها الشيء الكثير، فنحن لم نتأثر كثيرا بتلك القوانين في الجزائر، حيث لم نجبر على حمل النجمة اليهودية مثلا[3]".

---

[1] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص. 95.

[2] نفسه، ص ص41، 42.

[3] Helène Bracco, **Etre Européens et rester vivre en Algérie indépendante**, diplôme d'études approfondies, option : Histoire, sous la direction de Robert Ilbert, Université de Provence, Aix Marseille 1, 1993. p.57.

إن المعطيات الكثيرة التي تضمنتها الوثائق لا تنم عن تهميش أو اقصاء، على الأقل حتى تاريخ 5 نوفمبر 1941م، بل تبين على العكس من ذلك وضعية مريحة لليهود في مختلف المجالات، مما يعني أن الاجراءات الجديدة التي استهدفت اليهود بالجزائر لم تطبق عليهم دفعة واحدة بل على مراحل، والعينة من النشاطات التي كانت بيد اليهود إلى غاية بداية شهر نوفمبر 1941م تثبت ذلك.

العمالات	مجموع المتمدرسين	اليهود	النسبة المئوية
الجزائر	106321	5869	% 5.5
قسنطينة	67987	5016	% 7.3
وهران	95950	8209	% 8.4

(جدول رقم: 26). عدد اليهود المتمدرسين في الطور الابتدائي الى غاية تاريخ 5 نوفمبر 1941م[1].

تبين الأرقام أن عدد المتمدرسين اليهود خلال شهر نوفمبر 1941م، أي بعد الدخول المدرسي، كان 19094 تلميذ، وهو ما يصحح بعض المعطيات بخصوص هذه المسألة، ويبين بأن تأثّر اليهود في فرنسا بقرارات حكومة فيشي، امتد طيلة فترة حكمها (1940-1944م)، بينما في الجزائر، على خلاف ذلك، فقد أخذت وقتا أطول في التطبيق، وبالتالي لم تعمر طويلا، ومن ثم لم تؤثر كثيرا، بالقياس إلى ما كان عليه الحال في فرنسا والدول الأخرى المحتلّة من قبل النازية، وهو ما يبرر قدوم 2185 لاجئ يهودي إلى الجزائر سنة 1941م[2].

[1] H. Weller, ANOM, GGA, 8CAB/163, op. cit.
[2] Ibid.

كما شكّل الطلبة اليهود في طور التعليم الثانوي العمومي والخاص بالجزائر إلى غاية تاريخ 5 نوفمبر 1941م نسبة 12.9 % من المجموع العام للطلبة الذكور في المؤسسات العمومية، في حين بلغ عدد الفتيات في المؤسسات العمومية 529 طالبة سنة 1941م من مجموع 4765 فتاة، أي ما نسبته 11.1%، أما تواجدهم في المؤسسات التعليمية الخاصة، فكان قليلا ولم يتجاوز اثنتي عشر طالبا فقط من مجموع 2569 طالب، لأن 99.75% من الطلبة اليهود في الثانويات كانوا يفضلون الدراسة بمؤسسات عمومية تابعة للدولة[1].

أما في التعليم التقني فكان 7.61 % من الطلبة اليهود يزاولون دروسهم إلى غاية ذات التاريخ بكل من المعهد الصناعي بالجزائر، المدرسة الاستعمارية بدلس، مدرسة الصناعة التطبيقية بالجزائر ومدرسة الصناعة التطبيقية بقسنطينة من مجموع 893 طالب، كما كانت وضعية الطلبة اليهود بالجامعة حسنة، حسب ما توضحه الأرقام التالية إلى غاية تاريخ 31 جويلية 1941م:

- 37 % من العدد الاجمالي لكلية الطب: قسم الطب وقسم القابلات؛
- 26.4 % من العدد الاجمالي من طلبة كلية الحقوق؛
- 17.4 % من العدد الاجمالي لطلبة كلية الطب، قسم الصيدلة؛
- 16.8 % من العدد الاجمالي لطلبة كلية العلوم؛
- 10 % من العدد الاجمالي لطلبة كلية الآداب[2].

وإذا كانت هذه الأرقام تبدو مرتفعة مقارنة بعدد الطلبة الفرنسيين والفرنسيات بالجزائر، فذلك لأن هؤلاء كانوا يضطرون إلى التقليص من مسارهم الدراسي لأسباب عائلية من أجل المساهمة في كسب مداخيل للأسرة، في حين

---

[1] H. Weller, ANOM, GGA, 8CAB/163, op. cit..

[2] Ibid.

أن اليهود على العكس من ذلك كانوا يملكون الامكانيات المادية المسخّرة لخدمة المسار الدراسي لأبنائهم إلى أبعد نقطة ممكنة، وفي حالات أخرى كان يتدخّل المجلس الكنسي اليهودي في مساعدة بعض الطلبة اليهود المعوزين نظير توجيه مسارهم المهني إلى تخصص دون آخر[1].

إن تلك الأرقام لم تبق على حالها، حيث اشتكى يهود الجزائر في رسالة إلى وزير التربية الوطنية الفرنسي نشرت في عدد مارس 1943م من (*le Bulletin de la Fédération Juives d'Algérie*)، من تقليص عدد مقاعدهم في المعاهد بالجزائر، حيث بات عدد الطلبة اليهود في كلية الطب لا يتجاوز 13% من مجموع الطلبة[2]، كما منع طلبة الجامعة من اليهود من الامتحان للمرور إلى الدرجة الثانية[3].

أما في القطاعات المهنية فكان اليهود إلى غاية 5 نوفمبر 1941م، يتواجدون في المهن الحرة بشكل واسع، وان كان بعض الشك ينتاب هذه الأرقام، فإنها في ذات الوقت تعكس التطور الاجتماعي الذي وصل إليه اليهود بالجزائر في بداية أربعينات القرن 20 م، حيث كانوا يشكّلون 22.08 % من عدد أطباء الأسنان، و21.50 % من الأطباء، 16.30% من عدد المحامين و15.20 % من مجموع القابلات؛ وهي أرقام تعكس تواجد كبير للعناصر اليهودية في المهن الحرة خلال تلك الفترة. بالإضافة إلى ذلك كان تواجدهم بقطاع التعليم معتبرا

[1] H. Weller, ANOM, GGA, 8CAB/163, op. cit..

[2] وهو رقم لاينم عن تراجع كبير إن أخذنا بعين الاعتبار ان نسبة 37 % السالفة الذكر كانت تضم قسم القابلات أيضا.

[3] Joëlle Allouche-Benayoun, op.cit.

أيضا، حيث وصل إلى نسبة 11.9% من مجموع عمال القطاع، خاصة في عمالة وهران التي كان يتواجد بها 54.8 % منهم[1].

كان لليهود أيضا وزن اقتصادي كبير في قطاع الأعمال والنشاطات الاقتصادية الخاصة، لاسيما في قطاع التجارة والصناعات الغذائية، وهذه الأرقام تؤكّد ذلك من عمالة وهران، التي كانوا يسيطرون بها على:

- 100% من تجارة الجلود؛
- 100% من تجارة الكتّان بالجملة؛
- 80 % انتاج السميد؛
- 55 % من الوكالات العقارية؛
- 46 % من صناعة المجوهرات وبيعها؛
- 40 % من تجار الأثاث.

كما كانوا يسيطرون على المواد الغذائية بالجزائر حيث أن مطاحنهم للحبوب أنتجت 2272500 قنطار سنة 1941م، مقابل مليون قنطار للمطاحن غير اليهودية، وأهم المطاحن التي كانت لدى اليهود؛

مطحنتي وهران التي وصل إنتاجهما إلى من 325000 قنطار، بالإضافة إلى مطحنة غليزان 188000 قنطار، مطحنة سيدي بلعباس 101000 قنطار، علاوة على أربعة مطاحن هامة بمستغانم كانت تنتج اثنين منها فقط أكثر من 200000 قنطار، علاوة على مطاحن يهودية أخرى بتلمسان، معسكر وتيارت

[1] ANOM, 8 CAB/ 163, op.cit.

وغيرها[1]. وكانت هذه المطاحن، خاصة بالغرب الجزائري، تمثّل رمز قوة العنصر اليهودي المادية والدليل الواضح على نجاحهم.

إن يهود الجزائر، انطلاقا مما سبق، كانوا يسيطرون على معظم القطاعات المجزية في البلاد؛ تجارة الحبوب، والجلود، المجوهرات، الأقمشة والملابس، والمواد الغذائية بصفة عامة بالإضافة إلى المهن الحرة المربحة.

ما يمكن استخلاصه هو أن اليد العاملة اليهودية لم تهتم بالقطاعات ذات الصلة بالفلاحة، ولا بتربية الحيوانات ولا حتى بقطاع الغابات، كما أنها اهتمت بدرجة أقل بالصناعات الاستخراجية والصيد البحري التي كانت تعتبر مصادر الثروة الأساسية في الجزائر، وتركت تلك النشاطات للأوربيين والجزائريين، والأهم من ذلك هو أن هذه المعطيات جاءت في سياق تاريخي متأخر، مما يؤكد أن اليهود لم يتأثروا لا من حيث الشدّة ولا من حيث المدّة في الجزائر بقرارات حكومة فيشي[2]، ويشير علوش، إلى أن ذلك الاحصاء الشامل جاء بهدف الاستيلاء على ممتلكات اليهود، وطردهم من المناصب والمقاعد الدراسية المختلفة[3]، مما يعني أن تطبيق تلك الاجراءات عليهم كان مع بداية سنة 1942م، شهور فقط قبل نزول الحلفاء بالجزائر.

ومع ذلك كان وقع سحب الجنسية الفرنسية منهم كبيرا، لأنه أحدث خللا في نسيجهم الاقتصادي والاجتماعي بالجزائر، ونال كثيرا من معنوياتهم، وانضمامهم

---

[1] ANOM, 8 CAB/ 163, op.cit..

[2] حكومة فيشي: حكومة فرنسية متعاونة مع الاحتلال الألماني أثناء الحرب العالمية الثانية، استمرت من 1940 إلى 1944م واكتسبت اسمها من منتجع فيشي الواقع بجنوب فرنسا، والذي اتخذته حكومة بيتان عاصمة لها، ينظر:

عبد الوهاب الكيالى، **الموسوعة السياسية**، ج4، المؤسسة العربية للدراسات، لبنان، 1994، ص679.

[3] Joëlle Allouche-Benayoun, op.cit.

بشكل كثيف في المقاومة وتسهيل عملية إنزال الحلفاء (*Opération Torch*) بالجزائر يؤكد ذلك، فمن بين 377 مقاوم الذين ساهموا في استرجاع مدينة الجزائر بعد الإنزال 316 منهم كانوا يهودا[1]، وهي الوضعية التي انتهزتها الحركة الصهيونية في الجزائر لجر أكبر عدد منهم إلى توجهاتها[2]، أما مرسوم كريميو فلم يتم استرجاع العمل به إلاّ بتاريخ 20 اكتوبر 1943م.

8 الاختلافات داخل المجموعة الأوربية:

لم تَفلح السياسات الاستعمارية المختلفة في إيجاد أي انسجام داخل المجتمع الأوربي بالجزائر، وصعبت الظروف السياسية الدولية التي كانت أوروبا مسرحا لها خلال الربع الثاني من القرن 20م من تلك المهمة أكثر، ولذلك ضلّت الفسيفساء المشكّلة لذلك المجتمع بادية في العلاقات الاجتماعية حتى الحرب العالمية الثانية، وبالتالي حتى قيام الثورة التحريرية، لأن السنوات التسع التي فصلت الحدثين لم تَحدث فيها معجزة غيرت تلك المعطيات.

إن الاختلاف الثقافي بين الجاليات أو المجموعات تَرجم بقاعدة عامة " الكلّ في بيته"[3]، ولم يكن هناك انقسام وتجزّؤ ثقافي بين الأوربيين وغير الأوربيين فحسب، بل تعدّاه إلى انقسامات داخل المجموعات الكبرى كاليهود السيفاراد والأشكيناز، وأوربيي الجزء الشرقي من المتوسط وسكان الجزء الغربي منه، وبين سكان شمال أوروبا وجنوبها، وكان زواج الاسبان بالإيطاليين يثير ضجة كبيرة حتى عشية الحرب العالمية الثانية، أما بين اليهود والأوربيين فكان يصل العقاب إلى حد القتل أو الحرمان من الميراث[4]، وهو ما يؤكّد تعقّد الظواهر البشرية

---

[1] Ibid.

[2] للمزيد ينظر: فوزي سعد الله، المرجع السابق.

[3] Pierre Mannoni, op. cit., p. 220.

[4] Ibid.

وصعوبة التحكّم في سيرورتها وتوجيهها في اتجاه معين، خاصة إذا كانت المجموعة البشرية من أصول ومشارب وثقافات مختلفة كما كان الأمر بالنسبة للأوربيين بالجزائر، ولم تكف الإجراءات الإدارية الاستعمارية المتلاحقة في تحقيق انصهار اجتماعي حقيقي، لأن ذلك كان يستلزم محو كل ما يصل عناصر تلك المجموعة الفرنسية المصطنعة بماضيها وأصولها، حيث استمر استعلاء الفرنسي الأصلي، كما استمرت العادات واللغات والطقوس الاجتماعية المختلفة لدى العناصر الفرنسية غير الأصلية.

وإن نحن تحدثنا عن الجزائريين الذين لم تسعى الإدارة الاستعمارية إلى فرنستهم، وإنما حاولت جعلهم يقبلون بفكرة أنهم عبيد للأسياد فقط، فإن ذلك يقودنا إلى فشل آخر للإدارة الاستعمارية في تحقيق ذلك الخضوع والاستسلام، الذي كان يعيه الجزائريون ويفهمون أبعاده منذ البداية، وكانوا يظهرون ذلك للمحتل كلّما سنحت الفرصة بذلك.

فالفرنسيون، كما كتب حربي، كان ينظر إليهم على أنهم أجانب، حتّم التاريخ التعايش معهم إلى أن يرحلوا، فلم نكن نحس بتمزّق داخلي، ولم نكن نشعر بأي فقدان للهوية، وحتى الأوربيين الأجانب أو من أصول أجنبية تعاملوا مع الإدارة الاستعمارية إما لتحقيق مآرب شخصية، أو للتهرب من مضايقاتها؛ لأن تلك الفسيفساء البشرية كانت ظاهرة، كما تؤكد ذلك الباحثتين الفرنسيتين كولونا وطارو بقولهما "إن السكان الأوربيين في الجزائر لم يشكّلوا أبدا مجتمعا واحدا بل فسيفساء من مجموعات متنافسة فيما بينها بدون قواعد، حاملة لمعايير ثقافية متباينة وتتمتع بامتيازات سياسية مختلفة"[1]، وكان هؤلاء الأوربيين، حسب

[1] Fanny Colonna et Christelle Taraud, « **La minorité européenne d'Algérie (1830-1962) : inégalités entre « nationalités », résistances à la francisation et conséquences sur les relations avec la majorité musulmane** », colloque *Pour+*

شهادة أحدهم، "يشكّلون هوية خاصة من الاسبان، المالطيين والايطاليين مختلطة بالثقافة العربية، فكان لهم نمط حياة وعادات من كل تلك البلدان، يختلف كل الاختلاف عن النمط الفرنسي، "كنا نلاحظ جيدا بأن الجزائر ليست فرنسا، قد يكون ذلك في الجزائر العاصمة، ولكن ليس في قسنطينة أو بداخل البلاد، ففي إقليم وهران مثلا كان كثير من الأوربيين يتكلمون الاسبانية"[1].

وإن حصل تقارب بين تلك الأقلية الأوربية، مقارنة بعدد الجزائريين، رغم الخلافات السياسية الاقتصادية والاجتماعية التي كانت داخلها وهي ذات صلة بالأصول، فلأنهم كانوا يشعرون بالضعف حيال هؤلاء الجزائريين، لأن أمنهم ومصيرهم كان يتوقف على مدى توحدهم[2]، نظريا يبدو الأمر معقول، ولكن الخلافات والصراعات التي كانت تنشب بين الفينة والأخرى داخل تلك المجموعة الأوربية، كانت تنم على وجود مستعمرة أوربية داخل مستعمرة أوربية أخرى على حد تعبير الباحثة الأمريكية آندريا سميث، لأن عدم تقبل الفرنسيين الأصليين لهؤلاء الفرنسيين الجدد هو الذي عطّل اندماجهم في الثقافة الفرنسية[3]، وسمح بتشكّل تلك المستعمرة الثانية، وإن حصل ذلك التقارب بينهما فعلا، فكان تقارب مصلحي من أجل البقاء فحسب، وكان فرحات عباس أفضل من عبر عن ذلك الواقع حينما قال: " إن الفرنسيين، الإيطاليين، المالطيين، الاسبان واليهود لم

+*une histoire critique et citoyenne. Le cas de l'histoire franco-algérienne,* 20-22 juin 2006, Lyon, ENS LSH, 2007, http : //ens-web3.ens-lsh.fr/colloques/france-algerie/communication.php3 ?id_article=249

أطلع على الموقع يوم: 2013/06/25، على الساعة: 21.35.

[1] Helene Bracco, op. cit., p.11.

[2] Mohammed Harbi**, La guerre commence en Algérie**, Editions Complexe, Paris 1998, p. 81.

[3] Andrea L. Smith, **Colonial Memory and Postcolonial Europe, Maltese Settlers in Algeria and France**, Indiana University Press, Bloomington 2006.p.64.

يكونوا متحابين، ولكن كانوا يتّبعون نفس الأفكار العنصرية ويدافعون على نفس النظام الاستعماري "[1]، وتجلّى ذلك بوضوح من خلال تكتّلهم خلال فترة الثورة التحريرية؛ لأن الخطر الذي كان يهدد تواجدهم في الجزائر شكّل القاسم المشترك بينهم.

إن بروز مصطلح الأوربيين الجزائريين (*Algériens*) منذ عشرينيات القرن 20م لدليل على أنهم كانوا يسعون إلى التجذّر بالجزائر، تلك الجزائر الأوربية التي شبهتها الباحثة الفرنسية موران سنة 2004م ببرج بابل[2]، ولكن التحول من شبه حقيقة تاريخية إلى أسطورة خيالية كان وراءه شعب لم يرد الزوال والفناء والاستسلام بإرادته وصموده وتضحياته، وبذلك قضى على حلم هؤلاء، وفتّتت ذلك الغرانيت الذي تحدّث عنه رئيس بلدية قسنطينة إيميل مورينو سنة 1922م حينما قال: "إن الجزائر فرنسية وإلى الأبد، فالقوة الوطنية عبر الاستيطان الفرنسي هي الفكرة الكبرى لبيجو، وهي اليوم مبنية على أرضية من الغرانيت غير قابلة للتفتيت"[3]!

تجسد ذلك التيار الجزائري في الكتابات الأدبية منذ سنة 1920م، ومثّل (*Robert Randau*) البداية الرسمية له حسب، بيار ديماش[4]، مع (*Jean Pomier*) بهدف إيجاد حركة أدبية مستقلة تمثّل الجزائر الأوربية في غمرة ذلك التهافت

---

[1] Abbas Ferhat, **La nuit coloniale**, Edition ANEP, Alger, 2005, pp.99.100.

[2] Valérie Esclangon-Morin, « **La mémoire Déchirée des pieds- noirs** », in : M&M, N°1251-Septembre-octobre 2004, pp.99-109.

[3] Emile Morinaud, « **Française ou Arabe, que sera l'Algérie en 1950 ? »**, in : Annales Africaines du 23 novembre 1922, p.1262.

[4] Conférence de Dr Pierre Dimech, Président national de Cercle algérianiste, prononcée à l'Université de Malte le 21 mai 2001, in :

http:// maltalger.over-blog-/article-l-emigration-maltaise-en-algerie-116868519html.

اطلع عليه بتاريخ: 2012/07/27م، على الساعة: 19.50.

الذي أبداه المتجنسون الجدد من أجل نجدة فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، وتحمس له الكثير من الأدباء المولودين بالجزائر، قبل أن يدركوا قبل غيرهم بأن إعطاء بعد روحي للجزائر الأوربية– وكان ذلك هدفهم الأساس– هو ضرب من الخيال بحكم الواقع الذي كانوا يعيشون فيه، وبأن ذلك التهافت الأوربي لنجدة بلد التبني لم يكن سوى حالة ظرفية عابرة جاءت في سياق تاريخي خاص، ولذلك تحول الكثير من هؤلاء الأدباء والمثقفين إلى تيار آخر سمي بالتيار المتوسطي، وهو ما يعتبر إقرار بتشتت العنصر الأوربي بالجزائر، ودليل في ذات الوقت على أن برج بابل الذي تكلّمت عنه موران سنة 2004م، بدأ يحس به هؤلاء مع ثلاثينات القرن 20م، لأنهم شعروا بتعقّد عملية التعايش بين الشعوب المتوسطية في الجزائر منذ 1935م[1]، ومن بين الذين تحولوا إلى ذلك التيار المتوسطي[2] الجديد منذ بداية ثلاثينات القرن 20م ذكر مانوني *(Edmond Charlot),* *(Albert Camu)* , *(André* *(Claude de* *(Jean Brune)* *Fréminville)* *Belamich),* [3] وآخرون، وإن كانت الباحثة يحياوي مسعودة اعتبرت ذلك التيار المتوسطي ما هو إلاّ امتداد للتيار الجزائري، ولكنها أشارت إلى أن كتابات التيار الجديد ركّزت على فشل العناصر الأوربية المختلفة في التعايش بالجزائر[4].

---

[1] كان ذلك تحت تأثير الأحداث السياسية التي كانت تشهدها أوربا بشكل عام، والجزائر بشكل خاص، ينظر:

Yahiaoui- Merabet Messaouda, **Société musulmane et communautés Européennes dans l'Algérie du XXe siècle, (Réalités, Idéologies, Mythes et Stéréotypes),** tome1, Editions Houma, Alger, 2005, p. 510.

[2] عن التيارات الأدبية الفرنسية (الجزائرية) التي ظهرت بالجزائر، ودراسة تحليلية لأهم روايات تلك الفترة بشكل عام، ينظر:

Yahiaoui- Merabet Messaouda, op. cit., p. 511.

[3] Pierre Mannoni, op.cit., p. 196.

[4] Yahiaoui- Merabet-Messaouda, ibid.

لم يكن هذا الشعور المسبق بتطور الأمور (الاستشراف) مصدره الأدباء والكتاب الأوربيون فقط، بل انتقل إلى جوهر الموضوع مع بداية الستينات، حيث مس الاستيطان بجانبيه السياسي والاقتصادي، حيث رافق تأسيس جمعية (اتحاد أصدقاء البرازيل) بالجزائر بتاريخ 14 جانفي 1961م[1]، بهدف تدعيم التعاون والصداقة بين الفرنسيين بالجزائر والبرازيل، قيام أحد أعضائها جون باتيست موران (*Jean Baptiste Morin*) بتحويل مؤسسة خاصة كان يملكها إلى وسيلة لتهريب المعمرين الفرنسيين إلى ذلك البلد، مما يعني أن بعض الفرنسيين كانت لهم شجاعة التعبير العلني عن الحالة العامة التي بدأ يشعر بها المعمرون في الجزائر مع بداية ستينات القرن 20م.

فقد نشرت احدى الجرائد الباريسية بتاريخ 9 جوان 1961م أن صاحب تلك المؤسسة الخاصة أجرى اتصالات مع الحكومة البرازيلية بغرض تسهيل هجرة معمرين من الجزائر إلى هذا البلد.

استرعى ذلك الخبر تدخّل وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية بالقرب من الجهات الأمنية للتحقيق في الأمر بتاريخ 14 جوان[2]، وكشف التقرير المنجز أن 200 رسالة وصلت إلى مقر تلك المؤسسة الخاصة (في ظرف أيام فقط)، رغب أصحابها في مغادرة الجزائر والذهاب إلى البرازيل؛ وكان من هؤلاء معمرون، تجار وإطارات ...، ونظرا للخطورة التي كانت تشكّلها تلك العملية على التواجد

[1] أردت من خلال هذا المثال، (وإن جاء خارج الإطار الزمني للبحث)، الاستدلال بأن هناك من الفرنسيين من اقتنعوا بنهاية حلم الجزائر الفرنسية، ولم ينتظروا 19 مارس 1962م للتأكد من ذلك. = كما تؤكّد أيضا أن السلطات الاستعمارية كانت لا تزال تصدق ذلك الحلم الى غاية هذه الفترة، وربما أن ذلك كان فقط بهدف عدم إضعاف موقف المفاوض الفرنسي مع وفد جبهة التحرير الوطني.

[2] ANOM, Préfecture d’Alger, Série 3F, Carton 3F/150.

الفرنسي بالجزائر، قررت السلطات الاستعمارية حل تلك المؤسسة الخاصة بتاريخ 30 جوان 1961م.

9 استمرار السلّم العرقي:

لقد مارست السلطات الاستعمارية سياسة تمييز عرقي واضحة داخل المجموعات الأوربية منذ البداية، لكي تبقي على سيطرة العناصر الفرنسية في تسيير شؤون المستعمرة، كما عملت على عرقلة كل تقارب بين العناصر الأوربية المتوسطية والجزائريين، لأن حدوث ذلك الأمر كان سيصعب من مهمتها في احتواء الوضع والتحكّم فيه؛ لذلك لجأت سنة 1939م إلى إبعاد اللاجئين من الجمهورين الاسبان عن الجزائريين، ثم سمحت لكل من يرغب في مغادرة البلاد ويملك إمكانيات مادية لتحقيق ذلك بالذهاب، ثم عرضت الجنسية الفرنسية على عدد آخر منهم، لكي تمنع أي تواصل لهم مع الجزائريين خاصة وأنهم كانوا حاملين لأفكار ثورية.

ركّزت الإدارة الاستعمارية كثيرا على الاسبان بسبب كثرتهم من جهة وبسبب الحقد الذي كان يكنه الاسباني للفرنسي القديم لأسباب تاريخية؛ فالإسباني لم يكن يحب الفرنسي بصفة عامة، فالكنيسة الاسبانية لم تسامح القوات الفرنسية على أعمالها البشعة بعد اجتياح القوات النابليونية للبلاد بداية القرن 19م، الى درجة أنهم كانوا يشبهون، وخلال فترة زمنية طويلة، نابليون بالشيطان[1]، أما بخصوص الشعب، فإن الطبقة البورجوازية لم تنس دعم حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية للجمهورية الاسبانية، في حين أن الطبقة العاملة الاسبانية كانت ترى بأن فرنسا (حكومة الجبهة الشعبية) خانت قضيتهم، وتخلّت عن دعمهم ومساندتهم أثناء الحرب الأهلية الاسبانية، والإدارة الاستعمارية كانت من دون

[1] J. Garry, ANOM. op.cit.

شك على علم بذلك، لأن ذلك الحقد الذي كان في اسبانيا، ربما حملته معها العناصر الفقيرة واليسارية التي قدمت إلى الجزائر.

لقد كانت مخاوف الإدارة الاستعمارية من حدوث ذلك التقارب الأوربي الجزائري لأنه يفقدها كل مصداقية، ويخلّ بالتوازن الذي تسعى إلى إيجاده داخل المجموعات البشرية المختلفة بالجزائر، وفي ذات الوقت يضعف مكانة المعمر الفرنسي بالمستعمرة، ولذلك حاولت السلطات الفرنسية القضاء على كل العوامل التي من شأنها أن تساعد على ذلك التقارب، وفي نفس الوقت عملت على تنمية بؤر الاختلاف والنزاع بينها خاصة في مجال العمل، وبالخصوص في فترات الأزمات والمحن الاقتصادية.

ومع ذلك تشير الإحصائيات الرسمية أن عدد الأوربيين الذين كانوا يتكلّمون العربية بالجزائر هم في الغالب من أصول أجنبية، وهو ما ينم عن احتكاكهم وتفاعلهم بالمجتمع المحلّي الذي يعتبر في حد ذاته دليل على التعايش مع الآخر في ظل ذلك الظرف التاريخي الخاص خارج علاقة السيد بالعبد التي كانت بين الفرنسيين الأصليين والجزائريين، وأشارت تلك الإحصائيات إلى أن عدد المتكلّمين بالعربية والفرنسية سنة 1948م بعمالة وهران ذات التركيز الاسباني الكثيف، بلغ 50002 نسمة، في حين لم يتعدّ ذلك الرقم 27021 نسمة[1]، وقد يكونون في الغالب من عناصر تنحدر من أصول غير فرنسية، ونفس الأمر سجل في عمالة قسنطينة التي كان بها تواجد أوربي قليل مقارنة

[1] Gouvernement General de l'Algérie, Direction générale des finances, Service de statistique générale, Résultats statistiques du dénombrement de la population effectués le 31 octobre 1948, Volume II, **Population non musulmane**, Service de statistique générale, Alger,. Bibliothèque ANOM//124174. p.40.

بعمالتي الجزائر ووهران، لأن معظمهم كان من أصول إيطالية ومالطية ومع ذلك بلغ عدد المتحدّثين باللغتين بها 27004 نسمة.

اللغة/ العمالات	الجزائر	وهران	قسنطينة	الجنوب	المجموع
الفرنسية	281912	246524	115039	4138	647613
فرنسية/ عربية	27021	**50002**	**27004**	4460	**108487**
فرنسية/ عربية/ امازيغية	2133	320	840	22	3315
المجموع	311066	76846	142883	8620	759415

جدول رقم 27). عدد الفرنسيين المتكلّمين بالعربية والأمازيغية سنة 1948م[1].

يتضح من الجدول أن النسبة العالية من المتكلمين بالعربية من الأوربيين كانت في عمالة وهران، بالإضافة الى عمالة قسنطينة بالنظر الى عدد الفرنسيين القليل بهما مقارنة بعمالة الجزائر، وهما منطقتان كانت بهما نسبة عالية من الفرنسين من أصول اجنبية، اسبانية في الغرب وايطالية ومالطية في الشرق، إلا أن الجدول لم يشمل، مع الأسف، لغات أخرى كالإسبانية والإيطالية لوضع تقييم شامل لعملية الاندماج في المجموعة الفرنسية، التي تعتبر اللغة من بين المؤشرات المهمة عليها، أما احتكاك العناصر الفرنسية بالجزائريين فكان كبيرا في عمالتي الغرب والشرق حيث تتركز العناصر الفرنسية من أصول أجنبية بشكل كبير، مما يجعلنا نشك في أن الرقم المشار اليه أعلاه في عمالة الجزائر قد يعني أيضا المتجنسين، الذين كانوا بأعداد كبيرة أيضا خاصة في مدينة

[1] Gouvernement General de l’Algérie, Direction générale des finances, Service de statistique générale, Résultats statistiques du dénombrement de la population effectués le 31 octobre 1948, Volume II, **Population non musulmane**, op. cit.,p. 34.

الجزائر، وما يؤكد هذا الرأي هو أن نسبة الأجانب المتحدثين باللغة العربية يطابق تماما عدد الفرنسيين (المتجنسين) المتحدثين بها.

وحتى الأجانب غير المتجنسين كان منهم من يتحدّث بالعربية أيضا، وتراوحت النسب بين 27 % لدى المالطيين، 12 % لدى الاسبان الأكثر عددا و9 % لدى الإيطاليين؛ وتعكس هذه الأرقام التقارب الأوربي الواضح الذي كان بين الجزائريين وبين العناصر الأجنبية المتجنسة وغير المتجنسة، وذلك التعلّم لم يتم في المدارس وإنما من خلال الاحتكاك والتفاعل المباشر في الحياة اليومية، وهو ما يعني كذلك قلة عامل التعالي والعنصرية عند هؤلاء، وهو ما أكّده جون قاري حيث أكّد بأن الاسباني المتجنس وغير المتجنس كانا يحافظان على نفس العلاقة مع الجزائريين، فهم لم يكونوا يتلافون الاختلاط بهم عكس فرنسيي الميتروبول، كما كانوا يتعلّمون لغتهم بسهولة، ويشاركونهم حياتهم، وحتى النساء الاسبانيات لم تكن تخفن من الزواج من جزائريين، حتى وإن أُجبرن على لباس الحايك[1].

وقد يفسر ذلك التقارب العرقي بين العنصرين الاسباني والجزائري بالظروف التاريخية التي جمعت الاسبان بالعرب خلال قرون من الزمن، ومع ذلك فانهم كانوا يعاملونهم بقسوة، ولا يبرزون أي سخاء تجاههم في الفترات الصعبة، وأنهم كانوا ينظرون إلى زابري الكروم من الجزائريين بالخصوص بقسوة، ولم يكونوا يرغبون منافستهم لهم[2].

---

[1] J. Garry, ANOM, op.cit.

[2] Ibid.

10 التأثير والتأثر الثقافي بين العناصر الأوربية والجزائريين:

ظلّت العناصر الأجنبية الوافدة إلى الجزائر منذ أربعينات القرن العشرين من شريحة اجتماعية فقيرة إلى حد كبير، وكان مستواهم الثقافي محدود أيضا، وهو ما يعني أن السلطات الاستعمارية لم تهتم بتعليمهم والارتقاء بمستواهم الثقافي والمعرفي، تماما كما كانت تتعامل مع الجزائريين طيلة الفترة الاستعمارية.

وما كان ينطبق على الاسبان الوافدين على الجزائر خلال القرن 19م استمر مع نهاية النصف الأول من القرن 20م، وإن كانت الإحصائيات لم تشر إلى سنة قدومهم، إلاّ أنها تعكس واقعا غير سليم حيث فاقت نسبة الأمية لدى المجموعة الاسبانية 59 %، ونسبة 40 % لدى الإيطاليين، في حين لم تتعد نسبة الأمية لدى الفرنسيين 5,1 % سنة 1948م، ومع ذلك كانت تلك النسبة القليلة من الأمية تتركّز في المدن التي تتركّز بها عناصر فرنسية من أصول أجنبية بشكل كبير؛ كمدينة الجزائر التي وصل بها عدد الأميين 19343 نسمة، و وهران ب 18559 نسمة، عنابة 4310 نسمة وسيدي بلعباس ب 3232 نسمة[1].

كان الأوربيون غير المتجنسين في الجزائر إلى غاية سنة 1954م، وإن تعلّم بعضهم الحديث باللغة العربية، إلا أن الإحصائيات بينت ضمنيا عدم تهافتهم على اللغة الفرنسية، لأنهم بقوا يتكلّمون بينهم بلغاتهم الأصلية وبنسب عالية، وهو هو ما تعكسة أرقام الجدول التالي:

[1] Gouvernement Général de l’Algérie, Volume II, **Population non musulmane,** op. cit., p. 45.

الجنسية	نسبة المتكلمين باللغة الأصلية
البريطانيين	89 %
الايطاليين	91.6 %
اليونانيين	93.3 %
البولونيين	93.6 %
المالطيين	93.6 %
البلجيكيين	94.1 %
السويسريين	94.2 %
الروس	96.2 %
الألمان	97.5 %
الاسبان	97.5 %

(جدول رقم 28). المتكلّمين باللّغة الأصلية من الأجانب بالجزائر سنة 1954م[1].

يتضح من الجدول أن الأجانب الذين كانوا يقيمون في الجزائر خلال هذه الفترة غالبيتهم حافظت على لغتها الأصلية، ولم تفقدها الا نسبة 3.7 % منهم فقط، حيث من بين 41522 أجنبي لم يفقد لغته الأصلية سوى 1528 نسمة فقط، واختلفت النسب من عنصر إلى آخر، وكلما كان عدد المجموعة كبيرا بشكل عام كلما كانت محافظتهم على اللغة الأصلية أكبر. ويبدو أن الأحداث التي مر بها العالم والجزائر أيضا خلال الحرب العالمية الثانية، دفعت بكل جالية إلى التمسك بهويتها وخصوصياتها.

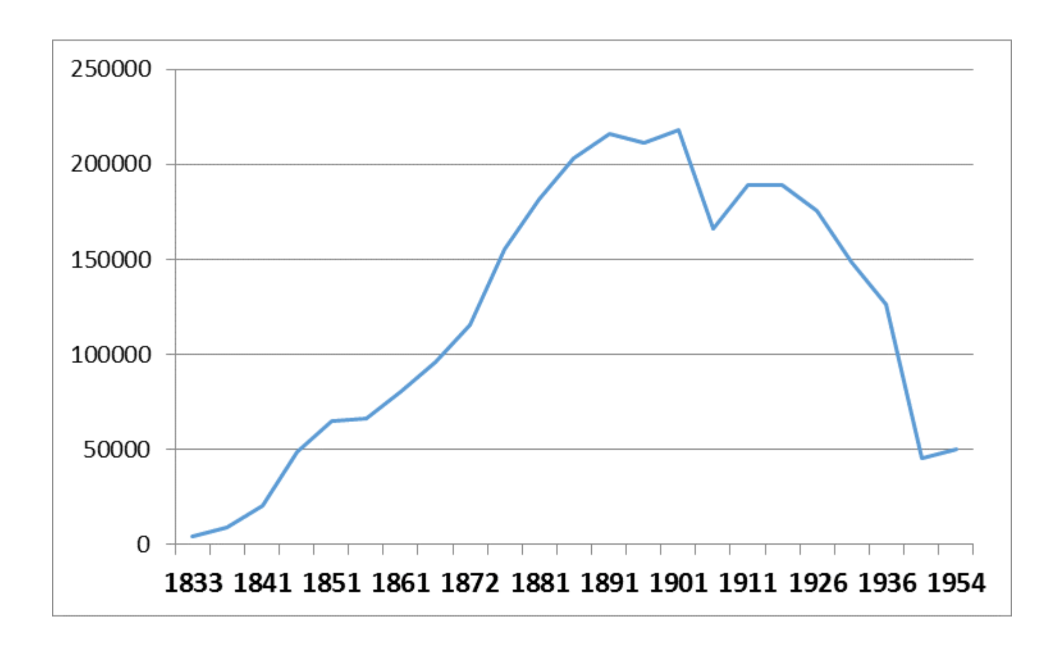
[1] Gouvernement General de l'Algérie, Direction générale des finances, Service de statistique générale, Résultats statistiques du dénombrement de la population effectués le 31 octobre 1954, Volume I, **Population Légale ou résidence habituelle**, Service de statistique générale, Alger,. Bibliothèque ANOM//124174. p.42.

إن العناصر الأجنبية التي كانت متواجدة بالجزائر بقيت إذا وفية للغاتها الأصلية بنسبة بلغت معدل 96.3%،[1] وقد ساعدهم في ذلك، من دون شك، محافظة العناصر المتجنسة من نفس أصولهم على لغتهم الأصلية، كما كان الشأن بالنسبة للإسبان في عمالة وهران بشكل عام، وقد يكون بسبب أن مجيئهم إلى الجزائر كان حديث العهد، أو ربما لأن نسبة الأمية بينهم كانت عالية مما يفسر أنهم لم يكونوا يعرفون غير لغتهم، كما كان عليه الحال في القرن الماضي.

11 فشل الإدارة الاستعمارية في تكوين مجتمع أوربي منسجم بالجزائر:

إن عدد الأجانب داخل المجموعة الأوربية ما فتئ يتزايد حيث وصل إلى الذروة سنة 1901م، ثم أخذ في التراجع وهذا مرده بالدرجة الأولى إلى قانون 1889/06/26م، وقانون 1893م، بالإضافة إلى قانوني 20 أوت 1927م و19 أكتوبر 1945م التي أقرت كلها بمبدأ الأرض (*Jus Soli*) في التجنس وليس بمبدأ الدم (*Jus Sangui*) الذي كان معمول به في فرنسا قبل سنة 1889م. وجاءت هذه القوانين لتسهيل الإجراءات الإدارية للأجانب ليتهافتوا على الجنسية الفرنسية، ممن ولدوا بالجزائر من أولياء أجانب. أما من كانوا أبناء أولياء أجانب مولودين بالجزائر فلم يترك لهم أي خيار، حيث كانت تتم فرنستهم آليا عند الولادة. ولقد عملت هذه القوانين المختلفة على تراجع أكيد لعدد الأوربيين غير الفرنسيين بالجزائر، حيث لم يعد يمثلون عشية الثورة التحريرية سنة 1954م سوى 5% من مجموع عدد الأوربيين بالجزائر.

[1] Gouvernement General de l’Algérie, Direction générale des finances, Service de statistique générale, Résultats statistiques du dénombrement de la population effectués le 31 octobre 1954, Volume I, **Population Légale ou résidence habituelle**, op. cit., p.42.



(رسم بياني رقم 21). تطور عدد الأوربيين غير الفرنسيين في الجزائر بين 1833-1954م[1].

يتّضح من خلال الشّكل أن السلطات الاستعمارية تمكّنت من احتواء إداري لجل العناصر الأجنبية المشكّلة للجاليات الأوربية بالجزائر، كما يتضح بجلاء بأن ذلك بدأ منذ بداية تسعينات القرن 19م، واستمر الوضع في التراجع، باستثناء المرحلة التي تلت الحرب العالمية الأولى لأنها شهدت توافد عدد كبير من الاسبان بالخصوص، ولكن إلى أي مدى وفّقت الإدارة الاستعمارية إلى غاية هذه المرحلة في احتواء هؤلاء المتجنسين فكريا وثقافيا، وهل تمكّنت فعلا من تشكيل عنصر بشري جديد هجين ولكنه متجانس رغم ذلك؟

رغم الجهود الفرنسية الحثيثة لخلق مجتمع أوربي متماسك، بالتجنيس الفردي والجماعي، وبالاعتماد على التعليم والخدمة العسكرية لتحقيق الاستيعاب

---

[1] Gouvernement General de l'Algérie, **Population Légale ou résidence habituelle**, Service de statistique générale, Alger,. Bibliothèque ANOM//124174, op. cit., p.47.

الثقافي للأوربيين في الفكر الفرنسي، إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث، وإن كان قد حصل ذلك فعلا، فكان على مستوى محدود فحسب، والصراعات التي كانت بين تلك العناصر بالجزائر خلال فترات زمنية مختلفة تظهر جليا تلك الفسيفساء البشرية غير المنسجمة، بسبب الاختلاف في الأصل واللغة والتفكير.

وإن كانت الحرب العالمية الأولى أوهمت السلطات الاستعمارية بنجاح مشروعها الاستيعابي، إلا أن ظهور الأنظمة الوطنية ببعض دول أوروبا، برهن من جديد على هشاشة ذلك البناء الاستعماري، وبين أن العناصر الأوربية الأجنبية، حتّى من المتجنسين منهم، كانت أعينهم لا تزال موجهة صوب الوطن الأم، رغم المصالح المادية التي كانت تربطهم بالمستعمرة في الكثير من الأحيان، كما أن الحرب الأهلية الاسبانية جندت كل الاسبان تقريبا من غير المتجنسين ، ومن المتجنسين أيضا، إلى درجة أن بعضهم ذهب إلى حد السعي إلى ضرب المصالح الفرنسية من خلال تعاملهم مع الأنظمة المعادية لفرنسا ولاسيما الاسبانية، الإيطالية وحتى الألمانية، لأن الإدارة وإن ظلت دائما مسيرة باسم الدّولة الفرنسية، إلا أن الروح الفرنسية غابت واستبدلت في الغرب بالروح الاسبانية وفي الشرق بالروح الإيطالية[1].

لقد كان ذلك الموقف نتيجة حتمية عن الممارسات الإدارية تجاه المجموعات الأوربية غير الفرنسية منذ بداية الاحتلال، عبر التضييق الاقتصادي والاجتماعي عليها، وعندما تحس مجموعة بأنها مظلومة من قبل مجموعة أكثر قوة منها، فإنها تلجأ إلى تأكيد هويتها المهدّدة، وعندما تكون قيمة المجموعة معرضة للخطر ولاسيما من الحكم الصادر عن نظرة الآخرين فإن آليات الدّفاع

[1] Jean- Jacques- Jordi, **Les Espagnols en Oranie,** op. cit., p.172.

المستمدة من القوة التاريخية للهوية توضع وتتجسد[1]، ولذلك كلما كانت الإدارة الاستعمارية تتحرك في اتجاه استيعاب إداري وثقافي لهؤلاء الأجانب، أو احتقارهم إداريا أو اقتصاديا وحتى عرقيا، كان يتشكّل لديهم رد فعل جماعي.

كما أن الأفراد لا يمكنهم إنشاء هوية جديدة، لأن هذا أمر لا يمكن تصوره، ولأن الولاء الكبير للعادات القديمة تمنع الاستبدال الكلّي للنموذج الأصلي بهوية جديدة[2]، هذا من جهة، كما أن الماضي، من جهة ثانية، عبر الذكريات الواعية وغير الواعية، وعبر التجارب المعاشة يشكّل جزءا لا يتجزأ من الهوية الفردية والجماعية، كما أن الذاكرة حسب علماء الاجتماع ليست سوى القدرة على الاحتفاظ وتذكّر حالات الوعي الماضية المحافظة على الذكريات[3]، وحتى وإن تعذّر التذكّر الذاتي ، فإن الآخرون هم من يتولّى مهمة التذكير تلك، لأن ذكرياتنا تظل جماعية، فالآخرون هم من يذكروننا بها حتى وإن كانت تتعلّق بأحداث خاصة، أو بأشياء رأيناها بمفردنا[4].

من هذا المنطلق، فكلما كانت المجموعة أكبر كلما كثر الآخرون الذين يذكروننا بمن نحن، وإلى أي مجموعة بشرية ننتمي، بصرف النظر عن الجنسية الجديدة التي بات يتمتع بها هؤلاء، وبصرف النظر أيضا عن الفترة الزمنية التي تفصل بين الجنسية الأصلية والجنسية الجديدة لهؤلاء، لأن تلك المدة لم تكن

---

[1] Lucienne Martini, **Racines de papier : essai sur l'expression littéraire de l'identité pieds noirs**, Editions Publisud, « Collection Espace méditerranéens », Paris, 1997, p.30.

[2] Joël Candau, « ***Mémoire et identité*** », Presses Universitaires de France, « Collection sociologie d'aujourd'hui », Paris, 1998, pp. 24. 87.

[3] Marie –Claire Lavabre, ***Le fil rouge, Sociologie de la mémoire communiste***, Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques, « Collection Bibliothèque de l'Evolution de l'Humanité », Paris, 1996, p.15.

[4] Maurice Halbwachs, ***La mémoire collective***, Editions Albin Michel, Paris, 1997, p.52.

تمثل فارقا كبيرا على أرض الواقع، بين المتجنسين القدامى، أو الجدد وبين من لم يتجنس منهم بعد، ونلمس ولك جليا داخل المجموعة الاسبانية في الغرب الجزائري بالخصوص، حيث حافظ الجميع إلى حد بعيد على خصوصياتهم الاسبانية وأهمها اللّغة، وكل الطقوس الاجتماعية من مأكل وملبس ونشاطات ثقافية ورياضية وغيرها. وحتى وإن سجل تقارب والتقاء بين العناصر المختلفة المتواجدة بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية، في المدارس، أو في مباراة لكرة القدم، إلاّ أن الجميع كان ينصرف إلى مجتمعه بمجرد نهاية اليوم الدراسي أو تلك المباراة الرياضية[1].

لم يكن الساسة الفرنسيون غافلون عن هذه النقطة الحساسة والمحورية المتعلقة بالذاكرة الجماعية والتي قوامها انتصارات ومآسي الأمة، التي تعتبر الأساس في بناء هيكلها الصلب والمتين، وهي التي تبنى عليها آمالها المستقبلية في ذات الوقت. وظن بعض هؤلاء الساسة أن أحداث الحرب العالمية الأولى قد مكّنت الفرنسيين الجدد وحتى الجزائريين من ذاكرة جديدة[2]، الأمر الذي سيسهل على الإدارة الاستعمارية الاستيعاب الفكري والثقافي والاداري لكل مكونات المجتمع الجزائري، بداية بالمتجنسين الجدد ثم الجزائريين، إلا أن ذلك لم يعد كونه تخمين سياسي فحسب، وإن كانت تلك الذاكرة الجماعية الجديدة التي صنعتها الحرب العالمية الأولى قد تكونت فعلا، فإنها لم تشمل ربما إلا الفئة الأوربية التي شاركت في المعارك فعلا، حيث أشار براديي إلى أن الأمهات الاسبانيات والإيطاليات والفرنسيات وهن يودّعن أبناءهن وهم ذاهبون للمشاركة

---

[1] Raphael Delpard, **l’Histoire des pieds- noirs d’Algérie 1830- 1962,** Editions Michel Lafon, Paris, 2002, p. 57.

[2] Pierre Perreau- Pradier et Maurice Besson, op. cit., p. 126.

في الحرب كن وكأنهن أخوات[1]، وهو أمر لم ينطبق على الجزائريين بالمرة، لأن مشاركتهم في تلك الحرب إلى جانب فرنسا جاءت بشكل قصري، ولا يمكن لذلك إلا أن يقوي ذاكرتهم الأصلية وليس شيئا آخر، ولذلك كثرت آمال الإدارة الاستعمارية في حين غاب ذلك البناء المتين، الذي لا يمكن لأي آمال أن تتحقق من دونه.

إن ما حصل في الجزائر داخل المجموعة الأوربية بسبب اختلاف أصولها، ما هو في حقيقة الأمر إلا استنتاجات لما حصل فعلا بالمستعمرة خلال الفترة الاستعمارية، وبذلك ساهمت الجزائر في إظهار وإبراز بعض الحقائق ذات الصلة بتعايش المجموعات البشرية المختلفة في المستعمرات الاستيطانية، وإن كانت الحكومات الاستعمارية قد نجحت في خلق تناسق بشري في أستراليا وزلندا الجديدة على حساب السكان الأصليين، فإن ذلك الأمر تعذّر نجاحه في الجزائر، لأن المجموعات البشرية الكبيرة التي كانت في الجزائر كان لكل منها تاريخ خاص، بنت هويتها من خلاله بالاعتماد على ذاكرتها الجماعية[2] ، أما المجموعات الصغيرة الأخرى فإنها قد ذابت إداريا بسهولة ودونما مقاومة كبيرة، وذلك تحت تأثير أحداث تاريخية، كما حدث مع الألمان والمالطيين، وإن بقيت ملامح عن أصولهم باقية فلم تتعد الألقاب والأسماء.

وتبرز قيمة مقاومة سكان الجزائر الأصليين للاستعمار ولسياسات الطمس والاحتواء التي مارسها ضدهم طيلة فترة تواجده بالمستعمرة، لأن ذلك ليس متاح للجميع، بدليل أن السكان الأصليين في المستعمرتين الاستيطانيتين السالفتي الذكر لم يتمكّنوا من ذلك.

---

[1] Pierre Perreau- Pradier et Maurice Besson, op. cit., p. 127.

[2] Claudine Attias-Donfut, ***Sociologie des générations : l'empreinte du temps***, Presses Universitaires de France, « Collection Le sociologue », Paris, 1988, p.183.

يتضح مما سبق، أن فشل الإدارة الاستعمارية في إنشاء مجتمع أوربي متجانس في الجزائر، خلال الأوقات العادية، لا يرجع إلى تقصير من ذات الإدارة، وإنما إلى جهل فرنسا لمختلف العوامل الديموغرافية، وهو السبب الحاسم في الأخطاء الجوهرية التي ارتكبتها في سياستها بالجزائر، مما أدى إلى فشلها في نهاية المطاف حسب غي بارفيي[1]، وتبين من البحث أن السلطات الاستعمارية عملت الكثير من أجل بلوغ ذلك التجانس لكنها فشلت وذلك مرده في حقيقة الأمر إلى أصحاب الأرض الشّرعيين الذين فرضوا وجودهم طيلة الفترة الاستعمارية، رغم أنهم كانوا الأكثر احتقارا وتهميشا؛ حيث كانوا يعملون بالموازاة مع تلك السياسات الاستعمارية، من خلال مؤسسات تقليدية في الغالب تطورت مع الزمن، للحفاظ على هويتهم الجماعية عبر التشبث بمقوماتهم الحضارية والبشرية، كما فعل الاسبان، ولكن بشكل أوسع وأنجع لأنهم استغلوا عامل الأرض الجزائرية التي ينتمون إليها وتنتمي اليهم، وهو العامل الأساس الذي حسم الموقف في الأخير لصالحهم.

وإن حديث بعض الفرنسيين عن تلك الشجرة العملاقة التي تشكّلت في الجزائر والتي قوامها الفرنسيون والفرنسيون الجدد، والتي كانت أليافها تفرز عند كل ضربة فأس نسغا لا ينضب[2]، لم تكن سوى تخمينات بشرية ناتجة عن نشوة انتصار في معركة من المعارك فحسب.

ويبقى النجاح الوحيد الذي حقّقته فرنسا في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية هو استيلاءها عنوة على الممتلكات والأراضي والثروات، وقهر

[1] Guy Pervillé**, Le rôle de la colonisation de peuplement dans la politique de la France en Algérie et dans l'organisation de la colonie, in :** Alain Saussol et Joseph Zitomersky, dir. **Colonies, Territoires, Sociétés : L'enjeu français,** Paris, l'Harmattan, 1996, pp. 167-180.

[2] Pierre Perreau- Pradier et Maurice Besson, op. cit., p.131.

واستعباد أصحاب الأرض، وهي كلّها أمور ذات صلة بالأنانية وبالمنفعة المادية التي لا تتطلب لتحقيقها سوى قوة عسكرية وإدارة استعمارية، وهي بذلك لا تنم عن أي بعد حضاري أو إنساني للتواجد الفرنسي بالجزائر.

رغم الاختلافات التي كانت بادية للجميع هنا وهناك داخل المجموعة الأوربية بالجزائر؛ ففي باب الواد بمدينة الجزائر مثلا كان حي الاسبان القديم، وحي الإيطاليين الجديد، وكان لكل حي منهما المقهى الخاص به فمن جهة كانت مقهى الأولمبيك الخاصة بالإيطاليين، وكانت تقابلها مقهى الشوارع (Les Avenues) الخاصة بالإسبان[1]، وهو ما يوحي بأن المجموعات الأوربية كانت متناثرة ولا تناسق بينها حتى في بداية خمسينيات القرن العشرين.

ومع ذلك، فبمجرد الإحساس بالخطر المشترك التفّت تلك المجموعات جميعها بدافع المصلحة التي باتت مهدّدة، مشكّلة كتلة واحدة مباشرة بعد اندلاع الثورة التحريرية الكبرى سنة 1954م، وعيا منهم بأن استمرار مصالحهم في الجزائر مرهون ببقائها مستعمرة فرنسية، والعمل على ابقائها كذلك بات الهدف الأسمى بالنسبة لهم جميعا، وهو ما يعني أيضا أن ذلك التقارب الذي حصل بين ببعض الأوربيين وبعض الجزائريين[2] جاء في سياق مصلحة من المصالح فحسب، لأنه عندما أصبح الأمر مصيريا يتعلّق بتحرير شعب كامل من العبودية والإذلال، طفت أنانية جل الأوربيين عبر تشكيلهم لكتلة واحدة وراء الجيش الفرنسي والإدارة الاستعمارية لإبقاء الوضع على حاله، ولكن مادام أن التّاريخ تحرك

---

[1] Gérard Crespo, op. cit., p.169.

[2] أشار لمين بن علو في كتابه (l'Oranie espagnole) إلى نماذج كثيرة من ذلك التأثير والتأثّر الذي حصل بين الاسبان والأهالي في عمالة وهران بالخصوص، والذي ترك بصماته في الحياة اليومية للسكان إلى اليوم. (ينظر الملحق رقم 21).

بسواعد وأفكار أبناء الجزائر الأصليين والحقيقيين، في الاتجاه الصحيح، لم يكف لا تكتّلهم ولا تجنَدهم لإيقافه.

إن الدول الامبريالية الاستعمارية كانت تَظهر للشعب المستعمر بأن تواجدها على أرضه أمر مشروع وطبيعي، وما عليه إلاّ القبول بالأمر الواقع، إلاّ أن الدول الاستعمارية فيما بينها كانت تعي الحقيقة التاريخية، ومن هذا المنطلق سعت اسبانيا وإيطاليا قبلها إلى طلب مناطق من أرض الجزائر مستعملة معطيات تاريخية واحصائيات سكانية.

لقد شكّلت مطالب النظام الوطني الاسباني بزعامة الجنرال فرانكو بضم وهران مستغلاّ سقوط فرنسا بيد النازية في جوان 1940م وتغلّب دول المحور في المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية، نقطة تحول كبيرة في التّاريخ المعاصر، وكانت اسبانيا جادة في مطلبها حيث وضعت في سبيل تحقيقه استراتيجية محكمة قائمة على بعثاتها الديبلوماسية وعلى الجالية الاسبانية التي كانت تقيم بالعمالة الغربية، وحتى على العناصر المتجنَسة من أصول اسبانية.

وتبادلت فرنسا واسبانيا من خلال التقارير الكثير من التّهم بين 1940 إلى غاية 1943م، ولم تَحسم المسألة إلاّ بعد تغيَر ميزان القوى في الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء. ولكن في ذات الوقت أظهرت بأن الكثير من الاسبان وحتى الفرنسيين من أصول اسبانية تفاعلوا مع تلك القضية مما أشعر، دون شك، السلطات الاستعمارية بهشاشة المجتمع الفرنسي الذي كانت تسعى إلى إنشائه في الجزائر دعامته مجموعات بشرية مختلفة في الأصل واللغة.

كما أظهرت الإدارة الاستعمارية أيضا، من خلال التقارير الرسمية العسكرية والأمنية وحتى الإدارية، بأنها لم تكن تؤمن أبدا (بتفرنس) الاسبان حتى بعد مرور جيلين على قوانين التجنيس الآلي، بدليل أن التقارير الرسمية التي

كانت تتبادلها مختلف المصالح الاستعمارية خلال هذه الفترة تحدّثت بصريح العبارة عن الاسبان، رغم أن معظمهم كان حاملا للجنسية الفرنسية والأرقام الواردة فيها تثبت ذلك.

كما تعاملت الإدارة الاستعمارية في الجزائر مع اليهود خلال الحرب العالمية الثانية معاملة اختلفت من حيث الزّمن والشدّة مقارنة بيهود الميتروبول، بسبب وزنهم الاقتصادي الهام، وتهميشهم بجرة قلم كان يهدّد تواجدها في الجزائر، إلى درجة أن اليهود أنفسهم اعترفوا بأنهم لم يحسوا بتلك الإجراءات كثيرا. ومع ذلك كان لانتزاع الجنسية الفرنسية منهم وقع كبير يعكس تعلّقهم بفرنسا، ويعكس أيضا تشبثّهم بالمكانة الاجتماعية التي مكّنتهم منها تلك الجنسية، كما ينم عن القطيعة التي حصلت بينهم وبين المجتمع الأهلي.

بصرف النّظر عن هاذين الحدثين، فقد بات جليا في بداية النصف الثاني من القرن 20م، بأن الإدارة الاستعمارية، فشلت في إنشاء مجتمع أوربي منسجم ومتماسك بالجزائر، لأنها لم تكن تؤمن إلاّ بتفوق العنصر الفرنسي الأصلي الذي حجزت له كل المناصب والوظائف الهامة، وهو ما يعني أن السلّم العرقي والاجتماعي الذي كان موجودا بالمستعمرة منذ البداية كان من صنع الإدارة الفرنسية نفسها.

والملفت للنّظر هو أن كل العناصر الأوربية التي كانت متواجدة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية تأثرت بدرجات متفاوتة؛ حيث تفرنس اليهود والألمان والمالطيين والإيطاليون وأربعة أجيال من الاسبان إداريا، والكثير منهم ثقافيا، إلاّ أن الشّعب الجزائري الذي كان منسيا حين توزيع الحقوق والامتيازات، وحاضر حين يتعلّق الأمر بالعقوبات والتهميش والتفقير والتجهيل والاذلال طيلة الفترة الاستعمارية، لم يحد قيد أنملة عن خصوصياته وعن ثقافته ودينه، رغم

المحاولات الاستعمارية التي استهدفت النيل من كل الركائز التي تمثل تلك المقومات طيلة أكثر من قرن وربع القرن من الزمن، وهو بذلك ظاهرة بشرية فريدة في القرن العشرين.

الخاتمة

لقد تبين من خلال الدراسات والبحث والمقارنات التي تضمنتها هذه الأطروحة، أن السلطات الاستعمارية سعت منذ أن بداية الاحتلال إلى جعل الجزائر مستعمرة استيطانية ترتكز على العنصر البشري الأوربي؛ لكي يكون لها دعما وسندا في تثبيت تواجدها في الجزائر إلى الأبد.

إن الادارة الاستعمارية في غمرة تلك النشوة بالنصر، الذي جاء في ظروف لا زال يكتنفها الكثير من الغموض، أدركت بسبب المقاومة الباسلة التي أبداها أبناء الجزائر دفاعا عن أرضهم وعرضهم، بعد أن تقاعس من كان مخولا بالدفاع عنها وحراستها، بأن بقاءها في الجزائر لا يمكن أن يتحقّق بالاعتماد على الجيش فحسب، بل يجب الارتكاز أيضا على جيوش من المستوطنين الأوربيين لتخفيف الضغط على الجيش وملأ الفضاءات والمساحات المحتلّة بهم.

وفعلا توافد على الجزائر منذ أن انتشرت أخبار نجاح الحملة الفرنسية على عليها، موجات من الأوربيين، ومن خلال الدراسات والبحث توصلنا إلى مجموعة من الحقائق تنم عن فشل ذريع للإدارة الاستعمارية في المجال البشري والذي أثّر بالتأكيد على القرارات السياسية التي اتخذت بشأن المستعمرة طيلة فترة تواجدها بالجزائر.

إن هذه الدراسة مكنتنا من التوصل إلى مجموعة من النتائج التالية:

1- سعت الإدارة الاستعمارية منذ بداية الاحتلال إلى تعمير الجزائر بعناصر أوربية مصدرها أوربا الشمالية (ألمانيا، سويسرا وإيرلندا) بالخصوص، ولكنها وجدت نفسها أمام حقيقة تاريخية مخالفة، لأن الذي وفد على الجزائر هم عناصر من الدول الأوربية المتوسطية (اسبانيا، إيطاليا ومالطة)، غير المرغوب فيهم، ولكن الإدارة الاستعمارية سلّمت بالأمر الواقع لأنها أدركت بأن ما يهم للاحتفاظ بالجزائر، صيدها الثمين، العدد وليس النوعية.

2- أعطى الحاكم العام بيجو دفعا قويا للعملية الاستيطانية بالجزائر، لأنه تمكّن من توسيع المساحة المحتلّة بعد أن وضعت الحكومة الفرنسية تحت تصرفه نصف الجيوش الفرنسية، وهو أمر لم تشهده فرنسا من قبل.

3-نجح بيجو في رفع عدد الأوربيين بالجزائر بشكل سريع، إلاّ أنه في ذات الوقت فشل في تحقيق التفوق العددي للعنصر الفرنسي على العنصر الأوربي غير الفرنسي بالمستعمرة.

4- هاجر إلى الجزائر منذ البداية من فرنسا والدول الأوربية المتوسطية الكثير من المهمشين في المجتمع الأوربي تحت تأثير الظروف المحلية المتردية التي كانت تعيشها دولهم؛ في ظل التشتّت السياسي والتعفّن الاقتصادي الذي كان تشهده إيطاليا، والمشاكل السياسية والاقتصادية التي لم تتمكّن الحكومات الاسبانية من التغلّب عليها، وكذا مالطة المحتلّة من قبل الإنجليز، بالإضافة إلى الواقع الاجتماعي الذي كان مطبوعا بكثرة البؤساء والفقراء والمتسولين والمنتحرين وخاصة في فرنسا.

5-حمل مشروع بيجو الاستيطاني الذي قدّمه الى وزير الحرب سنة 1841م، مجموعة من الصيغ لتعمير الجزائر بالمدنيين، وبالشركات الرأسمالية الكبرى، وبعناصر من الجيش، وحتى بالعرب الذين سعى إلى الاعتماد عليهم بغرض تحقيق هدفين هما: جعلهم أقل نزعة للحرب، وتسهيل عملية جباية الضرائب منهم؛ إلا أن الحكومة الفرنسية كان لها تصور مخالف في تلك الفترة تحت تأثير المقاومة المنظّمة التي كان يقودها الأمير عبد القادر.

6-على خلاف ما قاله أنصار الاستيطان عن نابليون الثالث بكونه سعى إلى حماية مصالح الأهالي من خلال مشروع المملكة العربية الذي نادى به، إلاّ أن الحقيقة التاريخية بينت بأنه كان من أكثر المتحمسين للاستيطان النوعي بداية بالاستعانة بالشركات الكبرى في ذلك، ثم بالتركيز على الهجرة من أوروبا الشمالية حيث

خصص ميزانية خاصة وموظفين رسميين لتحقيق ذلك في كل من ألمانيا وسويسرا وإيرلندا بالخصوص.

7-سعى نابليون الثالث إلى تثمين المستعمرة لكي تصبح عامل ثراء بالنسبة للميتروبول، من خلال الشركات الرأسمالية الكبرى للتوطين والاستثمار بالجزائر وفي مقدّمتها الشركة السويسرية، ولكنه عندما أدرك بأن هذه الشركة أصبحت فضاءا لبعض الحريات للجزائريين، في محيط تلك الشركة، تخلّى عن ذلك النموذج في التّعمير؛ لكيلا يحس الجزائريون وكأنهم في دولة داخل دولة، بدليل أن الشركات التي تأسست فيما بعد لم توكل إليها مهمة التعمير بشكل رسمي.

8- سعى نابليون الثالث إلى تحقيق التوازن العددي لصالح العنصر الفرنسي، الذي فشل في تحقيقه بيجو، من خلال قانون سيناتوس كونسيلت لسنة 1865م، إلاّ أنه لم يوفّق في ذلك لأن كل المجموعات البشرية الأوربية غير الفرنسية والجزائرية (مسلمين ويهود) رفضت الجنسية الفرنسية باستثناء بعض العناصر القليلة.

9-هاجر بعد ضم مقاطعتي الألزاس واللورين الفرنسيتين من قبل ألمانيا إثر حرب 1870م الآلاف من سكان تلك المناطق إلى الجزائر لأنهم رفضوا العيش تحت السيادة الألمانية، إلاّ أن الكتابات الفرنسية غضت الطرف عن ال 1661 فرنسي الذين كانوا بالجزائر من تلك المقاطعات، مفضلين الجنسية الألمانية التي مكنتهم منها اتفاقية فرانكفورت بتاريخ 10 ماي 1871م.

10- لم يتهافت اليهود على الجنسية الفرنسية بالصيغة الفردية بمقتضى قانون سيناتوس كونسيلت لسنة 1865م لأنهم رفضوا التخلي عن أحوالهم الشخصية، إلاّ أنهم تحمسوا كثيرا لها مع نهاية ستينات القرن 19م، من خلال الرسائل الكثيرة التي أرسلتها المجالس الكنسية اليهودية بالجزائر (الجزائر، وهران وقسنطينة) إلى كل من نابليون الثالث، وإلى وزير العدل حافظ الأختام الفرنسي مطالبين فيها بتحريرهم من التبعية للعنصر الجزائري، وبما أن المجالس الكنسية كانت تتكلّم باسم المجموعة اليهودية، فهي كانت تعكس إذا أماني ورغبة تلك المجموعة، وهو

ما يعني أن اليهود لم يفرض عليهم التجنيس سنة 1870م، بدليل أن يهود المناطق الجنوبية التي كانت خاضعة للحكم العسكري والذين أقصوا من العملية، استاءوا كثيرا للأمر.

11- إن الجاليات الأوربية في الجزائر وان شكّلت منذ البداية سندا وعونا للإدارة الاستعمارية في الجزائر، إلاّ أنها في ذات الوقت تسببت لها في الكثير من المخاوف والأزمات، أجبرت السلطات الإستعمارية على التعامل معها من خلال إصدار مجموعة من القوانين مست بالخصوص الهجرة والتجنس، وأهم تلك القوانين والمراسيم، مرسوم كريميو سنة 1870م الذي صدر بغرض تكثير عدد الفرنسيين على حساب الأجانب، أو جاء كتمهيد لتجنيس الأجانب من الأوربيين فإنه غير التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري إلى الأبد.

12- أُرغم الأوربيون (الاسبان بالخصوص) على التجنس بالصيغة الآلية نهاية القرن 19م بمقتضى قانوني 1889-1893م، إلا أنهم رفضوا التخلّي عن لغتهم وكل ما يشكّل ثقافتهم الخاصة.

13- كانت المجموعة الألمانية والمالطية هي من ذابت في المجتمع الكولونيالي الفرنسي بشكل سريع في حين قاومت المجموعة الإيطالية، وبقيت حتى بعد تجنسها محافظة على اللغة الوطنية والعادات والتقاليد والطقوس الاجتماعية.

14- عملت الإدارة الاستعمارية في الجزائر على إيجاد سلّم عرقي عنصري منذ بداية الاحتلال، طبع المجتمع الأوربي طيلة فترة التواجد الفرنسي الاستعماري بالجزائر، كان الفرد الفرنسي في أرقى رتبة، وفي آخر المراتب كان العنصر الجزائري الذي لم يكن ينظر إلية أحد، وبينهما كان المتجنسون واليهود وبقية العناصر الأوربية الأخرى.

15- إذا كانت الحرب العالمية الأولى برهنت عن نزاهة ووطنية الفرنسيين الجدد *(Néo)* إلا أن أحداث الحرب العالمية الثانية برهنت عن العكس خاصة إذا علمنا بان الطرفين كانا في مواقف متعاكسة (فالإسبان تحمسوا لفكرة التوسع على

حساب فرنسا باسترجاع وهران وذلك في عهد فرانكو) وكذلك الايطاليون الذين تحمسوا لنصرة الوطن الأم.

16- أحست فرنسا بعدم شرعية تواجدها بالجزائر بعد الحملات الدعائية التي قامت بها إيطاليا منذ ثلاثينات القرن العشرين، واسبانيا خلال الحرب العالمية الثانية بمطالبتهما على التوالي بحق شرعي في كل من عنابة ووهران، بسبب معطيات تاريخية وبشرية، كانت دعامتها الأساسية المجموعة البشرية الوطنية بالمستعمرة.

17- أعطى العامل البشري منذ ثلاثينات القرن العشرين دليلا على فشل المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، بسبب فشل المحاولة الفرنسية في خلق مجتمع أوربي متجانس بالمستعمرة ذي جنسية وتفكير فرنسيين.

18- أفرزت السياسات الفرنسية الارتجالية بشأن المجموعات البشرية حالة من الهستيريا والقلق والاضطرابات والمشادات داخل المجموعات البشرية الأوربية المختلفة استمرت من ثمانينات القرن 19 إلى غاية اندلاع الثورة في الفاتح نوفمبر 1954م.

19- لم يتأثر المجتمع المحلّي (الجزائري) بتلك التشنجات والاختلافات التي كانت تحدث هنا وهناك بين المجموعات الأوربية، بل بقي، رغم كل الضغوط، صامدا شامخا متحديا بذلك كل الظروف والمحن، مستمدا قوته من انتمائه الشرعي لأرض الجزائر، التي لم يتعامل معها هؤلاء الدخلاء إلا بمنطق المنفعة المادية واستغلال المستضعفين.

20- رغم كل السياسات والضغوط الممارسة على العناصر الأوربية غير الفرنسية من أجل فرنستها وترويضها، إلا أنه مع ذلك بقيت 5% من تلك العناصر على جنسيتها الأصلية إلى غاية اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954م.

21- لم تعمل المجموعة الفرنسية على الاحتكاك بالجزائريين وبثقافتهم، بل تعاملت معهم بمنطق السيد والعبد فقط، في حين تفاعل الأوربيون غير الفرنسيين معهم حتّى بعد تجنيسهم، حيث أظهرت الإحصائيات الرسمية الصادرة عن الإدارة

الاستعمارية لسنة 1954م، أن العناصر الفرنسية المتكلّمة بالعربية كانت في وهران وقسنطينة اللتين كانت بهما عناصر أوربية من أصول غير فرنسية، وحتّى ممن كان يقيم منهم بعمالة الجزائر، بدليل أن تلك الأرقام تماشت مع إحصاء آخر شمل المتكلّمين بالعربية من العناصر الأوربية غير المتجنسة.

إنني لا أجزم بأنني أجبت من خلال هذه الدراسة على كل التساؤلات ذات الصلة بالتواجد الأوربي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وإنما سعيت إلى وضع خريطة طريق وخطوط عريضة لتساؤلات كثيرة بخصوص هذا الموضوع الذي لم يسبق أن خص بدراسة وافية وشاملة في الجزائر، وأتمنى أنني من خلال هذا البحث قد وضعت لبنة أولى في هذا الاتجاه، وعلى الباحثين الاستمرار في وضع لبنات أخرى قد تنير جوانب أخرى من الموضوع.

الملاحق

- مجموعة من يهود مدينة الجزائر في طريقهم الى فلسطين بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر
- الكبابطي مفتي الجزائر يطلب من السلطات الاستعمارية السماح له بمغادرة مرسيليا الى أرض إسلامية
- السماح للكبابطي ومرافقيه الى الذهاب الى الإسكندرية
- دو روفيقو يرفض عودة أحمد بوضربة الى الجزائر
- رعايا جزائريين تم ابعادهم الى جزيرة مارغريت
- جزائريون ابعدوا الى حصن سان بيار جنوب فرنسا
- الأمير عبد القادر يحرم من العودة الى الجزائر
- وضعية بعض العائلات الألمانية المتوجهة الى الجزائر
- طلب تحويل جزء من الهجرة الألمانية باتجاه أمريكا الى الجزائر
- بعض العائلات الألمانية المقيمة بعنابة سنة 1854م
- خريطة لمستوطنة ألمانية بضواحي سطيف
- رفض العناصر الاسبانية التوجه الى الشرق الجزائري للعمل
- قلق الإدارة الاستعمارية من تركز الاسبان بالغرب الجزائري
- جدول يوضح غلبة العنصر الاسباني بالغرب الجزائري
- مجموعة من الوثائق ذات صلة بمطامع اسبانيا في ضم وهران خلال الحرب العالمية الثانية ...

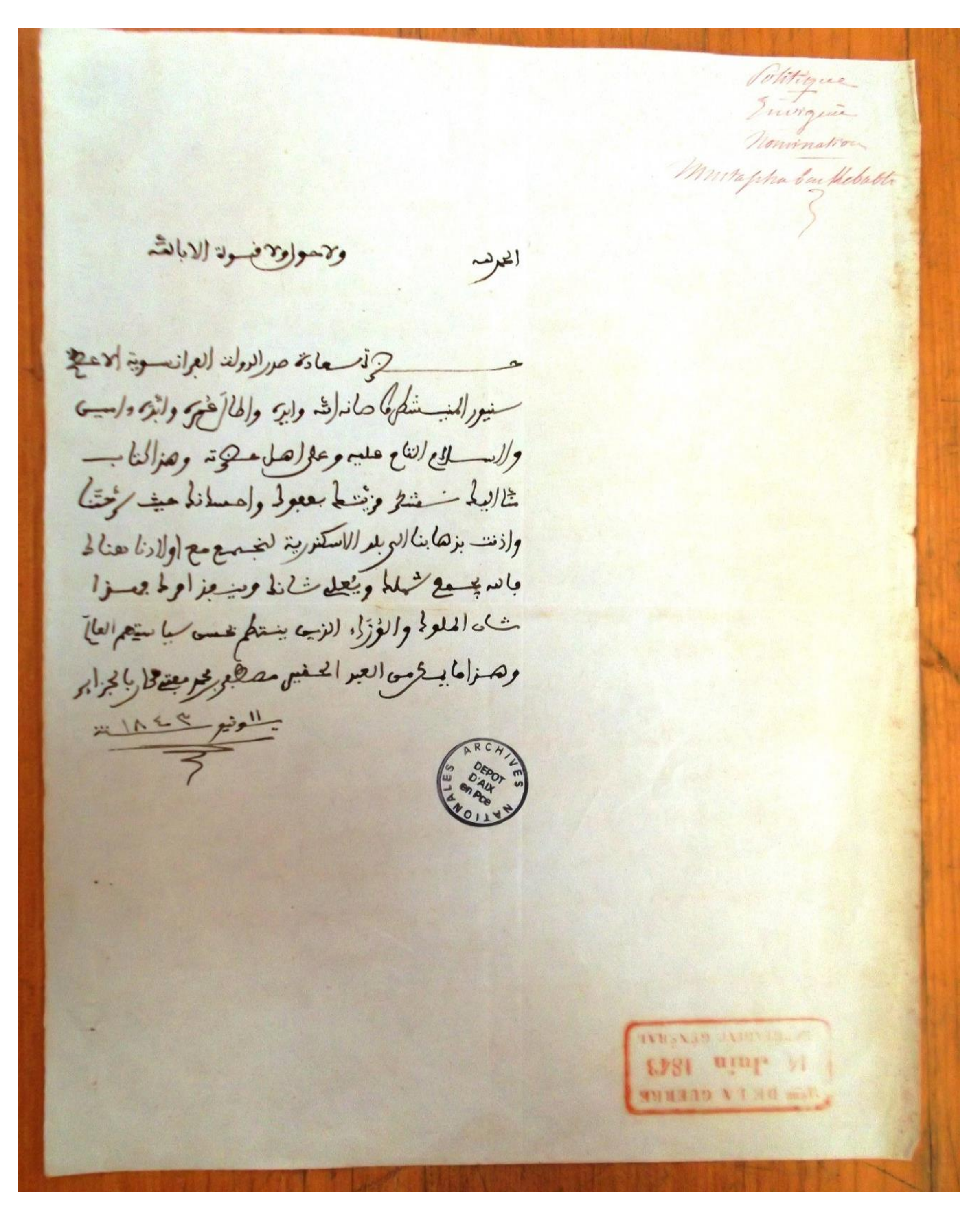
ملحق رقم: **1**



صورة تظهر مجموعة من يهود مدينة الجزائر تنتظر الابحار إلى فلسطين (بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م)

William Wyld, **Le départ des israélites pour la terre promise, scène algérienne**, salon de 1841. Huile sur toile ; 110×176 cm, Lyon ; musée des beaux arts, Photo Alain Basset.

ملحق رقم: 2



Politique
Européens
Nomination
Mustapha ben Kebabti

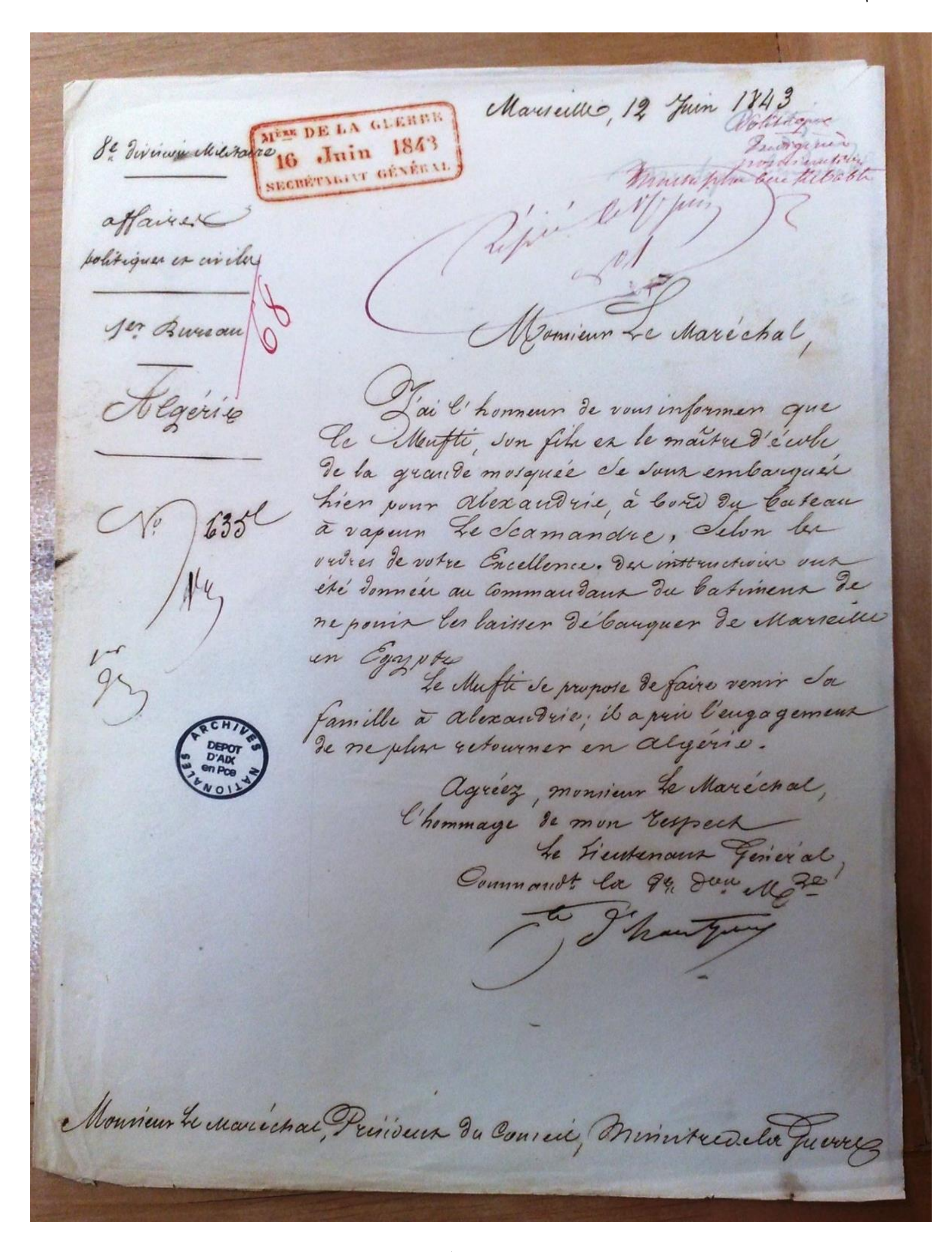
الحمد لله   ولا حول ولا قوة إلا بالله

حضرة سعادة صدر الدولة الفرانسوية الأعظم
سنيور المنيستر [illegible] صانه الله وأبقى والحال عزه والنصر [illegible]
والسلام التام عليه وعلى أهل حضرته وهذا الكتاب
[illegible] إليكم نشكركم ونثني بفضلكم وإحسانكم حيث سرحتنا
وأذنت بذهابنا إلى بلد الإسكندرية لنجتمع مع أولادنا هنالك
والله يجمع شملكم ويعلي شأنكم ويعزكم [illegible]
شأن الملوك والوزراء الذين ينتظم بحسن سياستهم العالم
وهذا ما يرسمه العبد الضعيف مصطفى بن محمد مفتي [illegible] بالجزائر
11 جونيو 1843 سنة

الكبابطي مفتي الجزائر يطلب من السلطات الفرنسية السماح له بمغادرة مرسيليا الى أرض إسلامية. (11 جوان 1843م).

ANOM. GGA. 1H/1

ملحق رقم: 3



Marseille, 12 Juin 1843

Mère DE LA GUERRE
16 Juin 1843
SECRÉTARIAT GÉNÉRAL

8e Division Militaire

affaires politiques et civiles

1er Bureau

Algérie

No 635

Monsieur le Maréchal,

J'ai l'honneur de vous informer que le Mufti, son fils et le maître d'école de la grande mosquée se sont embarqués hier pour Alexandrie, à bord du bateau à vapeur le Scamandre, selon les ordres de votre Excellence. Des instructions ont été données au commandant du bâtiment de ne point les laisser débarquer de Marseille en Egypte.

Le Mufti se propose de faire venir sa famille à Alexandrie; il a pris l'engagement de ne plus retourner en Algérie.

Agréez, monsieur le Maréchal, l'hommage de mon respect

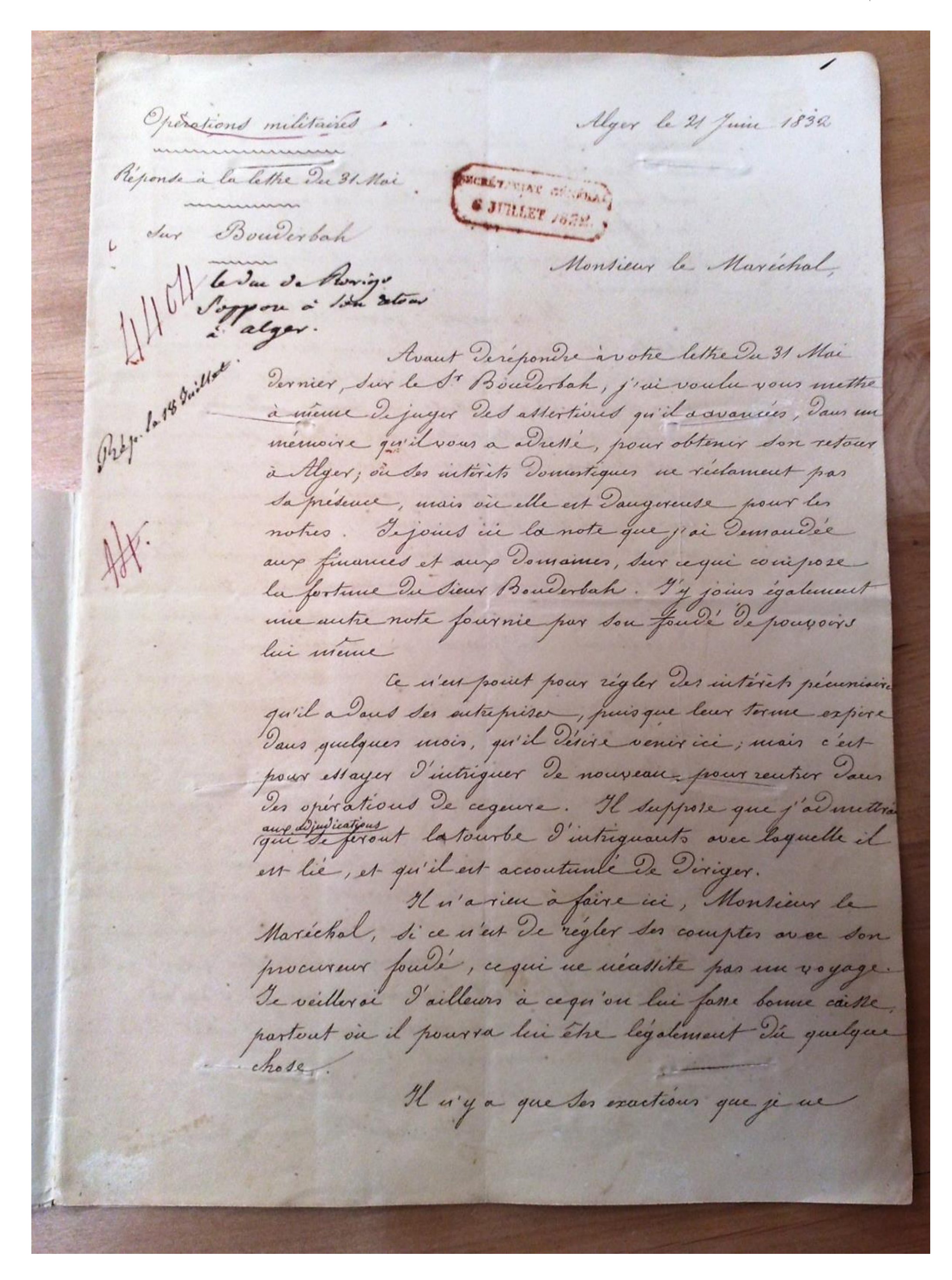
Le Lieutenant Général,
Commandt la 9e Don Mre

Monsieur le Maréchal, Président du Conseil, Ministre de la Guerre

السماح لمفتي العاصمة (الكبابطي) وابنه ومعلّم الجامع الكبير بمغادرة مرسيليا بجنوب فرنسا، والذهاب إلى الإسكندرية (12 جوان 1843م)، الردّ جاء سريعا للتخلّص منهم.

ANOM. GGA. 1H/1

ملحق رقم: 4



Opérations militaires.

Réponse à la lettre du 31 Mai

sur Bouderbah

Alger le 21 Juin 1832

SECRÉTARIAT GÉNÉRAL 6 JUILLET 1832.

Monsieur le Maréchal,

Avant de répondre à votre lettre du 31 Mai dernier, sur le Sr Bouderbah, j'ai voulu vous mettre à même de juger des assertions qu'il a avancées, dans un mémoire qu'il vous a adressé, pour obtenir son retour à Alger; où ses intérêts domestiques ne réclament pas sa présence, mais où elle est dangereuse pour les notres. Je joins ici la note que j'ai demandée aux finances et aux domaines, sur ce qui compose la fortune du sieur Bouderbah. J'y joins également une autre note fournie par son fondé de pouvoirs lui même

Ce n'est point pour régler des intérêts pécuniaires qu'il a dans ses entreprises, puisque leur terme expire dans quelques mois, qu'il désire venir ici; mais c'est pour essayer d'intriguer de nouveau, pour rentrer dans des opérations de ce genre. Il suppose que j'admettrai aux adjudications qui se feront la tourbe d'intriguants avec laquelle il est lié, et qu'il est accoutumé de diriger.

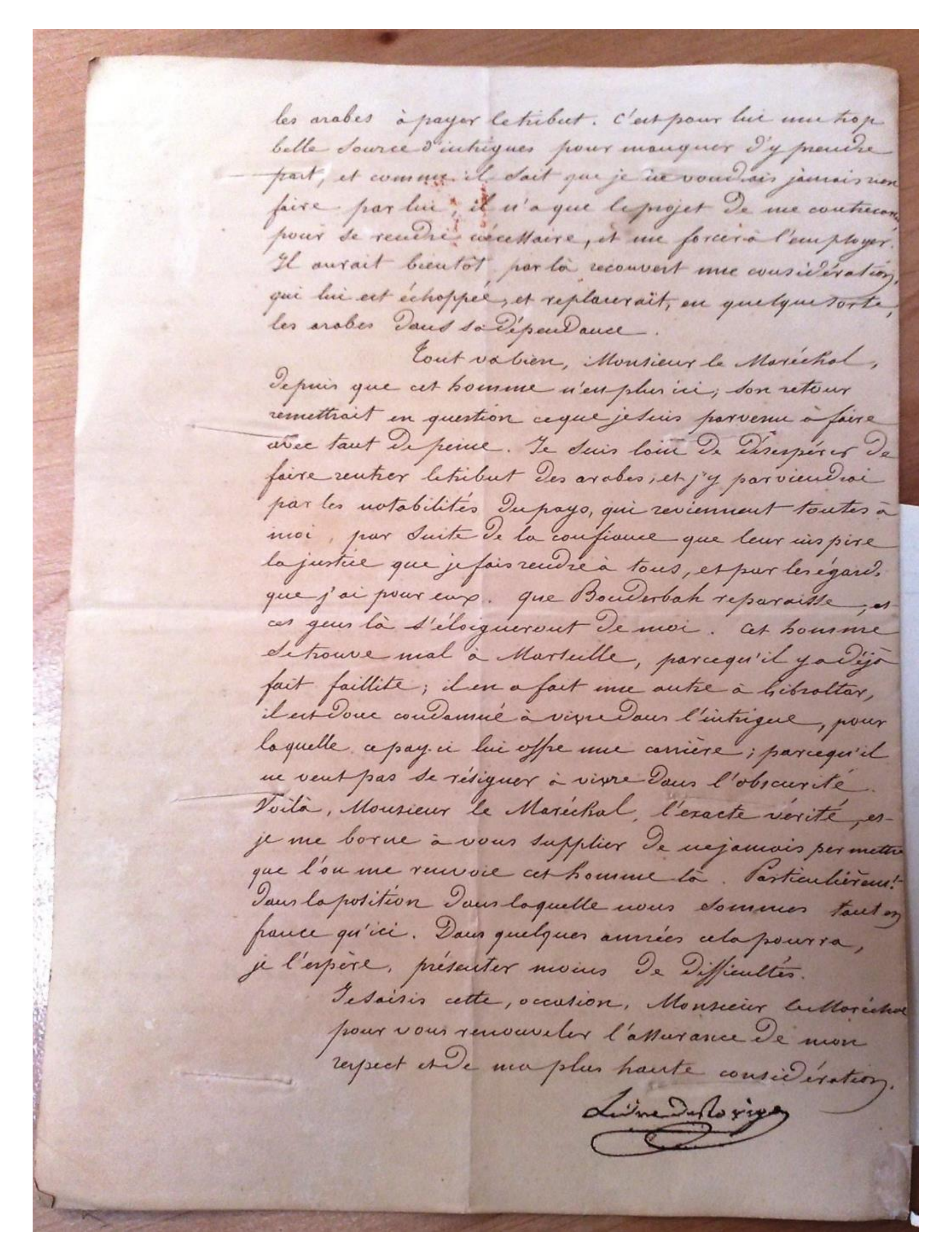
Il n'a rien à faire ici, Monsieur le Maréchal, si ce n'est de régler ses comptes avec son procureur fondé, ce qui ne nécessite pas un voyage. Je veillerai d'ailleurs à ce qu'on lui fasse bonne caisse, partout où il pourra lui être légalement dû quelque chose.

Il n'y a que ses exactions que je ne

الحاكم العام (دو روفيقو) يراسل وزير الحرب بتاريخ 21 جوان 1832م يدعوه إلى رفض طلب أحمد بوضربة بالعودة إلى الجزائر، ويشرح له خطورته على الأمن العام.

ANOM. GGA. 1H/1

ملحق رقم: 4 (تابع)



les arabes à payer le tribut. C'est pour lui une trop
belle source d'intrigues pour manquer d'y prendre
part, et comme il sait que je ne voudrais jamais rien
faire par lui, il n'a que le projet de me contrecarrer
pour se rendre nécessaire, et me forcer à l'employer.
Il aurait bientôt par là recouvert une considération
qui lui est échappée, et replacerait, en quelque sorte,
les arabes dans sa dépendance.

Tout va bien, Monsieur le Maréchal,
depuis que cet homme n'est plus ici; son retour
remettrait en question ce que je suis parvenu à faire
avec tant de peine. Je suis loin de désespérer de
faire rentrer le tribut des arabes, et j'y parviendrai
par les notabilités du pays, qui reviennent toutes à
moi, par suite de la confiance que leur inspire
la justice que je fais rendre à tous, et par les égards
que j'ai pour eux. Que Bouderbah reparaisse, et
ces gens là s'éloigneront de moi. Cet homme
se trouve mal à Marseille, parce qu'il y a déjà
fait faillite; il en a fait une autre à Gibraltar,
il est donc condamné à vivre dans l'intrigue, pour
laquelle ce pays-ci lui offre une carrière; parce qu'il
ne veut pas se résigner à vivre dans l'obscurité.
Voilà, Monsieur le Maréchal, l'exacte vérité, et
je me borne à vous supplier de ne jamais permettre
que l'on me renvoie cet homme là. Particulièrement
dans la position dans laquelle nous sommes tant en
France qu'ici. Dans quelques années cela pourra,
je l'espère, présenter moins de difficultés.

Je saisis cette occasion, Monsieur le Maréchal
pour vous renouveler l'assurance de mon
respect et de ma plus haute considération.

Le Duc de Rovigo

الحاكم العام (دو روفيقو) بشأن أحمد بوضربة (تابع).

ANOM. GGA. 1H/1.

ملحق رقم: 5

État nominatif des Indigènes détenus à l'Île Sᵗᵉ Marguerite, appartenant à la province d'Oran, dont le Gouverneur Gᵃˡ de l'Algérie a demandé au Ministre l'élargissement par dépêche du 12 Juillet 1847, et qui par leur conduite ne méritent pas d'être mis en liberté.

Nᵒˢ d'ordre	Noms des Prisonniers	Qualités	Tribus des Provinces auxquelles ils appartiennent	Date de l'incarcération	Motifs de l'incarcération	Motifs sur lesquels est basée la demande d'élargissement	Observations	Décision du Ministre
1	Ben Fercha Ould Kaddour,	frère d'un agha	Hachem Gheraba, Oran	10 juin 1843	Pris à Taguin après émigration.	Nᵒˢ 64 et 157 des propositions	C'est un homme haineux et fanatique	
2	Mohenni Ould El hadj Ali,	frère d'un chaouch de l'Émir	id	id	id, à la suite de l'Émir	N° 157	[illegible] a été réclamé pour l'échange	
3	Ahmed ould El Aoufi,	id	Hachem Cheraga	id	id id	N° 108	id a été réclamé pour l'échange [illegible]	
4	Moustafa ould Mahi ben Mokhtar	Marabout	Hachem Gheraba	28 août 1843	id après émigration	N° 121	de conduite très mal, fanatique, [illegible]	
5	Mohammed bou Chantouf,	ancien kaïd	id	10 juin 1843	id, avait fait émigrer sa tribu	N° 133	de conduite mal, n'aime pas les Français	
6	Mohammed ben Chaib Derah,	parent de l'Émir	Hachem Cheraga	28 août 1843	id à la suite de l'Émir	N° 156	Marabout très fanatique, mauvaise conduite	
7	Mohammed ould Ali bou Khlika	parent d'un khalifa de l'Émir	Hachem Gheraba	id	Pris dans un combat	N° 159	avait été réclamé pour l'échange	
8	Amran ben Kobli,	marchand d'huile	Tlemcen	5 février 1847	Motif politique	N° 161	Influent sur le bas peuple, dangereux, fanatique	
9	Bechir ben Aouali,	propriétaire	Traras province d'Oran	7 juin 1847	Intrigues continuelles avec l'Émir	N° 168	Fanatique, détestant les Français	
10	Kadda ben Abd el Kader,	id	id	25 mai 1847	id	N° 169	id id	
11	El hadj Mohammed ben Ahmed ben Moussa,	id	id	id	id	N° 170	id id	
12	Amer ben Hassen,	id	id	id	id	N° 171	id id	
13	Miloud ben Jahia,	Chaouch de Bou Maza	O. Abbès Oran	id	Menaces dans le bureau arabe d'Orléansville	N° 186	Le Capᵗⁿᵉ Richard a demandé qu'il fût gardé	
14	Ahmed ben Rebcha,	fantassin régulier	Mazouna Alger	28 août 1843	Pris dans un combat avec [illegible]	N° 191	Très fanatique, détestant les Français	
15	Hadj Kadda,	Marabout	Hachem Gheraba	id	Pris à Taguin après émigration	N° 123	fanatique outré, excitant à la haine	
16	El Miloud ould Kaddour el Aoufi,	[illegible]	Hachem Cheraga	10 juin 1843	Pris à Taguin, à la suite de l'Émir	N° 107	avait été réclamé pour l'échange	
17	El hadj Mohammed ben Alman,	sans profession	Traras	29 août 1846	Relations avec la Deïra	N° 150	fanatique, détestant les Français	

Le Chef de Bureau,
[illegible]

Vu
Le Directeur Adjoint,
[illegible]

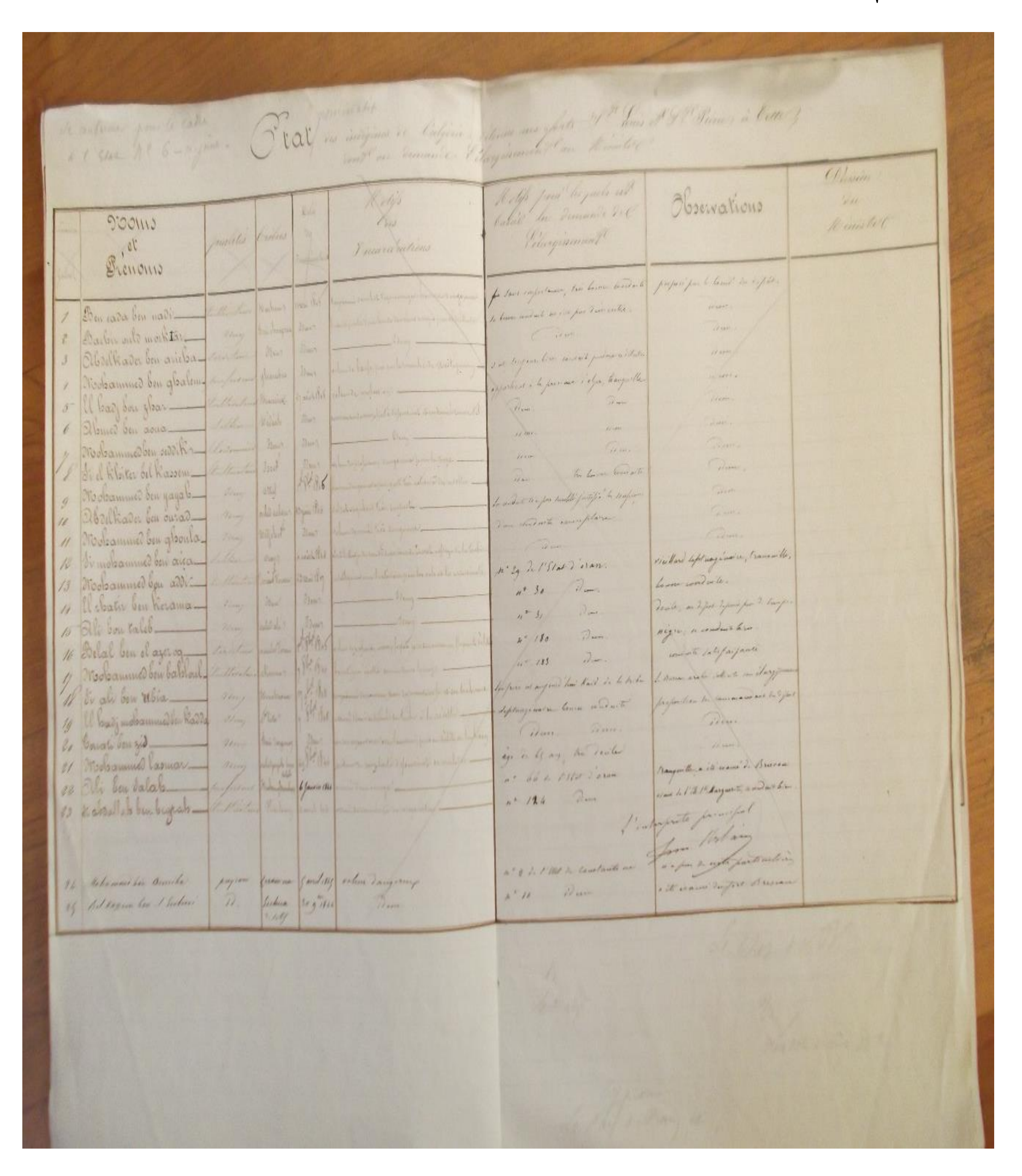
Vu
Le Maréchal de Camp Directeur,
[illegible]

Approuvé
Le Pair de France,
Ministre Secrétaire d'État de la Guerre,
[illegible]

رعايا جزائريين من الغرب الجزائري تم إبعادهم إلى جزيرة مارغريت (1845).

GGA. F/80/1685.

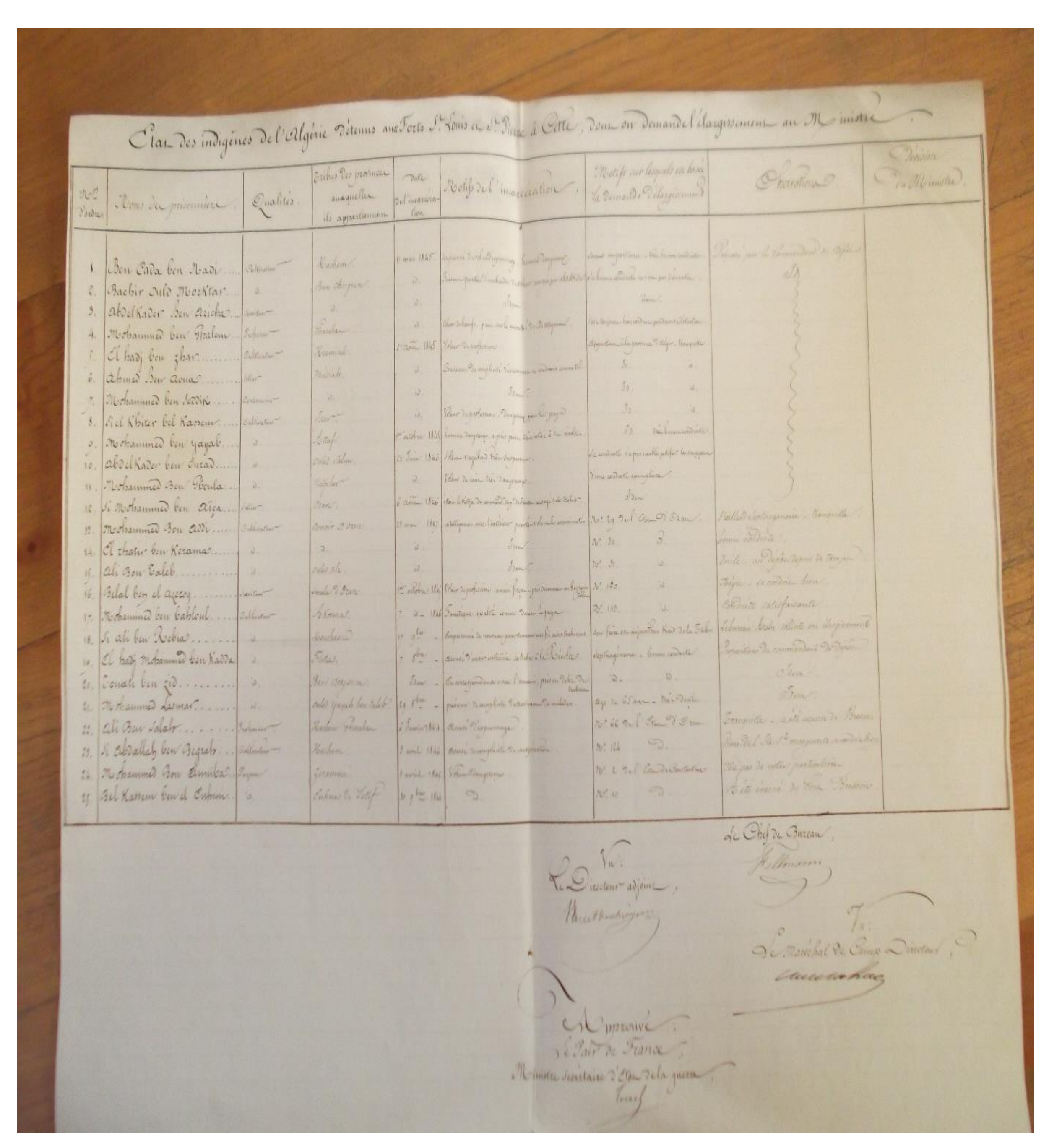
ملحق رقم: 6



بعض الجزائريين الذين تم ابعادهم سنة 1847م إلى حصن سان بيار (St Pierre) بسات الفرنسية (Saint Louis de Cette)

GGA. F/80/1685.

ملحق رقم: 6 (تابع)



État des indigènes de l'Algérie détenus aux Forts St. Louis et St. Pierre à Cette, dont on demande l'élargissement au Ministre.

N.os d'ordre	Noms des prisonniers	Qualités	Tribus des provinces auxquelles ils appartiennent	Date de l'incarcération	Motifs de l'incarcération	Motifs sur lesquels est basée la demande d'élargissement	Observations	Décision du Ministre
1	Ben Cada ben Hadi	[illegible]	[illegible]	11 mai 1845	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
2	Bachir Ould Mokhtar	d°	[illegible]	d°	[illegible]	[illegible]		
3	Abdelkader ben Aicha	[illegible]	d°	d°	Idem	Idem		
4	Mohammed ben Thalem	[illegible]	[illegible]	d°	[illegible]	[illegible]		
5	El hadj ben Zhar	[illegible]	[illegible]	[illegible] 1845	[illegible]	[illegible]		
6	Ahmed ben Aoua	[illegible]	[illegible]	d°	[illegible]	Id.		
7	Mohammed ben Seddik	[illegible]	d°	d°	Idem	Id.		
8	Bel Khiter bel Kassem	[illegible]	[illegible]	d°	[illegible]	Id.		
9	Mohammed ben Yayab	d°	[illegible]	1er octobre 1846	[illegible]	[illegible]		
10	Abdelkader ben Ourad	d°	[illegible]	22 Juin 1846	[illegible]	[illegible]		
11	Mohammed ben Boula	d°	[illegible]	d°	[illegible]	[illegible]		
12	Si Mohammed ben Aïça	[illegible]	[illegible]	6 août 1846	[illegible]	Idem		
13	Mohammed Bou Addi	[illegible]	[illegible]	[illegible] 1847	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
14	El Thahir ben Keramas	d°	d°	d°	Idem	N° 30 d°	[illegible]	
15	Ali Bou Taleb	d°	[illegible]	d°	Idem	N° [illegible] d°	[illegible]	
16	Belal ben el Azzeq	[illegible]	[illegible]	1er octobre 1846	[illegible]	N° 1[illegible] d°	[illegible]	
17	Mohammed ben Bahloul	[illegible]	[illegible]	7 d° 1846	[illegible]	N° 1[illegible] d°	[illegible]	
18	Si Ali ben Rebia	d°	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
19	El hadj Mohammed ben Kadda	d°	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
20	Touati ben Zid	d°	[illegible]	Idem	[illegible]	d° d°	Idem	
21	Mohammed Lasmar	d°	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Idem	
22	Ali Ben Salah	[illegible]	[illegible]	[illegible] 1844	[illegible]	N° 66 [illegible]	[illegible]	
23	Si Abdallah ben Begrah	[illegible]	[illegible]	[illegible] 1846	[illegible]	N° 1[illegible] d°	[illegible]	
24	Mohammed Ben Ameka	[illegible]	[illegible]	[illegible] 1846	[illegible]	N° 2 [illegible]	[illegible]	
25	Bel Kassem ben el Cubim	d°	[illegible]	[illegible] 1846	d°	N° 10 d°	[illegible]	

Le Chef de Bureau,

Vu: Le Directeur adjoint,

Vu: Le Maréchal de Camp Directeur,

Approuvé, Le Pair de France, Ministre Secrétaire d'État de la guerre,

بعض الجزائريين الذين تم ابعادهم سنة 1847م الى حصن St Pierre ب Saint Louis de Cette.

GGA. F/80/1685.

ملحق رقم: 7



La présente déclaration autographe a été remise solennellement, au Palais de St Cloud, entre les mains de S. A. le Prince Louis Napoléon, par l'Emir Abd-El-Kader, le 30 Octobre 1852.

Le Ministre d'État,

الحمد لله وحده

الأمير عبد القادر يحرم من العودة إلى الجزائر مدى الحياة، حسب نص الرسالة التي تقدّم بها الأمير إلى نابليون الثالث بتاريخ 30 أكتوبر 1852م. (كان ذلك شرط الامبراطور للسماح له بالسفر إلى الشام).

Musée de Paris : Numéro de notice : 03054, Fond : Musée, Série : Armoire de fer, Cote : AE/I/21/3.

ملحق رقم: 8

Ministère de la Guerre

Copie.

État des familles Allemandes qui se rendent en Algérie.

Bavière Rhénane.

5	1	Groff (Jacques) de St Martin - Marié - 3 enfants.	1.600f.
8	2	Will (françois de St Martin - Marié 6 enfants.	1.600.
6	3	Kuchler (Théobald) de Stenfeld - Marié - 4 enfants.	1.600.
4	4	Partner (Simon) d'Erfweiler - Marié 2 id.	1500
3	5	Keiser (Jean) d'Erfweiler - Marié - 1 id.	1500
9	6	Keller (Mathieu) d'Erfweiler - Marié - 6 id et 1 domestique.	1500
8	7	Heuzel (Antoine) d'Erfweiler - Marié - 5 id et 1 id	1500
8	8	Gabhard (françois) de Jockgrim - Marié 6 id.	1500
8	9	Schloss (Michel) de Jockgrim - Marié 6 id.	1400
5	10	Wurzius (Emmanuel) de Woerth - Marié - 1 id - sœur et père.	1300
5	11	Barck (Jean Gaspard) de Neupfortz - Marié 3 enfants.	1200
8	12	heid, (Jean) de Neupfortz, Marié - 6 enfants.	1200
5	13	Wemichel (Georges, Michel) de Neupfortz - Marié - 3 enfants.	1200
6	14	Schaefer (J. J.) de Kandel - marié - 4 enfants.	1200
6	15	Hauter (Laurent) de Woerth - Marié - 2 id. frère et sœur.	1000
5	16	Kirchsmann (David) de Woerth - Marié - 3 enfants.	1000
5	17	Vogel (André) de Woerth - Marié - 3 enfants.	800
6	18	Heid (Georges, Pierre) de Woerth - Marié - 4 enfants.	1000
5	19	Steckmeyer (philippe) de Stenfeld - Marié - 3 id.	850.
8	20	Bauer (Jean) de Silz — Marié - 6 id.	1000
6	21	Ruth (Pierre) de Silz — Marié - 4 id.	800
12	22	Gruber (Jean philippe) de Kandel - Marié - 8 id. neveu et nièce	1000
5	23	Keiber (Louis) — Marié. 3 id (de Jockgrim)	800
146.			28,050f

وضعية العائلات الألمانية المتوجهة الى الجزائر: من بافاريا وباد سنة 1854م (وتبدو وضعية المهاجرين الألمان المالية أحسن بكثير من وضعية المهاجرين الإيطاليين والاسبان).

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 8 (تابع)

2	24	Weltzenbach (Vve) de Jockgrim — 1 fils.	500f.
7	25	Miltz (Philippe) de Jockgrim — Marié - 5 enfants.	1000
5	26	Baron (Jean) de Jockgrim — Marié - 3 ids.	1000.
5	27	Schwein (Jean) de Jockgrim — Marié. 3 ids.	1000.
4	28	Ehrhart (André) d'Erweiler, Marié - 1 enfant, 1 domestique.	1000
6	29	Dauenhauer (Georges Théobald) d'Erweiler, Marié, 4 enfants.	700
1.	30	Schlosser (Pierre) de Hockenheim, Célibataire.	100
1	31	Delle Weiss (Barbe) de Hockenheim - ids.	100
5	32	Diehl (Laurent) de Jockgrim - Marié - 3 enfants.	1000
			6,400

Grand Duché de Bade.

10	33	Belkam (Charles) d'[illegible] - Marié - 8 enfants.	600.
2	34	Meunier (François) d'Ulm - Célibataire - 1 frère.	600
1	35	Delle Bruder (Victorine) d'Ulm.	300
2	36	Delle Meier (Catherine) d'Ulm. Célibataire, 1 enfant.	400
1	37	Delle Heitzmann (Ursule) d'Ulm - ids	400
3	38	Ernstberger (Jacques) de Steinfurth - Veuf - 2 enfants	1000
7	39	Ernst (Joseph) d'Oberwasser - Marié - 4 enfants, son beau frère.	800
13	40	Keller (Pierre) de Nuenbourg - marié - 9 ids., son beau frère.	1000
7	41	Doerfler (Jean) de Neudorf, marié - 5 enfants.	600
9	42	Leber (Joseph) de Neudorf, marié - 7 enfants.	500
9	43	de Reichenstein (Népomucène) de Muhlbourg - marié. 6 enfants - 1 domestique.	1000
2	44	Eisch. (Albin) de Malsch (marié)	1000
6	45	Stern (Adam) de Leopoldshafen - marié - 4 enfants.	1000
7	46	Westenfelder (Adam) de Leopoldshafen - marié - 4 enfants, 1 servante.	1100
10	47	Joerger (Marcel) de [illegible] - marié - 8 enfants.	800
125			11,100f.

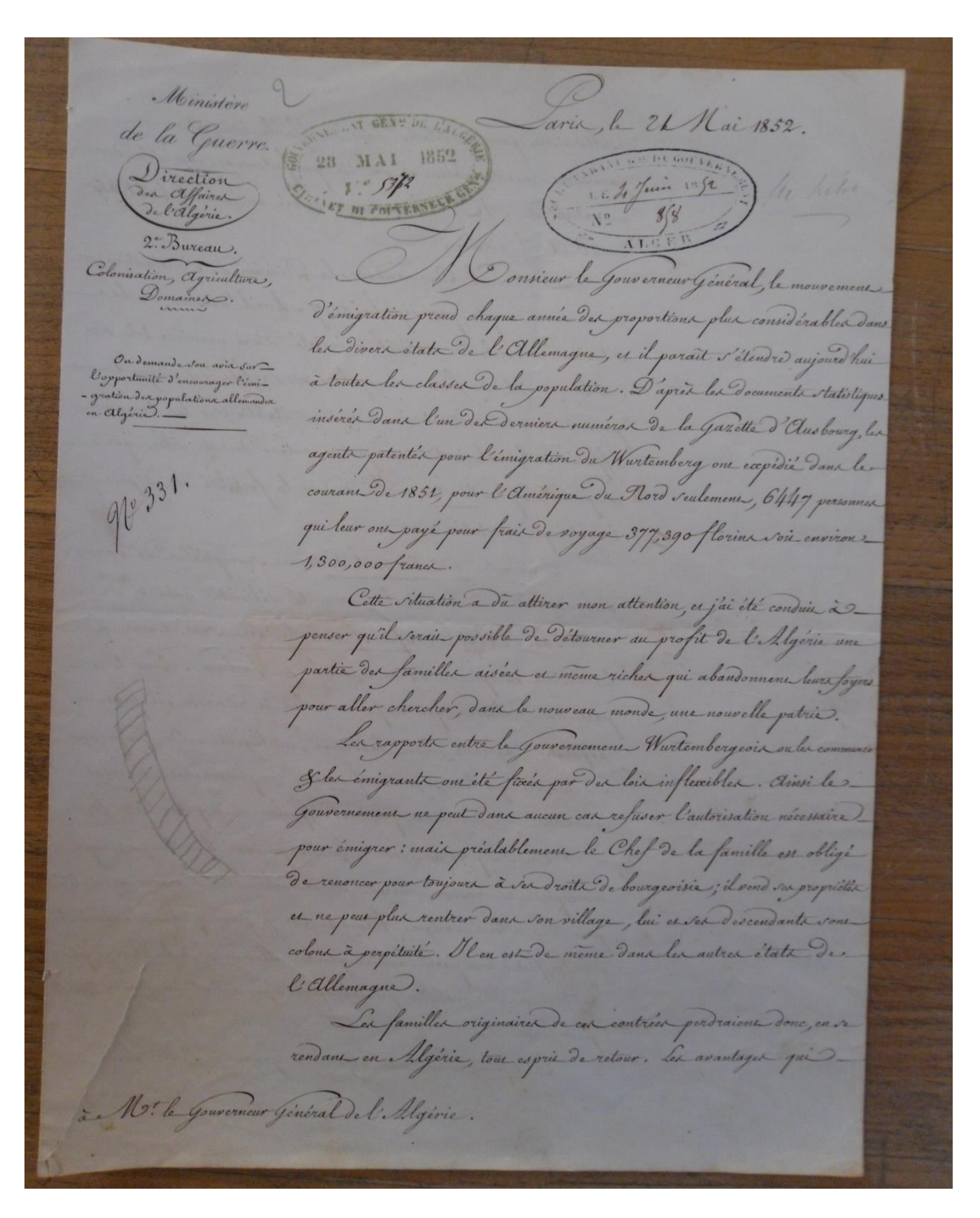
ملحق رقم: 8 (تابع)

11	48	Rupp (Joseph) de hamblucken, marié - 9 enfants.	600f.
7	49	Rastedel (Simon) de Daxlanden, marié - 5 enfants.	600
7	50	Schwall (Louis) de Daxlanden, Marié - 5 id.	1000.
6	51	Neurenther (Aloïse) id, id - 4 id	1000.
5	52	Speck (Antoine) id, id - 3 id	800
5	53	Benz (David) id, id - 3 id.	800
7	54	Busam (Sébastien) de Guzenhofen, id - 5 id.	1800
7	55	Balz (Charles) de Leopoldshafen, id - 5 id	1800
5	56	Heidt (Nicolas) de Goetzingen, id - 3 id	1800
13	57	heinold (frédéric) de Leopoldshafen, id - 9 id 1 servante et son enfant	1600
4	58	Heiler (frédéric) de hausbrucken, id 1 id 1 id	1600
9	59	Weick (Valentin) de Daxlanden, id 6 id 1 domestique.	1500
4	60	Meyer (Robert) de Renchen, sa soeur avec 2 enfants naturels.	1500
5	61	Mehret (Jacques) de Leopoldshafen, marié - 3 enfants.	1500
6	62	Kumm (Chrétien) de Goetzingen, id - 4 id.	1500
6	63	Graff (Charles) de humbrucken, id - 2 id - 2 domestiques	1500
6	64	Neunzig (Agathe) d'Ulm (veuve) - 5 - id	1500
5	65	Dekker (Gerhard) d'ulm - Marié - 3 id.	1400
8	66	Mayer (Jean) de hockenheim, marié - 5 id son beau-père	1400
5	67	Fuchs (Chrétien) de Kronau - marié - 3 ids.	1200
8	68	Weissenburger (Joseph) de Dagoman id - 6 id.	1200
5	69	Westenfelder (Jacques) de Leopoldshafen, id - 3 ids.	1200
7	70	Rastedler (Robert) de Daxlanden, id - 5 id.	1200
4	71	Maisch (Sébastien) de Daxlanden, id - 2 id.	1200
7	72	Bohner (Jacques) de Daxlanden, id - 4 id 1 domestique	1100
162			32300f.

Pour copie conforme à l'état envoyé par le Ministre :
Le Chef du Bureau Civil.
[illegible]

17
77
55
10
159

ملحق رقم: 9



Ministère de la Guerre.

Direction des Affaires de l'Algérie.

2e Bureau.

Colonisation, Agriculture, Domaines.

On demande son avis sur l'opportunité d'encourager l'émigration des populations allemandes en Algérie.

N° 331.

GOUVERNEMENT GÉN^AL DE L'ALGÉRIE 28 MAI 1852 N° 5372 CABINET DU GOUVERNEUR GÉN^AL

LE 4 Juin 1852 N° 858 ALGER

Paris, le 21 Mai 1852.

Monsieur le Gouverneur Général, le mouvement d'émigration prend chaque année des proportions plus considérables dans les divers états de l'Allemagne, et il paraît s'étendre aujourd'hui à toutes les classes de la population. D'après les documents statistiques insérés dans l'un des derniers numéros de la Gazette d'Ausbourg, les agents patentés pour l'émigration du Wurtemberg ont expédié dans le courant de 1851, pour l'Amérique du Nord seulement, 6447 personnes qui leur ont payé pour frais de voyage 377,390 florins soit environ 1,300,000 francs.

Cette situation a dû attirer mon attention, et j'ai été conduit à penser qu'il serait possible de détourner au profit de l'Algérie une partie des familles aisées et même riches qui abandonnent leurs foyers pour aller chercher, dans le nouveau monde, une nouvelle patrie.

Les rapports entre le Gouvernement Wurtembergeois ou les communes & les émigrants ont été fixés par des lois inflexibles. Ainsi le Gouvernement ne peut dans aucun cas refuser l'autorisation nécessaire pour émigrer : mais préalablement le Chef de la famille est obligé de renoncer pour toujours à ses droits de bourgeoisie ; il vend ses propriétés et ne peut plus rentrer dans son village, lui et ses descendants sont colons à perpétuité. Il en est de même dans les autres états de l'Allemagne.

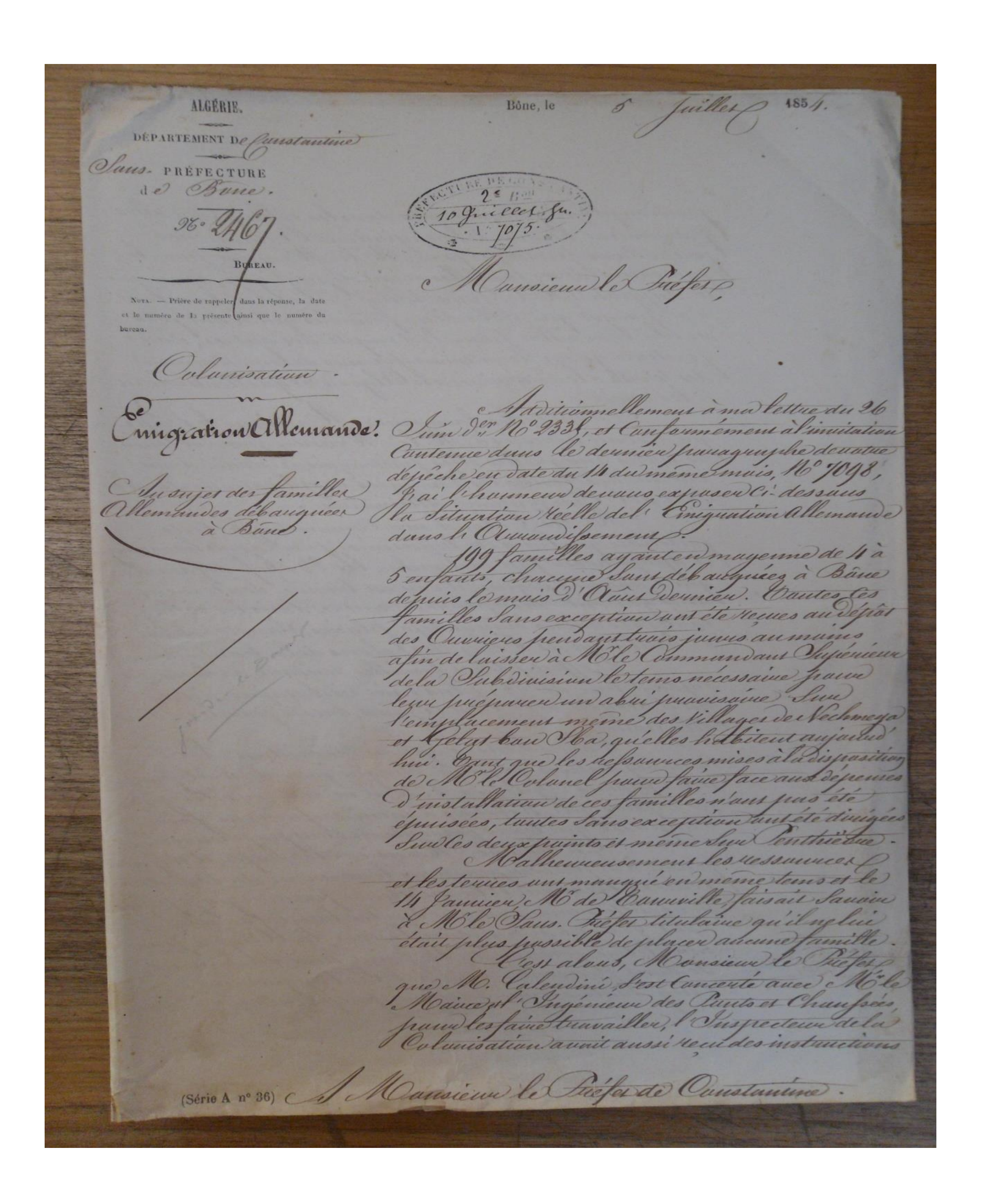
Les familles originaires de ces contrées perdraient donc, en se rendant en Algérie, tout esprit de retour. Les avantages qui

à Mr le Gouverneur Général de l'Algérie.

طلب تحويل جزء من الهجرة الألمانية على أمريكا باتجاه الجزائر في رسالة من ثلاث صفحات.

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 10



ALGÉRIE.
DÉPARTEMENT de Constantine
Sous-PRÉFECTURE de Bône.
N° 2467.
BUREAU.

NOTA. — Prière de rappeler dans la réponse, la date et le numéro de la présente ainsi que le numéro du bureau.

Colonisation.

Emigration Allemande.

Au sujet des familles Allemandes débarquées à Bône.

Bône, le 5 Juillet 1854.

Monsieur le Préfet,

Additionnellement à ma lettre du 26 Juin d[er] N° 2331, et Conformément à l'invitation contenue dans le dernier paragraphe de votre dépêche en date du 14 du même mois, N° 7098, J'ai l'honneur de vous exposer ci-dessous la Situation réelle de l'Emigration Allemande dans l'Arrondissement.

199 familles ayant en moyenne de 4 à 5 enfants, chacune sont débarquées à Bône depuis le mois d'Août dernier. Toutes ces familles sans exception ont été reçues au dépôt des Ouvriers pendant trois jours au moins afin de laisser à M. le Commandant Supérieur de la Subdivision le tems nécessaire pour leur préparer un abri provisoire sur l'emplacement même des Villages de Nechmeya et Gelat bou Sba, qu'elles habitent aujourd'hui. Tant que les ressources mises à la disposition de M. le Colonel pour faire face aux dépenses d'installation de ces familles n'ont pas été épuisées, toutes sans exception ont été dirigées sur les deux points et même sur Penthièvre.

Malheureusement les ressources et les terres ont manqué en même tems et le 14 Janvier M. de Tauville faisait savoir à M. le Sous-Préfet titulaire qu'il ne lui était plus possible de placer aucune famille.

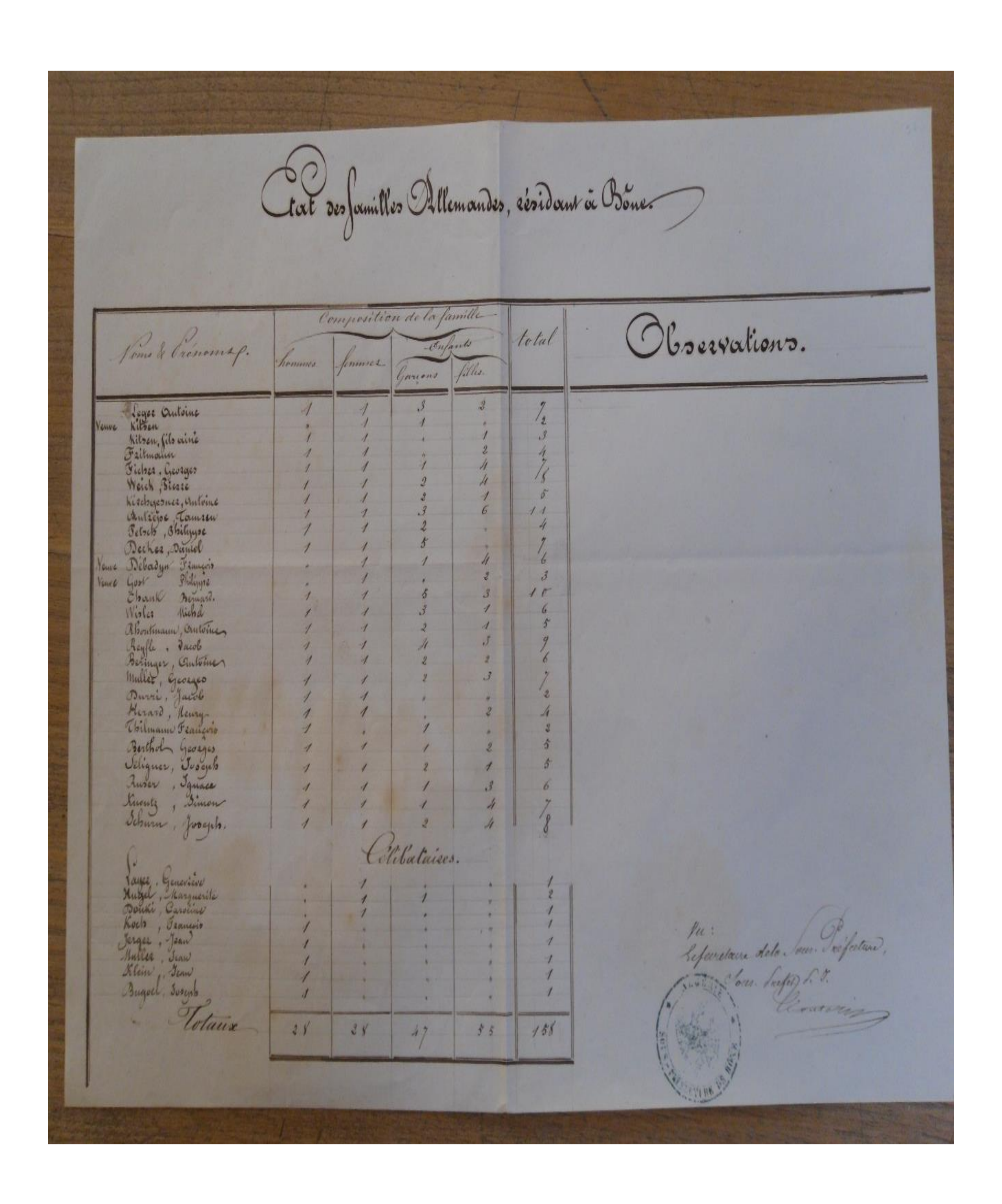
C'est alors, Monsieur le Préfet, que M. Calendini s'est concerté avec M. le Maire et l'Ingénieur des Ponts et Chaussées pour les faire travailler, l'Inspecteur de la Colonisation avait aussi reçu des instructions

(Série A n° 36) A Monsieur le Préfet de Constantine.

رسالة من نائب الوالي بعنابة الى والي ولاية قسنطينة بتاريخ 5 جويلية 1854م بشأن المهاجرين الألمان الذين وصلوا إلى عنابة (رسالة من ثلاثة صفحات).

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 11



État des familles Allemandes, résidant à Bône.

Noms & Prénoms.	Composition de la famille		Enfants		Total	Observations.
	hommes	femmes	Garçons	filles		
Leger Antoine	1	1	3	2	7	
Veuve Kitzen	.	1	1	.	2	
Kitzen, fils aîné	1	1	.	1	3	
Faltmann	1	1	.	2	4	
Fichter, Georges	1	1	1	4	7	
Weick, Pierre	1	1	2	4	8	
Kirchgesner, Antoine	1	1	2	1	5	
Antzejoc, Lamsen	1	1	3	6	11	
Petsch, Philippe	1	1	2	.	4	
Decker, Daniel	1	1	5	.	7	
Veuve Débadyn François	.	1	1	4	6	
Veuve Gost Philippe	.	1	.	2	3	
Ehank Bernard.	1	1	5	3	10	
Wisler Michel	1	1	3	1	6	
Abontmann, Antoine	1	1	2	1	5	
Reyfle, Jacob	1	1	4	3	9	
Beringer, Antoine	1	1	2	2	6	
Muller, Georges	1	1	2	3	7	
Durri, Jacob	1	1	.	.	2	
Herard, Henry	1	1	.	2	4	
Thilmann François	1	.	1	.	2	
Berthol Georges	1	1	1	2	5	
Séligner, Joseph	1	1	2	1	5	
Auser, Ignace	1	1	1	3	6	
Kuontz, Simon	1	1	1	4	7	
Schurn, Joseph.	1	1	2	4	8	
Célibataires.						
Lauge, Geneviève	.	1	.	.	1	
Hutzel, Marguerite	.	1	1	.	2	
Donki, Caroline	.	1	.	.	1	
Koch, François	1	.	.	.	1	
Jerger, Jean	1	.	.	.	1	
Muller, Jean	1	.	.	.	1	
Klein, Jean	1	.	.	.	1	
Bugeel, Joseph	1	.	.	.	1	
Totaux	28	28	47	55	158	

Vu :
Le Secrétaire de la Sous-Préfecture,
Sous-Préfet [illegible]

بعض العائلات الألمانية المقيمة في عنابة سنة 1854م

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

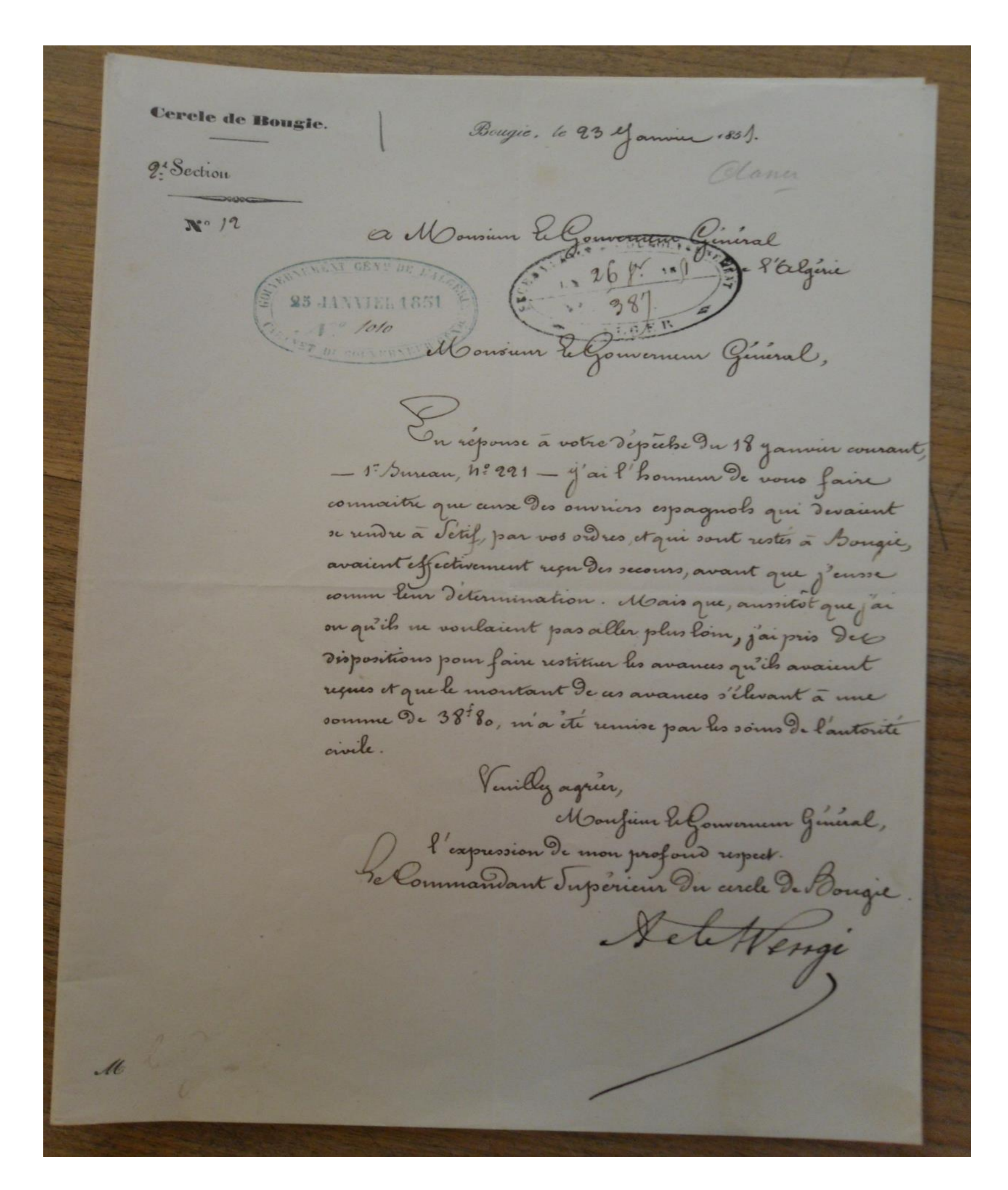
ملحق رقم: 12



خريطة لمستوطنات ألمان (من بروسيا) بضواحي سطيف. تبرز كلها تركيز نابليون الثالث على التعمير بالعنصر الألماني منذ بداية الإمبراطورية الثانية.

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 13



Cercle de Bougie.

2e Section

N° 12

Bougie, le 23 Janvier 1851.

à Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie

Monsieur le Gouverneur Général,

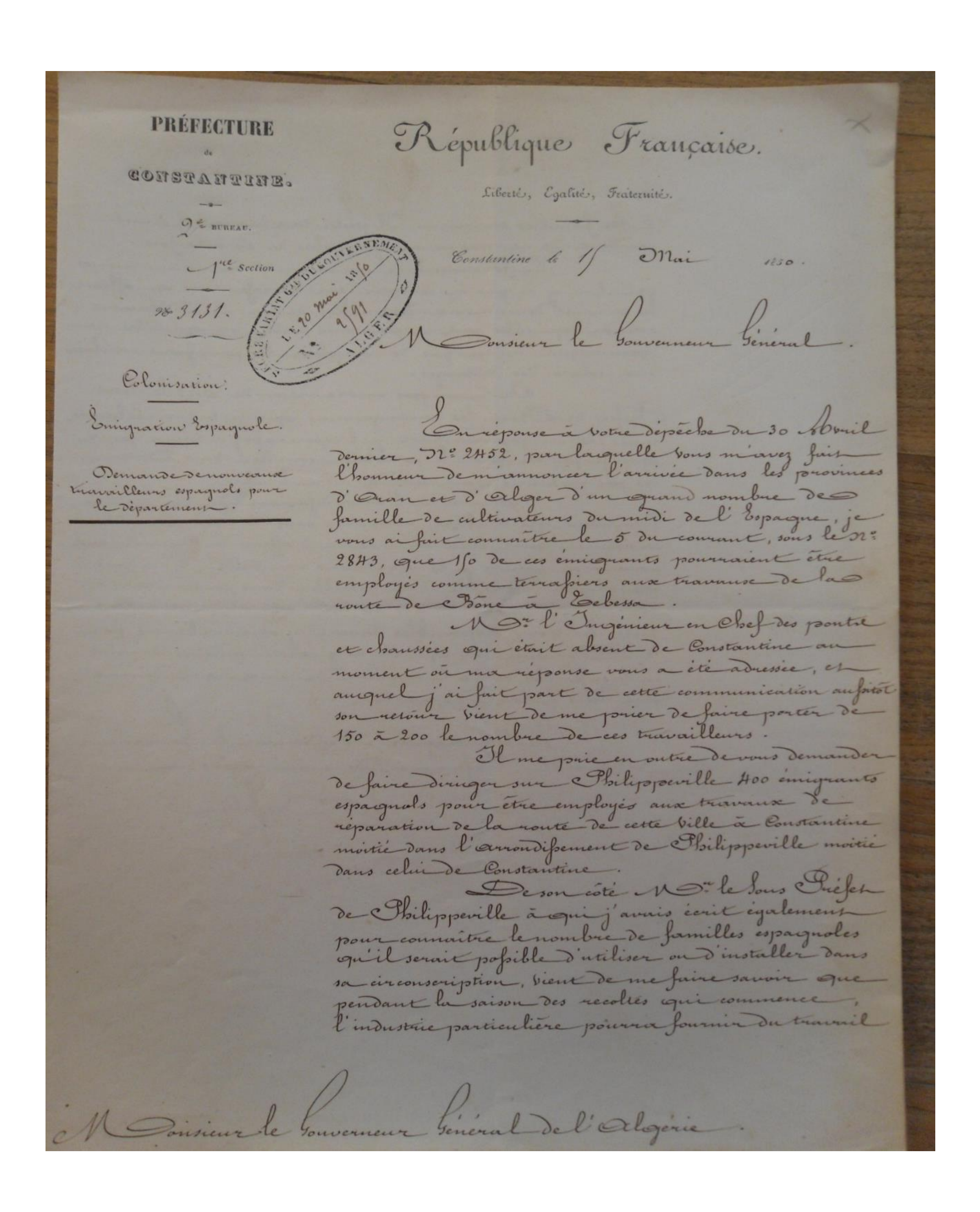
En réponse à votre dépêche du 18 janvier courant, — 1er Bureau, N° 221 — j'ai l'honneur de vous faire connaître que ceux des ouvriers espagnols qui devaient se rendre à Sétif, par vos ordres, et qui sont restés à Bougie, avaient effectivement reçu des secours, avant que j'eusse connu leur détermination. Mais que, aussitôt que j'ai su qu'ils ne voulaient pas aller plus loin, j'ai pris des dispositions pour faire restituer les avances qu'ils avaient reçues et que le montant de ces avances s'élevant à une somme de 38f 80, m'a été remise par les soins de l'autorité civile.

Veuillez agréer,
Monsieur le Gouverneur Général,
l'expression de mon profond respect.
Le Commandant Supérieur du cercle de Bougie.

رفض العناصر الاسبانية التوجه الى الشرق الجزائري حتى ولو كان ذلك للعمل، رسالة من الحاكم العسكري لبجاية إلى الحاكم العام بتاريخ 23 يناير 1851م؛ مما يعني أن الهجرة الاسبانية هي التي دفعت بالإدارة الاستعمارية الى التأقلم معها وليس العكس.

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 14



PRÉFECTURE de CONSTANTINE.

2e BUREAU.

1re Section

No 3131.

Colonisation.

Émigration Espagnole.

Demande de nouveaux travailleurs espagnols pour le département.

République Française.

Liberté, Egalité, Fraternité.

Constantine le 15 Mai 1850.

Monsieur le Gouverneur Général.

En réponse à votre dépêche du 30 Avril dernier, No 2452, par laquelle vous m'avez fait l'honneur de m'annoncer l'arrivée dans les provinces d'Oran et d'Alger d'un grand nombre de famille de cultivateurs du midi de l'Espagne, je vous ai fait connaître le 5 du courant, sous le No 2843, que 150 de ces émigrants pourraient être employés comme terrassiers aux travaux de la route de Bône à Tebessa.

Mr l'Ingénieur en Chef des ponts et chaussées qui était absent de Constantine au moment où ma réponse vous a été adressée, et auquel j'ai fait part de cette communication aussitôt son retour vient de me prier de faire porter de 150 à 200 le nombre de ces travailleurs.

Il me prie en outre de vous demander de faire diriger sur Philippeville 400 émigrants espagnols pour être employés aux travaux de réparation de la route de cette ville à Constantine moitié dans l'arrondissement de Philippeville moitié dans celui de Constantine.

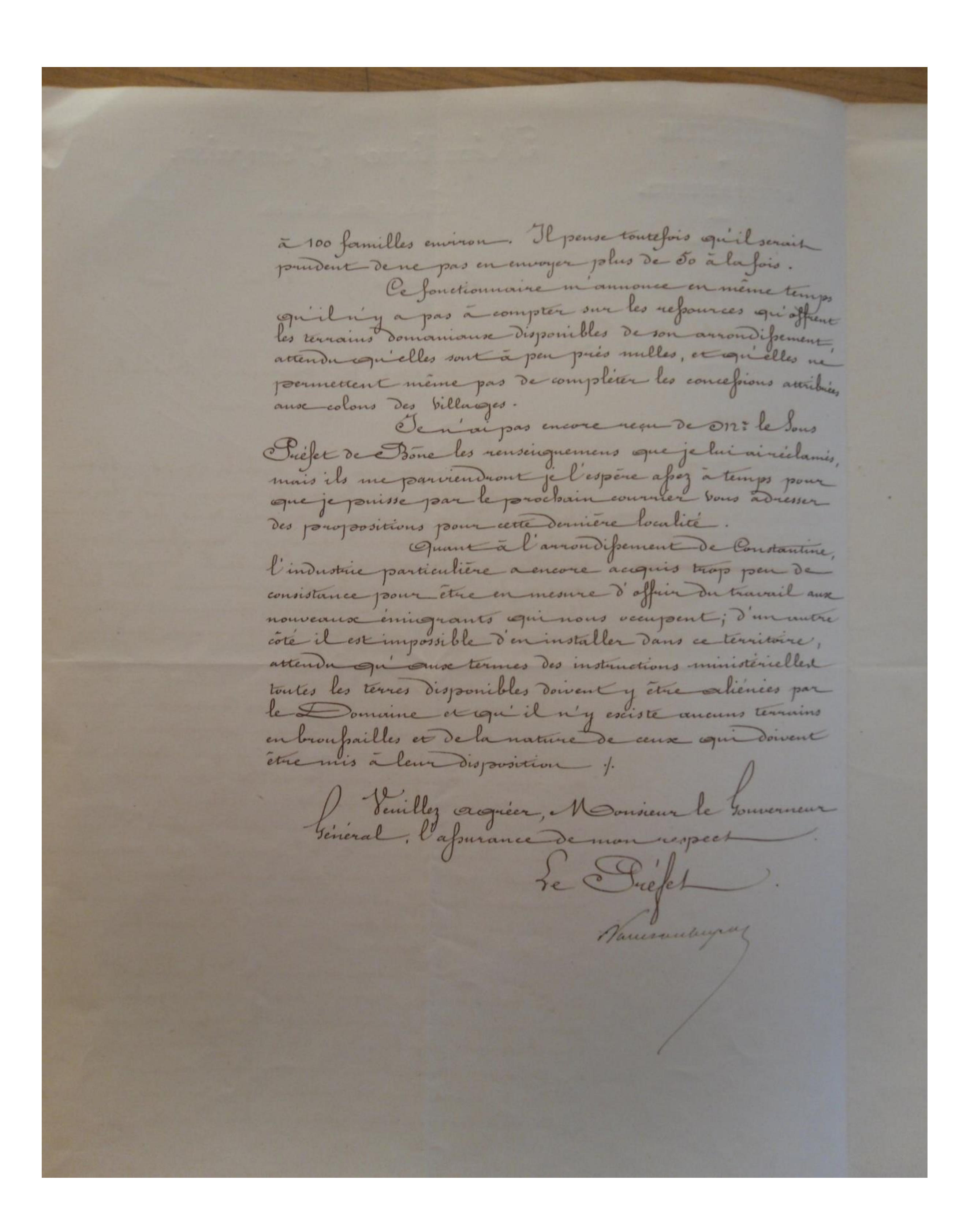
De son côté Mr le Sous Préfet de Philippeville à qui j'avais écrit également pour connaître le nombre de familles espagnoles qu'il serait possible d'utiliser ou d'installer dans sa circonscription, vient de me faire savoir que pendant la saison des récoltes qui commence, l'industrie particulière pourra fournir du travail

Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie.

تحويل يد عاملة اسبانية من الغرب الجزائري الى الشرق الجزائري

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 14 (تابع)



à 100 familles environ. Il pense toutefois qu'il serait prudent de ne pas en envoyer plus de 50 à la fois.

Ce fonctionnaire m'annonce en même temps qu'il n'y a pas à compter sur les ressources qu'offrent les terrains domaniaux disponibles de son arrondissement, attendu qu'elles sont à peu près nulles, et qu'elles ne permettent même pas de compléter les concessions attribuées aux colons des villages.

Je n'ai pas encore reçu de M. le Sous Préfet de Bône les renseignemens que je lui ai réclamés, mais ils me parviendront je l'espère assez à temps pour que je puisse par le prochain courrier vous adresser des propositions pour cette dernière localité.

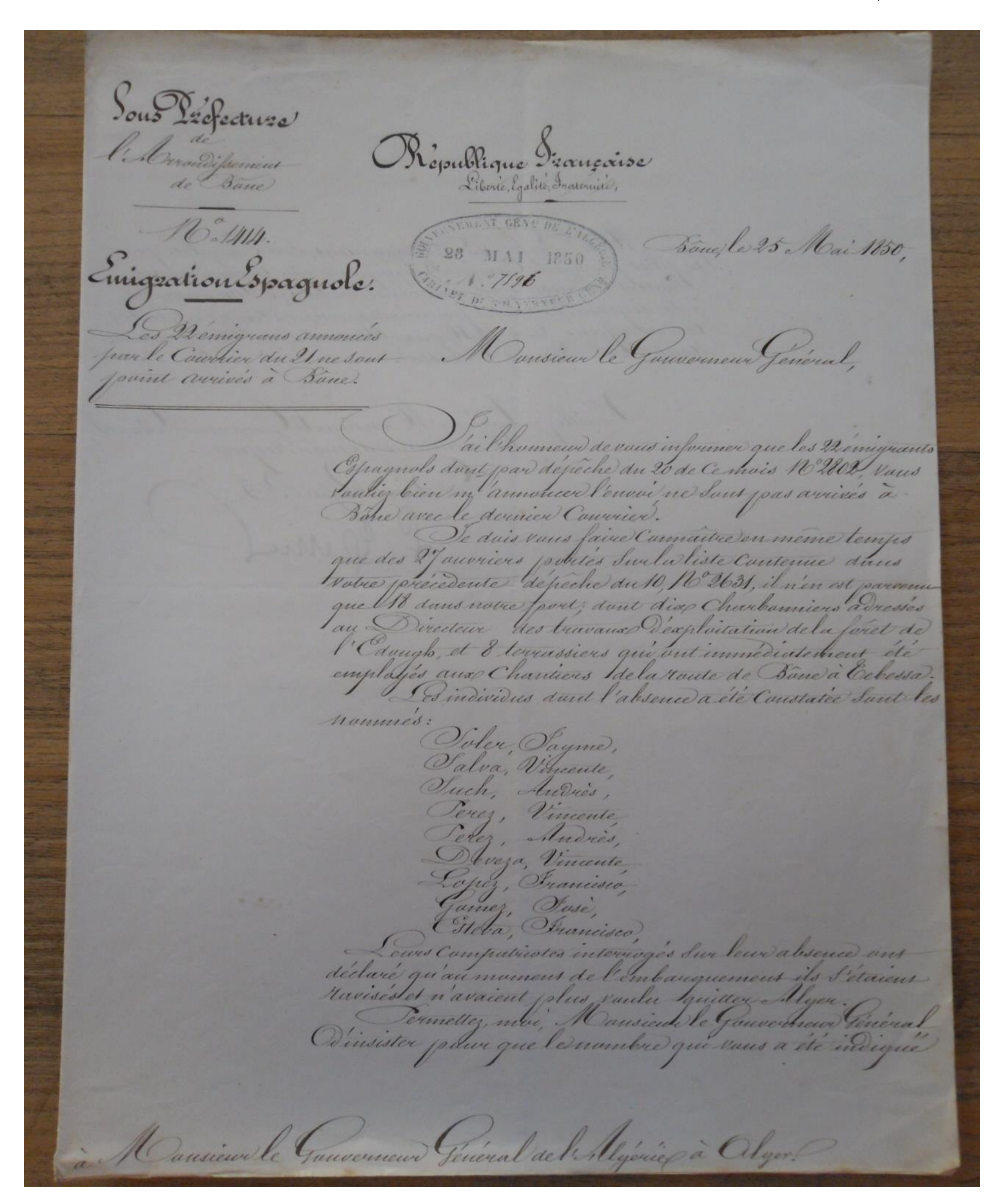
Quant à l'arrondissement de Constantine, l'industrie particulière a encore acquis trop peu de consistance pour être en mesure d'offrir du travail aux nouveaux émigrants qui nous occupent ; d'un autre côté il est impossible d'en installer dans ce territoire, attendu qu'aux termes des instructions ministérielles toutes les terres disponibles doivent y être aliénées par le Domaine et qu'il n'y existe aucuns terrains en broussailles et de la nature de ceux qui doivent être mis à leur disposition ./.

Veuillez agréer, Monsieur le Gouverneur Général, l'assurance de mon respect.

Le Préfet

[illegible signature]

ملحق رقم: 15



Sous Préfecture
de
l'Arrondissement
de Bône

N° 1414.

Emigration Espagnole.

Les 22 émigrants annoncés par le Courrier du 21 ne sont point arrivés à Bône.

République Française
Liberté, Egalité, Fraternité,

GOUVERNEMENT GÉNAL DE L'ALGÉRIE
23 MAI 1850
N° 7196
CABINET DU GOUVERNEUR GÉNAL

Bône, le 25 Mai 1850,

Monsieur le Gouverneur Général,

J'ai l'honneur de vous informer que les 22 émigrants Espagnols dont par dépêche du 20 de ce mois N° 2802, vous voulez bien m'annoncer l'envoi ne sont pas arrivés à Bône avec le dernier Courrier.

Je dois vous faire connaître en même temps que des 27 ouvriers portés sur la liste contenue dans votre précédente dépêche du 10, N° 2631, il n'en est parvenu que 18 dans notre port; dont dix charbonniers adressés au Directeur des travaux d'exploitation de la forêt de l'Edough, et 8 terrassiers qui ont immédiatement été employés aux chantiers de la route de Bône à Tebessa.

Les individus dont l'absence a été constatée sont les nommés:

Soler, Jayme,
Salva, Vincente,
Such, Andrès,
Perez, Vincente,
Perez, Andrès,
Deveza, Vincente,
Lopez, Francisco,
Gomez, José,
Esteba, Francisco,

Leurs compatriotes interrogés sur leur absence ont déclaré qu'au moment de l'embarquement ils s'étaient ravisés et n'avaient plus voulu quitter Alger.

Permettez moi, Monsieur le Gouverneur Général d'insister pour que le nombre qui vous a été indiqué

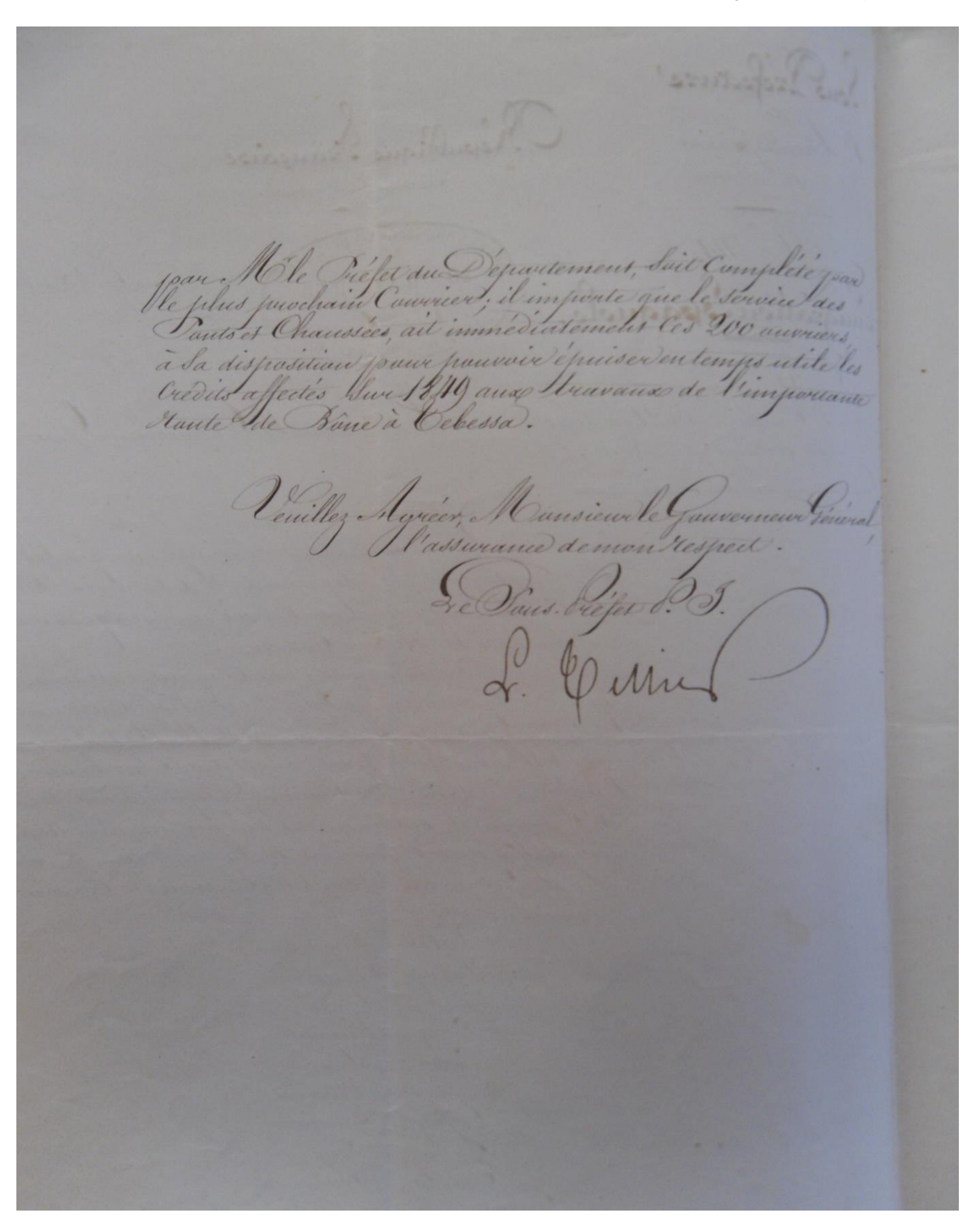
à Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie à Alger.

رفض عدة عناصر اسبانية مغادرة مدينة الجزائر والتوجه الى الشرق الجزائري

(عنابة للعمل)

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 15 (تابع)



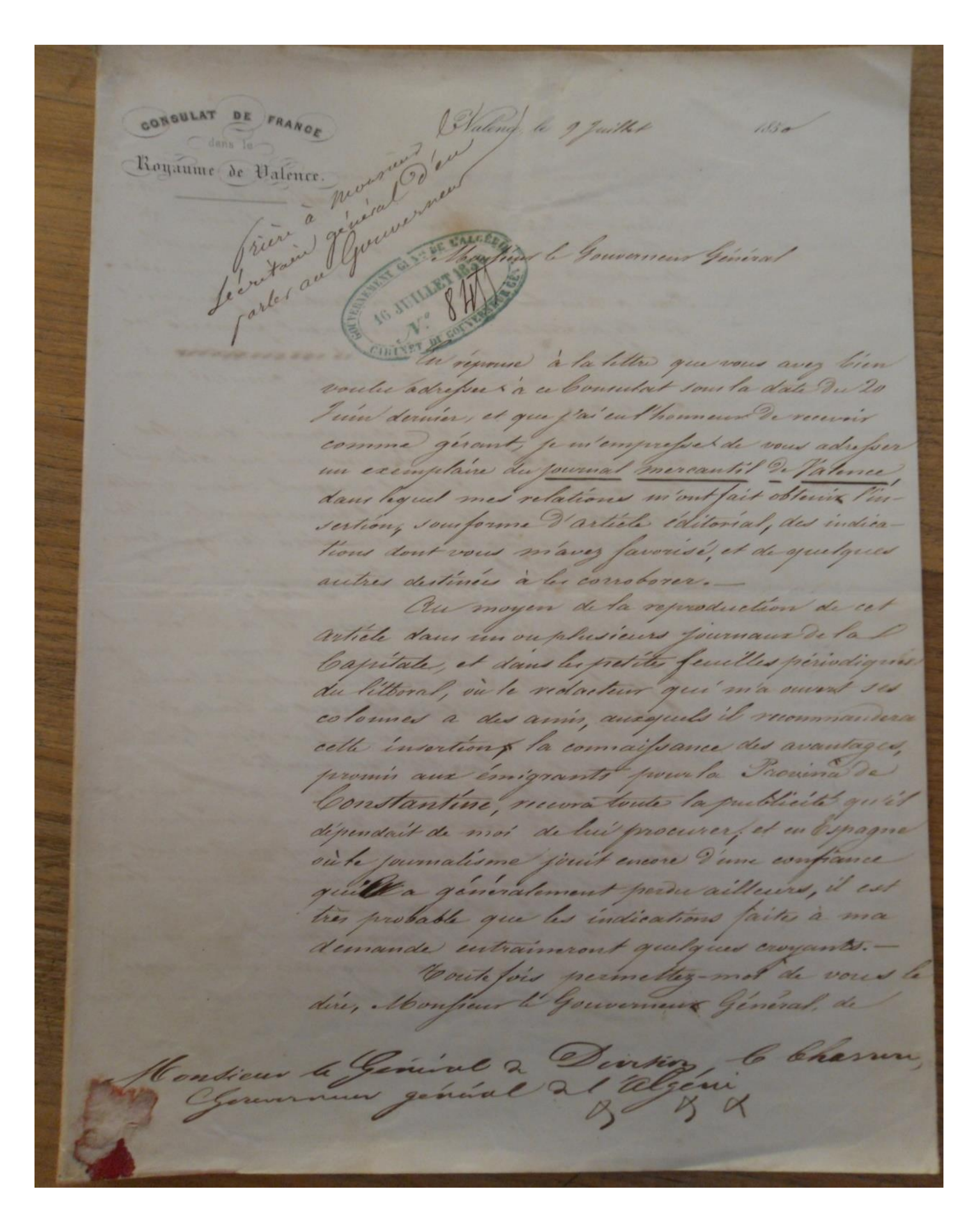
par M. le Préfet du Département, soit complété par
le plus prochain Courrier; il importe que le service des
Ponts et Chaussées, ait immédiatement les 200 ouvriers
à sa disposition pour pouvoir épuiser en temps utile les
Crédits affectés sur 1849 aux travaux de l'importante
Route de Bône à Tebessa.

Veuillez Agréer, Monsieur le Gouverneur Général,
l'assurance de mon respect.

Le Sous-Préfet P. I.

L. Cellier

ملحق رقم: 16



CONSULAT DE FRANCE
dans le
Royaume de Valence.

Valence, le 9 Juillet 1850

Prière à Monsieur le Secrétaire général d'en parler au Gouverneur

Gouvernement Gal de l'Algérie
16 JUILLET 185
N° 8417
Cabinet du Gouverneur Gal.

Monsieur le Gouverneur Général

En réponse à la lettre que vous avez bien voulu adresser à ce Consulat sous la date du 20 Juin dernier, et que j'ai eu l'honneur de recevoir comme gérant, je m'empresse de vous adresser un exemplaire du journal mercantil de Valence, dans lequel mes relations m'ont fait obtenir l'insertion, sous forme d'article éditorial, des indications dont vous m'avez favorisé, et de quelques autres destinées à les corroborer.—

Au moyen de la reproduction de cet article dans un ou plusieurs journaux de la Capitale, et dans les petites feuilles périodiques du littoral, où le rédacteur qui m'a ouvert ses colonnes a des amis, auxquels il recommandera cette insertion, la connaissance des avantages promis aux émigrants pour la Province de Constantine, recevra toute la publicité qu'il dépendait de moi de lui procurer, et en Espagne où le journalisme jouit encore d'une confiance qu'il a généralement perdu ailleurs, il est très probable que les indications faites à ma demande entraîneront quelques croyants.—

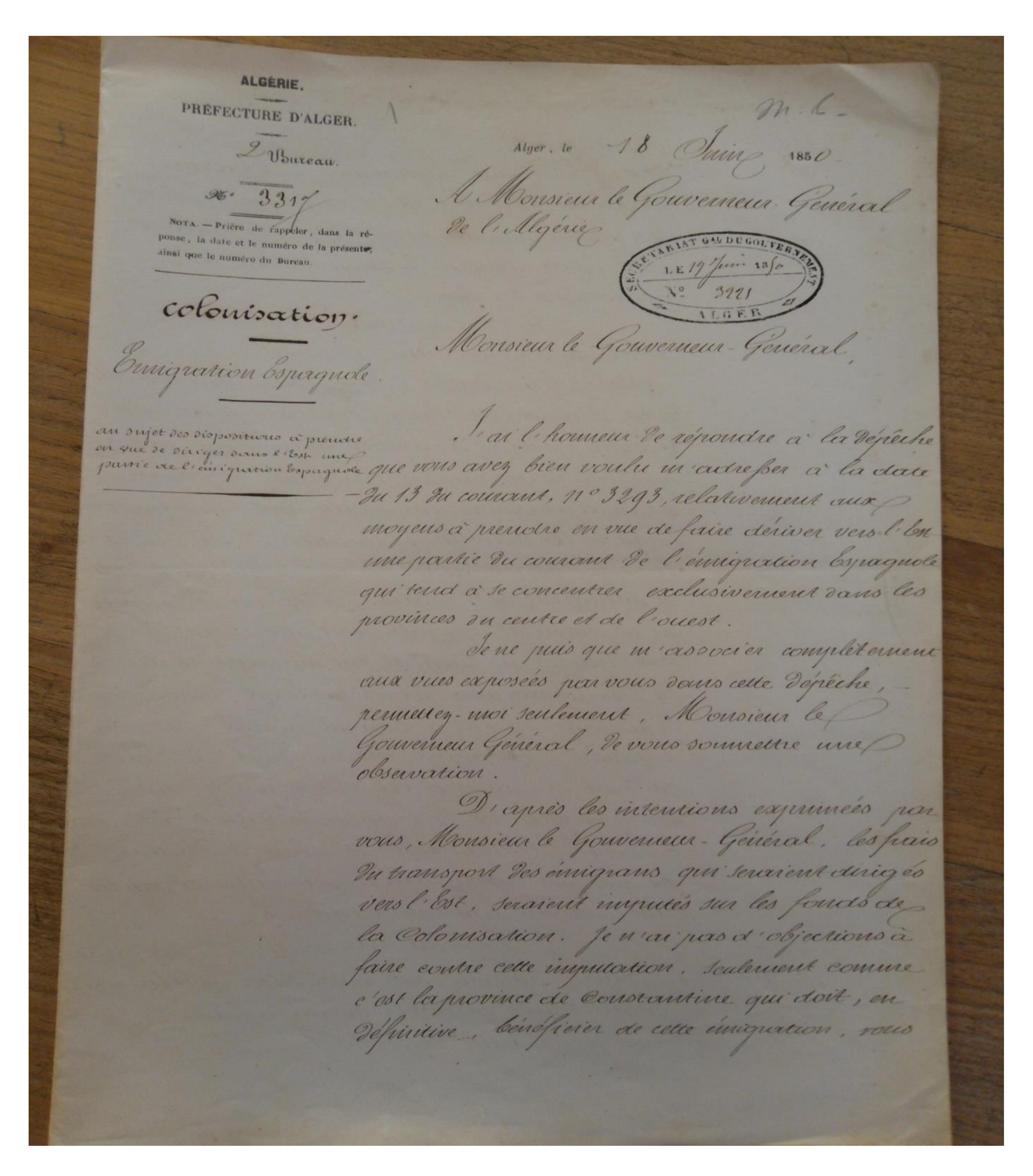
Toutefois permettez-moi de vous le dire, Monsieur le Gouverneur Général, de

Monsieur le Général de Division C Charron,
Gouverneur général de l'Algérie

وجوب استغلال الصحافة الاسبانية التي كانت تملك مصداقية في تلك الفترة (حسب الرسالة) لتوجيه الهجرة الاسبانية باتجاه الشرق الجزائري.

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 17



ALGÉRIE.

PRÉFECTURE D'ALGER.

2e Bureau.

N° 3317

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le numéro de la présente, ainsi que le numéro du Bureau.

Colonisation.

Émigration Espagnole.

au sujet des dispositions à prendre en vue de diriger dans l'Est une partie de l'émigration Espagnole

M. L.

Alger, le 18 Juin 1850.

A Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie

SECRÉTARIAT GAL DU GOUVERNEMENT LE 19 juin 1850 N° 3921 ALGER

Monsieur le Gouverneur Général,

J'ai l'honneur de répondre à la dépêche que vous avez bien voulu m'adresser à la date du 13 du courant, n° 3293, relativement aux moyens à prendre en vue de faire dériver vers l'Est une partie du courant de l'émigration Espagnole qui tend à se concentrer exclusivement dans les provinces du centre et de l'ouest.

Je ne puis que m'associer complètement aux vues exposées par vous dans cette dépêche, permettez-moi seulement, Monsieur le Gouverneur Général, de vous soumettre une observation.

D'après les intentions exprimées par vous, Monsieur le Gouverneur Général, les frais du transport des émigrans qui seraient dirigés vers l'Est, seraient imputés sur les fonds de la Colonisation. Je n'ai pas d'objections à faire contre cette imputation. Seulement comme c'est la province de Constantine qui doit, en définitive, bénéficier de cette émigration, vous

قلق الإدارة الاستعمارية من تركز الجالية الاسبانية في الغرب والوسط فقط، ووجوب توجيه جزء منها الى العمالة الشرقية.

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

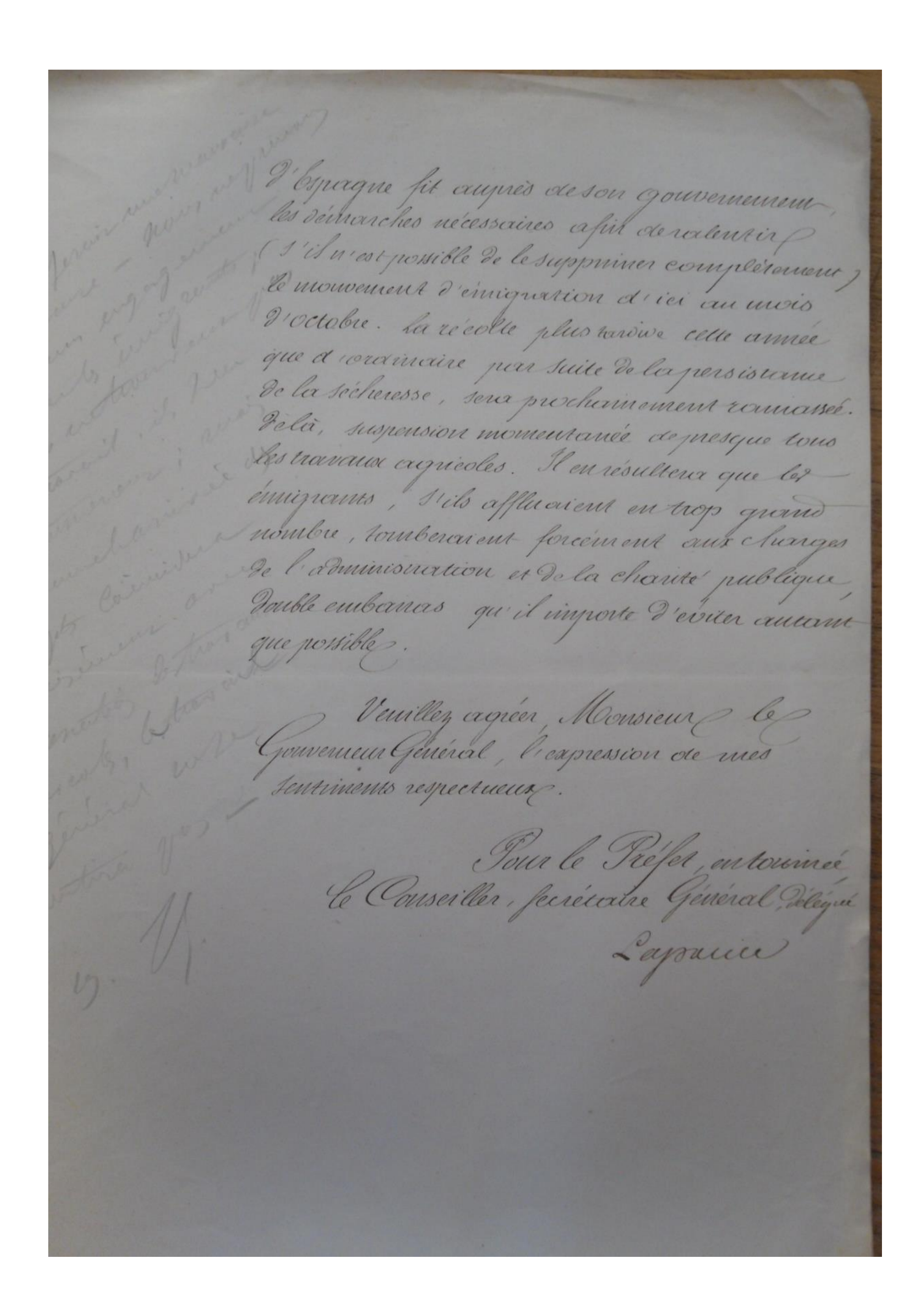
ملحق رقم: 17 (تابع)

penserez sans doute comme moi, Monsieur le
Gouverneur Général, que les dépenses résultant
de ce rembarquement ne sauraient être prélevées
sur les fonds affectés à la Colonisation du
Département d'Alger.

Je pense d'ailleurs comme vous,
Monsieur le Gouverneur-Général, qu'en
raison de l'intervalle de dix jours qui s'écoule
entre le départ de chaque courrier pour l'Est,
il serait préférable de confier autant que possible
aux patrons des navires arrivant d'Espagne
le soin de poursuivre immédiatement leur traversée
jusqu'à la nouvelle destination. Les émigrants
économiseraient ainsi le temps qu'ils perdraient
en attendant le courrier, et le peu d'argent
qu'ils auraient apporté avec eux. Quant
aux patrons, ils seraient au moment même
du Débarquement, payés sur le vu d'autorisations
de passage délivrées à chaque famille. Ce
paiement s'effectuerait au moyen d'avances
qui seraient remises à cet effet à quelqu'un des
agents comptables de l'administration résidant
à Bône, Philippeville et même à Bougie,
où quelques travailleurs émigrants pourraient
sans doute être également utilisés.

J'ajouterai, Monsieur le Gouverneur
Général, puisque vous avez bien voulu me
consulter sur l'ensemble de cette affaire, qu'il
serait je crois utile, que M. l'agent Général

ملحق رقم: 17 (تابع)

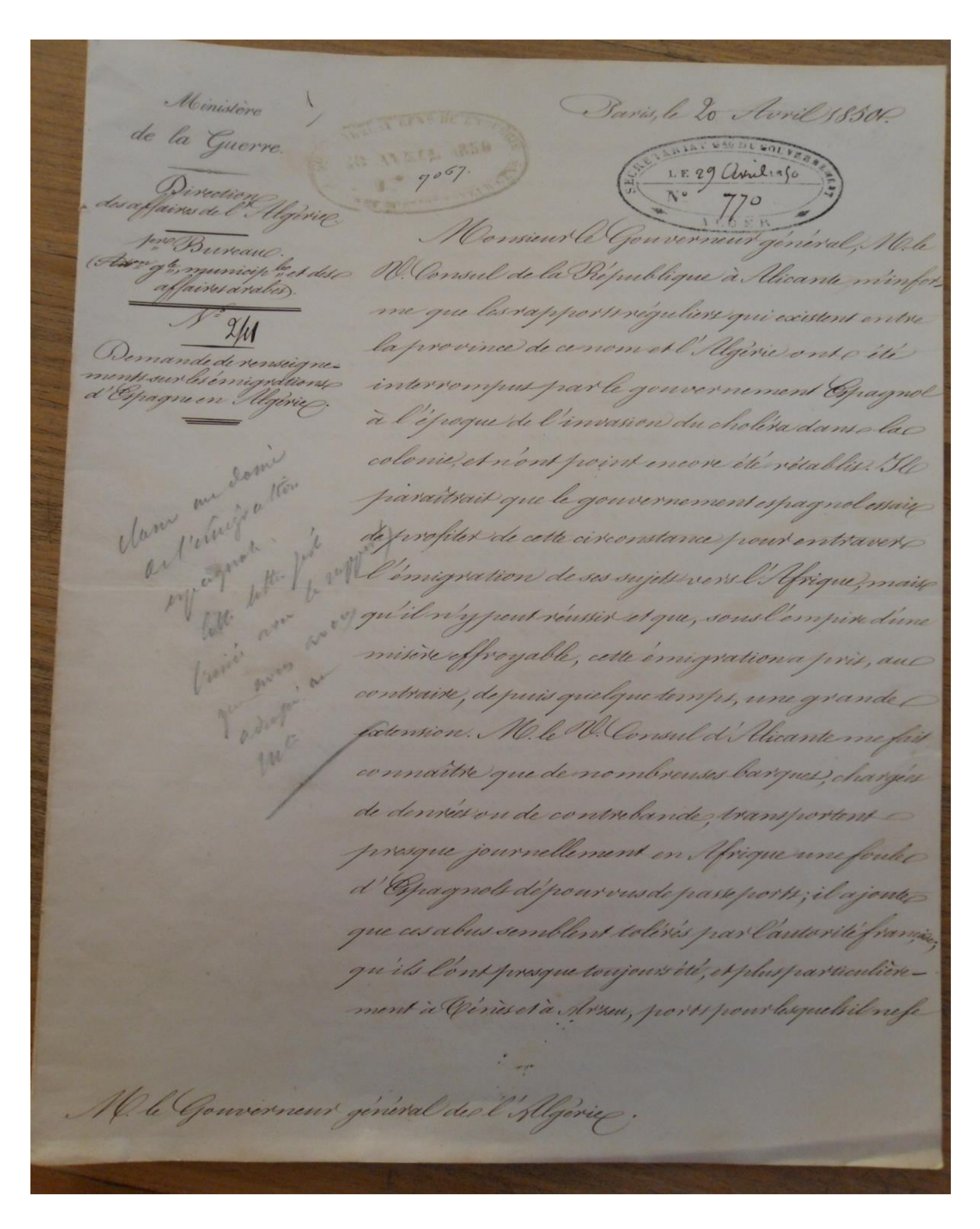


d'Espagne fit auprès de son gouvernement les démarches nécessaires afin de ralentir (s'il n'est possible de le supprimer complètement) le mouvement d'émigration d'ici au mois d'octobre. La récolte plus tardive cette année que d'ordinaire par suite de la persistance de la sécheresse, sera prochainement ramassé. De là, suspension momentanée de presque tous les travaux agricoles. Il en résultera que les émigrants, s'ils affluaient en trop grand nombre, tomberaient forcément aux charges de l'administration et de la charité publique, double embarras qu'il importe d'éviter autant que possible.

Veuillez agréer, Monsieur le Gouverneur Général, l'expression de mes sentiments respectueux.

Pour le Préfet, en tournée
Le Conseiller, Secrétaire Général, Délégué
Lapaine

ملحق رقم: 18


Ministère de la Guerre.

Direction des affaires de l'Algérie

1er Bureau

(Admon gle, municipale et des affaires arabes)

N° 2/41

Demande de renseignements sur les émigrations d'Espagne en Algérie.

Paris, le 20 Avril 1850.

Le 29 Avril 1850
N° 770

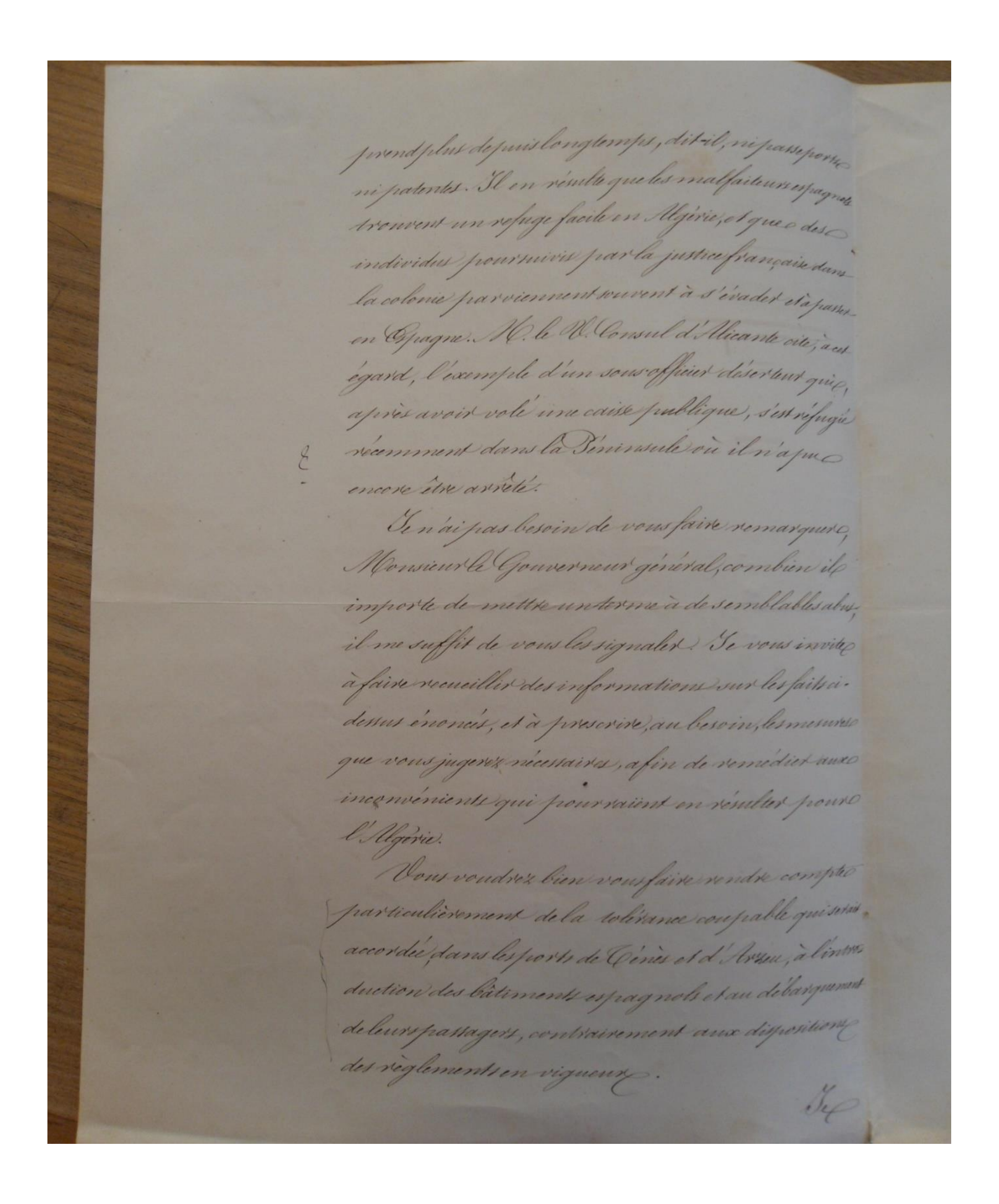
Monsieur le Gouverneur général, M. le V. Consul de la République à Alicante m'informe que les rapports réguliers qui existent entre la province de ce nom et l'Algérie ont été interrompus par le gouvernement Espagnol à l'époque de l'invasion du choléra dans la colonie, et n'ont point encore été rétablis. Il paraîtrait que le gouvernement espagnol essaie de profiter de cette circonstance pour entraver l'émigration de ses sujets vers l'Afrique, mais qu'il n'y peut réussir et que, sous l'empire d'une misère effroyable, cette émigration a pris, au contraire, depuis quelque temps, une grande extension. M. le V. Consul d'Alicante me fait connaître que de nombreuses barques, chargées de denrées ou de contrebande, transportent presque journellement en Afrique une foule d'Espagnols dépourvus de passeports; il ajoute que ces abus semblent tolérés par l'autorité française, qu'ils l'ont presque toujours été, et plus particulièrement à Ténès et à Arzew, ports pour lesquels il ne se

M. le Gouverneur général de l'Algérie.

منع السلطات الاسبانية الهجرة الى الجزائر سنة 1850م بعد ظهور مرض الكوليرا بالمستعمرة، إلا أن السلطات الفرنسية رأت بأن الحكومة الاسبانية سوف لن تتمكن من توقيف تلك الهجرة تحت تأثير البؤس والفقر المنشرين في البلاد.

ANOM. Fond ministériels. F/80/1177.

ملحق رقم: 18 (تابع)



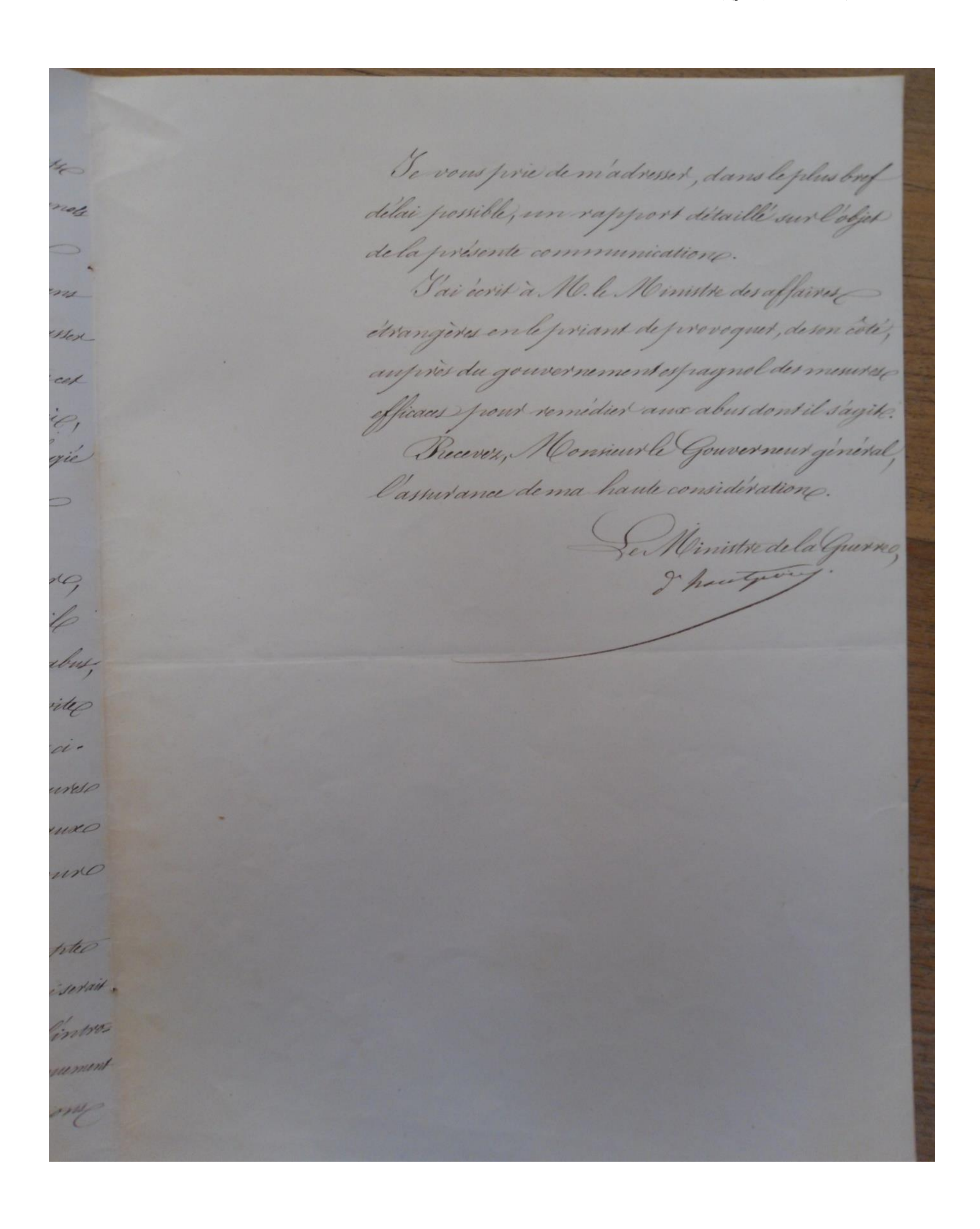
prend plus depuis longtemps, dit-il, ni passeports ni patentes. Il en résulte que les malfaiteurs espagnols trouvent un refuge facile en Algérie, et que des individus poursuivis par la justice française dans la colonie parviennent souvent à s'évader et à passer en Espagne. M. le V. Consul d'Alicante cite, à cet égard, l'exemple d'un sous-officier déserteur qui, après avoir volé une caisse publique, s'est réfugié récemment dans la Péninsule où il n'a pu encore être arrêté.

Je n'ai pas besoin de vous faire remarquer, Monsieur le Gouverneur général, combien il importe de mettre un terme à de semblables abus; il me suffit de vous les signaler. Je vous invite à faire recueillir des informations sur les faits ci-dessus énoncés, et à prescrire, au besoin, les mesures que vous jugerez nécessaires, afin de remédier aux inconvénients qui pourraient en résulter pour l'Algérie.

Vous voudrez bien vous faire rendre compte particulièrement de la tolérance coupable qui serait accordée, dans les ports de Ténès et d'Arzew, à l'introduction des bâtiments espagnols et au débarquement de leurs passagers, contrairement aux dispositions des règlements en vigueur.

Je

ملحق رقم: 18 (تابع)



Je vous prie de m'adresser, dans le plus bref délai possible, un rapport détaillé sur l'objet de la présente communication.

J'ai écrit à M. le Ministre des affaires étrangères en le priant de provoquer, de son côté, auprès du gouvernement espagnol des mesures efficaces pour remédier aux abus dont il s'agit.

Recevez, Monsieur le Gouverneur général, l'assurance de ma haute considération.

Le Ministre de la Guerre,
[signature]

ملحق رقم: 19

المدينة	الفرنسيين	الاسبان	المدينة	الفرنسيين	الاسبان
عين الحجر	371	**1222**	المحمدية	937	**1811**
حاسين	151	**269**	تليلات	468	**744**
سعيدة	295	**844**	قديل	1116	**1348**
غليزان	1004	**1952**	سيق	1441	**5710**
جديوية	193	**254**	بطيوة	449	**669**
وهران	14931	**31129**	المالح	321	**564**
عين الترك	162	**395**	السانية	167	**890**
عين تموشنت	850	**1538**	سيدي بلعباس	3682	**10291**
حاسي عامر	182	**247**	سيدي علي	295	**625**
بوسفر	335	**1527**	سفيزف	320	**415**
بوتليليس	526	**667**	بني صاف	417	**1818**
العامرية	296	**601**	تلاغ	539	**759**
مرسى الكبير	407	**1837**	عين البرد	155	**362**
مسرغين	715	**1401**	مقطع دوز	135	**450**

جدول يظهر غلبة العنصر الاسباني في أهم المدن بالغرب الجزائري سنة 1887م، يعكس تخوف الإدارة الاستعمارية التي سعت منذ تلك الفترة في التفكير بجدية في التجنيس الآلي للأجانب.

Juan Bautista Vilar**, Los Espagnoles en la Argelia Francesca (1830-1914)**, Centro de Estudios Historicos, consejo superior de investigaciones cientificas, Universidad de Murcia, 1989, p.352.

ملحق رقم: 20



ORÁN

Acicate para perfeccionar nuestro Estado

Fragmentos de un artículo de M. Mazet, miembro de la Sociedad de Geografía Comercial de Burdeos, publicado el año 1881

Orán, ciudad españolísima, punto terminal del ferrocarril Níger-Mediterráneo. (Foto Arriba)

ORAN PARA ESPAÑA

Orán es nuestro por el espíritu, por la lengua, por la sangre, por la economía y por el trabajo. Ahí están, a montones, los testimonios elocuentes de esta afirmación. Si, como decía Mauricio Barrés, hay que fundar las razones del patriotismo en la tierra y en los muertos, el Oranesado podrá equipararse a cualquier provincia española, pues allí la tierra se hizo fecunda por mano de nuestros emigrantes, y los muertos innumerables que a esa misma tierra han vuelto florecen en cruces y laudas de sepulcro que llevan apellidos y piden una oración en castellano.

(Del libro: *Reivindicaciones de España*.)

Antonio TOVAR

TAJO 3

مقال أنطونيو طوفار: " **وهران: منبه لتحسين دولتنا**"، من الجريدة الأسبوعية Tajo الاسبانية بتاريخ 28 فبراير 1942م. ANOM. 7CAB/8

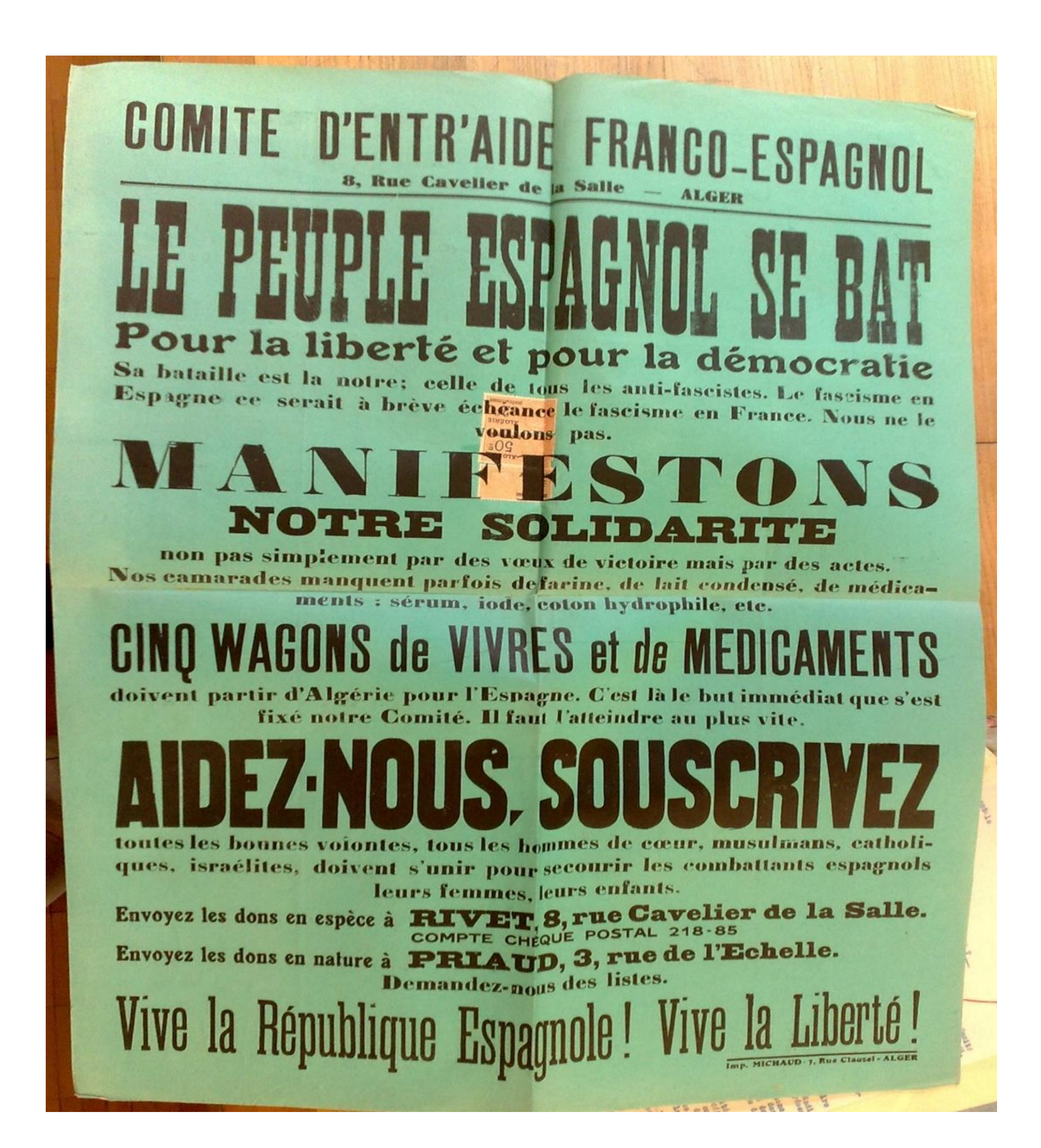
ملحق رقم: 21

الكلمة بالإسبانية	معناها بالوهرانية	الكلمة بالإسبانية	معناها بالوهرانية
Alubia-lubya	الفاصوليا	Chaqueta	معطف
Abugado	المحامي	Coche	سائق سيارة الأجرة
Settuta	المرأة الشريرة	Contrabando	السوق الموازية
Tomobil	سيارة	Suma	الثمن
Banda	مجموعة من الأشرار	Lista	قائمة
Barra	قطعة حديدية	Falso	مغشوش
Barraca	مسكن هش	Mina	منجم
Bola	الكرة	Nigro	شخص أسود البشرة
Bote	الزورق	Semana	الأسبوع
Carabina	البندقية	Ropa	لباس نسوي
Carroza	عربة سيارة	Sala	القاعة
Calentica	اكلة	Cantra	ضد
Fresca	باردة	Falta	خطأ
Marca	علامة	Pomada	المرهم
Meryu	الخزانة	Calabaza	علبة
Pintura	الطلاء	Bizcocho	نوع من الحلوى

نماذج من التأثير اللغوي الاسباني في الاقليم الوهراني.

Lamine Benallou, **L’Oranie Espagnole, Approche sociale et linguistique**, Edition Dar El Gharb. Oran .2002.pp.66-132.

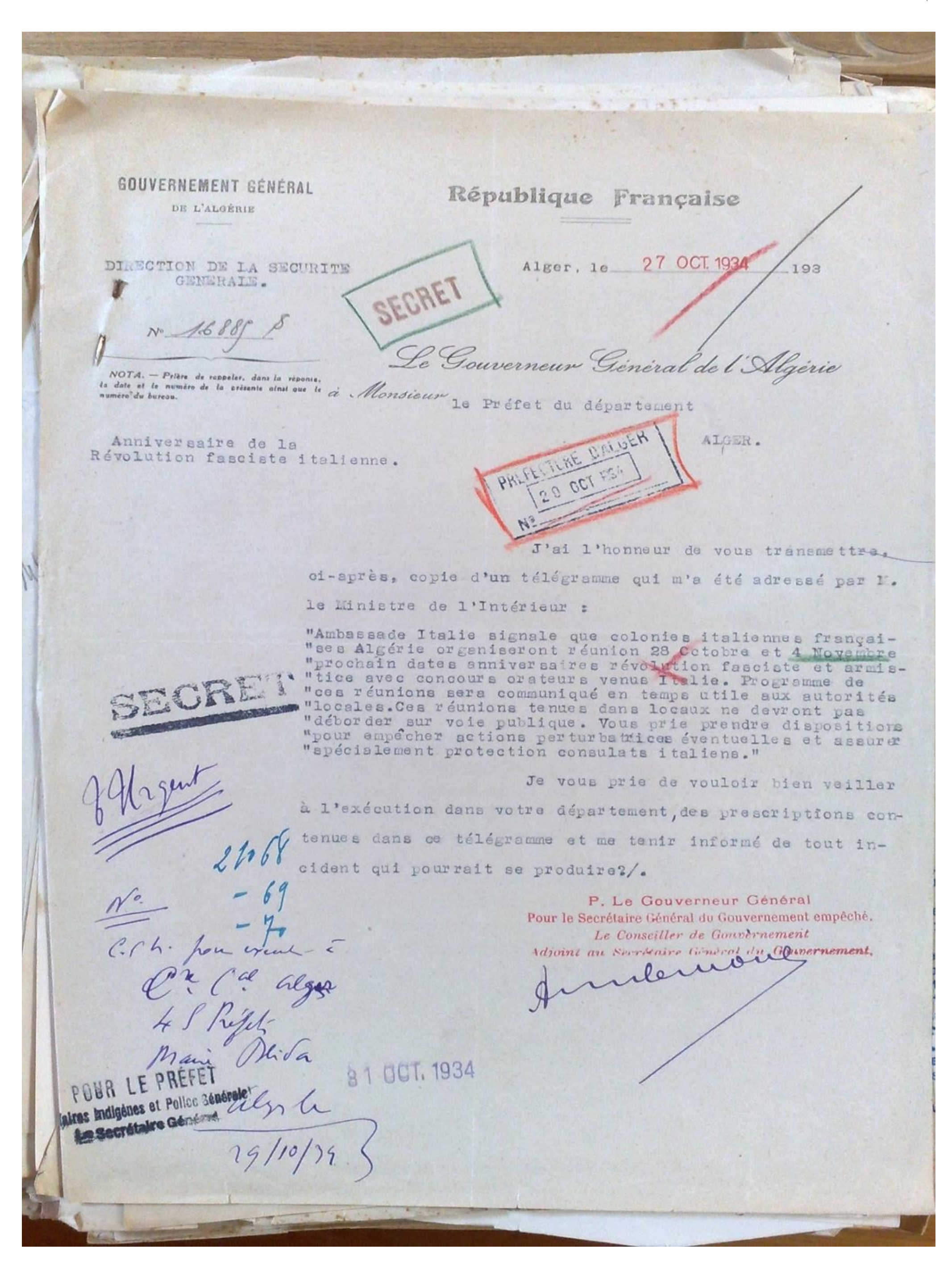
ملحق رقم: 22



ورقة اشهارية من اللجنة الفرانكو اسبانية تدعو إلى ضرورة محاربة الفاشية باسبانيا، ومساعدة الجمهورية.

ANOM. Département d'Alger, 1F/410.

ملحق رقم: 23



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE

République Française

DIRECTION DE LA SECURITE GENERALE.

Alger, le 27 OCT. 1934 193

SECRET

N° 16885 S

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le numéro de la présente ainsi que le numéro du bureau.

Le Gouverneur Général de l'Algérie

à Monsieur le Préfet du département

ALGER.

Anniversaire de la Révolution fasciste italienne.

PREFECTURE D'ALGER
29 OCT 1934
N°

J'ai l'honneur de vous transmettre, ci-après, copie d'un télégramme qui m'a été adressé par M. le Ministre de l'Intérieur :

"Ambassade Italie signale que colonies italiennes françai-
"ses Algérie organiseront réunion 28 Octobre et 4 Novembre
"prochain dates anniversaires révolution fasciste et armis-
"tice avec concours orateurs venus Italie. Programme de
"ces réunions sera communiqué en temps utile aux autorités
"locales.Ces réunions tenues dans locaux ne devront pas
"déborder sur voie publique. Vous prie prendre dispositions
"pour empêcher actions perturbatrices éventuelles et assurer
"spécialement protection consulats italiens."

Je vous prie de vouloir bien veiller à l'exécution dans votre département, des prescriptions contenues dans ce télégramme et me tenir informé de tout incident qui pourrait se produire?/.

SECRET

P. Le Gouverneur Général
Pour le Secrétaire Général du Gouvernement empêché.
Le Conseiller de Gouvernement
Adjoint au Secrétaire Général du Gouvernement,

31 OCT. 1934

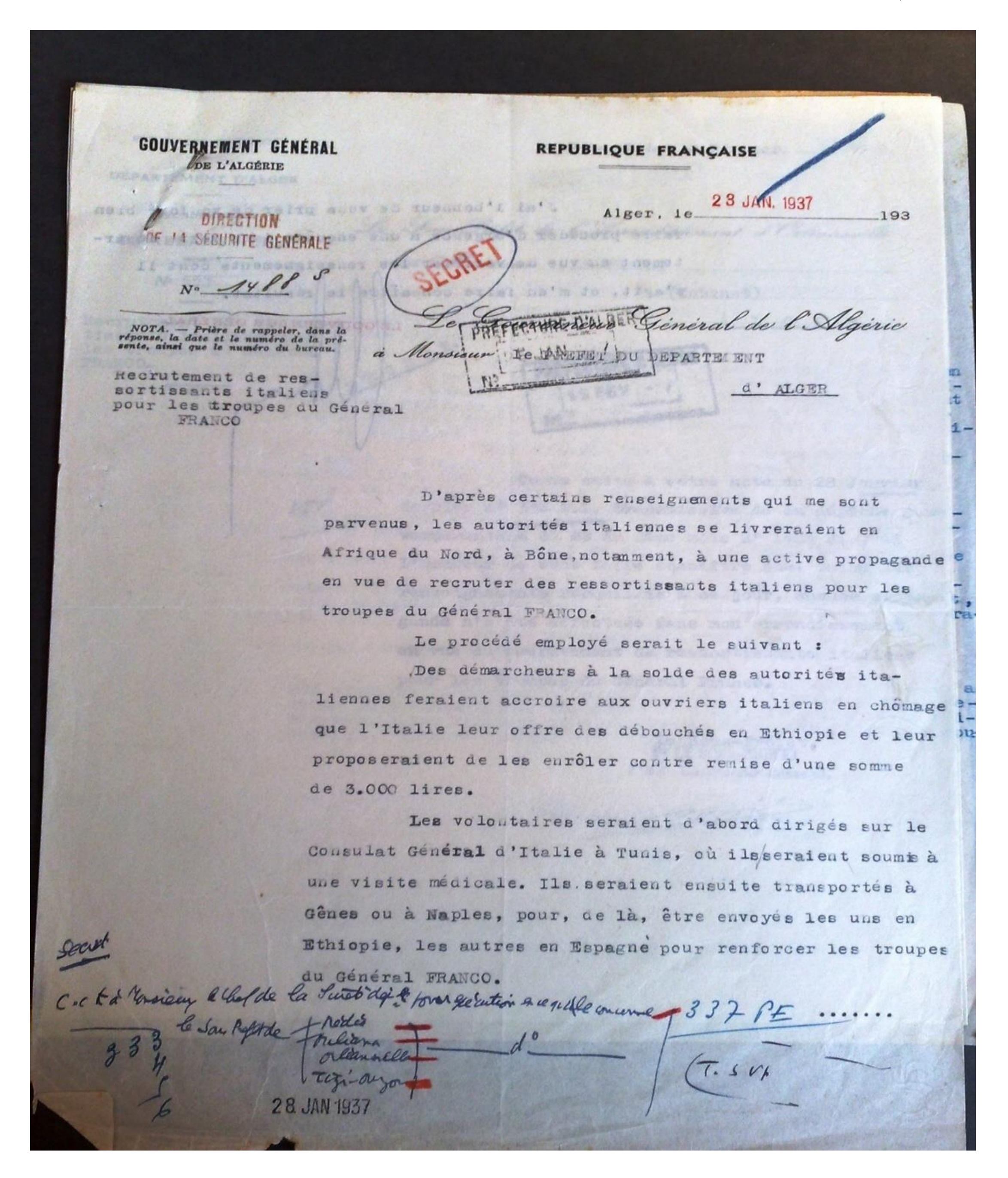
POUR LE PRÉFET
Affaires Indigènes et Police Générale
Le Secrétaire Général

29/10/34

استقبال الجالية الإيطالية لمتدخّلين من إيطالية بين 28 أكتوبر و4 نوفمبر 1934م، للمشاركة في الاحتفالات المخلّدة لوصول النظام الفاشي إلى الحكم في إيطاليا.

ANOM. Département d'Alger, 1F/410.

ملحق رقم: 24



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE

REPUBLIQUE FRANÇAISE

DIRECTION
DE LA SÉCURITÉ GÉNÉRALE

N° 1488 S

SECRET

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le numéro de la présente, ainsi que le numéro du bureau.

Alger, le 28 JAN. 1937

Le Gouverneur Général de l'Algérie
à Monsieur le PREFET DU DEPARTEMENT
d'ALGER

Recrutement de ressortissants italiens pour les troupes du Général FRANCO

D'après certains renseignements qui me sont parvenus, les autorités italiennes se livreraient en Afrique du Nord, à Bône, notamment, à une active propagande en vue de recruter des ressortissants italiens pour les troupes du Général FRANCO.

Le procédé employé serait le suivant :

Des démarcheurs à la solde des autorités italiennes feraient accroire aux ouvriers italiens en chômage que l'Italie leur offre des débouchés en Ethiopie et leur proposeraient de les enrôler contre remise d'une somme de 3.000 lires.

Les volontaires seraient d'abord dirigés sur le Consulat Général d'Italie à Tunis, où ils seraient soumis à une visite médicale. Ils seraient ensuite transportés à Gênes ou à Naples, pour, de là, être envoyés les uns en Ethiopie, les autres en Espagne pour renforcer les troupes du Général FRANCO.

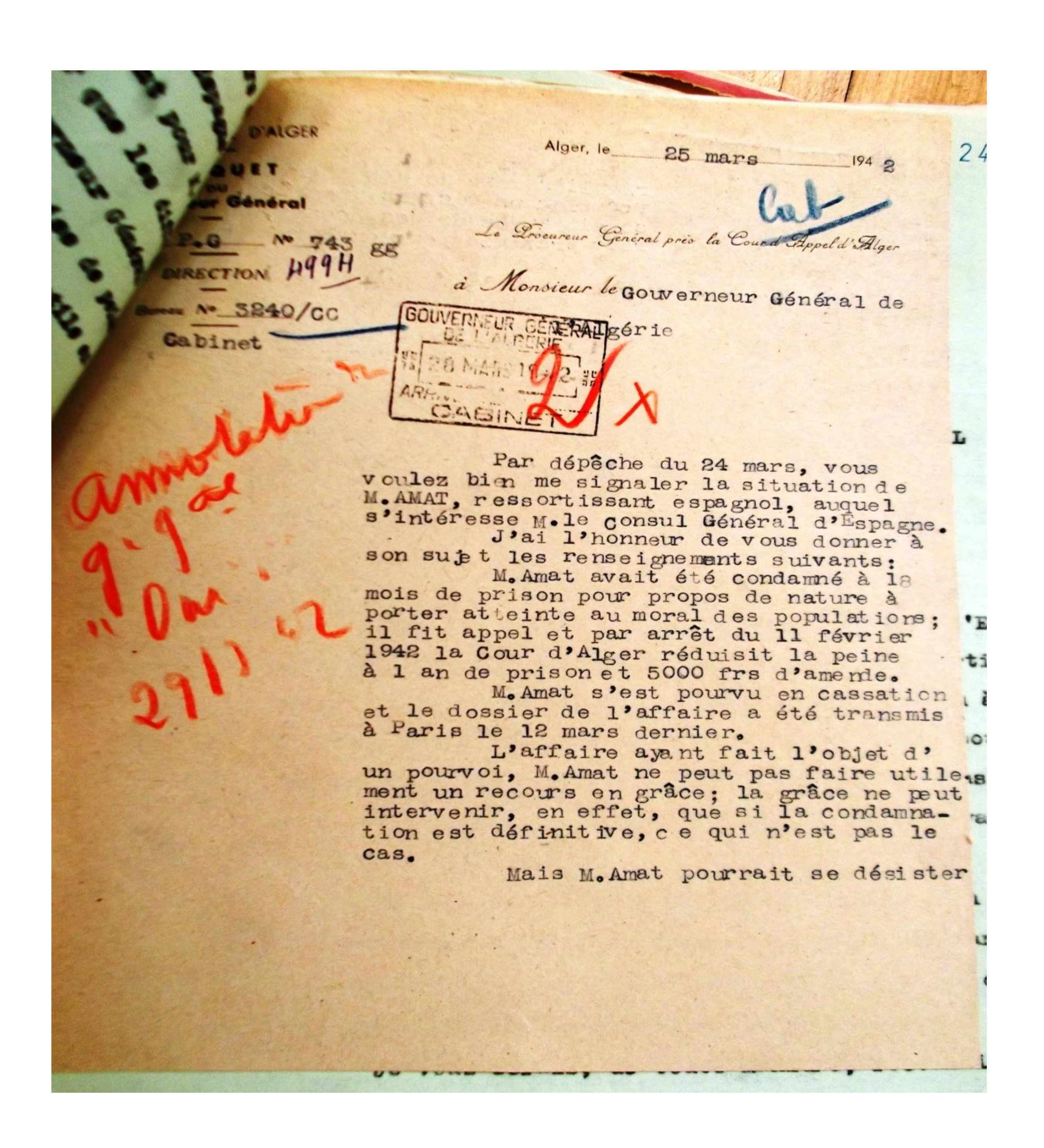
337 PE

28 JAN 1937

تجنيد ايطاليين في عنابة للمشاركة في الحرب الأهلية الإسبانية في صفوف الجنرال فرانكو.

ANOM. Département d'Alger, 1F/410.

ملحق رقم: 25



D'ALGER
...QUET
...ur Général
P.G N° 743 gg
DIRECTION 499H
Bureau N° 3240/CC
Cabinet

Alger, le 25 mars 1942

Le Procureur Général près la Cour d'Appel d'Alger

à Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie

GOUVERNEUR GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE
28 MARS 1942
ARRIVÉE
CABINET

Par dépêche du 24 mars, vous voulez bien me signaler la situation de M. AMAT, ressortissant espagnol, auquel s'intéresse M. le Consul Général d'Espagne.

J'ai l'honneur de vous donner à son sujet les renseignements suivants :

M. Amat avait été condamné à 18 mois de prison pour propos de nature à porter atteinte au moral des populations ; il fit appel et par arrêt du 11 février 1942 la Cour d'Alger réduisit la peine à 1 an de prison et 5000 frs d'amende.

M. Amat s'est pourvu en cassation et le dossier de l'affaire a été transmis à Paris le 12 mars dernier.

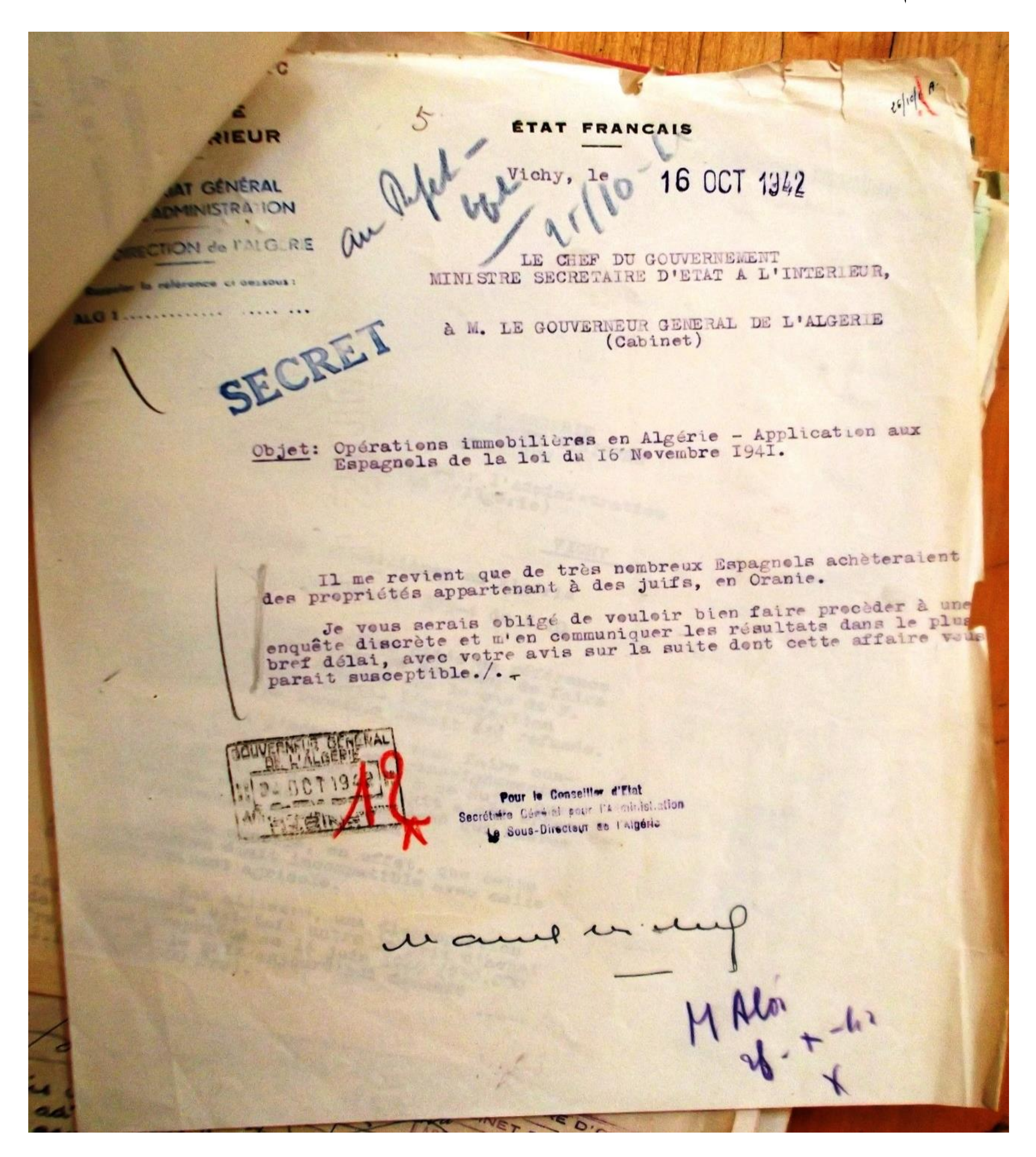
L'affaire ayant fait l'objet d'un pourvoi, M. Amat ne peut faire utilement un recours en grâce ; la grâce ne peut intervenir, en effet, que si la condamnation est définitive, ce qui n'est pas le cas.

Mais M. Amat pourrait se désister

رعيّة اسبانية تعرضت سنة 1942م إلى السجن والتغريم بسبب تلفّظه بعبارات معادية لفرنسا.

ANOM. GGA. 7CAB/8

ملحق رقم: 26



ÉTAT FRANCAIS

Vichy, le 16 OCT 1942

LE CHEF DU GOUVERNEMENT
MINISTRE SECRETAIRE D'ETAT A L'INTERIEUR,

à M. LE GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE
(Cabinet)

SECRET

Objet: Opérations immobilières en Algérie - Application aux Espagnols de la loi du 16 Novembre 1941.

Il me revient que de très nombreux Espagnols achèteraient des propriétés appartenant à des juifs, en Oranie.

Je vous serais obligé de vouloir bien faire procéder à une enquête discrète et m'en communiquer les résultats dans le plus bref délai, avec votre avis sur la suite dont cette affaire vous parait susceptible./.-

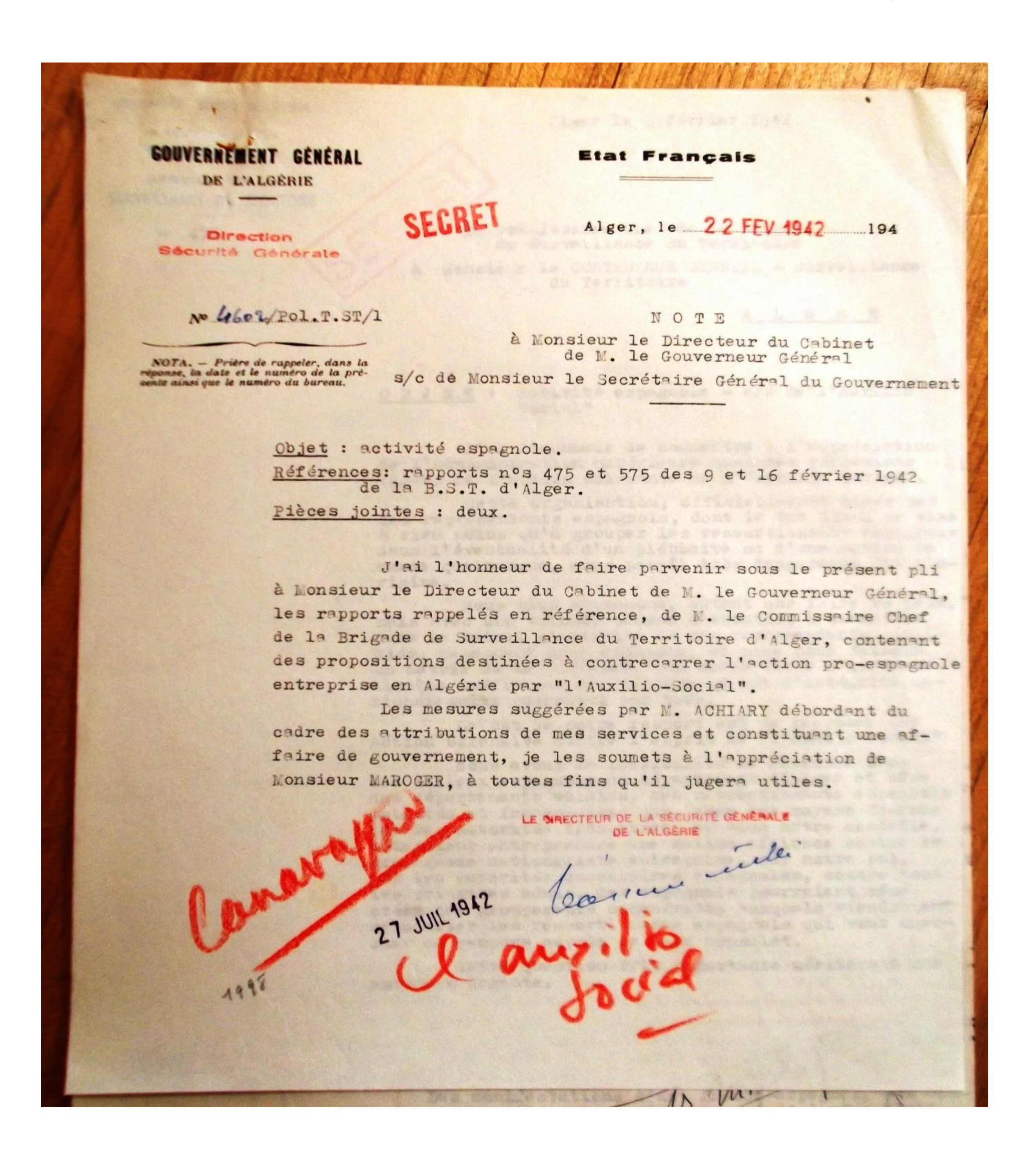
GOUVERNEUR GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE
OCT 1942

Pour le Conseiller d'Etat
Secrétaire Général pour l'Administration
Le Sous-Directeur de l'Algérie

قلق الإدارة الاستعمارية من شراء رعايا اسبان لبعض الممتلكات من اليهود، بعد أن سحبت منهم الجنسية الفرنسية، وراسل رئيس الحكومة كاتب الدولة ووزير الداخلية الحاكم العام بتاريخ 16 أكتوبر 1942 بإجراء تحقيق في الأمر.

ANOM. GGA. 7CAB/8

ملحق رقم: 27



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE

Direction
Sécurité Générale

N° 4602/Pol.T.ST/1

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le numéro de la présente ainsi que le numéro du bureau.

Etat Français

SECRET

Alger, le 22 FEV 1942 194

N O T E

à Monsieur le Directeur du Cabinet
de M. le Gouverneur Général
s/c de Monsieur le Secrétaire Général du Gouvernement

Objet : activité espagnole.
Références: rapports n°s 475 et 575 des 9 et 16 février 1942 de la B.S.T. d'Alger.
Pièces jointes : deux.

J'ai l'honneur de faire parvenir sous le présent pli à Monsieur le Directeur du Cabinet de M. le Gouverneur Général, les rapports rappelés en référence, de M. le Commissaire Chef de la Brigade de Surveillance du Territoire d'Alger, contenant des propositions destinées à contrecarrer l'action pro-espagnole entreprise en Algérie par "l'Auxilio-Social".

Les mesures suggérées par M. ACHIARY débordent du cadre des attributions de mes services et constituant une affaire de gouvernement, je les soumets à l'appréciation de Monsieur MAROGER, à toutes fins qu'il jugera utiles.

LE DIRECTEUR DE LA SÉCURITÉ GÉNÉRALE
DE L'ALGÉRIE

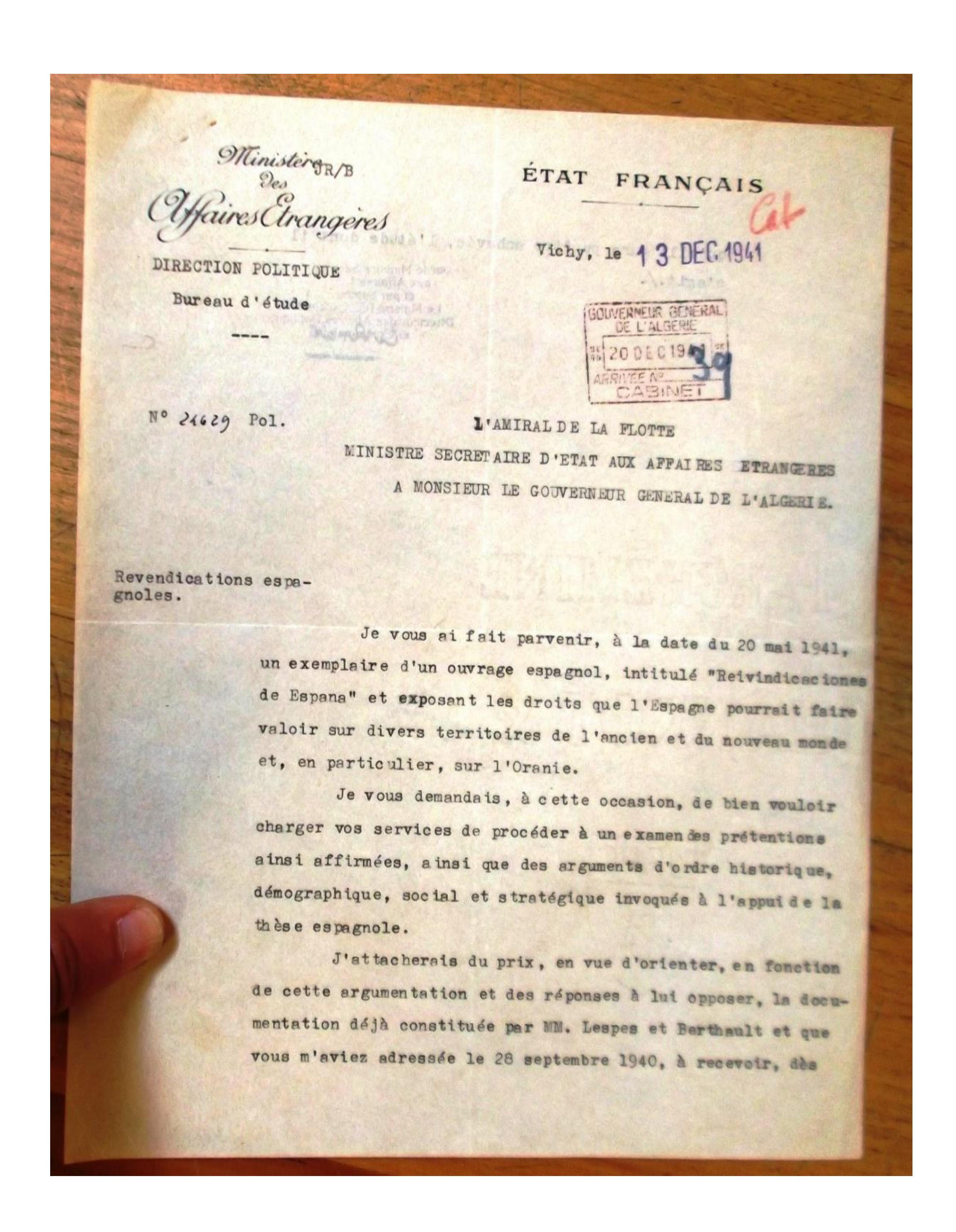
27 JUIL 1942

l'auxilio social

متابعة الإدارة الفرنسية لتحركات جمعية الأوكسيليو سوسيال (Auxillio Social)

ANOM. GGA. 7CAB/8

ملحق رقم: 28



Ministère des Affaires Etrangères JR/B

DIRECTION POLITIQUE

Bureau d'étude

ÉTAT FRANÇAIS

Vichy, le 13 DEC 1941

GOUVERNEUR GÉNÉRAL DE L'ALGERIE 20 DEC 1941 ARRIVÉE N° 39 CABINET

N° 24629 Pol.

L'AMIRAL DE LA FLOTTE
MINISTRE SECRETAIRE D'ETAT AUX AFFAIRES ETRANGERES
A MONSIEUR LE GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE.

Revendications espagnoles.

Je vous ai fait parvenir, à la date du 20 mai 1941, un exemplaire d'un ouvrage espagnol, intitulé "Reivindicaciones de Espana" et exposant les droits que l'Espagne pourrait faire valoir sur divers territoires de l'ancien et du nouveau monde et, en particulier, sur l'Oranie.

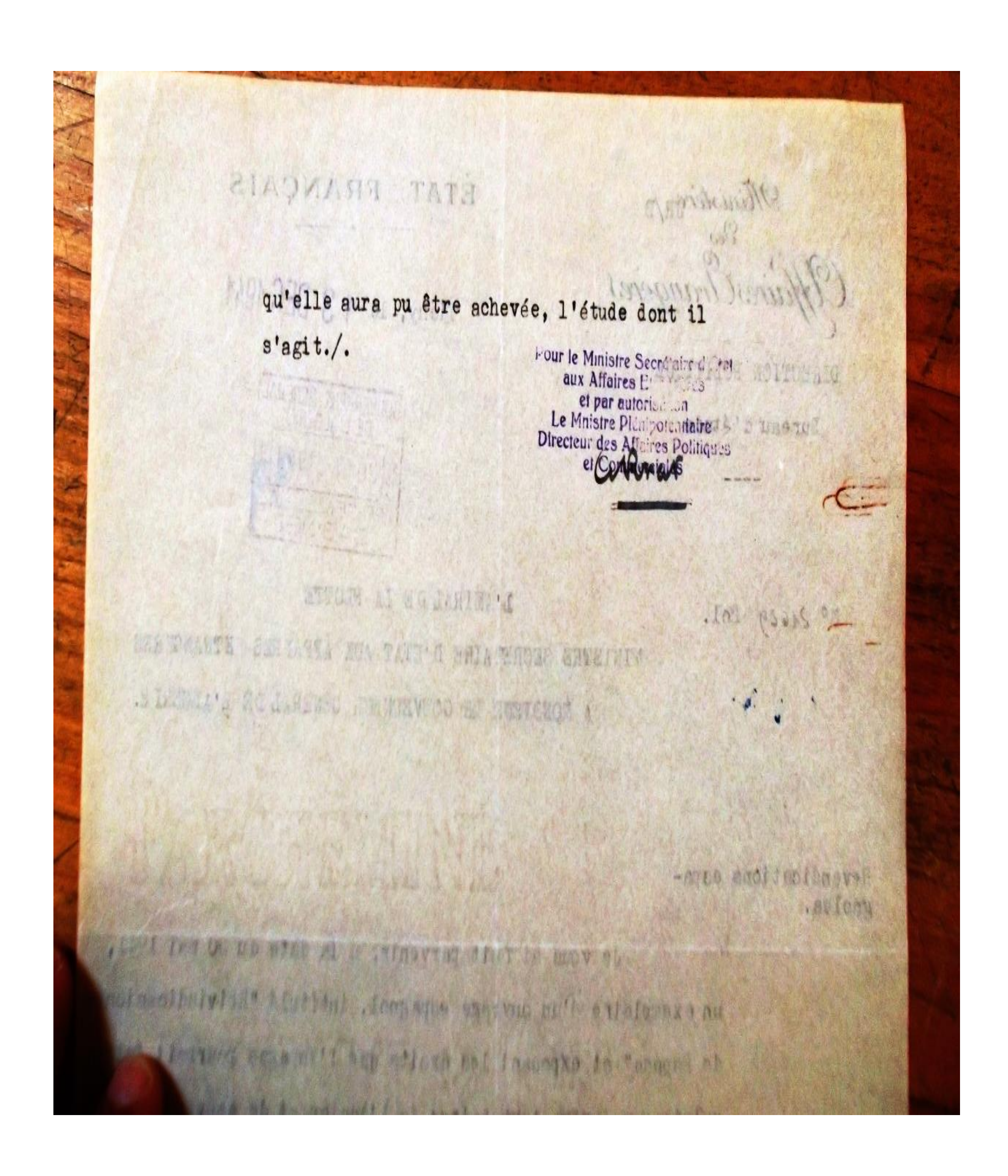
Je vous demandais, à cette occasion, de bien vouloir charger vos services de procéder à un examen des prétentions ainsi affirmées, ainsi que des arguments d'ordre historique, démographique, social et stratégique invoqués à l'appui de la thèse espagnole.

J'attacherais du prix, en vue d'orienter, en fonction de cette argumentation et des réponses à lui opposer, la documentation déjà constituée par MM. Lespes et Berthault et que vous m'aviez adressée le 28 septembre 1940, à recevoir, dès

رد فعل الإدارة الاستعمارية من صدور كتاب "مطالب اسبانيا" Reivindicaciones de Espana سنة 1941م.

ANOM. GGA. 7CAB/8

ملحق رقم: 28 (تابع)

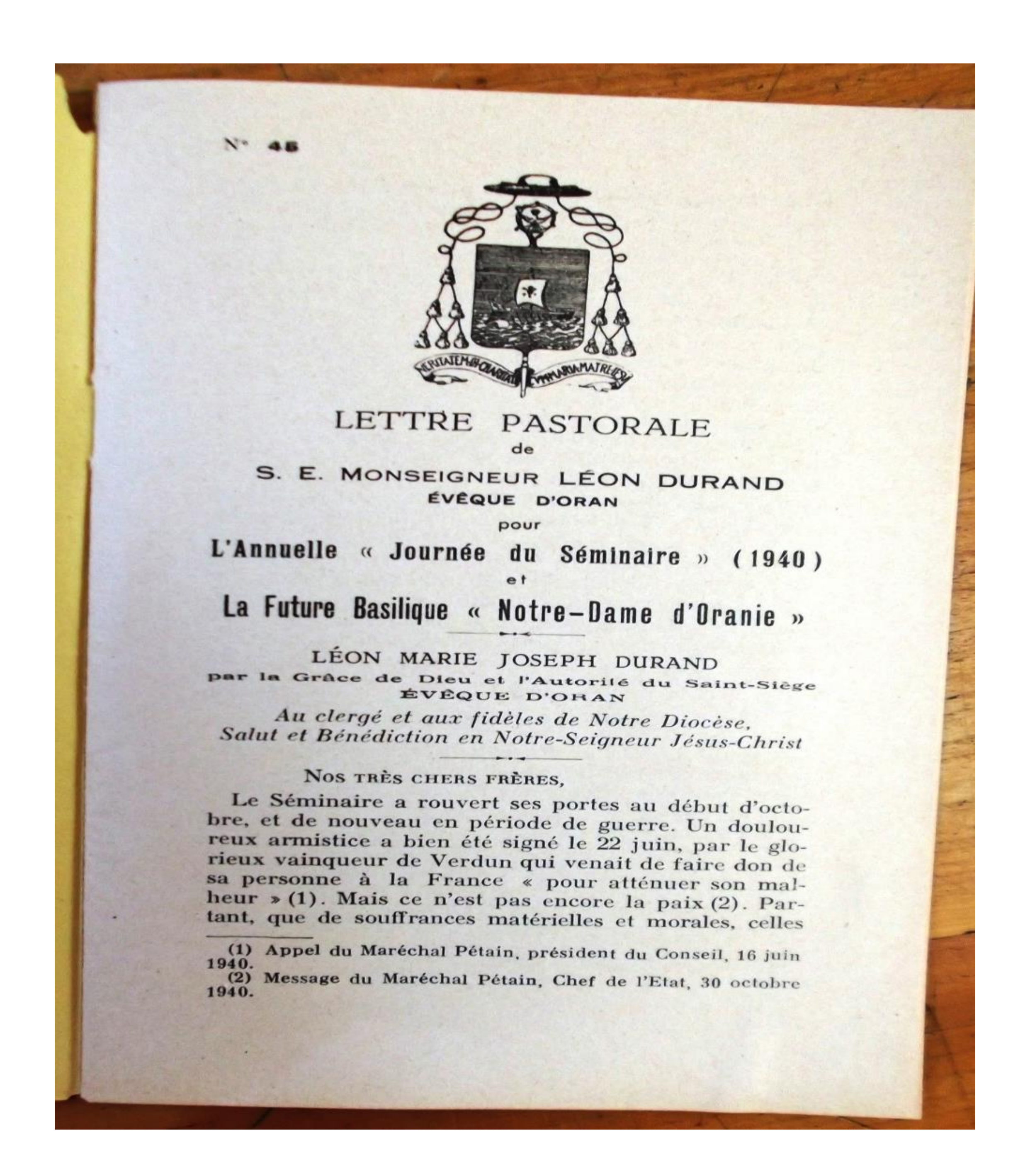


qu'elle aura pu être achevée, l'étude dont il

s'agit./.

Pour le Ministre Secrétaire d'Etat
aux Affaires E[illegible]
et par autorisation
Le Ministre Plénipotentiaire
Directeur des Affaires Politiques
et Commerciales

ملحق رقم: 29



N° 45

LETTRE PASTORALE
de
S. E. MONSEIGNEUR LÉON DURAND
ÉVÊQUE D'ORAN
pour
L'Annuelle « Journée du Séminaire » (1940)
et
La Future Basilique « Notre-Dame d'Oranie »

LÉON MARIE JOSEPH DURAND
par la Grâce de Dieu et l'Autorité du Saint-Siège
ÉVÊQUE D'ORAN

Au clergé et aux fidèles de Notre Diocèse,
Salut et Bénédiction en Notre-Seigneur Jésus-Christ

NOS TRÈS CHERS FRÈRES,

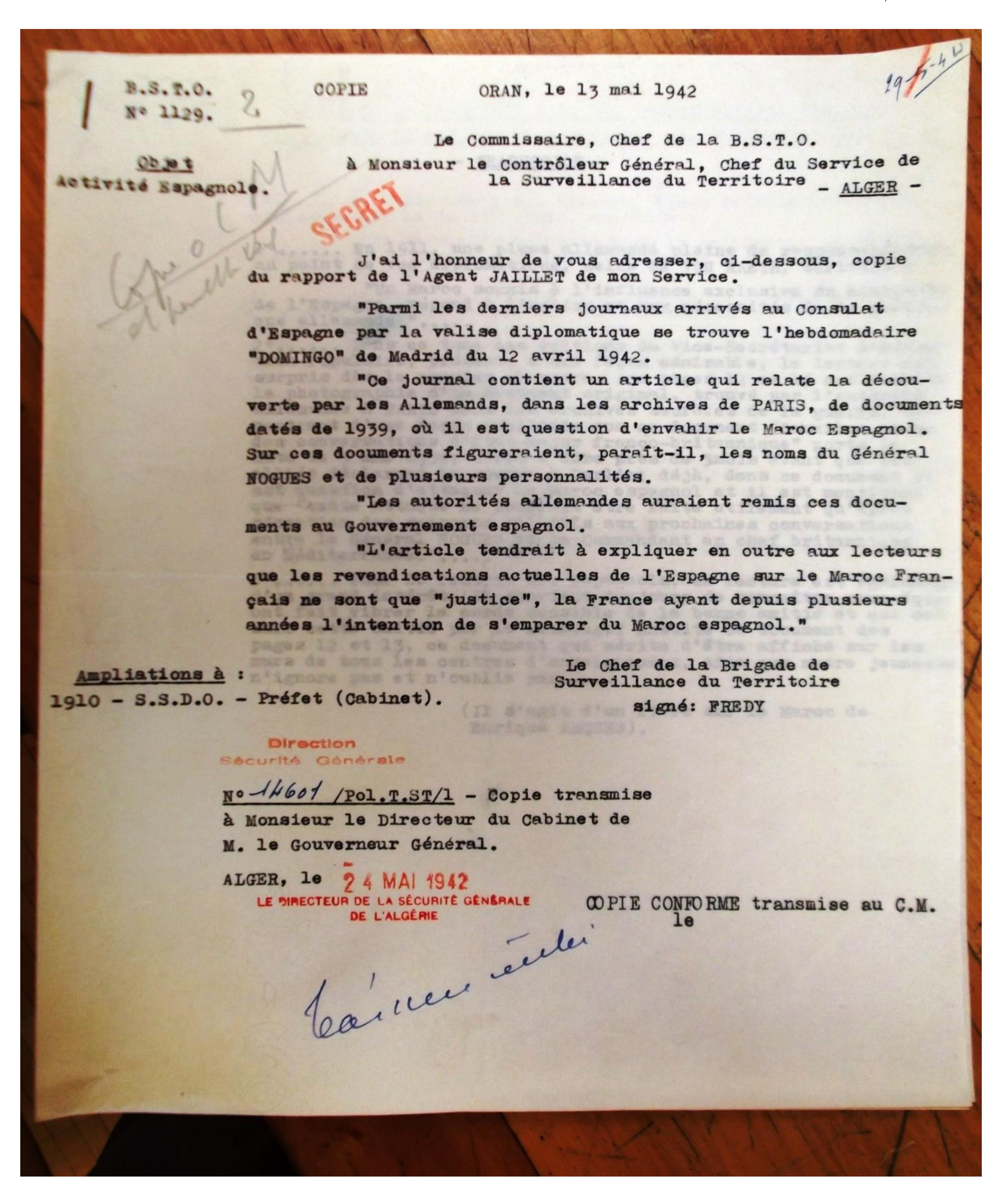
Le Séminaire a rouvert ses portes au début d'octobre, et de nouveau en période de guerre. Un douloureux armistice a bien été signé le 22 juin, par le glorieux vainqueur de Verdun qui venait de faire don de sa personne à la France « pour atténuer son malheur » (1). Mais ce n'est pas encore la paix (2). Partant, que de souffrances matérielles et morales, celles

(1) Appel du Maréchal Pétain, président du Conseil, 16 juin 1940.
(2) Message du Maréchal Pétain, Chef de l'Etat, 30 octobre 1940.

الكتيب الذي صدر في وهران وتضمن آراء ومواقف الأسقف ديران (أسقف كنيسة وهران)، بخصوص المطالب الإسبانية.

GGA. 7CAB/8.

ملحق رقم: 30



B.S.T.O. COPIE ORAN, le 13 mai 1942
N° 1129.

Objet
Activité Espagnole.

Le Commissaire, Chef de la B.S.T.O.
à Monsieur le Contrôleur Général, Chef du Service de la Surveillance du Territoire - ALGER -

SECRET

J'ai l'honneur de vous adresser, ci-dessous, copie du rapport de l'Agent JAILLET de mon Service.

"Parmi les derniers journaux arrivés au Consulat d'Espagne par la valise diplomatique se trouve l'hebdomadaire "DOMINGO" de Madrid du 12 avril 1942.

"Ce journal contient un article qui relate la découverte par les Allemands, dans les archives de PARIS, de documents datés de 1939, où il est question d'envahir le Maroc Espagnol. Sur ces documents figureraient, paraît-il, les noms du Général NOGUES et de plusieurs personnalités.

"Les autorités allemandes auraient remis ces documents au Gouvernement espagnol.

"L'article tendrait à expliquer en outre aux lecteurs que les revendications actuelles de l'Espagne sur le Maroc Français ne sont que "justice", la France ayant depuis plusieurs années l'intention de s'emparer du Maroc espagnol."

Ampliations à :
1910 - S.S.D.O. - Préfet (Cabinet).

Le Chef de la Brigade de Surveillance du Territoire
signé: FREDY

Direction
Sécurité Générale

N° 14601 /Pol.T.ST/1 - Copie transmise à Monsieur le Directeur du Cabinet de M. le Gouverneur Général.

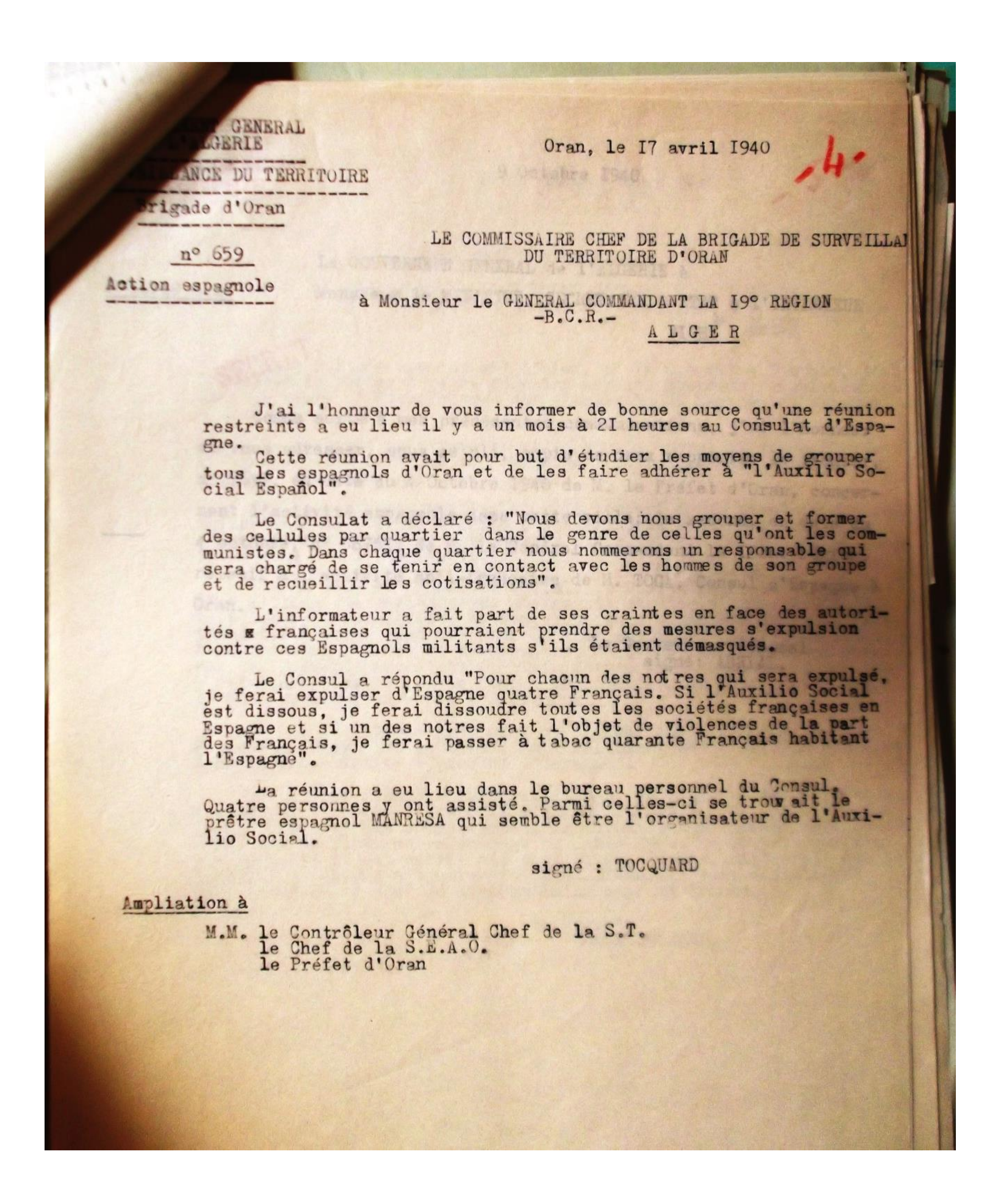
ALGER, le 24 MAI 1942
LE DIRECTEUR DE LA SÉCURITÉ GÉNÉRALE DE L'ALGÉRIE

COPIE CONFORME transmise au C.M.
le

رسالة تشير إلى جريدة دومينقو الاسبانية التي نشرت خبر الرسالة التي وجدها الألمان في باريس بشأن المطالب الفرنسية في القسم الإسباني للمغرب.

GGA. 7CAB/8.

ملحق رقم: 31



...ENT GENERAL
...'ALGERIE
...LANCE DU TERRITOIRE
Brigade d'Oran

n° 659

Action espagnole

Oran, le 17 avril 1940

LE COMMISSAIRE CHEF DE LA BRIGADE DE SURVEILLA...
DU TERRITOIRE D'ORAN

à Monsieur le GENERAL COMMANDANT LA 19° REGION
-B.C.R.-
ALGER

J'ai l'honneur de vous informer de bonne source qu'une réunion restreinte a eu lieu il y a un mois à 21 heures au Consulat d'Espagne.

Cette réunion avait pour but d'étudier les moyens de grouper tous les espagnols d'Oran et de les faire adhérer à "l'Auxilio Social Español".

Le Consulat a déclaré : "Nous devons nous grouper et former des cellules par quartier dans le genre de celles qu'ont les communistes. Dans chaque quartier nous nommerons un responsable qui sera chargé de se tenir en contact avec les hommes de son groupe et de recueillir les cotisations".

L'informateur a fait part de ses craintes en face des autorités françaises qui pourraient prendre des mesures s'expulsion contre ces Espagnols militants s'ils étaient démasqués.

Le Consul a répondu "Pour chacun des notres qui sera expulsé, je ferai expulser d'Espagne quatre Français. Si l'Auxilio Social est dissous, je ferai dissoudre toutes les sociétés françaises en Espagne et si un des notres fait l'objet de violences de la part des Français, je ferai passer à tabac quarante Français habitant l'Espagne".

La réunion a eu lieu dans le bureau personnel du Consul. Quatre personnes y ont assisté. Parmi celles-ci se trouvait le prêtre espagnol MANRESA qui semble être l'organisateur de l'Auxilio Social.

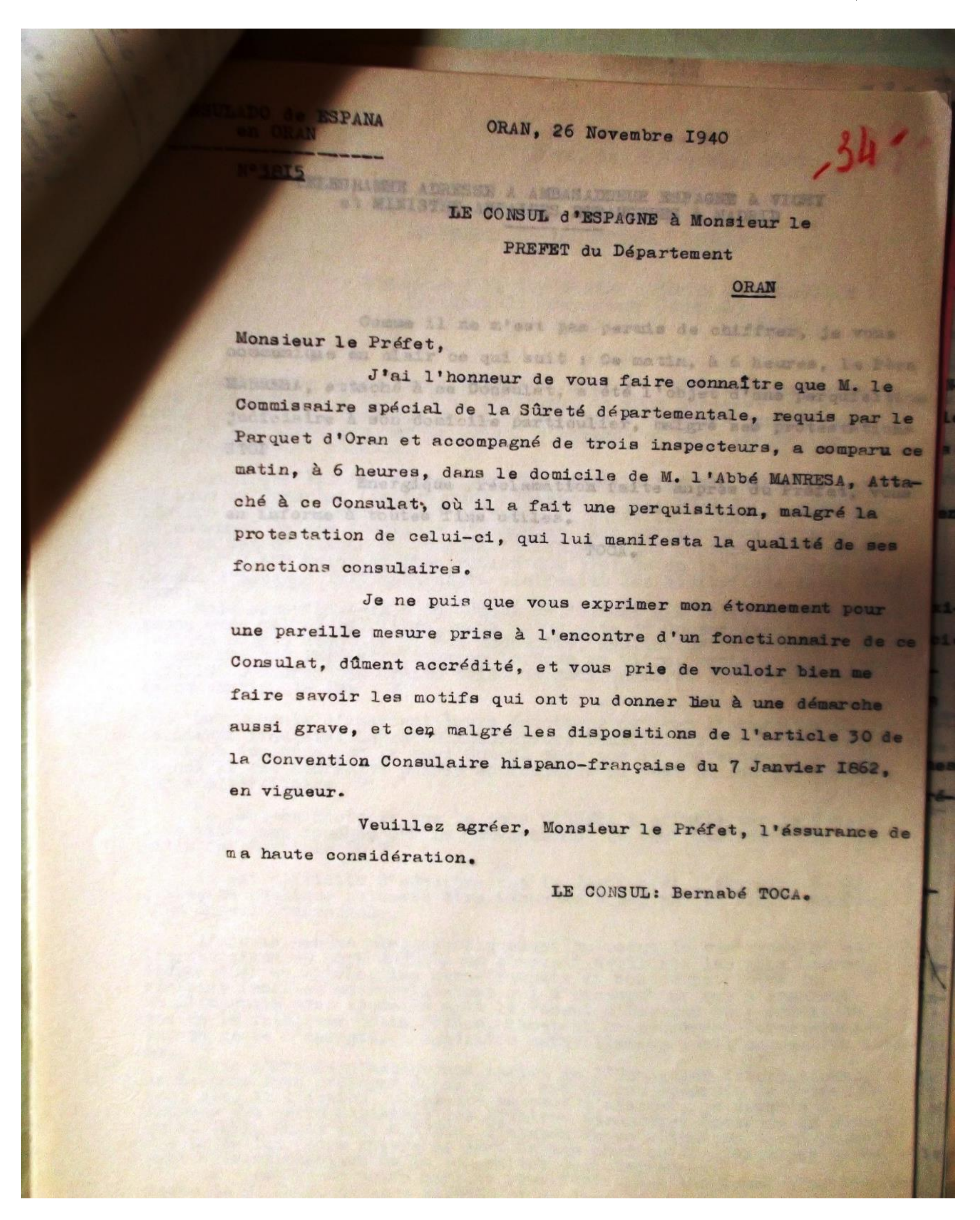
signé : TOCQUARD

Ampliation à

M.M. le Contrôleur Général Chef de la S.T.
le Chef de la S.E.A.O.
le Préfet d'Oran

وثيقة تشير بوضوح إلى التحضيرات الإسبانية في المنطقة الغربية من الجزائر بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ولكن قبل سقوط فرنسا بشهرين.GGA. 7CAB/8

ملحق رقم: 32



...SULADO de ESPANA
en ORAN

N°3815

ORAN, 26 Novembre 1940

-34-

LE CONSUL d'ESPAGNE à Monsieur le
PREFET du Département
ORAN

Monsieur le Préfet,

J'ai l'honneur de vous faire connaître que M. le Commissaire spécial de la Sûreté départementale, requis par le Parquet d'Oran et accompagné de trois inspecteurs, a comparu ce matin, à 6 heures, dans le domicile de M. l'Abbé MANRESA, Attaché à ce Consulat, où il a fait une perquisition, malgré la protestation de celui-ci, qui lui manifesta la qualité de ses fonctions consulaires.

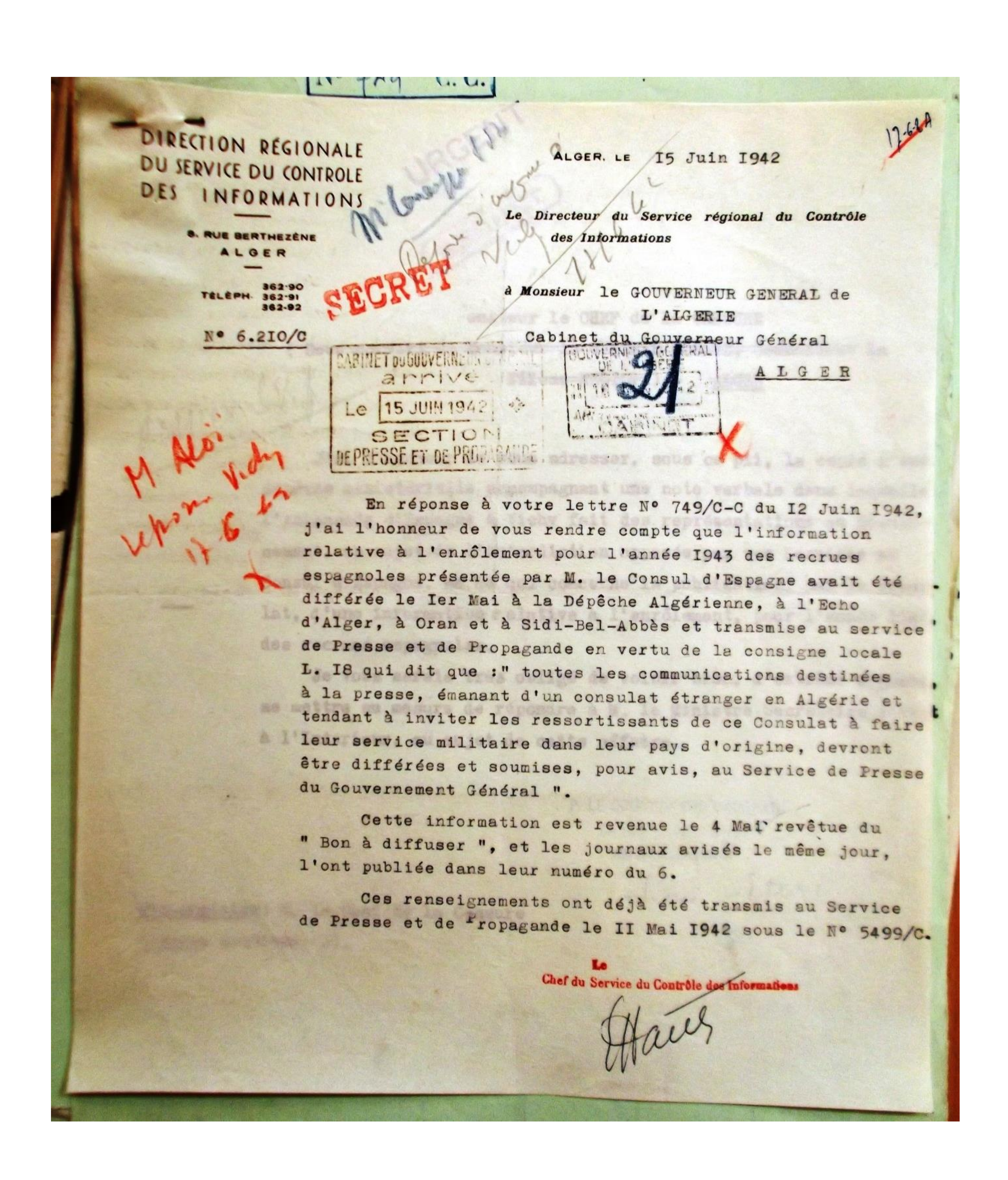
Je ne puis que vous exprimer mon étonnement pour une pareille mesure prise à l'encontre d'un fonctionnaire de ce Consulat, dûment accrédité, et vous prie de vouloir bien me faire savoir les motifs qui ont pu donner lieu à une démarche aussi grave, et ce, malgré les dispositions de l'article 30 de la Convention Consulaire hispano-française du 7 Janvier 1862, en vigueur.

Veuillez agréer, Monsieur le Préfet, l'éssurance de ma haute considération.

LE CONSUL: Bernabé TOCA.

القنصل الإسباني بوهران يشتكي من تفتيش منزل الأب مانريسا يوم 26 نوفمبر 1940..GGA. 7CAB/8

ملحق رقم: 33


DIRECTION RÉGIONALE
DU SERVICE DU CONTROLE
DES INFORMATIONS

8, RUE BERTHEZÈNE
ALGER

TÉLÉPH. 362-90 362-91 362-92

N° 6.210/C

SECRET

ALGER, LE I5 Juin I942

Le Directeur du Service régional du Contrôle des Informations

à Monsieur le GOUVERNEUR GENERAL de L'ALGERIE
Cabinet du Gouverneur Général
ALGER

CABINET du GOUVERNEMENT GÉNÉRAL arrivé Le 15 JUIN 1942 SECTION DE PRESSE ET DE PROPAGANDE

En réponse à votre lettre N° 749/C-C du I2 Juin I942, j'ai l'honneur de vous rendre compte que l'information relative à l'enrôlement pour l'année I943 des recrues espagnoles présentée par M. le Consul d'Espagne avait été différée le Ier Mai à la Dépêche Algérienne, à l'Echo d'Alger, à Oran et à Sidi-Bel-Abbès et transmise au service de Presse et de Propagande en vertu de la consigne locale L. I8 qui dit que :" toutes les communications destinées à la presse, émanant d'un consulat étranger en Algérie et tendant à inviter les ressortissants de ce Consulat à faire leur service militaire dans leur pays d'origine, devront être différées et soumises, pour avis, au Service de Presse du Gouvernement Général ".

Cette information est revenue le 4 Mai revêtue du " Bon à diffuser ", et les journaux avisés le même jour, l'ont publiée dans leur numéro du 6.

Ces renseignements ont déjà été transmis au Service de Presse et de Propagande le II Mai I942 sous le N° 5499/C.

Le Chef du Service du Contrôle des Informations

الجرائد التي تم فيها الإعلان الذي تقدّم به القنصل الإسباني بغرض تجنيد عناصر إسبانية في الجزائر في الجيش الإسباني (15 جوان 1942)..GGA. 7CAB/8.

ملحق رقم: 34

FC.

CONVENTION CONSULAIRE CONCLUE A MADRID
le 7 Janvier 1862
ENTRE LA FRANCE ET L'ESPAGNE

(Ech. des ratif. à Madrid, le 7 Mars.)

S.M. l'Empereur des Français et S.M. la Reine des Espagnes, désirant déterminer, avec toute l'extension et la clarté possible, les droits civils de leurs sujets respectifs, ainsi que les attributions des agents consulaires chargés de les protéger, ont résolu, d'un commun accord, de conclure une Convention spéciale qui embrasse ces deux objets, et ont nommé, à cet effet, pour leurs plénipotentiaires:

S.M. l'Empereur des Français, M. Adolphe BARROT, grand officier de l'ordre impérial de la Légion d'Honneur, grand'croix de l'ordre royal de Charles III d'Espagne, grand cordon de l'ordre de Léopold de Belgique, grand'croix de l'ordre de Saint Janvier de Naples, grand'croix de l'ordre pontifical de Saint-Grégoire le Grand, grand'croix des ordres de la Conception de Villaviciosa et du Christ de Portugal, etc, etc., son Ambassadeur près S.M.C. ;

Et S.M. la Reine des Espagnes, D. Saturnino CALDERON COLLANTES, ancien ministre de l'intérieur et du commerce, de l'instruction et des travaux publics, sénateur du royaume, grand'croix de l'ordre royal et distingué de Charles III, grand'croix de l'ordre royal d'Isabelle-la-Catholique, grand cordon de l'ordre impérial de la Légion d'Honneur de France, grand cordon de l'ordre de Léopold de Belgique, grand'croix de l'ordre pontifical de Pie IX, grand'croix de l'ordre de Danebrog de Danemark, grand'croix de l'ordre de l'Etoile Polaire de Suède, grand'croix de l'ordre de la Conception de Villaviciosa de Portugal, grand'croix de l'ordre des Guelphes du Hanovre, etc., etc., son Premier Secrétaire d'Etat au Département des Affaires Etrangères;

Lesquels, après avoir échangé leurs pleins pouvoirs et les avoir trouvés en bonne et due forme, sont convenus des articles suivants:

Art. 1er. Les sujets des deux Pays pourront voyager et résider sur les territoires respectifs comme les nationaux; s'établir où ils le jugeront convenable pour leurs intérêts; acquérir et posséder toute espèce de biens, meubles et immeubles; exercer toute espèce d'industrie; faire le commerce, tant en gros qu'en détail; louer les maisons, magasins et boutiques qui leur seront nécessaires; effectuer le transport des marchandises et de l'argent, et recevoir des consignations aussi bien de l'intérieur que de l'étranger, en payant les droits et patentes, et en observant, dans tous ces cas, les conditions établies par les lois et les règlements en vigueur pour les nationaux.

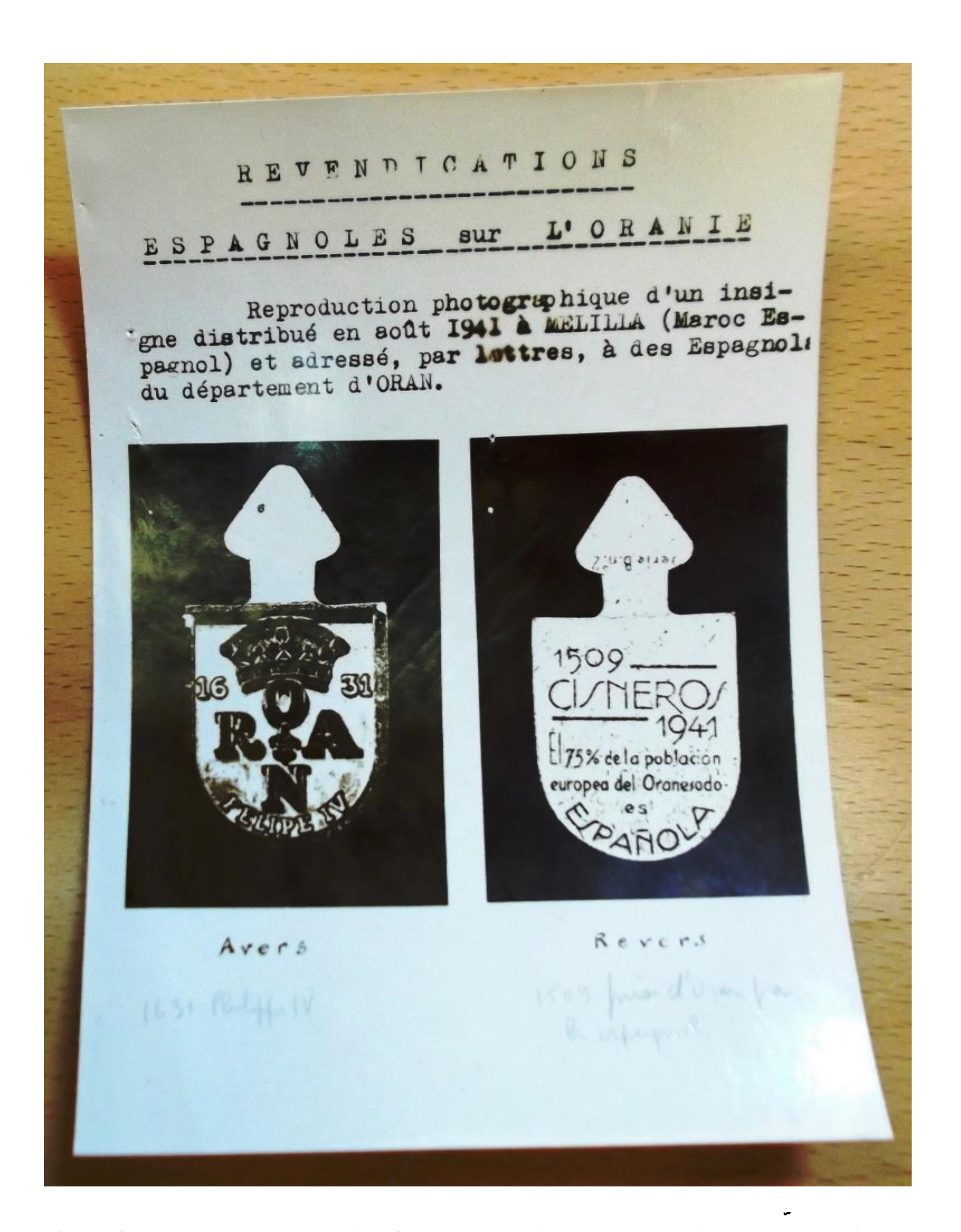
Ils auront le droit, dans leurs ventes et achats, d'établir le prix des effets, des marchandises et des objets quels qu'ils soient, tant importés que nationaux, soit qu'ils les vendent à l'intérieur du pays, soit qu'ils les destinent à l'exportation.

.....

الصفحة الأولى من الاتفاق الفرانكو اسباني سنة 1862 (المتكون من 11 صفحة).

GGA. 7CAB/8.

ملحق رقم: 34



REVENDICATIONS

ESPAGNOLES sur L'ORANIE

Reproduction photographique d'un insigne distribué en août 1941 à MELILLA (Maroc Espagnol) et adressé, par lettres, à des Espagnols du département d'ORAN.

16 31
ORAN
FELIPE IV

1509
CISNEROS
1941
El 75% de la población europea del Oranesado es
ESPAÑOLA

Avers Revers

الشارات التي وزّعت بالمغرب وبوهران وتشير إلى التواجد الإسباني بالمدينة قديما لإضفاء الشرعية على مطالب الإلحاق خلال الحرب العالمية الثانية.

GGA. 7CAB/8.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

أوّلا: الأرشيف:

- ANOM (GGA), 22H18.Pétition adressée au colonel Commandant le territoire militaire, de Ghardaïa, 28 septembre 1919.
- ANOM, Alger F 65, administrateur adjoint Jacquot au préfet d'Alger, le 15/12/1939.
- ANOM, GGA, 7cab/8, le commissaire chef de la brigade de surveillance du territoire de Sidi Bel Abbès, au contrôleur général chargé de la surveillance du territoire d'Alger, le 09/04/1942.
- ANOM. 7CAB/8, Le Chef de la police spéciale départementale au préfet d'Oran, le 17/09/1941.
- ANOM. 7CAB/8. Le secrétaire général du gouvernement au directeur du cabinet du gouverneur général Châtel, le 23/09/1941.
- ANOM. Département d'Oran, dossier 3094.
- ANOM. G.G.A.10H/89. Jean GARRY, Les Espagnols d'oranie.
- ANOM. GGA. 7CAB/8, Antonio Tovar, « Oran – Un stimmulant pour perfectionner notre état », Tajo, 28 février 1942.
- ANOM, 7cab/8. Etat français, Arreté fixant les conditions d'exercice du commerce des céréales secondaire, le 5 septembre 1941.
- ANOM, 7cab/8. Le chef du gouvernement ministre secrétaire d'état à l'interieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 26 novembre 1941.
- ANOM. , 7cab/8., le ministre secrétaire d'état à l'interieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 22 mars 1942.
- ANOM. 7CAB/8. Le commissaire central de Blida à monsieur le préfet du département d'Alger (Activités pro- nazie), le 4 mai 1943.
- ANOM, 7cab/8. Etat français, Arreté fixant les conditions d'exercice du commerce des céréales secondaire, le 5 septembre 1941.
- ANOM, ibid. Le chef du gouvernement ministre secrétaire d'état à l'interieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 26 novembre 1941.
- ANOM.7CAB/8. le ministre secrétaire d'état à l'interieur à monsieur le gouverneur général de l'Algérie, le 22 mars 1942.
- ANOM. 7CAB/8. Le commissaire central de Blida à monsieur le préfet du département d'Alger (Activités pro- nazie), le 4 mai 1943.

- ANOM.GGA. 10002. A 1001.
- ANOM. 1M/53.Conférence sur l’Algérie, n : 5, l’Agriculture.
- ANOM, GGA. série L, op. cit, Carton L/24, le ministre secrétaire d’état de l’Algérie et des colonies, a sa majesté l’Impératrice Régente, Paris le 24 mai 1859.
- ANOM, GGA, série L, Carton 3L/25, Le gouverneur général absent, Le général de division, au ministre de la guerre, 21 mai 1867.
- ANOM, GGA, série L, Carton 3L/26, le chef du deuxième bureau au secrétaire général du gouvernement, 13 aout 1867.
- ANOM, GGA, série L, Carton 3L/27, le Général commandant de la province de Constantine au gouverneur General le 10 juillet 1868.
- ANOM, GGA, Série 32L, Carton 32L30 (Colonisation, principes, décisions), instruction n : 2325 du Gouverneur Général aux Préfets, date du 7 mars 1897, au sujet de la marche à suivre pour tout projet concernant la création d’un centre.
- ANOM, GGA, série L, Carton 3L/25, Le Maréchal de France, Gouverneur général de l’Algérie, Arrêté, Alger le 4 mars 1867.
- ANOM, GGA, Série L, Carton L//2.
- ANOM. F/80/ 2043. Projet de loi sur la naturalisation en Algérie : 27 février 1885.
- ANOM. F/80/1177.
- ANOM. F/80/1805.
- ANOM. F/80/F2043.
- ANOM. F80/1804.
- ANOM.F/80/2043.
- ANOM.F80/1306.
- ANOM. GGA, Série F, Carton : F/80/2043.
- ANOM. GGA, Série F/80, Carton : F/80/1177.
- ANOM. GGA, Série L, Carton : L //3.Rapports à son Excellence le ministre de l’intérieur sur l’Emigration, Années 1859 et 1860, Imprimerie Impériale, Paris .s.d.
- ANOM. GGA, Série L, Carton : L//53. Loi, relative aux indemnités à accorder aux victimes du coup d’état du 2 novembre 1851.
- ANOM. GGA, Série L, Carton : L//6.

- ANOM. GGA. L//7, Etat nominatif du mouvement de la population Espagnole à Oran du 1er mars au 31 aout des années 1847et 1848.
- ANOM. GGA.8CAB/163.
- ANOM. Rapports à son excellence le Ministre de l'Intérieur sur l'Emigration, années : 1857 à 1862. Imprimerie Imperial. Paris. s.d.
- ANOM. Série 1H, Carton.1H/1.
- ANOM., Série F80, Carton F/80/1791. Rapport de Bugeaud au ministre de la guerre.26/11/1941.
- ANOM.1H/1, op. cit, Clauzel au ministre de la guerre. Le 21/04/1831.
- ANOM.8CAB/163 ANOM.
- ANOM.GGA, Série L. Carton : L//1.
- Centre Historique des Archives Nationales, « Alsaciens-Lorains ayant opté pour la nationalité allemande (1872-1873) », BB/31/508 à 510,BB/31/531, Répertoire Alphabétique établi par Ségolène Barbiche, conservateur en chef,1995.
- (C.C.M-MQ52/03).Mandement de monseigneur l'évêque de Dijon, relatif à la prise d'Alger : 17 Juillet 1830.
- SHAT, Correspondance du ministre de la guerre aux ministres : des affaires étrangères, de l'intérieur et de la marine, et au président du conseil et membres des finances, Paris le 12 septembre 1830.
- SHAT, op. cit., le Comte de Bourmont, au président du conseil des ministres, Sidi Férruch le 14 juin 1830.
- SHAT, Série GR 1H, Carton : 1H225, Rapport sommaire sur la situation de la province d'Oran, par le lieutenant général, gouverneur de la province d'Oran Pierre Boyer, 1er décembre 1831.
- SHAT, Série GR1H, Carton 1H 231, Journal de Ténès.
- SHAT, Série GR1H, Carton 1H7. Lettre de Barthezène au ministre de la guerre : 21 mars 1831.
- SHAT, Série GR1H, Carton GR1H210.
- SHAT, Série GR1H, Carton GR1H235, l'Amiral Duperré, au ministre de la marine et des colonies, le 14 juin 1830.

- SHAT. GR 1H, Colonisation d'Alger, par Laisné de Villevêque, 1er septembre 1831.
- SHAT. Série 1H, Carton : GR 1H225, Le capitaine Hypolite, Note sur la colonie d'Alger.

ثانيا المصادر المطبوعة:

1- الوثائق الرسمية والنشرات.

- Abel. J.B., gouverneur général de l'Algérie, Exposé de la situation générale de l'Algérie en 1919, Imprimerie administrative Victor Heintz, Alger, 1920.
- Annuaire statistique de l'Algérie.1932.
- Atlas historique et géographique de l'Algérie, de 1934.
- Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord, Septième année, 1902, 1er trimestre.
- Exposé de la Situation Générale de l'Algérie, Présenté par M. C. Jonnart, gouverneur général de l'Algérie, Imprimerie Victor Heintz, Alger, 1906.
- Conseil supérieur du gouvernement, procès- verbaux des délibérations et exposé de la situation générale de l'Algérie, session de mars 1896, Imprimerie administrative Gojosso, Alger, 1896.

2- الجرائد والمجلات:

- Le Courrier de Tlemcen n : 2008, du vendredi 13 octobre 1899.
- Dépêche Tunisienne, n : 3219 du 26 avril 1899,15 hidjé 1316.
- Journal des Débats n : 258 du Dimanche 17 septembre 1922.
- Indépendant de Mascara n : 41 du dimanche 19 juin 1898.
- Journal des Débats du vendredi 16 janvier 1925
- L'Indépendant de Mascara n : 56 du jeudi 25 aout 1898
- L'Indépendant de Mostaganem, n : 673 du 5 mars 1896

- Revue africaine, volume 64, 1923.
- Le Moniteur de l’Algérie, du 31 octobre 1861.
- Moniteur de l’Algérie, du 6 février 1863.
- Moniteur Universel, 28 décembre 1841
- Moniteur universel, n : 58 du 27 février 1830
- Progrès de Bel-Abbes, n : 1172, du samedi 5 septembre 1896.
- Revue africaine, T. 60, 1919.
- Revue Africaine, volume 97, année 1953.
- Revue d’Alliance, n : 242, septembre 19
- Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°38, 1984.
- Revue des deux mondes, 1er Juillet 1854. Imprimerie J. Claye. Paris. 1854
- Revue Socialiste, Tome XXX, Juillet 1899, librairie de la Revue Socialiste, Paris 1899.
- Le Sémaphore de Marseille, n : 770, du Samedi 10 juillet 1830.
- Tafna, Numéro 900, du Mercredi 1er fevrier 1899.
- L’Afrique du Nord illustrée, n : 293 du Noël 1926
- L’Akhbar, n : 1645, du 29 avril 1852.
- Annales Africaines ,15 octobre 1934.
- Annales Africaines, du 1er novembre 1929.

الدراسات المتخصصة (الكتب والمقالات والدراسات):

1. Allouche-Benayoun Joelle, « **Michel ABITOL. Les Juifs d'Afrique du Nord sous Vichy**», Archives de sciences sociales des religions, (en ligne) ,148 (octobre-décembre 2009, document 148-1, mis en ligne le 13 janvier 2010. consulté le 19 janvier 2015.
2. Bos Charles, « **l'invasion des étrangers en Algérie** », in : la Tafna, journal de l'arrondissement de Tlemcen, 17ème année n : 896, du mercredi 4 janvier 1899.
3. -Cantier Jacques، «les **camps d'internement dans l'Algérie de Vichy**» ,Sables d'exil : Les républicains espagnols dans les camps d'internement au maghreb (1939-1945), Editions Mare Nostrum, Perpignan, 2009
4. -Casset (A), **Dans le Sud Oranais, Souvenir d'un médecin militaire**, Bureau du « Réveil médical » Faubourg Montmartre, Paris 1912.
5. Comité Bugeaud, « **Le peuplement français de l'Algérie par Bugeaud, d'après les écrits et discours du Maréchal** » in : Le Moniteur algérien, n° du 24 août 1845, pp. 34.35
6. Dain (M), « **Etude sur la naturalisation des étrangers en Algérie** », in : Revue Algérienne et Tunisienne de législation et de jurisprudence, publier par l'école de droit d'Alger, tome 1, année 1885, Editions Adolphe Jourdan, Alger, 1885.
7. Démontès Victor**, « les étrangers en Algérie »**, in : Bulletin de la Société de la Géographie d'Alger, Vol .III, Imprimerie S. Léon, Alger 1898.
8. -Dulphy Anne، «État **colonial et minorité nationale: migration et exil républicain espagnols en Algérie (1936-1954) ,** Les Administrations coloniales XIXe - XXe siècles, Presses Universitaires de Rennes, 2009.

9. -GUIGNARD Didier، **Les crises en trompe l'œil de l'Algérie française des années 1890**, in : Histoire de l'Algérie à la période coloniale, Editions La Découverte, Paris, et Barzakh, Alger, 2012.
10. Guiral Pierre**, « La presse Française et la conquête de l'Algérie (1830-1848) »,** in :. Bulletin de la société d'Histoire moderne, Supplément de la Revue d'Histoire moderne et contemporaine : n : 1,1961.
11. Hugo Vermeren, « **La naturalisation des étrangers en Algérie pendant la Troisième République : Le cas des Italiens de Bône** », Université Paris Ouest-Nanterre. IDHE.
12. Isnard Hildebert, « **Vigne et colonisation en Algerie (1880-1947) »,** In : Annales. Economies, Sociétés, Civilisations 2e année, N.3, 1947.
13. Kateb Kamel : « **Les Emigrés Espagnols dans Les camps en Algérie (1939-1941) »,** Annales de Démographie Historique, n : 1, 2007.
14. Le Cour Grandmaison Olivier, « **Quand Tocqueville légitimait les boucheries »**, in : le Monde diplomatique, juin 2001.
15. -MAURINAUD Emile، «Française **ou Arabe، que sera l'Algérie en 1950 ?»**, Annales Africaines du 23 novembre 1922.
16. Nadjari David, **« Simon Kanouï, président du consistoire d'Oran, conseiller municipal, conseiller général** », *Archives Juives* 1/2003 (Vol. 36) , p. 136-139 .
17.
18. -PHILIPPAR Edmond، **«L'action des banques en matière de colonisation»** , in : Centenaire de l'Algérie, Comité de l'Afrique Française, Congrès de la colonisation rurale, Alger 26-29 mars 1930,2ème partie, les problèmes économiques et sociaux posés par la colonisation, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, Alger 1930.
19. Rousset Camille, « **La conquête de l'Algérie, Le Gouvernement du général Bugeaud** », in : Revue du Deux Mondes, tome 84. 1874.

20. SCHWEITZER .N Marcel, « **Le peuplement européen de l'Algérie** », in : Question nord-africaine. Revue des problèmes sociaux de l'Algérie et de la Tunisie et du Maroc, librairie de Recueil Sirey, Paris, juin 1935.
21. -VADALA (R), L'émigration maltaise en pays musulman, Revue du Monde Musulman, avril 1911
22. -VERMEREN Hugo، «La **naturalisation des étrangers en Algérie pendant la Troisième République: Le cas des Italiens de Bône»**, Université Paris Ouest-Nanterre. IDHE.

المصادر بالأجنبية:

1. -Aban Le Vicomte De Villeneuve- Bargemont, **Economie politique chrétienne, ou recherches sur la nature et les causes du paupérisme en France et en Europe et sur le moyen de le soulager et de le prévenir**. Tome 2, Paulin, libraire Editeur. 1834.
2. ABBAS Ferhat, **La nuit coloniale**, Edition ANEP, Alger, 2005.
3. Adolf Crémieux, « **Réfutation de la pétition de M.de Bouzet** », Paris, Schiller, 1871.
4. Amaury A, **de l'Algérie et du paupérisme en France** : Typographie, Bastide libraire éditeurs. Alger.1848.
5. Aubel Thiers M, **De l'importance de la question d'Afrique et du choix d'un système de colonisation**, Delaunay libraire, Paris. 1837.
6. Augustin Casteran**, L'Algérie Française de 1884 à nos jours**, Ernest Flammarion Editeur, Paris 1900.
7. Baudicour Louis, **La colonisation de l'Algérie : ses éléments**, Editions Jacques Lecoffre et Cie, Paris. 1856.
8. Bernard Augustin, **l'Algérie**, Edition Félix Alcan, Paris, 1929.
9. Bernard Augustin, **L'Histoire des colonies françaises et l'expansion de la France dans le monde**, tome 2, **cas de l'Algérie**, sous la direction de. G. Hanotaux et A. Martineau. Editions Plon, Paris, 1930
10. Berteuil Arsene, **l'Algérie française**, Tome 2, Dentu Libraire-Editeur, Paris, 1856.
11. Bertolomé Bennaser, **Histoire des Espagnols** : **XV**[1] ANO[1] Le bulletin des sociétés juives d'Algérie, février 1942.
12. Bohrer M. (Jean de Formatou), **Pour la patrie, l'Algérie aux français d'origine, ou le véritable sens de la question du décret Crémieux et les lois Algériennes sur la naturalisation**, imprimerie Baldachino –Laronde – Viguier, Alger, 1898.
13. Bonnard A, **Pêche côtière et colonisation maritime en Algérie**, Editions A. Rousseau, Paris, 1902

14. Bordier Dr**, La Colonisation scientifique et les colonies françaises**, C.Reinwald, Libraire- Editeur, Paris.1884.
15. Bourel-Roncière Auguste**, Aperçu sur l'établissement d'une commune Bretonne en Algérie,** imprimerie de L .Prud'homme, Saint-Brieuc, 1852.
16. Bugeaud d'Isly Feray, Le maréchal Bugeaud au général Charon, 4 septembre 1848, **Lettre inédites**, Edition Emile-Paul Frères, Paris, 1922.
17. Chennechot L. E., **Histoire résumée de la guerre d'Alger**, J. Corréard Jeune, Editeur- Propriétaire, Paris, 1830.
18. Comite Bugeaud, **Le peuplement français par Bugeaud (d'après les écrits et les discours du Maréchal)**, Edition du comité, Tunis, (s.d).
19. d'Anfreville de La Salle Léon, « **Population et avenir »,** Centre National d'information démographique, n : 228, Paris, juillet 1931
20. De Baudicour Louis, **Histoire de la colonisation de l'Algérie : ses éléments**, Jacques Lecoffre et Cie libraire-Editeurs, Paris 1856.
21. De Baudicour Louis, Histoire **de la colonisation en Algérie**, Editions Challamel Aine, Paris, 1860.
22. De Feullide, **l'Algérie française**, Henri Plon Imprimeur Editeur, Paris, 1856.
23. Démontès Victor, **le peuple Algerien, Essais de démographie Algérienne**, imprimerie Algérienne, Alger 1906
24. Derrien .J. Commandant**, Histoire d'Oran de 1830 à 1848**, Imprimerie J. Nicot, Aix 1886.
25. Dervin G. Abbe, **l'Algérie**, Ipernay, Imprimerie .du courrier du Nord-Est, Paris, 1902.
26. Drumont Edouard, **La France juive** : **Histoire contemporaine**, tome 3, C. Marpon et E. Flammarion Editeurs, Paris, s.d.
27. Du Bouzet, « **les indigènes israélites de l'Algérie** », Paris, Schiller, 1870.

28. Dumas Paul, **les Français d'Afrique et le traitement des indigènes**, Challamel et Cie Editeurs, Paris, 1889.
29. Duval Jules, **Histoire de l'Emigration Européenne, Asiatique et Africaine au XIXème siècle.** Editions Guillaumin et Cie. Paris. 1862
30. Eisenbeth Maurice, **Les Juifs de l'Afrique du Nord : Démographie et Onomastique**, Imprimerie du Lycée, Alger, 1936.
31. Enfantin, **Colonisation de l'Algérie,** Bertrand Libraire, Paris, 1843.
32. Ensemble d'auteurs, **l'Italie par elle-même : lieux de mémoire italiens de 1848 à nos jours**, sous la direction de Mario Isnenghi, 2è édition, Editions RUED'ULM, Paris 2013.
33. Eouard Drumont, **La France juive : Histoire contemporaine**, Tome 2, Editions C. Marpon et E. Flammarion, Paris, s.d.
34. Fillias Achille, **Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860),** Arnauld De Vresse libraire-Editeur. Paris. 1860.
35. Franc Julien, **La colonisation dans la Mitidja**, collection du centenaire de l'Algérie, librairie 1928.
36. Fremy. L, compte rendu au nom du conseil d'administration de la société générale Algérienne du 29 avril 1876, Imprimerie administrative et des chemins de fer de Paul Dupont, Paris, 1876.
37. Garnier M. Joseph et Guillaumin, **Annuaire de l'économie politique : La statistique de 1851**, Guillaumin et Cie Libraire, Paris, 1851.
38. Genty de Bussy Pierre, **De l'Etablissement des Français dans la régence d'Alger et les moyens d'en assurer la prospérité**, Tome 1, Éditions Firmin Didot, Paris, 1839.p.126.
39. Harmand Jules, **Domination et colonisation**. Ernest Flammarion Editeur, Paris. 1910.
40. Hippolyte Magen, **Histoire du second Empire**. Editions Maurice Dreyfus. Paris. 1878.

41. Lacoste Yves, André Noushi & André Prenant, **L'Algérie, Passé et présent : Le cadre et les étapes de la colonisation de l'Algérie actuelle**, Préface de Jean Dresch, Editions Sociales, Paris, 1960.
42. Lancellotti Carme Le chevalier, **Mémoires historique de Ferdinand 1er**, traduit par l'Abbé. P de L'Aquita, Imprimerie Joseph Galletti, Florence. (s.d).
43. Langlais Marc, Fernand Dubief, **Comment il faut prévenir et réprimer le vagabondage et la mendicité**, Editions l'Écho littéraire et artistique, 1908.
44. Larcher Emile et Georges Rectenwald, **Traité élémentaire de législation Algérienne**, **L'Algérie : organisation politique et administrative**, tome 1, Arthur Rousseau et Cie Editeurs, Paris, 1923.
45. Leroy- Beaulieu Paul, in : Abbe G. Dervin, **l'Algérie**, Imprimerie du courrier du Nord-Est, Paris, 1902.
46. Leroy Beaulieu Paul, **L'Algérie et la Tunisie**, Librairie Guillaumin, Paris, 1887.
47. Loth Gaston, **Le peuplement Italien en Tunisie et en Algérie,** Librairie Armand Colin, Paris, 1905.
48. Louis Bertrand, **Le Sang des races**, Editions Fayard et Cie, Paris, 1904.
49. Louis Durieu, **les Juifs algériens (1870-1901)**, librairie Cerf, Paris 1902.
50. Mandeville G. et Victor Démontés, « **Etudes de démographie Algérienne les Populations Européennes : leurs accroissements, leurs densité et leurs origines** », Bureau de la revue, Paris, 190
51. Masson Paul, **La Colonisation française au début du XXe siècle**, Marseille, 1906.
52. Merle I.T., **Anecdotes pour servir à l'Histoire de la conquête d'Alger en 1830**, Edition G-A.Dentu, Imprimeur-Libraire. Paris. (s.d).
53. Meynie Georges, **Les juifs en Algérie**, Edition Albert Savine, Paris, 1888
54. Miège M, **Histoire de Malte**, tome 3, Edition Paulin, Paris, 1840.

55. Mullié M. C., **Biographie des célébrités militaires des armées de terre et de mer de 1789 à 1850**, tome 2, Poignavant et Cie, Editeurs, Paris, (s.d).
56. Niox Colonel, **Géographie militaire**, Tome VI : **Algérie et Tunisie**, 2eme Edition, Librairie militaire de L. Baudoin, Paris, 1890.
57. Nouschi André, Yves Lacoste et André Prenant, L'**Algérie, passé, présent : le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie actuelle**, Éditions Sociales, Paris, 1960.
58. Novicow. H, **la Fédération de l'Europe**, Editions Félix Alcan, Paris, 1901.
59. Onésime Reclus, **L'Atlantide, pays de l'atlas : Algérie, Maroc, Tunisie**, Edition La renaissance du livre, Paris. 1919
60. Passeron René, **« Les grandes Sociétés de la colonisation** Rapport de M. Guynemer, Ancien sous –préfet de Saverne, Membre de la société de protection, « **Situation des Alsaciens- Lorrains en Algérie »**, Imprimerie Central de Chemin de Fer, Paris mars 1873.
61. Péan Pierre, **Main Basse sur Alger, enquête sur un pillage**, juillet 1830, Editions Plon, Paris, 2004.
62. Pierre Nora, **les Français d'Algérie**, Editions Julliard, Paris, 1961
63. Poiré Eugène, **l'Emigration française aux colonies,** Librairie Plon, Paris, 1897.
64. Pon L'abbé t, **Considérations sur le Paupérisme et l'Emeute**, chez Roret, Paris 1840.
65. Raphael Paul, **Algérie : histoire, conquête et colonisation**, Editions Firmin-Didot et Cie, Paris. 1883.
66. Rousset Camille, **La conquête d'Alger**, Edition Plon et Cie, Paris. 1879.
67. Sans Auteur, **l'Algérie française, indigènes et immigrants**. Chez Challamel Aine, libraire- éditeur. Paris. 1862.
68. Théodore- Vibert Paul, **la Concurrence étrangère, la philosophie de la colonisation, les questions brulantes, exemples d'hier et d'aujourd'hui**, (Tome 2), Édouard et Cornély et Cie Éditeur, Paris, 1906.

69. Tolard M.P., **De la Mentalité Algérienne : Apropos de la question des étrangers**, Imprimerie administrative A. Mauguin, Blida, 1905.
70. Trolard. P., **En Algérie, le testament d'un assimilateur**, Imprimerie – Papeterie, J. Torrent, Alger, 1903.
71. Un officier de l'armée d'Afrique, **Colonisation de l'Algérie**, la Librairie sociétaire. Paris, 1847.
72. Vignon Louis, **la France dans l'Afrique du nord : Algérie et Tunisie**, Librairie Guillaumin et Cie, Paris, 1887.
73. Violard Emile, **Les Villages algériens. 1830-1870** [1] Tome 1, imprimerie spéciale de l'Algérie, Alger, 1925.

المراجع بالعربية:

- ابن باديس عبد الحميد، "**قاجعة قسنطينة**"، مجلة الشهاب، ج10، مج10، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001.
- برنيان أندري وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، (ط2)، ترجمة (رابح اسطنبولي وآخرون)، المطبوعات الجامعية، باريس، 1960م.
- بلعزوز العربي، **اللاجئون الاسبان في الجزائر (1939–1962)**، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013.
- بورايو عبد الحميد، "**القصص والتاريخ، التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعي الجزائري**"، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وفي علم الانسان والتأريخ، العدد الثاني، الجزائر، 2005.
- بوعزيز يحي، **ثورات القرن العشرين**، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- جبران مسعود، الرائد: **معجم ألفبائي في اللغة والأعلام**، ط 3، دار العلم للملايين، مؤسسة ثقافية للترجمة والنشر، لبنان، تموز/ يوليو 2005.
- جماعة من كبار اللغويين العرب، **المعجم العربي الأساسي**، تق: محي الدين صابر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أليسكو 1989م.
- الخطيب أحمد، **حزب الشعب الجزائري**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- خير الدين محمد، **مذكرات**، ج1، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002.
- سانت آرنو، **الشرف الضائع، ترجمة** مسعود حاج مسعود، مراجعة احمد بكلي، دار القصبة، الجزائر 2007.
- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال**، ط 4، دار الغرب الاسلامي، الجزائر 2005.

- سعد الله فوزي، **يهود الجزائر: موعد الرحيل**، ج2، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2005.
- شنوف عيسى، **يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود**، ط1، دار المعارف، الجزائر، 2008م.
- الطيب ابن المختار ابن الطاهر بن البشير، **القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم**، ط1، المطبعة الخلدونية التلمسانية، 1961م.
- عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا**، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989.
- غولد زيغر أني راي، **جذور حرب الجزائر 1940–1945 من المرسى الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني**، تر: وردة لبنان، دار القصبة، الجزائر، 2005م.
- الكيالي عبد الوهاب، **الموسوعة السياسية**، ج4، المؤسسة العربية للدراسات، لبنان، 1994.

2/المراجع بالأجنبية:

1. Baroli Marc, **Algérie terre d'espérances : colons et immigrants (1830-1914)**, L'Harmattan, Paris, 1992.
2. Baussant Michèle, **Pieds-noirs. Mémoires d'exils**, Edition Stock, Paris, 2002.
3. Bernadie Nathalie, Malte parfum d'Europe souffle d'Afrique, Presses Universitaires, Bordeaux.1999.
4. Bernardie Natalie, **Malte parfum d'Europe souffle d'Afrique**, Collection « Iles et Archipels » N : 27, Paris 1999.
5. Blais Hélène**, « Pourquoi la France a-t-elle conquis l'Algérie »,** in : Histoire de l'Algérie à l'époque coloniale, sous la direction d'Abderrahmane Bouchene et autres, Editions la Découverte (Paris) et Barzakh (Alger), 2012.
6. Bois Jean Pierre, **Bugeaud**, Paris, Fayard, 1997.
7. Candau Joël, « **Mémoire et identité** », Presses Universitaires de France, « Collection sociologie d'aujourd'hui », Paris, 1998.
8. Cantier Jacques, **« les camps d'internement dans l'Algérie de Vichy »**, in : La Seconde république espagnole en exil en France, 1939-1977, sous la direction de Bruno Vergas, Presses Universitaires de Champion, Albi, 2008.
9. Charles André Julien, **Histoire de l'Algérie contemporaine**, Volume1 : **la conquête et le début de la colonisation (1827-1871).** Edition Presses Universitaires de France. Paris. 1964.
10. Collot Claude, **Les Institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830-1962)**, Editions CNRS, Paris, 1987.
11. Crespo Gérard, Jean- Jacques Jordi, **Les Espagnols en Algérois, 1830-1914 : Histoire d'une migration**, Editions de l'Atlanthrope, Paris, 1991.
12. Crespo Gérard, **Les Italiens en Algérie (1830-1860) : Histoire et sociologie d'une migration**, Editions Jacques Gandini, Nice.1994.
13. De Costanzo Jean-Maurice, **Allemands et Suisses en Algérie : 1830-1918**, Editions Jacques Gandini, Nice.2001.
14. De Tocqueville Alexis, **De la colonie en Algérie**, présentation de Tzvetan Todorov, Editions Complexe, Bruxelles, 1988.
15. Delpard Raphael, **l'Histoire des pieds- noirs d'Algérie 1830- 1962,** Editions Michel Lafon, Paris, 2002.

16. Dermenjian Geneviève, **la Crise anti juive oranaise 1895-1905 (l'anti sémitisme dans l'Algérie coloniale)**, l'Harmattan, Paris 1986.
17. DeTocqueville Alexis, **Œuvres complètes**, T.3, Edition Hachette.Paris.2012.
18. Di Costanzo Jean Maurice**, Allemands et Suisses en Algérie : 1830- 1918**, Edition Jacques Gandini, Nice. 2001.
19. Di Costanzo Jean-Maurice, **Allemands et Suisses en Algérie (1830-1960)**, Editions Jacques Gandini, Nice, 2001.
20. Donato Marc, **Elisa la Maltaise, Histoire des Maltais d'Algérie : 1830-1962**, Editions Jacques Gandini, Nice, 2002.
21. Dulphy Anne, « **Les Réfugiés Espagnols en Algérie : Les camps oubliés »,** in : La Seconde république espagnole en exil en France, 1939-1977, sous la direction de Bruno Vergas, Presses Universitaires de Champion, Albi, 2008.
22. Fischer Fabienne, **Alsaciens et Lorrains en Algérie : Histoire d'une migration,** Editions Jacques Gandini, Nice, 1998.
23. Franck Laurent, **Le voyage en Algérie : Anthologie de voyageurs français dans l'Algérie coloniale 1830-1930**, Robert Laffont, Paris, 2008.
24. Frémeaux Jacques, **les Bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête**, Edition Denoël, Paris, 1993.
25. Garcia Robert, **l'Arrachement**, tome1 : Genèse de l'exode des européens d'Algérie (1830-1962). (S.m.e) et (s.d).
26. Goinard Pierre, **Algérie, L'œuvre Française**, Editions Robert Laffont, Paris, 1984.
27. Guinard Didier, **L'abus de pouvoir dans l'Algérie coloniale**, Presses Universitaires de Paris Ouest, 2010.
28. Halbwachs Maurice, **La mémoire collective**, Editions Albin Michel, Paris, 1997.
29. Harbi Mohammed**, La guerre commence en Algérie**, Editions Complexe, Paris 1998.
30. Jordi Jean- Jacques, **Les Espagnol en Oranie, Histoire d'une migration (1830-1914)**, Editions Jacques Gandini, Nice, 1996.
31. Kateb Kamel, **Européens, « Indigènes » et juifs en Algérie (1830-1962), Représentations et réalités des populations,**

Editions de l'Institut National d'Etudes Démographiques, Paris, 2001.

32. Lavabre Marie –Claire**, Le fil rouge, Sociologie de la mémoire communiste**, Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques, « Collection Bibliothèque de l'Evolution de l'Humanité », Paris, 1996.
33. Leconte Daniel**, Les pieds noirs, histoire et portrait d'une Communauté**, Editions Seuil, Paris 1980.
34. Levallois Michel, **Ismayl Urbain : (1812-1884) Une autre conquête de l'Algérie** ; Maisonneuve et Larose. Paris. 2001.
35. Liauzu Claude, Histoire des Migrations Méditerranée Occidentale, volume1, Edition Complexe, Paris, 1996.
36. Mannoni Pierre, **Les Français d'Algérie, vie, mœurs, mentalités**, L'Harmattan, Paris 2012.
37. Martini Lucienne**, Racines de papier : essai sur l'expression littéraire de l'identité pieds noirs**, Editions Publisud, « Collection Espace méditerranéens », Paris, 1997.
38. Moll. L., **Colonisation et agriculture de l'Algérie**, tome 1, Libraire agricole de la maison rustique, Paris, 1845**30-1962**, Edition Michel Lafon, Paris, 2002.
39. Mullié M. C., Biographie des célébrités militaires des armées de terre et de mer de 1789 à 1850, tome 1, Poignavant et Cie, Editeurs, Paris, (s.d)
40. Novicow.H, **La Fédération de l'Europe**, Felix Alcan, Editeurs, Paris, 1900.
41. Peschanski Denis, « **L'internement massif des républicains espagnols** », in : La Seconde république espagnole en exil en France (1939-1977), sous la direction de Bruno Vergas, Presses Universitaires de Champion, Albi, 2008.
42. Rainero Romain H., **Aspetti e vicende del l'emigrazine italiana in Algeria dalle origini all'avvento del fascismo**, Italia e Algeria, di un'amicizia mediterranea, a cura di Romain H.Rainero, Marzorati Editore, Milano, 1982.
43. Rey Alain et Giles Baud Berthier, **Le Robert Encyclopédique des noms propres, Dictionnaire illustrée**, Editions, Le Robert, Paris, 2007.

44. Robert-Guiard Claudine, **Des Européennes en situation coloniale : Algérie 1830-1939**, Publication de l’Université de Provence.2009.
45. Salinas Alfred, **Quand Franco réclamait Oran (l’Opération Cisneros)**, l’Harmattan, Paris 2008.
46. Saussol Alain et Joseph Zitomersky, dir. **Colonies, Territoires, Sociétés : L'enjeu français,** Paris, l'Harmattan, 1996.
47. Smith Andrea L, **Colonial Memory and Postcolonial Europe, Maltese Settlers in Algeria and France**, Indiana University Press, Bloomington 2006.
48. Tissier Yves, **Dictionnaire de l’Europe, états d’hier et d’aujourd’hui**, Editions Vuibert, Paris, 2002.
49. Verdès-Leroux Jeannine, **Les Français d’Algérie : de 1830 à aujourd’hui, Une page d’histoire déchirée**, Editions Fayard, Paris. 2001.
50. Vial Eric, **Guerre, société et mentalités, L’Italie au premier XXe siècle**, Editions Seli Arslan, Paris.2003.
51. Vilar Juan Bta**, Emigracion Espanola a Argelia (1830-1900), Colonizacion Hispanica de la Argelia Francesca**, Instuto de Estudios Africanos, Madrid, 1975.
52. Vilar Juan-Bautista**, quelques conséquences en Espagne du soulèvement Algérien de 1881 (dans les courants migratoires hispano-algérien et dans relations hispano-française)** In : Mélanges de la Casa de Velazquez.Tome 19,1983.
53. Yahiaoui- Merabet Messaouda, **Société musulmane et Communautés Européennes dans L’Algérie du XXe siècle : Réalités, Idéologies, Mythes et Stéréotypes**, Editions Houma, Alger, 2005.

الملتقيات

1. Colonna Fanny et Christelle Taraud, « **La minorité européenne d'Algérie (1830-1962) : inégalités entre « nationalités », résistances à la francisation et conséquences sur les relations avec la majorité musulmane** », colloque *Pour une histoire critique et citoyenne. Le cas de l'histoire franco-algérienne*, 20-22 juin 2006, Lyon, ENS LSH, 2007, http : //ens-web3.ens-lsh.fr/colloques/france-algerie/communication.php3 ?id_article=249.
2. Crespo Gérard, « **Etude comparative des immigrations italienne en Algérie et en Tunisie** », In : Actes du colloque « les peuplements de l'Afrique du Nord : une histoire de migration plurielles », organisé par la Fondation Algérie, Maroc Tunisie, au Maison de la Chimie, Paris le lundi 12 décembre 2011
3. Dimech Pierre, Président national de Cercle algérianiste, Conférence prononcée à l'Université de Malte le 21 mai 2001, in : http:// maltalger.over-blog-/article-l-emigration-maltaise-en-algerie-116868519html.
4. Dumont Gérard-François**, « Les Flux migratoires vers le Maghreb»**, In : Actes du colloque « les peuplements de l'Afrique du Nord : une histoire de migration plurielles », organisé par la Fondation : Algérie-Maroc-Tunisie, au Maison de la Chimie, Paris le lundi 12 décembre 2011.
5. Emerit Marcel, **« Une cause de l'expédition d'Alger, le trésor de la Casbah »**, in: Comités des travaux historiques et scientifiques, Actes du soixante-dix- neuvième congrès national des sociétés savantes, Alger. 1954.
6. Hoffherr René et Paye Lucien, « **Evolution du peuplement en Afrique du nord** », Congrès international de la population, Paris, 1937, tome VI : Démographie de la France d'Outre –Mer, Editions Hermann et Cie, Paris, 1938.
7. Jordi Jean-Jacques, « **Le peuplement Français de l'Afrique du nord, entre mythe et réalité»,** In : Actes du colloque « les peuplements de l'Afrique

du Nord : une histoire de migration plurielles, organisé par la Fondation Algérie-Maroc- Tunisie, Maison de la Chimie, Paris le lundi 12 décembre 2011.

8. Mesnard. G, « **Le régression relative des européens en Algérie** », in : Démographie de la France d'outre-mer, Congrès international de la population, Paris, 1937, Actualités scientifique et industrielles n : 715.
9. Pasquier-Bronde. M, **« Historique de la Colonisation Paysanne en Algérie »**, In : Centenaire de l'Algérie, Comité de l'Afrique Français, Congrès de la polonisation rurale, Alger : 26-29 mai 1830, 2ème partie, Les Problèmes économiques et sociaux posés par la colonisation. Ancienne imprimerie Victor Heintz, Alger, 1930.
10. Passeron René**, « Les Grandes Sociétés et la colonisation dans l'Afrique du Nord »,** In : In : centenaire de l'Algérie, comité de l'Afrique français, congrès de la colonisation rurale, Alger 26-29 mai 1930, 2ème partie : les problèmes économiques et sociaux posés par la colonisation. Ancienne imprimerie Heintz. Alger, 1930.
11. Vivet. M. E., « **La Viticulture et la Colonisation en Algérie »**, In : Centenaire de l'Algérie, Comité de l'Afrique français, congrès de la colonisation rurale, Alger : 26-29 mai 1930,2ème partie, Les problèmes économiques et sociaux posés par la colonisation, Ancienne imprimerie, Victor Heintz, Alger, 1930.

مواقع الشبكة العنكبوتية:

http://www.marefa.org/index.php/%D8%B3%D8%A7%D9%86_%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%A9

.

www.fm-gacmt.org/.../Actes%20du%colloque%20du%2012%20decewww.histoire-fr.com/monarchie_juillet_difficile_maintien_ordre_3.htm.

http://fr.wikisource.org/wiki/La_Conqu%C3%AAte_de_l%E2%80%99Alg%C3

%A9rie_-_Le_Gouvernement_du_g%C3%A9n%C3%A9ral_Bugeaud/01.

http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=13492

www.histoire-fr.com/monarchie_juillet_fin_regne_louis_philippe_3.htm.

[1] www.larousse.fr/encyclopedie/divers/révolution...de_1848/140734

www.historia.fr/personnages/general-Giraud-06-11-2009-44294

.www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Philippe_Pétain/137768

http//assr.revues.org/index 21080 .html.

الأطروحات الجامعية:

1. Belahsene Tarik, **La colonisation en Algérie : Processus et procédures de création des centres de peuplement .Institution, intervenants et outils. Les cas de centres en Kabylie du Djurdjura, 1857-1899 : Une illustration, de la pleine vers la montagne.** Tome 1, Thèse pour obtenir le grade de Docteur en Architecture, sous la diretion de Piere Pinon. Année 2006.
2. Di Costanzo Jean-Maurice, **L'Emigration Allemande en Algérie au XIX ème siècle : 1830-1890**, Mémoire de Maitrise, sous la direction d'Emile Temime, Université des Sciences Humaines D'Aix Marseille 1, U.E.R. Histoire- Année 1984-1985.
3. Guiard Claudine**, Européennes en Algérie de 1830 à 1939**, DEA de l'histoire contemporaine, sous la direction de Geneviève Dermenjian, Université de Provence, Aix Marseille.2000.
4. Hugo Vermeren, « **La naturalisation des étrangers en Algérie pendant la Troisième République : Le cas des Italiens de Bône** », Université Paris Ouest-Nanterre. IDHE.
5. Séchaud Jean-Philippe, **Mémoires d'Algérie,** Année de l'Algérie, sous la direction de Lela Bencharif, Université Lumière Lyon 2. (2002-2003).

الفهارس

فهرس الأعلام والشخصيات

فهرس الدول والأماكن

فهرس الخرائط والرسومات البيانية والجداول

فهرس الأعلام والشخصيات

أ

ب

ش

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

فهرس الدول والأماكن:

ب

ت

ج

ح

خ

د

ر

ق

ك

ل

فهرس الخرائط والرسومات البيانية والجداول:

1-الخرائط:

2- الرسومات البيانية:

3–الجداول:

فهرس الموضوعات